بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع الكتاب و السنة



المسجد الحرام فى ضوء الكتاب والسنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير



اعداد :

الطالب / محمد فريد الدين راشد

اشراف :

الاستاذ الدكتور الشيخ مصطفى أمين التازى

٩٨ ـ ١٣٩٩ هـ

٧٨ ـ ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله الذى يخلق ما يشاء ويختار وهو الحكيم الخبير والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد المبعوث الى كافة الناس بشيرا ونذيرا ، وعلى آله واصحابه ائمة الهدى وبه كانوا يعدلون رضوان الله تعالى عليهم ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد : فان الله تعالى وضع اول بيت ببكة مباركا وهدى للعالمين وجعله مثابة للناس وامنا . كما قال عز ذكره : " ان اول بيت وضع للناس ببكة مباركا وهدى للعالمين "(١) وقال : واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا " . (٢) فالناس يحجونه ويعودون الى بلادهم ولا يقضون منه وطرا . وذلك استجابة لدعاء خليله حيث يقول : "فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون "(٣)

وبوأ مكان هذا البيت خليله وامره ان يرفع قواعده وان يطهر من انجاس الشرك وعبادة الهوى والشيطان ،ليكون قبلة للناس فى صلواتهم ورمزا لوحدتهم ووحدة دينهم . وجعله قياما لدينهم ودنياهم وجعله حرما امنا منذ خلق السموات والارض فمن دخله كان آمنا لايهيج احد بطلب دم او قصاص اذا لجأ اليه ويتخطف الناس من حولهم .

كما قال تعالى : " واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود " . (٤) وقال : واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل " . (٥) وقال : قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره (٦) وقال : " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس " . (٧) وقال : فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا " . (٨) وقال : " اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم . (٩)

---

(١) الاية ٩٦ سورة ال عمران (٢) الاية ١٢٥ سورة البقرة (٤) الاية ٢٦ سورة الحج
(٥) الاية ١٢٧ سورة البقرة (٦) الاية ١٤٤ سورة البقرة (٧) الاية ٩٧ سورة المائدة
(٣) الاية ٣٧ سورة ابراهيم (٨) الاية ٩٧ سورة ال عمران (٩) الاية ٦٧ سورة العنكبوت .

وكما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس وغيره : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم افتتح مكة : فان هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والارض ، وهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة " الحديث (١)

فهو سبحانه وتعالى الفاعل لما يريد ويختار ما يشاء • فاختار من الزمان والمكان والعباد والبلاد بلد مكة وفيها المسجد الحرام • فجعل لها احكاما وخصها من بين سائر البلاد بالفضائل •

وفى هذه الخصوصيات قال الحافظ ابن القيم رحمه الله كلاما قيما وهذا نصه :
ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الاماكن والبلاد خيرها واشرفها ، وهى البلد الحرام فانه اختاره لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وجعله مناسك لعباده ، واوجب عليهم الاتيان اليه من القرب والبعد من كل فج عميق فلا يدخلونه الا متواضعين متخشعين متذللين ، كاشفى رؤوسهم متجردين عن لباس اهل الدنيا ، وجعله حرما آمنا لا يسفك فيه دم ، ولا تعضد به شجرة ، ولا ينفر له صيد ، ولا يختلى خلاه ، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس الا • وجعل قصده مكفرا لما سلف من الذنوب ، ماحيا الاوزار ، حاطا للخطايا ، كما فى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من اتى هذا البيت ، فلم يفسق ولم يرفث ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه " •

ولم يرض بقاصده من الثواب دون الجنة • ففى السنن من حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة • وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة • وفى الصحيحين عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة " • (٢)

ولو لم يكن البلد الامين خير بلاده ، واحبها اليه ، ومختاره من البلاد ، لما جعل عرصاتها مناسك لعباده ، فرض عليهم قصدها ، وجعل ذلك من آكد فروض الاسلام • واقسم به فى كتابه العزيز فى موضعين منه ، فقال تعالى : وهذا البلد الامين " وقال :"لا اقسم بهذا البلد " • وليس على وجه الارض بقعة يجب على كل قادر السعى اليها • والطواف بالبيت الذى فيها ، غيرها • وليس على وجه الارض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والاوزار فيه ، غير الحجر الاسود و الركن اليمانى •

---

(١) جلد ٤ صفحة ٤١٨ فتح البارى (٢) جلد ٤ صفحة ٣٤٧ فتح البارى •

وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم : ان الصلاة فى المسجد الحرام بمائة الف صلاة ، ففى سنن النسائى والمسند باسناد صحيح عن عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : " صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه ، الا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام افضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة " . رواه ابن حبان فى صحيحه . وهذا صريح فى ان المسجد الحرام افضل بقاع الارض على الاطلاق .

ولذلك كان شد الرحال اليه فرضا ، ولغيره : مما يستحب ولا يجب وفى المسند والترمذى والنسائى عن عبد الله بن عدى بن الحمراء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة - يقول : " والله انك لخير ارض الله ، واحب ارض الله ، ولولا انى اخرجت منك لما خرجت " . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

ثم ذكر من خصائصها : كونها قبلة لاهل الارض كلهم . وانه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة ، وانه اول مسجد فى الارض وانه لا يجوز دخولها بغير احرام . وانه يعاقب فيه على الهم بالسيأت وان لم يفعلها . ويأتى تفصيلها فى محلها ان شاء الله . (1)

وهذا مما حدانى الى اختيارى هذا الموضوع والقيام بالبحث عن الادلة من الكتاب والسنة التى رفعت شان المسجد الحرام وما جاوره من ارض مكة كالحمى له عن سائر المساجد والبلاد . حتى اعرف مدى الاهتمام عن هذا المسجد وعن هذا البلد من الله ورسوله خلال هذه الادلة . وبذلت من جهدى ما استطعت وما توفيقى الا بالله . وفوق كل ذى علم عليم .

ولتسهيل المراجعة قسمت هذه الرسالة على ما يأتى :

اولا : المقدمة وقد اشتملت على بيان سبب اختيارى للموضوع مع بيان اهميه .

ثانيا : قسمت البحث على ثلاثة ابواب ، وتحت كل باب فصول .

---

(1) جلد 1 ص 11 - 12 زاد المعاد .

الباب الاول فى الكلام عن الكعبة المعظمة ــ وتحته فصول :

الفصل الاول فى بيان نشأة البيت الحرام .
الفصل الثانى فى بيان اختلاف الاراء فيمن بناه اولا .
الفصل الثالث فى بيان عدد مرات بنائه .
الفصل الرابع فى بيان ان البيت كان مؤسسا قبل الخليل عليه السلام .
الفصل الخامس فى بيان تحديد مساحة الكعبة المعظمة .
الفصل السادس فى بيان الحجر و المقام و الحطيم .
الفصل السابع فى بيان الحجر الاسود و فضله .
الفصل الثامن فى بيان باب الكعبة .
الفصل التاسع فى بيان ميزاب الكعبة .
الفصل العاشر فى بيان الشاذروان .
الفصل الحادى عشر فى بيان كسوة الكعبة .
الفصل الثانى عشر فى بيان تحلية الكعبة .
الفصل الثالث عشر فى بيان سدانة البيت .
الفصل الرابع عشر فى بيان تبع من البيت و تفسير سورة الفيل .
الفصل الخامس عشر فى بيان مصير الكعبة فى آخر الزمان .
الفصل السادس عشر فى بيان بقاء الدين و الدنيا ببقاء البيت .
الفصل السابع عشر فى بيان فضيلة دخول البيت و آداب دخوله .
الفصل الثامن عشر فى بيان الصلاة في البيت .
الفصل التاسع عشر فى بيان ذكر البيت فى كتاب الله تعالى .
الفصل العشرون فى بيان خصائص البيت و احكامه .

الباب الثانى فى بيان المسجد الحرام ــ و تحته فصول :

الفصل الاول فى بيان بناء المسجد الحرام و عدد مرات بنائه .
الفصل الثانى فى بيان ابواب المسجد الحرام .
الفصل الثالث فى بيان منبر المسجد الحرام .
الفصل الرابع فى بيان المسعى .
الفصل الخامس فى بيان زمزم .

الفصل السادس في بيان خصائص واحكام تتعلق بالمسجد الحرام .
الفصل السابع في بيان استحباب شد الرحال اليه .
الفصل الثامن في بيان فضل الصلاة فيه .
الفصل التاسع في بيان ذكر المسجد الحرام في كتاب الله تعالى .

الباب الثالث في الكلام عن الحرم — وتحته فصول :

الفصل الاول في بيان فضل الحرم المكي .
الفصل الثاني في بيان حدوده وانصابه .
الفصل الثالث في بيان بدء تأمين الحرم .
الفصل الرابع في بيان احكام الحرم وخصائصه .
الفصل الخامس في بيان حكم استيفاء الحدود والقصاص في الحرم .
الفصل السادس في بيان فضل الصلاة في الحرم .
الفصل السابع في بيان ذكر الحرم في كتاب الله تعالى .
الفصل الثامن في بيان مكة وموقعها الجغرافي .
الفصل التاسع في بيان مركزها السياسي والاجتماعي .
الفصل العاشر في بيان مكانتها الدينية .
الفصل الحادي عشر في بيان انها فتحت عنوة .
الفصل الثاني عشر في بيان توريث دور مكة وكراء بيوتها .
الفصل الثالث عشر في بيان احكام تخص مكة .
الفصل الرابع عشر في بيان فضل مكة على سائر البلاد .
الفصل الخامس عشر في بيان فضل المجاورة بمكة .

الفصل الاول فى الكلام عن نشأة البيت الحرام

قال عز ذكره فى صفة البيت :"ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا و هدى للعالمين" . (١) و قال ايضا : " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس " . (٢)

سبب وضع البيت و انشائه ان الملائكة لما اعترضت على الله خلق آدم اذ قالت : اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ؟ غضب الله عليهم فجعلت الملائكة يسترضونه بالطواف حول العرش و ذلك كما يقوله القاضى الماوردى حيث يقول :

و حكى جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على رضى الله عنهم ان سبب وضع البيت و الطواف به ان الله تعالى قال للملائكة :"انى جاعل فى الارض خليفة . قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك . قال انى اعلم ما لا تعلمون " .

فغضب عليهم فعاذوا بالعرش فطافوا حوله سبعة اشواط يسترضون ربهم فرضى عنهم . و قال لهم : ابنوا لى فى الارض بيتا يعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم و يطوف حوله كما فعلتم بعرشى فارضى عنهم . فبنوا له هذا البيت . فكان اول بيت وضع للناس . قال الله تعالى : "ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا و هدى للعالمين " فلم يختلف اهل العلم انه اول بيت وضع للناس للعبادة . (٣)

روى الهيثمى عن عبد الله بن عمرو : لما اهبط الله آدم من الجنة ، قال انى مهبط معك بيتا او منزلا يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ، و يصلى عنده كما يصلى حول عرشى فلما كان زمن الطوفان رفع . و كان الانبياء يحجونه و لا يعلمون مكانه فبوأه لابراهيم فبناه من خمسة اجبل حراء و ثبير و لبنان و جبل الطور و جبل الخمر . فتمتعوا منه ما استطعتم . رواه الطبرانى فى الكبير موقوفا ، و رجاله رجال الصحيح . (٤)

فسواء البيت بنته الملائكة كما يقوله الحديث الاول او انزل على آدم كما بينه الحديث الثانى . او بناه آدم كما سيأتى بيانه فهو انما وضعه الله لغرض اسمى و هدف سام و هو ان يذكر عنده كما يدل عليه قوله تعالى : "و من اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه و سعى فى خرابها " . و قوله : "و ان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا " . و ان يصلى عنده و تكون قبلة للمسلمين و يطاف حوله و يعبد الله وحده بانواع العبادات و الطاعات .

---

(١) ٩٦ ال عمران (٢) ٩٧ المائدة (٣) صفحة ١٥٨ الاحكام السلطانية
(٤) جلد ٣ صفحة ٢٨٨ مجمع الزوائد .

وهذه المعانى تدل عليها الاية الكريمة الاولى فى قولها : مباركا و هـــدى للعالميـن • ولو لم نأخذ بمثل هذه الاحاديث• يقول القاضى الماوردى : وفى قوله تبارك وتعالى : مباركا ـ تأويلان : احدهما ان بركته بما يستحق من ثواب القصد اليه والثانى : انه من امن لمن دخله حتى الوحش فيجتمع فيه الظبى والذئب •

وهدى للعالميـن ،يحتمل تأويلان : احدهما ـ هدى لهم الى توحيده • و والثانى : الى عبادته فى الحج والصلاة • (١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "انه اول مسجد وضع فى الارض" • كما رواه الامام البخارى فى صحيحه بسنده المتصل فقال : حدثنا موسى بن اسماعيل :حدثنا عبد الواحد : حدثنا الاعمش : حدثنا ابراهيم التيمى عن ابيه قال : سمعت ابا ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله اى مسجد وضع فى الارض اول ؟ قال : المسجد الحرام • قال : قلت ثم اى ؟ قال : المسجد الاقصى • قلت : كم كان بينهما ؟ قال : اربعون سنة • ثم اينما ادركتك الصلاة بعد فصله فان الفضل فيه •

يقول الحافظ ابن حجر فى شرحه : وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى : "ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة" • (٢) ولاجل ذلك اورد البخارى هذا الحديث فى "كتاب احاديث الانبياء" بعد حديث بناء الخليل بيت الله الحرام •

الفصل الثانى فى بيان اختلاف الآراء فيمن بناه اولا

لا خلاف بين اهل العلم فى ان البيت الحرام هو اول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وللطاعات والعبادات من النسك وغيره وانه مبارك وهدى للعالميـن • وانما الخلاف وقع فيمن وضعه وبناه اولا ومتى كان ذلك • وبيان ذلك فيما يلى :

القول الاول : ذهب فريق من العلماء الى ان البيت وضعه الله تعالى وليس من وضع احد وذلك قبل ان تخلق الدنيا •

يقول ابن الجوزى : قال ابو هريرة : كانت الكعبة حشفة على الماء، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل خلق الارض بالفى عام •

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لما كان العرش على الماء قبل خلق السموات بعث الله تعالى ريحا فصفقت الماء فابرزت عن حشفة فى موضع البيت كانها قبة فدحا الارض من تحتها •

---

(١) صفحة ١٥٨ و ١٥٩ الاحكام السلطانية (٢) جلد ٧ صفحة ٢١٧ و ٢١٨ فتح البارى •

وقال مجاهد : لقد خلق الله تعالى موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيأ من الارض بالفى سنة ٠ وان قواعده لفى الارض السابعة السفلى ٠

وقال كعب : كانت الكعبة غثاء على الماء قبل ان يخلق الله السموات والارض باربعين سنة ٠ وقد روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : كان البيت قبل هبوط آدم ياقوتة من يواقيت الجنة وفيه قناديل من الجنة، فلما اهبط الله تعالى آدم انزل عليه الحجر الاسود فاخذه فضمه اليه استئناسا به وحج آدم فقالت له الملائكة بر حجك ،لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام ٠ فقال : يا رب اجعل له عمارا من ذريتى ، فاوحى الله تعالى : انى معمره بابناء نبى من ذريتك اسمه ابراهيم ٠

وقال الحافظ ابن حجر : وفى رواية مجاهد عند ابن ابى حاتم : ان القواعد كانت فى الارض السابعة وفى رواية احمد عن عبد الرزاق عن معمر عن ايوب عن سعيد عن ابن عباس : القواعد التى رفعها ابراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك ٠ (٢)

وهذه الروايات اوردها ابن حجر فى سياق ان البيت كان قبل ان تخلق الدنيا كما هو ظاهر فى قول مجاهد وان كانت رواية ابن عباس تحتمل معنى آخر وهو ان القواعد التى رفعها ابراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك فانه يحتمل انها كانت قبل ذلك من وضع الله او من وضع آدم كما سيأتى بيانه ان شاء الله ٠

وروى البيهقى بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : كان البيت قبل الارض بالفى سنة واذا الارض مدت ـ قال من تحته مدا ، تابعه منصور عن مجاهد ٠

وعن محمد بن كعب القرظى قال : "حج آدم عليه السلام فلقيته الملائكة فقالوا : بر نسكك يا آدم لقد حججنا قبلك بالفى عام " ٠ (٣)

وقال الامام الشافعى : اخبرنا سفيان عن ابن ابى لبيد عن محمد بن كعب القرظى او غيره قال : "حج آدم عليه السلام فلقيته الملائكة فقالوا : بر نسكك يا آدم لقد حججنا قبلك بالفى عام" ٠ (٤)

وقال الطبرى : وقال آخرون : بل هو اول بيت وضع للناس ،ثم اختلف قائلو ذلك فى صفة وضعه اول ،فقال بعضهم : خلق قبل جميع الارضين ،ثم دحيت الارض من تحته ٠ ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عمارة الاسدى قال : حدثنا عبيد الله بن موسى قال : اخبرنا

---

(١) صفحة ١١٩ و ١٢٠ التبصرة (٢) جلد ٧ صفحة ٢١٥ (٣) جلد ١ صفحة ٣١٩ و ٣٢٠ دلائل النبوة (٤) جلد ١ صفحة ٢٨٥ مسند الشافعى ٠

شيبان عن الاعمش عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو : خلق الله البيت قبل الارض بالفى سنة ، وكان اذ كان عرشه على الماء زبدة بيضاء فدحيت الارض من تحته .

حدثنى محمد بن عبد الملك بن ابى الشوارب، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد قال : ثنا خصيف، قال : سمعت مجاهدا يقول : ان اول ما خلق الله الكعبة، ثم دحى الارض من تحتها . (١)

حدثنا ابن حميد قال : ثنا يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال : وضع البيت على الماء قبل ان تخلق الدنيا بالفى عام ، ثم دحيت الارض من تحت البيت على اركان الماء على اربعة اركان ....

حدثنى الحسن بن يحيى قال : اخبرنا عبد الرزاق قال : اخبرنا هشام بن حسان قال : اخبرنى حميد عن مجاهد قال : خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئاً من الارض بالفى سنة ، واركانه فى الارض السابعة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : اخبرنا عبد الرزاق قال : اخبرنا ابن عيينة قال : اخبرنى بشير بن عاصم عن ابن المسيب قال : ثنا كعب : ان البيت كان غثاء على الماء قبل ان يخلق الله الارض باربعين سنة ومنه دحيت الارض . (٢)

وقال الازرقى : حدثنا جدى احمد بن محمد بن الوليد الازرقى قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب قال : قال كعب الاحبار : كانت الكعبة غثاء على الماء قبل ان يخلق الله عز وجل السموات والارض باربعين سنة ومنها دحيت الارض .

قال حدثنا ابو الوليد قال : حدثنى مهدى بن ابى المهدى قال : حدثنا ابو ايوب البصرى عن هشام عن حميد قال : سمعت مجاهدا يقول : خلق الله عز وجل هذا البيت قبل ان يخلق شيئاً من الارضين .

قال : حدثنا ابو الوليد قال : حدثنا جدى عن سعيد بن سلام عن طلحة بن عمر (عن عطاء عن ابن عباس : انه قال : لما كان العرش على الماء قبل ان يخلق الله السموات والارض بعث الله تعالى ريحا صفاقة فصفقت الماء فابرزت عن حشفة فى موضع هذا البيت كانها قبة فدحا الله الارضين من تحتها فمادت ثم مادت فاوتدها الله بالجبال فكان اول جبل وضع فيها ابو قبيس فلذلك سميت مكة ام القرى .

---

(١) جلد ٤ صفحه ٨ الطبرى (٢) جلد ١ صفحه تفسير الطبرى ص ٥٤٨

قال : وحدثني يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن ابراهيم الجبيرى عن عثمان بن عبد الرحمن عن هشام عن مجاهد قال : لقد خلق الله عز وجل موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيأ من الارى بالفى سنة وان قواعده لفى الارض السابعة السفلى . (١)

وقال المحب الطبرى : وقد اختلف فى اول من بناه على ثلاثة اقوال :

احدها : ان الله عز وجل وضعه لا ببناء احد . وفى زمن وضعه اياه قولان : احدهما : انه وضعه قبل خلق الدنيا . ويدل عليه حديث ابن عباس وحديث ابى هريرة

حديث ابن عباس : نا كان العرش على الماء قبل ان يخلق الله السموات بعث ريحا فصفقت الماء فابرزت الحشفة فى موضع البيت كانه قبة فدحا الارض من تحتها فمادت فاوتدها بالجبال .

وعنه ايضا : وضع البيت على الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفى سنة، ثم دحيت الارض من تحتها .

وحديث ابى هريرة : خلقت الكعبة قبل الارض بالفى عام . (٢)

((الغثاة : واحدة الغثاء وهو ما يحطه السيل والماء من الزبد والهالك البالى من الشجرة وغيره يخالط الزبد))

قال الحافظ بن كثير فى تفسيره : وقال ابن ابى حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله ابن يزيد المقرى : اخبرنا سفيان عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب عن كعب الاحبار قال : كان البيت غثاة على الماء قبل ان يخلق الله الارض باربعين عاما ومنه دحيت الارض .

وقال عبد الرزاق : اخبرنا هشام بن حسان : اخبرنى حميد عن مجاهد قال: خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيأ بالفى سنة واركانه فى الارض السابعة

وكذا قال ليث بن ابى سليم عن مجاهد : القواعد فى الارض السابعة . (٣)

وقال الشيخ حسين با سلامة : وقال البغوى فى تفسير قوله : ان اول بيت وضع للناس الاية . فقال بعضهم : هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء و الارض بالفى عام . وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته . وهذا قول عبد الله بن عمرو ومجاهد وقتادة والسدى . (٤)

قلت : هذه الروايات التى سبق ذكرها عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو وابى هريرة وكعب الاحبار وسعيد بن المسيب وعطاء ومجاهد وقتادة وكعب القرظى رضوان الله

---

(١) جلد ١ صفحه ٣١ و ٣٢ اخبار مكة (٢) صفحه ٣٠٢ القرى لقاصدام القرى
(٣) جلد ١ صفحه ١٧٨ و ١٧٩ تفسير ابن كثير (٤) صفحه ٣٤ تاريخ الكعبة المعظمة .

تعالى عليهم اجمعين ربما تثبت وتقرر بان البيت كان قد وضعه الله تعالى قبل ان يخلق السماء والارض ثم دحيت الارض من تحته ومدت ·

(ب) وذهب بعض اهل العلم الى ان البيت انزله الله من السماء ووضعه على قواعد رفعها ابراهيم خليل الله فيما بعد حين رفع قواعد البيت ونص عليه القرآن ، انزله حين هبط آدم عليه السلام الى الارض من الجنة · (١)

يقول الحافظ ابن حجر : وروى ابن ابى حاتم من طريق معمر عن قتادة قال : وضع الله البيت مع آدم لما هبط ففقد اصوات الملائكة وتسبيحهم ، فقال الله له : يا آدم انى قد اهبطت بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشى فانطلق اليه · فخرج آدم الى مكة وكان قد هبط بالهند ومد له فى خطوه فاتى البيت فطاف · (٢)

وروى ابن ابى حاتم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لما كان زمن الطوفان رفع البيت وكان الانبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لابراهيم واعلمه مكانه · (٣)

وقال العينى : وكانت قبل ان يبنيها شيث خيمة من ياقوتة حمراء ، يطوف بها آدم صلى الله عليه وسلم ويأنس بها لانها انزلت اليه من الجنة · (٤)

وقال القاضى عياض : وروى عن وهب وكعب : ان البيت انزل من السماء ياقوتة مجوفة حمراء ، والركن تخم من تخومه ياقوتة بيضاء فبنى آدم قواعده ووضعه عليه فلما بعث الله الطوفان رفعه وبقيت تخومه · (٥)

ويقول الطبرى فى تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت الاية يقول : بل هى قواعد بيت كان الله اهبطه لآدم من السماء الى الارض يطوف به كما كان يطوف بعرشه فى السماء ، ثم رفعه الى السماء ايام الطوفان · فرفع ابراهيم قواعد ذلك البيت · ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن بشار قال : حدثنا عبد الوهاب قال : حدثنا ايوب عن ابى قلابة عن عبد الله بن عمرو قال : لما اهبط الله آدم من الجنة ، قال انى مهبط معك او منزل معك بيتا يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ، ويصلى عنده كما يصلى عند عرشى فلما كان زمن الطوفان رفع · فكانت الانبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه ، حتى بوأه الله ابراهيم واعلمه مكانه فبناه من خمسة اجبل : من حراء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الخمر (ذكره الهيثمى وقال : رواه الطبرانى فى الكبير موقوفا ورجاله رجال

---

(١) جلد ٧ صفحه ٢١٩ فتح (٢) جـ ٧ صفـ ٢١٩ فتح (٣) جـ ٧ صفـ ٢١١ فتح
(٤) جـ ٩ صفـ ٢١١ عمدة القارى (٥) جـ ١ صفـ ١١٥ الشفاء

الصحيح • محمود : وهو كما قال ولكن ليس فيه حجة لعله مما كان يسمع عبد الله بن عمرو من اخبار اهل الكتاب•)

حدثنا الحسن بن يحى قال : اخبرنا عبد الرزاق قال : اخبرنا هشام بن حسان عن سوار عن عطاء بن ابى رباح قال : لما اهبط الله آدم من الجنة كان رجلاه فى الارض وراسه فى السماء يسمع كلام اهل السماء ودعائهم يأنس اليهم، فهابته الملائكة حتى شكت الى الله فى دعائها وفى صلاتها فخفضه الى الارض • فلما فقد ماكان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك الى الله فى دعائه وفى صلاته فوجه الى مكة فكان موضع قدمه قرية وخطوه مفازة حتى انتهى الى مكة • وانزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة • فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به، حتى انزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة • حتى بعث الله ابراهيم فبناه، فذلك قول الله واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت • رواه ابن كثير وقال هذا صحيح الى عطاء، ولكن فى بعضه نكارة • (١)

حدثنا الحسن بن يحيى قال : اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة قال: وضع الله البيت مع آدم حين اهبط الله آدم الى الارض • وكان مهبطه بالارض الهند، وكان راسه فى السماء ورجلاه فى الارض فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا فحزن آدم اذ فقد اصوات الملائكة وتسبيحهم فشكا ذلك الى الله تعالى فقال الله يا آدم انى قد اهبطت اليك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى فانطلق اليه آدم فخرج ومد له فى خطوه • فكان بين كل خطوتين مفازة • فلم تزل تلك المفاوز بعد ذلك • فاتى آدم البيت وطاف به ومن بعده من الانبياء • (٢)

حدثنا الحسن بن يحيى قال : اخبرنا عبد الرزاق قال : اخبر معمر عن ابان : ان البيت اهبط ياقوتة واحدة او درة واحدة، حتى اذا اغرق الله قوم نوح رفعه وبقى اساسه فبوأه الله لابراهيم فبناه بعد ذلك • (٣)

وقال فى معرض تفسير قوله تعالى : ان اول بيت وضع للناس • الاية •

حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد عن قتادة : ذكر لنا ان البيت هبط مع آدم حين هبط • قال : اهبط معك بيتى يطاف حوله كما يطاف حول عرشى فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين — حتى اذا كان زمن الطوفان، زمن اغرق الله قوم نوح رفعه الله وطهره من ان يصيبه عقوبة اهل الارض، فصار معمورا فى السماء ثم ان ابراهيم تتبع منه اثرا بعد ذلك فبناه على اساس قديم كان قبله • (٤)

---

(١) جـ ١ صفـ ١٧٩ تفسير ابن كثير (٢) جـ ١ صفـ ٥٤٦ و ٥٤٧ تفسير الطبرى وروا ه ابن كثير ايضا جـ ١ صفـ ١٧٩ لم يتكلم فيه محمود ولا ابن كثير (٣) جـ ١ صفـ ٥٤٧ تفسير الطبرى لم يتكلم فيه محمو شاكر (٤) جـ ٤ صفـ ٨ و ٩ تفسير الطبرى لم يتكلم فيه محمود شاكر

قلت : مهما قويت هذه الروايات فى هذا الباب و هى لا تزال عند المناقشة موقوفة او مقطوعة و ليس لها سند يعتمد به بل اكثرها من الاسرائيليات التى تنتهى الى كعب الاحبار و عبد الله بن عمرو الذى وقعت له كتب اهل الكتاب فكان يقرأها و يتحدث عنها فى بعض الاحيان • لذلك لا يمكن الاعتماد عليها اذ لم يصح فيها خبر مرفوع الى النبى صلى الله عليه و سلم • و انما هى اخبار تحتمل الصدق و الكذب حتى يقوم الدليل عندنا على تصديقها او تكذيبها •

القول الثانى : و قيل بنته الملائكة اولا •

يقول الحافظ ابن حجر حين يتحدث عن بناه اولا قال : و قيل : بنته الملائكة "قبله" اى قبل آدم • (١)

و قال العينى : و قيل : اول من بناها الملائكة ، و ذلك لما قالوا : اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء الاية ، خافوا و طافوا بالعرش سبعا يسترضون الله و يتضرعون اليه • فامرهم الله تعالى ان يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة و ان يجعلوا طوافهم له لكونه اهون من طواف العرش • ثم امرهم ان يبنوا فى كل سماء بيتا و فى كل ارض بيتا • قال مجاهد : هى اربعة عشر بيتا • (٢)

و يقول القسطلانى : بناء الملائكة قبل خلق آدم • و قد روى ان الملائكة حين اسست الكعبة انشقت الارض الى منتهاها و قذفت فيها حجارة امثال الابل ، فتلك القواعد من البيت التى وضع عليها ابراهيم و اسماعيل • (٣) و هذه الرواية نقلها العينى ايضا •

قال ابن الجوزى : القول الثانى ، ان الملائكة بنته • قال ابو جعفر الباقر : لما قالت الملائكة : "اتجعل فيها من يفسد فيها" غضب عليهم ، فعاذوا بالعرش يطوفون حوله يسترضون ربهم ، فرضى عنهم • و قال : ابنوا فى الارض بيتا يعوذ به كل من سخطت عليه ، و يطوفون حوله ، كما فعلتم بعرشى ، فبنوا هذا البيت • (٤)

و قال القرطبى : اختلف الناس فيمن بنى البيت و اسسه • فقيل : الملائكة — روى عن جعفر بن محمد قال : سئل ابى و انا حاضر عن بدء خلق البيت ، فقال : ان الله عز وجل لما قال : انى جاعل فى الارض خليفة • قالت الملائكة : اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك فغضب عليهم ، فعاذوا بعرشه و طافوا حوله سبعة اشواط يسترضون ربهم حتى رضى عنهم • و قال لهم : ابنوا لى

---

(١) ج ٧ صف ٢١١ فتح (٢) ج ٩ ص ٢١١ عمدة القارى (٣) ج ٣ صف ١٤٢ القسطلانى (٤) صف ١١٩ و ١٢٠ التبصرة •

بيــتا في الارض يعوذ به من سخطت عليه من بني آدم و يطوف حوله كما طفتم حول عرشي فارضى عنــه كما رضيت عنكم • فبنوا هذا البيت • (١)

و يقول المحب الطبري : ان الملائكة بنتــه • و يدل عليه حديث جعفر بن محمد عن ابيه و حديث علي بن الحسين • (٢)

و قال ابن كثير : وقد اختلف الناس في اول من بنى الكعبة، فقيل الملائكة قبل آدم • روى هذا عن ابي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسيــن • ذكره القرطبي و حكى نقــطة • و فيــه غرابــة • (٣)

و قد سبق في الفصل الاول (أ) قول الملائكة لآدم حين حج البيت: بر حجــك يا آدم، لقد حججنا قبلك بالفي سنــة • روى هذا الحديث عن عبيد الله بن عبــاس و عبد الله بن عمــرو بن العاص و كعب القرظي رضوان الله عليهم • ربما يثبت وجود هذا البيت قبل خلق آدم عليه الســلام • و على كل حال ممــا جاء في القول مــن بنــاء الملائكة له كله من قبيل الظن و التخميــن • و ليس لمن قال به دليل يعتمد عليه •

القول الثالث : و قيل بناه آدم عليه السلام اولا •

و ذلك حين هبط الى الارض فقد اصوات الملائكة و تسبيحهم و صلاتهم فشكا ذلك الى الله تعالى فامره ببنــاء هذا البيت ليطوف به و يصلي عنــده •

قال الحافظ ابن حجر : و روى البيهقي في الدلائل من طريق اخرى عن عبد الله ابن عمــرو مرفوعا : بعث الله جبريل الى آدم فامره ببنــاء البيت فبنــاه آدم، ثم امره بالطواف به ـ و قيل له : انت اول الناس و هذا اول بيت وضع للناس •

و روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عــطاء : ان آدم اول من بنى البيت •

و من طريق عــطاء قال : قال آدم : يا رب اني لا اسمع اصوات الملائكة، قال : ابن لي بيتا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بيتي الذي في السماء • و في حديث عثمان و ابي جهم : فبلــغ ابراهيم من الاســاس اســاس آدم • (٤)

و قال العيني : و لكنهم اختلفوا في اول من بنى الكعبة ، فقيل : اول من بناها آدم عليه السلام ، ذكره ابن اسحاق • (٥)

و يقول ابن الجوزي : و الثالث: ان آدم لما اهبط اوحى الله اليه : ابن لي بيتا و اصنع حوله كما رأيت الملائكة تصنع حول عــرشي • رواه ابو صالح عن ابن عبــاس رضي الله عنهما • و روى عنــه عــطاء : انه بناه آدم من خمسة اجبل ـ لبنان و طــور سينــاء و طور زيتاء و الجودي و حــراء • (٦)

---

(٤) ج ٧ صفه ٢١١ ـ ٢١٥ فتح (٢) صفه ٣٠٢ القرى (٣) ج ١ صفه ١٧٢ تفسير ابن كثير (١) ج ٢ صفه ١٢٠ تفسير القرطبي (٥) ج ٩ صفه ٢١١ عمدة القاري (٦) صفه ١٢٠ التبصرة •

قال المحب الطبري : الثالث : ان آدم بناه • قاله عطاء عن ابن عباس • (١)

و يقول ابن جرير الطبري : ثم اختلف اهل التأويل فى القواعد التى رفعها ابراهيم و اسماعيل من البيت ، اهما احدثا ذلك ،ام هى قواعد كانت له قبلهما ؟ فقال قوم : هى قواعد بيت كان بناه آدم ابو البشر بامر الله اياه بذلك ثم درس مكانه و لقى اثره بعده، حتى بوأه الله ابراهيم عليه السلام فبناه •

ذكره من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحى قال : اخبرنا عبد الرزاق قال : اخبرنا ابن جريج عن عطاء قال : قال آدم : يا رب انى لا اسمع اصوات الملائكة • قال : بخطيئتك • و لكن اهبط الى الارض و ابن لى بيتا ، ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بيتى الذى فى السماء • فيزعم الناس انه بناه من خمسة اجبل : من حراء و طور زيتا و طور سيناء و جبل لبنان و الجودى و كان ربضه من حراء • فكان هذا بناء آدم حتى بناه ابراهيم بعده (٢)

و قال القرطبى : و ذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء و ابن المسيب وغيرهما ان الله عز وجل اوحى الى آدم : اذا هبطت ابن لى بيتا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعرشى الذى فى السماء • قال عطاء : فزعم الناس انه بناه من خمسة اجبل – من حراء و من طور سيناء و من لبنان و من الجودى و من طور زيتا • و كان ربضه من حراء قال الخليل : الربض ههنا الاساس المستدير بالبيت من الصخر • و منه يقال : لما حول المدينة ربض •

و ذكر الماوردى : عن عطاء عن ابن عباس قال : لما اهبط آدم من الجنة الى الارض قال له : يا آدم ،اذهب فابن لى بيتا و طف به و اذكرنى عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى ، فاقبل آدم يتخطى و طويت له الارض و قبضت له المفازة • فلا يقع قدمه على شئ من الارض الا صار عمرانا حتى انتهى الى موضع البيت الحرام • و ان جبريل عليه السلام حزب بجناحيه الارض فابرز عن اس ثابت على الارض السابعة السفلى و قذفت اليه الملائكة بالصخر فما يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلا • و انه بناه من اجبل كما ذكرنا • (٣)

و قال الازرقى : قال حدثنا ابو الوليد حدثنا جدى قال : حدثنا سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمى عن عطاء بن ابى رباح عن ابن عباس قال : لما اهبط الله آدم الى الارض من الجنة كان راسه فى السماء و رجلاه فى الارض و هو مثل الفلك من رعدم قال : فطأطأ الله عز وجل منه الى ستين ذراعا • فقال : يا رب ما لى لا اسمع

---

(١) صف ٣٠٢ القرى لقاصد ام القرى (٢) جـ ١ صف ٥٤٦ تفسير الطبرى (٣) جـ ٢ صف ١٢٠ تفسير القرطبى • فقد نقله ابن كثير فى تفسيره و قال هذا صحيح الى عطاء و لكن فى بعضه نكارة و الله اعلم • جـ ١ صف ١٧٩ تفسير ابن كثير •

اصوات الملائكة و لا احسهم • قال : خطيئتك يا آدم و لكن اذهب فابن لى بيتا فطف به و اذكرنى حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى • قال : فاقبل آدم عليه السلام يتخطا فطويت له الارض و قبضت له المفاوز ، فصارت كل مفازة يمر بها خطوة و قبض له ما كان من مخاض ماء او بحر فجعل له خطوة • و لم تقع قدمه فى شئ من الارض الا صار عمرانا و بركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام و ان جبريل عليه السلام ضرب بجناحيه الارض فابرز عن اسّ ثابت على الارض السفلى فقذفت فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلا • و انه بناه من خمسة اجبل — من لبنان و طور زيتا و طور سينا و الجودى و حراء حتى استوى على وجه الارض • قال ابن عباس : فكان اول من اسس البيت و صلى فيه و طاف به آدم عليه السلام حتى بعث الله الطوفان • (١)

و الحافظ ابن كثير قال : و قد اختلف الناس فى اول من بنى الكعبة فقيل الملائكة قبل آدم •••••• و قيل آدم عليه السلام رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء و سعيد بن المسيب و غيرهم ان آدم بناه من خمسة اجبل من حراء و طور سيناء و طور زيتا و جبل لبنان و الجودى و هذا غريب ايضا • (٢)

و قيل : بناه شيث بن آدم اولا •

قال الحافظ ابن حجر : وعن وهب بن منبه : اول من بناه شيث بن آدم • (٣)

و قال العينى : و قيل : اول من بنى ها شيث عليه السلام ، و كانت قبل ان يبنيها خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم صلى الله عليه و سلم و يأنس بها لانها انزلت اليه من الجنة • (٤)

و يقول القرطبى : و روى عبد المنعم بن ادريس عن وهب بن منبه قال : اول من بنى البيت بالطين و الحجارة شيث عليه السلام • (٥)

---

(١) جـ ١ صفـ ٣٦ و ٣٧ اخبار مكة (٢) جـ ١ صفـ ١٧٦ و ١٧٩ تفسير ابن كثير و ما ذكر فى هذا القول من الروايات لم يصح فيها شئ • و الرواية التى ذكرت انها مرفوعة الى النبى صلى الله عليه و سلم علق عليها ابن كثير بقوله : انه من مفردات ابن لهيعة و هو ضعيف • و والله اعلم ان يكون هذا موقوفا على عبد الله بن عمرو • و يكون من الزاملتين التين اصابهما يوم اليرموك من كلام اهل الكتاب • جـ ١ صفـ ٢٨٣ تفسير ابن كثير (٣) جـ ٧ صفـ ٢١١ فتح (٤) جـ ٩ صفـ ٢١١ عمدة القارى (٥) جـ ٢ صفـ ١٢٢ تفسير القرطبى •

وقال ابن كثير : وروى عن ابن عباس وكعب الاحبار وقتادة وعن وهب بن منبه ان اول من بناه شيث عليه السلام • (١)

وقال الازرقى : حدثنا ابو الوليد قال : حدثنا جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان ابن عن وهب بن منبه انه قال : لما رفعت الخيمة التى عزى الله بها آدم من حلية الجنة حين وضعت له بمكة فى موضع البيت ، ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق مكانه حتى بوئ لابراهيم عليه السلام • (٢)

وقيل بناها ابراهيم الخليل عليه السلام اولا •

ذهب ابن كثير وابن حبان وعلى بن ابى طالب رضى الله عنه فيما نقل عن ابن كثير وغيره الى ان البيت اول من بناه هو ابراهيم عليه السلام كما هو ثابت بنص القرآن وبالاحاديث الصحيحة •

وذهب ابن حبان الى ظاهر ما يدل عليه قوله تعالى : واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، والى حديث صحيح الذى رواه النسائئ بان سليمان ابن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله تعالى حلالا ثلاثا وان بينهما اربعون سنة كما ثابت بحديث ابى ذر المتفق عليه وقد مر سابقا فيظن بان الخليل وسليمان عليهما السلام هما اول من بنى الكعبة والمسجد الاقصى تمشيا مع هذه الادلة المذكورة • يقول الحافظ ابن حجر : وقد مشى ابن حبان فى صحيحه على ظاهر هذا الحديث (اى حديث ابى ذر) فقال فى هذا الخبر رد على من زعم ان بين اسماعيل وداود الف سنة • (٣)

يقول القسطلانى : وجزم الحافظ ابن كثير بانه (ابراهيم) اول من بناه وقال : لم يجى خبر عن معصوم انه كان مبنيا قبل الخليل • (٤)

قال الحافظ ابن كثير فى البداية : وقد قدمنا فى صفة خلق السموات ان الكعبة بحيال البيت المعمور بحيث انه لو سقط لسقط عليها • وكذلك معابد السموات السبع كما قال بعض السلف : ان فى كل سماء بيتا يعبد الله فيه اهل كل سماء، وهو فيها كالكعبة لاهل الارض •

---

(١) جـ ١ صفـ ١٧٣ تفسير ابن كثير (٢) جـ ١ صفـ ٢٠١ اخبار مكة • وهذه الرواية التى ذكرت فى هذا القول ايضا من الاسرائيليات التى ادخلها علينا بعض اهل الكتاب ويقول فى ذلك ابن كثير فى تفسيره : وغالب من يذكر هنا انما نأخذه من كتب اهل الكتاب وهى مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجردها • جـ ١ صفـ ١٧٣ تفسير ابن كثير
(٣) جـ ٧ صفـ ٢١٨ فتح (٤) جـ ٣ صفـ ١٤٣ قسطلانى •

فامر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يبنى له بيتا يكون لاهل الارض كتلك المعابد لملائكة السموات • وارشده الى مكان البيت المهيأ له المصين لذلك منذ خلق السموات والارض • كما ثبت فى الصحيحين : ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة •

ولم يجى فى خبر صحيح عن معصوم : ان البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك فى هذا بقوله : واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت" فليس بناهض ولا ظاهر • لان المراد مكانه المقدر فى علم الله ، المقدر فى قدرته ، المعظم عند الانبياء موضعه من لدن آدم الى زمان ابراهيم • (١)

الفصل الثالث فى بيان عدد مرات بنائه

اختلف اهل العلم من المحدثين والمؤرخين فى عدد مرات بناء البيت الحرام ، فمنهم من قال : انه بنى خمس مرات ومنهم الامام النووى والسهيلى • ومنهم من ذهب الى انه بنى عشر مرات ومنهم الامام القسطلانى ومحقق كتاب اخبار مكة ، و الفاسى وغيرهم ومنهم من قال غير ذلك •

فقال الامام النووى : قال العلماء : بنى البيت خمس مرات — بنية الملائكة ، ثم ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم قريش فى الجاهلية وحضر النبى صلى الله عليه وسلم هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة • وقيل خمس وعشرون وفيه سقط على الارض حين وقع ازاره ، ثم بناء ابن الزبير ثم الحجاج بن يوسف • واستمر الى الآن على بناء الحجاج • وقيل : بنى مرتين اخريين او ثلاثا • (٢)

ثم اوضح هذا القول فى كتابه الايضاح فقال : وقد قيل انه بنى مرتين اخريين غير الخمسة احداها — بنية العمالقة بعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم • والثانية بنية جرهم بعد العمالقة ، ثم بنية قريش • (٣)

وكذلك رأى الامام السهيلى انه بنى خمس مرات ، فقال :

(١) حين بناها شيث بن آدم •
(٢) حين بناها ابراهيم على القواعد الاولى •
(٣) حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام •
(٤) حين احرقت فى عهد ابن السرير •
(٥) فلما قام عبد الملك بم مروان قال : لسنا من تلطخ ابن حبيب بشئ فهدمها و بناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم • (٤)

---

(١) جـ ١ صفـ ١٦٣ البداية والنهاية (٢) جـ ٩ صفـ ٨٩ شرح مسلم (٣)
(٤) جـ ١ صفـ ١٢٧ و ١٢٨ الريض الاكف •

وقال القسطلاني : واختلف في عدد بناء الكعبة . والذى تحصل من مجموعة عشر مرات : الملائكة وآدم واولاده و الخليل والعمالقة و جرهم وقصى بن كلاب و قريش و عبد الله بن الزبير و الحجاج . (١)

وقال المحقق لكتاب اخبار مكة : نذكر فيما يلى ابيات ذكرها الفاسى فى شفاء الغرام ، اجمل فيها تاريخ الكعبة لعهده . قال :

بناء الكعبة الغراء عشر ذكرتهم × حسب الذى اخبر الثقة

ملائكة الرحمن ، آدم ، ابنه × كذلك خليل الله ، ثم العمالقة

و جرهم ، يتلوهم قصى قريشهم × كذا ابن الزبير ، ثم حجاج لاحقة

ونظم محمد على بن علان ثلاثة ابيات جمع فيها بناء الكعبة ، فقال :

بنى الكعبة الاملاك آدم ولده × شيث ، فابراهيم ، ثم العمالقة

و جرهم ، قصى ، مع قريش وتلوهم هو ابن زبير ثم حجاج لاحقة

ومن بعد هذا قد بنى البيت كله × مراد بنى عثمان فشيد رونقة . (٢)

فتحصل مما تقدم ان البيت الحرام بنى اثنى عشرة مرة مع بناء السعودى . وان كان بعض المؤرخين رأى انه بنى بيد عبد المطلب ولكن لم يقم الدليل وربما يكون وهما منه .

١ـ بناء الملائكة
٢ـ بناء آدم عليه السلام
٣ـ بناء شيث بن آدم عليهما السلام
٤ـ بناء الخليل ابراهيم عليه السلام
٥ـ بناء العمالقة
٦ـ بناء جرهم
٧ـ بناء قصى بن كلاب
٨ـ بناء قريش
٩ـ بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما
١٠ـ بناء الحجاج
١١ـ بناء السلطان مراد خان العثمانى
١٢ـ عمارة المملكة العربية السعودية

اما بناء الملائكة وآدم وابنه شيث فقد تقدم الكلام فيه مع الادلة على ذلك تفصيلا فى الفصل السابق ، فلا داعى للاعادة هنا .

---

(١) جـ ٦ صفـ ١٧٣ ارشاد السارى (٢) جـ ١ صفـ ٣٧٢ و ٣٧٣ اخبار مكة .

بناء الخليل ابراهيم عليه السلام :

اما بناء الخليل عليه السلام بيت الله الحرام و رفع قواعده فهو ثابت بنص القرآن والسنة .

اما القرآن فقال عز وجل : واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . (١) وفيه ذكرى له خالدة وهى آثار قدميه لا تزال باقية الى يومنا هذا . يقول فيه تبارك وتعالى : فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا . (٢)

واما السنة فقد روى الامام البخارى بسنده عن عبد الله بم محمد ، ثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ايوب السختيانى وكثير بن كثير بن المطلب بن ابى وداعة ، يزيد احدهما على الآخر ، عن سعيد بن جبير قال ابن عباس رضى الله عنهما اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق الزمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا ، فتبعته ام اسماعيل فقالت : يا ابراهيم ، اين تذهب تتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شئ . فقالت له ذلك مرارا . وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آلله الذى امرك بهذا ؟ قال نعم . قالت اذن لا يضيعنا ، ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال : " ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون . وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليها يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل فى الارض يليها . فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا . فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى . ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا فلم تر احدا . ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : فذلك سعى الناس بينهما ، فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه . تريد نفسها ثم تسمّعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث . فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال

---

(١) الاية ١٢٧ البقرة (٢) الاية ٩٧ ال عمران .

بجناحيه ظهر الماء فجعلت تحوضه و تقول بيدها هكذا و جعلت تغرف من الماء فيسقائها و هو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه و سلم : يرحم الله ام اسماعيل لو تركت او قال لو لم تغرف من زمزم لكانت زمزم عينا معينا . قال فشربت و ارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان هذا بيت الله يبنى هذا الغلام و ابوه و ان الله لا يضيع اهله . و كان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه و شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادي و ما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا . قال ام اسماعيل عند الماء فقالوا : اتأذنين لنا ان ننزل عندك فقالت نعم ، و لكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم .

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه و سلم فالفى ذلك ام اسماعيل و هي تحب الانس فنزلوا و ارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم و شب الغلام و تعلم العربية منهم و انفسهم و اعجبهم حين شب ، فلما ادرك زوجوه امرأة منهم و ماتت ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل . فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا . ثم سألها عن عيشتهم فقالت نحن بشر ، نحن في ضيق و شدة . فشكت اليه قال : فاذا جاء زوجك فاقرئ عليه السلام و قولى له يغير عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل كانه انس شيئا فقال : هل جاءكم من احد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا و كذا فسألنا عنك فاخبرته . و سألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد و شدة . قال : فهل اوصاك بشئ ؟ قالت : نعم امرني ان اقرأ عليك السلام و يقول غير عتبة بابك . قال ذاك ابي و قد امرني ان افرقك الحقي باهلك فطلقها . و تزوج امرأة منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم يجده . فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغى لنا . قال : كيف انتم ؟ و سألها عن عيشتهم و هيئتهم . فقالت: نحن بخير و سعة و اثنت على الله عز و جل . فقال ما طعامكم ؟ قالت: اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم في اللحم و الماء . قال النبي صلى الله عليه و سلم : و لم يكن لهم يومئذ حب . و لو كان لهم دعا لهم فيه . قال : فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه . قال : فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام و مريه يثبت عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل قال : هل اتاكم من احد ؟ قالت نعم . اتانا شيخ حسن الهيئة و اثنت عليه . فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير . قال : فاوصاك بشئ ؟ قالت : نعم . هو يقرأ عليك السلام و يأمرك ان تثبت عتبة بابك . قال : ذاك ابي و انت العتبة و امرني ان امسك .

ثم لبث عنهم ما شاء الله • ثم جاء بعد ذلك و اسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد و الولد بالوالد • قال : اسماعيل ان الله امرني بامر • قال : فاصنع ما امرك ربك • قال و تعينني • قال : و اعينك • قال : فان الله امرني ان ابني ههنا بيتا • و اشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها • قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت • فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة و ابراهيم يبني • حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه و هو يبني و اسماعيل يناوله الحجارة و هما يقولان : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم •

قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت • و هما يقولان : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم • (١)

و روى البخاري بسنده عن عبد الله بن محمد : ثنا ابو عامر عبد الملك بن عمرو قال : حدثنا ابراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما • نفس الحديث الذي تقدم مع تغيير يسير و في آخره –

ثم انه بدا لابراهيم فقال لاهله اني مطلع تركتي فجاء فوافق اسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلا له • فقال : يا اسماعيل، ان ربك امرني ان ابني له بيتا • فقال : اطع ربك • قال : انه قد امرني ان تعينني عليه • قال : اذن افعل او كما قال • فقام فجعل ابراهيم يبني و اسماعيل يناوله الحجارة • و يقولان – ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم • قال : حتى ارتفع البناء و ضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة و يقولان : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم • (٢)

يقول الحافظ ابن حجر : في شرحه • قوله : حتى ارتفع البناء و ضعف الشيخ عن نقل الحجارة الخ زاد في حديث عثمان و نزل عليه الركن و المقام فكان ابراهيم يقوم على المقام يبني عليه و يرفعه له اسماعيل ، فلما بلغ الموضع الذي في الركن وضعه يومئذ موضعه و اخذ المقام فجعله لاحقا بالبيت ، فلما فرغ ابراهيم من بناء الكعبة جاء جبريل فاراه المناسك كلها ، ثم قام ابراهيم على المقام فقال : يا ايها الناس اجيبوا ربكم فوقف ابراهيم و اسماعيل تلك المواقف، و حجه اسحاق و سارة من بيت المقدس ، ثم رجع ابراهيم الى الشام فمات بالشام •

و روى الفاكهي باسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : قام ابراهيم على الحجر فقال يا ايها الناس : كتب عليكم الحج • فاسمع من في اصلاب الرجال و ارحام النساء • فاجابه من آمن و من كان سبق في علم الله انه يحج الى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك •

---

(١) جـ ٧ صفـ ٢٠٧ – ٢١٥ فتح (٢) جـ ٧ صفـ ٢١٧ فتح

وفى حديث ابى جهم : ذهب اسماعيل الى الوادى يطلب حجرا فنزل جبريل بالحجر الاسود وقد كان رفع الى السماء حين غرقت الارض . فلما جاء اسماعيل فرأى الحجر الاسود قال : من اين هذا ؟ من جاءك به ؟ قال ابراهيم : من لم يكلنى اليك ولا الى حجرك . (١)

صفة بناء الخليل .

يقول الشيخ حسين باسلامة عن صفة بناء ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل عليهما السلام للكعبة المعظمة : انه بناه بامر الله سبحانه وتعالى وكان البانى ابراهيم والمساعد له اسماعيل وانه بناه بالحجارة ، وجعل ارتفاعه الى السماء تسعة اذرع وطوله من الشمال الى الجنوب مما يلى الجهة الشرقية اثنين وثلاثين ذراعا . ومن الشمال الى الجنوب مما يلى الجهة الغربية احدى وثلاثين ذراعا . ومن الشرق الى الغرب مما يلى الجهة الجنوبية اى من الحجر الاسود الى الركن اليمانى عشرين ذراعا ومن الشرق الى الغرب مما يلى الجهة الشمالية اى من جهة حجر اسماعيل اثنين وعشرين ذراعا .

وجعل له بابين ملاصقين بالارض : احدهما من جهة الشرقية مما يلى الحجر الاسود . والثانى من الجهة الغربية مما يلى الركن اليمانى على سمت الباب الشرقى .

وحفر فى داخله بئرا يكون خزانة له . ولم يجعل عليه سقفا . ولا وضع على بابيه ابوابا تفتح وتغلق والله اعلم . (٢)

يقول الحافظ ابن حجر عن كيفية هذا البناء : وجعل طوله فى السماء تسعة اذرع وعرضه فى الارض يعنى دوره ثلاثين ذراعا ، وكان ذلك بذراعهم ، زاد ابو جهم وادخل الحجر فى البيت وكان قبل ذلك زربا لغنم اسماعيل . وانما بناه بحجارة بعضها على بعض ولم يجعل له سقفا ، وجعل له بابا وحفر له بئرا عند بابه خزانة للبيت وروى الفاكهى من ابى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : والله ما بناه بقصة ولا مدر ، ولا كان لهما من السعة والاعوان ما يسقفانه . ومن حديث على : كان ابراهيم يبنى كل يوم ساقا . ومن حديث عبد الله بن عمرو العاص عنده وعند ابن ابى حاتم : انه كان بناه من خمسة اجبل ـ من حراء ، وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الخمر . (٣)

---

(١) جـ ٧ صفـ ٢١٦ فتح (٢) صفـ ٦٠ تاريخ الكعبة المعظمة .

(٣) جـ ٧ صفـ ٢١٦ فتح

وقال الازرقي في صفة بناء ابراهيم : وجعل طوله في السماء تسعة اذرع وعرضه في الارض اثنين وثلاثين ذراعا من الركن الاسود الى الركن الشامي الذى عند الحجر من وجهه • وجعل عرضها بين الركن الشامي الى الركن الغربي الذى فيه الحجراثنين وعشرين ذراعا • وجعل طول ظهرها من الركن الغربي الى الركن اليماني احد وثلاثين ذراعا • وجعل عرض شقها اليماني من الركن الاسود الى الركن اليماني عشرين ذراعا • فلذلك سميت الكعبة ، لانها على خلقة الكعب • قال : وكذلك بنيان اساس آدم عليه السلام ، وجعل بابها بالارض غير مبوب • وجعل الحجر الاسود في الركن ليكون علما للناس يبتدؤن منه الطواف • (١)

وصف بناء الخليل نجده في الاحاديث التي رواها الشيخان عن عائشة وعبد اللهبن الزبير والحارث بن عبد الله عن عائشة حول تمنية صلى الله عليه وسلم هدم البيت و اعادته الى بناء ابراهيم عليه السلام ، لولا ان قريشا كانوا حديثي عهد بالكفر وخشية ان تنكر قلوبهم •

ففي حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على اساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام • الحديث

وفي حديث يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : يا عائشة لولا ان قومك حديث عهد بجاهلية لامرت بالبيت فهدم فادخلت فيه ما اخرج منه • والزقته بالارض • وجعلت له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فبلغت به اساس ابراهيم • الحديث • (٢)

وفي حديث عبدالله بن ابي بكر عند مسلم : وفيه : لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالارض • وفي حديث عبد الله بن الزبير عند مسلم عن عائشة رضي الله عنها • وفيه : ولجعلت لها بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه • وفيه وجعل له (ابن الزبير حين بناه) بابين احدهما يدخل منه والآخر يخرج منه •الحديث وفي حديث الحارث بن عبد الله رواه مسلم حين ناقش مع عبد الملك بن مروان ، وفيه ولجعلت لها بابين موضوعين في الارض شرقيا وغربيا • وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ قالت: قلت : لا• قال : تعززا ان لا يدخلها الا من ارادوا • الحديث• (٣)

---

(١) ج ١ صفـ ٦٣ و ٦٤ اخبار مكة (٢) ج ٤ صفـ ١٨٨ و ١٨٩ فتح (٣) ج ٩ صفـ ٩١ ــ ٩٥ مسلم

اما بناء العمالقة و جرهم فقد مر ذكر بنائهم البيت . يقول ابن الجوزى : و لما توفى اسماعيل عليه السلام دبر اهل الحرم بعده ابنه نابت ، و يقال نبت . ثم غلبت جرهم على البيت و انهدم فبنته العمالقة ثم بنته جرهم . (١) قال القسطلانى نقلا عن المسعودى : ان الذى بناه من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصغر . (٢)

و لم يختلف بنائهم بناء الخليل عليه السلام لقرب العهد به و يشير الى هذا قول النووى حيث يقول : و كان باب الكعبة لاصقا بالارض فى عهد ابراهيم صلى الله عليه و سلم و فى عهد جرهم و من بعدهم الى ان بنتها قريش فرفعت بابها .

اما بناء قصى بن كلاب .

فقال فيه الامام النووى : قال العلماء : و كانت الكعبة بعد ابراهيم صلى الله عليه و سلم مع العمالقة و جرهم الى ان انقرضوا و خلفتهم قريش بعد استيلائهم على الحرم لكثرتهم بعد القلة و عزهم بعد الذلة . فكان اول من جدد بنائها بعد ابراهيم قصى بن كلاب و سقفها بخشب الدوم و جريد النخل . (٣)

و يقول الشيخ حسين باسلامة : ذكر الزبير بن بكار قاضى مكة فى كتاب "النسب" ان قصى بن كلاب اما ولى امر البيت جمع نفقته ، ثم هدم الكعبة فبناها بنيانا لم يبن احد ممن بناها قبله مثله . قال : قال الفاسى : روى الزبير بن بكار فى كتاب النسب عن ابى عبيدة بن قريش بن عبد العزيز بن عمران العباسى العنبسى انه قال : جد قصى فى بناء البيت و جمع نفقته ثم هدمه . فبناه بنيانا لم يبن احد ممن بناه قبله مثله . و جعل و هو يبنيه يقول :

ابنى لقومى بيتا رفعتها × و ليبن اهل وراثها بعدى

بنيانها و تمامها و حجابها × بيد الاله و ليس بالعبيد

فبناها و سقفها بخشب الدوم الجيد و بجريد النخل . و بناها على خمسة و عشر ذراعا . (٤)

ثم يعقب الشيخ باسلامة فى هذا المقدار الذى ذكره الزبير فقال : و ما قاله الزبير بان قصيا جعل الكعبة خمسة و عشرين ذراعا ، ففيه نظر . لان المشهور عند المؤرخين انه لم ينقص احد عن بناء ابراهيم الا قريش . و بناء ابراهيم لم يكن خمسة و عشرين ذراعا فى اى جهة من جهات البيت

اقول : قد يكون هذا خطأ من بعض النساخ .

ميزة بناء قصى : (١) صفـ ١٢٠ التبصرة (٢) جـ ٣ صفـ ١٤٣ قسطلانى
(٣) صفـ ٢٠٩ الايضاح (٤) صفـ ٦٣ تاريخ الكعبة المعظمة .

ميزة بناء قصي ؟

كان البيت مبنيا بالرضم وارتفاعه فوق القامة كما كان في عهد الخليل بدون سقف • الا ان قصي بن كلاب جعل له سقفا بخشب الدوم جريد النخل كما هو ظاهر في النصوص • وكان بابه ملتصقا بالارض وان رفع عند بنا قريش وانهم جعلوا طوله الى السما ثمانية عشر ذراعا • كما سيأتي في محله •

يقول الامام النووي : وكان باب الكعبة لاصقا بالارض في عهد ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفي عهد جرهم ومن بعدهم الى ان بنتها قريش فرفعت بابها • اشار عليهم بذلك ابو حذيفة بن المغيرة ففعلت ذلك قريش •

العمالقة :

يقول ابن الوردى في تاريخه : (هم) من ولد عليق بن سام نزلوا لما تبلبلت الا بصنعاء • ثم بالحرم، واهلكوا من قاتلهم من الامم • وكان منهم جماعة بالشام قاتلهم موسى ثم يوشع فافناهم • ومنهم فراعنة مصر • ومنهم من ملك خيبر ويثرب وغيرهما من الحجاز • وامر موسى جيشا بقتل العمالقة ، فلم يستبق منهم سوى ابن ملكهم • (١) بناء قريش الكعبة المعظمة

والسبب في ذلك انه وقع حريق في الكعبة المشرفة والسيول التى تمر بها فتأخذ عن يمين البيت وشماله ،كما صرحت بذلك الرواية : يقول ابن حجر : (٢) و روى يعقوب ابن سفيان باسناد صحيح عن الزهرى ان امرأة جمرت الكعبة فطارت شرارة في ثياب الكعبة فاحرقتها فذكر قصة بناء قريش لها • (٣)

وعن السيول فقد روى الامام البخارى في صحيحه ،قال : حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال : كان عمرو يقول : حدثنا سعيد بن المسيب عن ابيه ، عن جده قال : جاء سيل في الجاهلية فكسا ما بين الجبلين ،قال سفيان : ويقول : ان هذا الحديث له شان • ابن حجر : اى قصة ذكر موسى بن عقبة ان السيل كان يأتى من فوق الردم الذى باعلا مكة فيجر به فتخوفوا ان يدخل الماء الكعبة فارادوا تشييد بنيانها ، وكان اول طلعها وهدم منها شيأ الوليد بن المغيرة • وذكر القصة في بنيان الكعبة قبل المبعث النبوى • واخرج الشافعى في الام بسند له عن عبد الله بن الزبير

---

(١) جـ ١ صـ ١٣٧ تاريخ ابن الوردى (٢) جـ ٨ صـ ١٤٦ فتح (٣) جـ ٨ صـ ١٤٦ فتح

ان كعبا قال له و هو يعمل بناء مكة اشدده واوثقه فانا نجد فى الكتب ان السيول ستعظم فى آخر الزمان فكان الشان المشار اليه انهم استشعروا من ذلك الشيل الذى لم يعهدوا مثله انه مبدأ السيول المشار اليها . (١)

وعقد البخارى بابا فى كتاب الحج بعنوان "فضل مكة و بنيانها "، و فى كتاب فضائل الاصحاب ، " باب بنيان الكعبة " فقال : حدثنا محمود : قال حدثنا عبدالرزاق قال اخبرنى ابن جريج قال : اخبرنى عمرو بن دينار : سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنه (٢)

و فى باب فضل مكة و بنيانها ، قال : حدثنى عبد الله بن محمد : حدثنا ابو عاصم قال : اخبرنى ابن جريج قال : اخبرنى عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبدالله رضى الله عنهما يقول : لما بنيت الكعبة ذهب النبى صلى الله عليه و سلم و عباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه و سلم : اجعل ازارك على رقبتك ، فخر الى الارض فطمحت عيناه الى السماء فقال : ارنى ازارى فشده عليه .(٣)

و فى بنيان الكعبة : و طمحت عيناه الى السماء ، ثم افاق فقال : ازارى ازارى فشد عليه ازاره .

ابن حجر : و روى الطبرانى ايضا و البيهقى فى الدلائل من طريق عمرو بن ابى قيس و الطبرانى فى التهذيب من طريق هارون بن المغيرة و ابو نعيم فى المعرفة من طريق قيس بن الربيع و فى الدلائل من طريق شعيب بن خالد كلهم عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس : حدثنى ابو العباس بن عبد المطلب قال : لما بنت قريش الكعبة انفردت رجلين رجلين ينقلون الحجارة ، فكنت انا و ابن اخى فجعلنا نأخذ ازرنا فنضعها على مناكبنا و نجعل عليها الحجارة ، فاذا دنونا من الناس لبسنا ازرنا . فبينما هو امامى اذ صرع فسعيت و هو شاخص بصره الى السماء ، قال : فقلت لابن اخى ما شأنك قال : نهيت ان امشى عريانا ، قال : فكتمته حتى اظهر الله نبوته .

قال : و ذكر ابن اسحاق و غيره ان قريشا لما بنت الكعبة كان عمر النبى صلى الله عليه و سلم خمسا و عشرين سنة .

و روى اسحاق بن راهويه من طريق خالد بن عرعرة عن على فى قصة بناء ابراهيم عليه السلام البيت قال : فمر عليه الدهر فانهدم فبنته جرهم فمر عليه الدهر فانهدم فبنته قريش و رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يضعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا : نحكم بيننا اول من يخرج من هذه السكة .

---

(١) ج ٨ ص ١٤٨
(٢) ج ٨ ص ١٤٦ } فتح البارى
(٣) ج ٤ ص ١٨٤

فكان النبى صلى الله عليه و سلم اول من خرج منها فحكم بينهم ان يجعلوه فى ثوب ثم يرفعه من كل قبيلـة رجل ٠

و ذكر ابو داوُد الطيالسى فى هذا الحديث انهم قالوا نحكم اول من يدخل من باب بنى شيبـة ٠ فكان النبى صلى الله عليه و سلم اول من دخل منـه فاخبروه فامر بثـوب فوضـع الحجر فى وسطه و امر كل فخذ ان يأخذ وا بطائفـة من الثوب فرفعوه ثم اخـذه فوضعـه بيده ٠(صلى الله عليه و سلم)

و روى الفاكهى : ان الذى اشار عليهم ان يحكمـوا اول داخل ابو اميـة بن المغيرة المخزومى اخو الوليد و عند موسى بن عقبـة ان الذى اشار عليهم بذلك هو الوليد بن المغيرة المخزومى و انه قال لهم : لا تجعلوا فيها مالا اخذ غصبا و لا قطعت فيه رحم و لا انتهكت فيه ذمـة ٠

و عند ابن اسحاق : ان الذى اشار عليهم الا يبنوها الا من مال طيب هو ابو وهب ابن عمـرو بن عامر بن عمران بن مخزوم ٠ (١)

اخرج عبد الرزاق عن ابى الطفيل و من طريقـه الحاكم و الطبرانى قال : كانـت الكعبة فى الجاهلية مبنيـة بالرخم ليس فيها مدر و كانت قدر ما يقتحمها العناق و كانت ثيابها توضع عليها تسـدل سـدلا و كانت ذات ركنين كهيئـة هذه الحلقـة ا ⊂ فاقبلت سـفينة من الروم حتى اذا كانوا قريبـا من جده انكسرت فخرجت قريـش لتأخـذ خشبها فوجدوا الرومى الذى فيها نجارا فقـدموا به و بالخشب ليبـنوا به البيت ٠ فكانوا كلما ارادوا القرب منه لهدمـه بدت لهم حيـة فاتحة فاها فبعث الله طيرا اعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فالقاها نحو اجياد ٠ فهدمت قريـش الكعبة و بنوها بحجارة الوادى فرفعوها فى السـماء عشـرين ذراعا ٠

فبينما النبى صلى الله عليه و سلم يحمل الحجارة من اجياد و عليه نمـرة فضاقت عليه النمـرة فذهب يضعها على عاتقـه فبدت عـورته من صغرها ، فنودى يا محمد خمـر عورتك فلم ير عريانا بعد ذلك ٠ و كان بين ذلك و بين المبعث خمـس سنين ٠ قال معمر : و اما الزهرى فقال : لما بلغ رسـول الله صلى الله عليه و سلم الحلم اجمرت امرأة الكعبة فطارت شـرارة من مجمرها فى ثياب الكعبة فاحرقت فتشـاورت قريـش فى هدمها و هابوه ، فقـال الوليد : ان الله لا يهلك من يريد الاصلاح فارتقى على ظهر البيت و معـه العباس فقال : اللهم لا نريد الا الاصلاح ، ثم هدم ، فلما راوه سـالما تابعوه ٠ قال : عبد الرزاق : اخبرنا ابن جريج قال : قال مجاهد : كان ذلك قبل المبعث بخمسة عشرة سنـة ٠ و كذا رواه ابن عبد البر من طريق محمد بن جبير بن مطعم باسناد له ٠ و به جزم موسى بن عقبة فى مغازيه و الاول اشهر و به جزم ابن اسحاق (٢)

(١) جـ ٨ صفـ ١٤٦ فتح

(٢) جـ ٤ صـ ١٨٤ و صـ ١٨٥ فتح

و يمكن الجمع بينهما بان يكون الحريق تقدم وقته على الشروع فى البناء .

و ذكر ابن اسحاق ان السيل كان يأتى فيصيب الكعبة فيتساقط من بنائها و كان رضما فوق القامة . فارادت قريش رفعها و تسقيفها ، و ذلك ان نفرا سرقوا كنزالكعبة فذكر القصة مطولة فى بنايهم الكعبة ، و فى اختلافهم فيمن يضع الحجر الاسود حتى رضوا باول داخل فدخل النبى صلى الله عليه و سلم فحكموه فى ذلك فوضعه بيده ، قال : و كان الكعبة على عهد النبى صلى الله عليه و سلم ثمانية عشر ذراعا .

و وقع عند الطبرانى من طريق اخرى عن ابن خيثم عن ابى الطفيل ان اسم النجار المذكور باقوم و للفاكهى من طريق ابن جريج مثله ، قال : و كان يتجر الى بندر و راء ساحل عدن فانكسرت سفينته بالشعيبية ، فقال لقريش : ان اجريتم عيرى مع عيركم اعطيكم الخشب ففعلوا . (١)

و قال الازرقى : كانت الكعبة مبنية برضم بايس ليس بمدر و كان بابها بالارض و لم يكن لها سقف و انما تدلى الكسوة على الجدر من خارج و تربط من اعلا الجدر من بطنها و كان فى بطن الكعبة عن يمين من دخلها جب يكون فيه ما يهدى الى الكعبة من مال و حلية كهيئة الخزانة و كان على ذلك الجب حية تحرسه بعثها الله منذ زمن جرهم . و ذلك انه علا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا مالها و حليتها مرة بعد مرة فبعث الله تلك الحية فحرست الكعبة و ما فيها خمسمائة سنة فلم تزل كذلك حتى بنت قريش الكعبة . قال : و لمكة سيول عوارم فجاء سيل عظيم على تلك الحال فدخل الكعبة و صدع جدرانها ، قال : فلما وضعوا ايديهم فى بنائها قالوا : ارفعوا بابها من الارض و اكسوها حتى لا تدخلها السيول و لا ترقل الا بسلم و لا يدخلها الا من اردتم ان كرهتم احدا دفعتموه .... فبنوا حتى رفعوا اربعة اذرع و شبرا ثم كبسوها و وضعوا بابها مرتفعا على هذا الذرع .... فبنوه مسطحا و جعلوا فيه ست دعائم فى صفين فى كل صف ثلاث دعائم و جعلوا ارتفاعها من خارجها من الارض الى اعلاها ثمانية عشر ذراعا و كانت قبل ذلك تسعة اذرع فزادت قريش فى ارتفاعها فى السماء تسعة اذرع آخر . و بنوها من اعلاها الى اسفلها مدماك من حجارة و مدماك من خشب . و كان الخشب خمسةعشر مدماكا ، والحجارة ستة عشر مدماكا . و جعلوا ميزابها يسكب فى الحجر . و جعلوا درجة من خشب فى بطنها فى الركن الشامى يصعد منها الى ظهرها . و زوقوا سقفها و جدرانها من بطنها و دعائمها ..

و جعلوا لها بابا واحدا فكان يغلق و يفتح ، و تركوا فى الحجر من عرضها ستة اذرع حيث قصرت بهم النفقة .

(١) ج ٤ ص ١٨٥ فتح

وكان باب الكعبة على عهد ابراهيم وجرهم بالارض حتى بنتها قريش . قال ابو حذيفة بن المغيرة : يا معشر قريش ارفعوا باب الكعبة حتى لا يدخل عليكم الا من اردتم . فان جاء احد ممن تكرهون رميتم به فيسقط ، فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . (١)

بناء قريش الكعبة كما تحدث عنه ابن اسحاق :

قال : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة ، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة . وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ، ويهابون هدمها وانما كانت رضما فوق القامة ، فارادوا رفعها وتسقيفها . وذلك ان نفرا سرقوا كنز الكعبة . وانما كان في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذى وجد عنده الكنز دويكا مولى لبني مليح بن عمرو بن خزاعة . قال ابن هشام : فقطعت قريش يده ، وتزعم قريش ان الذين سرقوه وضعوه عند دويك .

وكان البحر قد رمى بسفينة الى جده لرجل من تجار الروم ، فتحطمت ، فاخذوا خشبها فاعدوه لتسقيفها . وكان بمكة رجل قبطى نجار ، فتهيأ لهم في انفسهم بعض ما يصلحها . وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك انه كان لا يدنو منها احد الا احزألت وكشت وفتحت فاها ، وكانوا يهابونها . فبينما هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع ، بعث الله اليها طائرا فاختطفها ، فذهب بها ، فقالت قريش: انا لنرجو ان يكون الله قد رضى ما اردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية .

فلما اجمعوا امرهم في هدمها وبنائها ، قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد ابن عمران بن مخزوم ــ قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم ــ فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال : يا معشر قريش : لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا ، لا يدخل فيها مهر بغى ، ولا بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس . والناس ينحلون هذا الكلام لوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

تجزئة الكعبة بين قريش ، ونصيب كل فريق منها :

ثم ان قريشا تجزأت الكعبة . فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة . وكان ما بين الركن الاسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم .

---

(١) ج ١ صد ١٥٩ ــ ١٧٢ باختصار . أخبار مكة

وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم ابني عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني اسد بن العزى بن قصي ولبني عدى بن كعب ابن لؤى وهو الحطيم .

ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : انا ابدؤكم في هدمها . فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع . قال ابن هشام ويقال لم نزغ ، اللهم انا لا نريد الا الخير . ثم من ناحية الركنين . فتربص الناس تلك الليلة . وقالوا : ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيئاً ، ورددناها كما كانت . وان لم يصبه شئ فقد رضى الله صنعنا فهدمنا . فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله . فهدم وهدم الناس معه . حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس — اساس ابراهيم عليه السلام ، افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة اخذ بعضها بعضا .

قال ابن اسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث : ان رجلا من قريش ممن كان يهدمها ادخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها احدهما ، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة باسرها فانتهوا عن ذلك الاساس .

اختلاف قريش فيمن يضع الحجر ولعقة الدم :

قال ابن اسحاق : ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها . كل قبيلة تجمع على حدة . ثم بنوها . حتى لبغ بنيان موضع الركن فاختصموا فيه . كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تجاوزوا وتحالفوا ، واعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما . ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت . وادخلوا ايديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة . فسموا لعقبة الدم . فمكث قريش على ذلك اربع ليال او خمسا ، ثم انهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا . (١)

يقول ابن اسحاق : اشارة ابى امية بتحكيم اول داخل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فزعم بعض اهل الرواية : ان ابا امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ اسن قريش كلها قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا . فكان اول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما راوه قالوا : هذا الامين ، رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : هلم الى ثوبا . فاتى به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا ، حتى اذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه . (٢)

وروى البيهقي بسنده عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن على رضى الله عنه

قال : لما أن هدم البيت بعد جرهم بنتـه قريـش ، فلما ارادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه فاتفقوا ان يضعه اول من يدخل من هذا الباب • فدخل رسـول الله صلى اللـه وسلم من باب بنى شيبـة فامر بثوب فوضع الحجر فى وسطـه وامر كل فخـذ ان يأخـذ بطائفـة من الثوب فيرفعوه • واخذه رسـول الله صلى الله عليه وسلم فوضعـه • (١)

ويقول الحافظ الذهبى : وقال موسى بن عقبـة : انما حمل قريشا على بناء الكعبة ان السيل كان يأتى من فوقها من فوق الردم الذى صنعوه فاخبر به فخافوا ان يدخلها الماء • وكان رجل يقال له مليح سـرق طيب الكعبة فارادوا ان يشيدوا بنائها وان يرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاءوا • فاعدوا لذلك نفقـة وعمالا •

وكان فى بطن الكعبة عن يمين الداخل جب يكون فيه ما يهدى للكعبة • وانه عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا ما به • فبعث الله تلك الحيـة • وقلت النفقـة عن عمارة البيت فاجمعوا على ان يقصـروا عن القواعـد وبحجروا ما يقدرون ويتركوا بقيتـه فى الحجر ففعلوا ذلك • وتركوا ستة اذرع وشبرا • ورفعوا بابها وكبسـوها بالحجـارة حتى لا يدخلها السيل ولا يدخلها الا من ارادوا • وبنوها سـاق من حجارة وسـاق من خشب وجعلوا سـقفها مسطحا • وجعلوا فيه ست دعائم فى صفين وجعلوا ارتفاعها من ظاهرها ثمانية عشر ذراعا وقد كانت قبل تسعة اذرع • وجعلوا درجـة من خشب فى بطنها يصعد منها الى ظهرها وزوقوا سـقفها وحيطانها من بطنها ودعائمها •

وكان بين بنيان الكعبة وبين ما انزل عليه صلى الله عليه وسلم خمس سنيـن يقول الذهبى : وهذا حديث صحيح • وقد قال قبل ذلك فى صفحة ٣٤ ويروى عـن عروة ومجاهد وغيرهما : ان البيت بنى قبل البعث بخمس عشرة سنـة •

ولكن اكثر المحدثيـن ذهبوا الى ان عمره صلى الله عليه وسلم حينذاك كان خمسـا وثلاثيـن سنـة • (٢)

ميزة بنـاء قريـش :

ان الكعبة لما بنتها قريش ، انفقوا فيها من طيب مالهم ، فقصـرت بهم النفقـة فتركوا ستـة اذرع او سبعـة اذرع من البيت فى جانب الحجر • وجعلوا لها بابا واحدا مرتفعا ليدخلوا من ارادوا ويمنعوا من شاءوا •

هامش صفحة ٢٦ و ٢٧ (١) السيرة النبوية لابن هشام ، القسم الاول ـ الطبعة الثانية مصطفى بمصر جـ ١ صـ ١٩٢ ـ ١٩٧ (٢) جـ ١ صـ ١٩٧ سيرة ابن هشام •
(١) جـ ٥ صـ ٧٢ السنن الكبرى (٢) الذهبى ـ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام جـ ٢ صـ ٣٤ ـ ٤٠ باختصار ، الحافظ المؤرخ محمد بن احمد بن عثمان ٧٤٨ هـ ـ تحقيق حسام الدين من جامعة دمشق ١٩٢٧م مكتبة المركز البحث العلمى

جاء ذلك فى حديث الشيخين عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الد ،امن البيت هو ؟ قال : نعم . قلت : فما لهم لم يدخلوه فى البيت ؟ قال : الم ترى قومك قصرت بهم النفقة ؟ قلت : فما شأن بابه مرتفعا ؟ قال : فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولولا ان قومك حديث عهدهم بجاهلية ،فاخاف ان تنكر قلوبهم ان ادخل الجدر فى البيت وان الصق بابه بالارض .

رواه البخارى عن الاسود يزيد . (١)

فزادوا فى ارتفاعها تسعة اذرع آخر ،فجعلوا طولها الى السماء ثمانية عشر ذراعا وقد كانت تسعة اذرع فى عهد ابراهيم عليه السلام . وجعلوها مسطحا وشيدوا جدرانها تحصنا من السراق والفجار والسيول وبنوها مدماكا من خشب سفينة رومية ومدماكا من حجارة . وجعلوا فيها ست دعائم فى صفين . وجعلوا فى داخلها درجة من خشب يصعد منها الى ظهرها . وميزاب يسكب فى الحجر . وان الحجر الاسود وضع موضعه النبى صلى الله عليه وسلم كان حكما فيهم حين اختصموا فيه . وكان عمره اذ ذاك خمسا وثلاثين سنة . ورفعوا الباب اربعة اذرع وشبرا يفتح ويغلق . ذو مصراع واحد .

<u>واما بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما :</u>

والسبب فى ذلك انه احترق البيت باطلاق المنجنيق اطلقه اهل الشام جنود يزيد ابن معاوية عام ٦٤ هـ حين غزوا عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما .

كما رواه الامام مسلم فى صحيحه فقال : حدثنا هناد بن السرى : حدثنا ابن ابى زائدة : اخبرنى ابن ابى سليمان عن عطاء قال : لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها اهل الشام فكان من امره ما كان تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد ان يجرئهم او يحربهم على اهل الشام فلما صدر الناس قال : يا ايها الناس اشيروا على فى الكعبة انقضها ثم ابن بناءها او اصلح ما وهى منها قال ابن عباس فانى قد فرق لى رأى فيها ارى ان تصلح ما وهى منها وتدع بيتا اسلم الناس عليه واحجارا اسلم الناس عليها وبعث عليها النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير : لو كان احدكم احترق بيته ما رضى حتى يجدده فكيف بيت ربكم انى مستخير ربى ثلاثا ثم عازم على امرى فلما مضى الثلاث اجمع رأيه على ان ينقضها فتحاماه الناس ان ينزل باول الناس يصعد فيه امر من السماء حتى صعده رجل فالقى منه حجارة فلما لم يره الناس اصابه شئ تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الارض فجعل ابن الزبير اعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه . وقال ابن الزبير : انى سمعت عائشة تقول ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لولا ان الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت ادخلت

فيه من الحجر خمس اذرع ولجعلت لها بابا يدخل الناس منه و بابا يخرجون منه • قال : فانا اليوم اجد ما انفق ولست اخاف الناس • قال : فزاد فيه خمس اذرع من الحجر حتى ابدى اسا نظر الناس اليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانى عشرة ذراعا فلما زاد فيه استقصره فزاد فى طوله عشر اذرع وجعل له بابين احدهما يدخل منه والآخر يخرج منه فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك ان ابن الزبير قد وضع البناء على اس نظر اليه العدول من اهل مكة • فكتب اليه عبد الملك انا لسنا من تلطخ ابن الزبير فى شئ اما ما زاد فى طوله فاقره واما ما زاد فيه من الحجر فرده الى بنائه وسد الباب الذى فتحه فنقضه واعاده الى بنائه • (١)

و روى الامام البخارى قصة بناء ابن الزبير فى صحيحه فقال :

حدثنا بيان بن عمرو ،حدثنا يزيد ،حدثنا جرير بن حازم: حدثنا يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضى الله عنها : ان النبى صلى الله عليه و سلم قال لها : يا عائشة لو لا ان قومك حديث عهد بجاهلية لامرت بالبيت فهدم فادخلت فيه ما اخرج منه و الزقته بالارض وجعلت له بابين ــ بابا شرقيا و بابا غربيا فبلغت به اساس ابراهيم ،فذلك الذى حمل ابن الزبير على هدمه • قال يزيد : وشهدت ابن الزبير حين هدمه و بناه وادخل فيه من الحجر ،ولقد رأيت اساس ابراهيم حجارة كاسنمة الابل • قال جرير: فقلت له موضعه ؟ قال : اريكه الآن • فدخلت معه الحجر ، فاشار الى مكان • فقال : هاهنا • قال جرير : فحزرت من الحجر ستة اذرع او نحوها • (٢)

و لابن سعد فى الطبقات من طريق ابى الحارث بن زمعة قال : ارتحل الحصين ابن نمير يعنى الامير الذى كان يقاتل ابن الزبير من قبل يزيد بن معاوية لما اتاهم موت يزيد بن معاوية فى ربيع الآخر سنة اربع و ستين ،قال : فامر ابن الزبير بالخصاص التى كانت حول الكعبة فهدمت فاذا الكعبة تنقض اى تتحرك متوهنة ترتج من اعلاها الى اسفلها فيها . امثال جيوب النساء من حجارة المنجنيق •

و للفاكهى من طريق عثمان بن ساج : بلغنى انه لما قدم جيش الحصين بن نمير احرق بعض اهل الشام على باب بنى جميح و فى المسجد يومئذ خيام فمشى الحريق حتى اخذ فى البيت فظن الفريقان انهم هالكون • و ضعف بناء البيت حتى ان الطير ليقع عليه فتتناثر حجارته •

و قال ابن عيينة فى جامعه عن داود بن سابور عن مجاهد قال : خرجنا الى منى فاقمنا بها ثلاثا ننتظر العذاب، وارتقى ابن الزبير على جدار الكعبة هو بنفسه فهدم • و فى رواية ابى اويس المذكورة ثم عزل ما كان يصلح ان يعاد فى البيت فبنوا به •

هامش صفحة ٢٨ و ٢٩ (١) جـ ٤ صـ ١٨٧ فتح (١) جـ ٩ صـ ٩٢ ــ ٩٤ صحيح مسلم معه شرح النووى دار الفكر ــ بيروت (٢) جـ ٤ صـ ١٨٩ ــ ١٩٢ فتح البارى •

فنظروا الى ما كان لا يصلح منها ان يبنى به فامر به ان يحفر له فى جوف الكعبة فيدفن واتبعوا قواعد ابراهيم من نحو الحجر فلم يصيبوا شيأ حتى شق على ابن الزبير، ثم ادركوها بعد ما امنعوا فنزل عبد الله بن الزبير فكشفوا له عن قواعد ابراهيم وهى صخر امثال الخلف من الابل فانفضوا له اى حركوا تلك القواعد بالعتل فنفضت قواعد البيت . ورأوه بنيانا مربوطا بعضه ببعض فحمد الله وكبره . ثم احضر الناس فامر بوجوههم واشرفهم فنزلوا حتى شاهدوا ما شاهده . ورأوه بنيانا متصلا فاشهدهم على ذلك . وفى رواية عطاء : وكان طول الكعبة ثمان عشرة ذراعا فزاد ابن الزبير فى طولها عشرة اذرع . وقد تقدم من وجه آخر انه كان طولها عشرين ذراعا، فلعل راويه جبر الكسر وجزم الازرقى : بان الزيادة تسعة اذرع ، فلعل عطاء جبر الكسر ايضا .

وللفاكهى من وجه آخر عن عطاء قال : كنت فى الامناء الذين جمعوا على حفره فحفروا قامة ونصفا فهجموا على حجارة لها عروق تتصل بزود عروق المروة فضربوه فارتجت قواعد البيت فكبر الناس فبنى عليه . وفى رواية مرثد عند عبد الرزاق : فكشف عن ربض فى الحجر اخذ بعضه ببعض فتركه مكشوفا ثمانية ايام ليشهدوا عليه فرأيت ذلك الربض مثل خلف الابل وجه حجر ، ووجه حجران ورأيت الرجل يأخذ العتلة فيضرب بها من ناحية الركن فيهتز الركن الآخر .

تنبيه (ابن حجر) جميع الروايات التى جمعتها هذه القصة متفقة على ان ابن الزبير جعل الباب بالارض . ومقتضاه ان يكون الباب الذى زاده على سمته . وقد ذكر الازرقى : ان جعله ما غيره الحجاج الجدار الذى من جهة الحجر . والباب المسدود الذى فى الجانب الغربى عن يمين الركن اليمانى وما تحت عتبة الباب الاصلى وهو اربعة اذرع وشبرا . وهذا موافق لما فى الروايات المذكورة .

ولكن المشاهد الآن فى ظهر الكعبة باب مسدود يقابل الباب الاصلى وفى الارتفاع مثله . ومقتضاه ان يكون الباب الذى كان على عهد ابن الزبير لم يكن لاصقا بالارض . فيحتمل ان يكون لاصقا كما صرحت به الروايات . لكن الحجاج لما غيره رفعه ورفع الباب الذى يقابله ايضا ، ثم بدا له فسد الباب المجدد . لكن لم ار النقل بذلك صريحا .

وذكر الفاكهى فى اخبار مكة انه شاهد هذا الباب المسدود من داخل الكعبة فى سنة ٢٦٣ ثلاث وستين ومائتين فاذا هو مقابل باب الكعبة وهو بقدره فى الطول والعرض . واذا فى اعلاه كلاليب ثلاثة كما فى باب الموجود سواء والله اعلم . (١)

---

(١) جـ ٤ صف ١٩٢ فتح البارى .

يقول الحافظ ابن كثير : ذكر هدم الكعبة و بنائها في ايام ابن الزبير ٠
قال ابن جرير : و في هذه السنة يعني ٦٤ هـ هدم ابن الزبير الكعبة ٠ و ذلك لانمال جدارها من رمي المنجنيق فهدم الجدار حتى وصل الى اساس ابراهيم ٠ وكان الناس يطوفون و يصلون من وراء ذلك و جعل الحجر الاسود في تابوت في سرق من حرير و ادخر ما كان في الكعبة من حلي و ثياب و طيب عند الخزان حتى اعاد ابن الزبير بناءها على ما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يريد ان يبنيه عليه من الشكل و ذلك كما ثبت في الصحيحين و غيرهما من المسانيد و السنن من طريق عن عائشة ام المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة و لادخلت فيها الحجر ، فان قومك قصرت بهم النفقة ، و لجعلت لها بابا شرقيا و بابا غربيا يدخل الناس من احدهما و يخرجون من الآخر ٠ و لالصقت بابها بالارض فان قومك رفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا و يمنعوا من شاءوا ٠ فبناها ابن الزبير على ذلك كما اخبرته خالته عائشة ام المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فجزاه الله خيرا (١)

و قال الازرقي عن ابن جريج : قال : سمعت غير واحد من اهل العلم ممن حضر ابن الزبير حين هدم الكعبة و بناها ، قالوا : لما ابطأ عبد الله بن الزبير عن بيعة يزيد ابن معاوية ، و تخلف و خشي منهم لحق بمكة ليمتنع بالحرم فشاور امه اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهم ، فابت عليه ان يذهب مغلولا و قالت: يا بني عش كريما و مت كريما ، و لا تمكن بني امية من نفسك فتلعب بك ، فالموت احسن من هذا ٠

و مضى الحصين بن نمير الى مكة بعد فراغه من قتال اهل المدينة ، فقاتل ابن الزبير بها اياما ٠ و جمع ابن الزبير اصحابه فتحصن بهم في المسجد الحرام و حول الكعبة و ضرب اصحاب ابن الزبير في المسجد خياما و رفافا يكتنون فيها من حجارة المنجنيق على ابي قبيس و على الاحمر و هما اخشبا مكة ٠ فكان يرميهم بها فتصيب الحجارة الكعبة حتى تخرقت كسوتها عليها ، فصارت كانها جيوب النساء ، فوهن الرمي بالمنجنيق الكعبة ، فذهب رجل من اصحاب ابن الزبير يوقد نارا في بعض تلك الخيام مما يلي الصفا بين الركن الاسود و الركن اليماني ، و المسجد يومئذ ضيق صغير ٠ فطارت شرارة في الخيمة فاحرقت ٠ و كانت في ذلك اليوم رياح شديدة ٠ و الكعبة يومئذ مبنية بناء قريش مدماك من ساج و مدماك من حجارة من اسفلها الى اعلاها ٠ و عليها الكسوة ، فطارت الرياح بلهب تلك النار فاحترقت كسوة الكعبة و احترق الساج الذي بين البناء و كان احتراقها

---

(١) جـ ٨ صف ٢٥٠ البداية و النهاية ٠

يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول ، قبل ان يأتى نعى يزيد بن معاوية بسبعة و عشرين يوما •

فلما احترقت الكعبة ، احترق الركن الاسود فتصدع ، كان ابن الزبير بعد ربطه بالفضة فضعفت جدارات الكعبة حتى انها لتنفض من اعلاها الى اسفلها ، و تقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها و هى مجردة متوهنة من كل جانب • ففزع لذلك اهل مكة و اهل الشام جميعا ، و الحصين بن نمير مقيم محاصرا ابن الزبير • فلما ادبر جيش الحصين بن نمير بعد ما بلغهم موت يزيد ، و كان خروجهم من مكة لخمس ليال خلون من ربيع الآخر ٦٤ اربع و ستين • دعا ابن الزبير وجوه الناس و اشرافهم و شاورهم فى هدم الكعبة فاشار فاشار عليه ناس غير كثير بهدمها و ابى اكثر الناس هدمها و كان اشدهم عليه اباء عبدالله ابن عباس رضى الله عنهما • و كان ممن اشار عليه بهدمها جابر بن عبد الله و عبيد بن عمر و عبد الله بن صفوان بن امية •

و كان يحب ان يكون هو الذى يردها على ما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم على قواعد ابراهيم و على ما وصفه رسول الله صلى الله عليه و سلم لعائشة رضى الله عنها ، فارسل الى صنعاء باربع مائة دينار يشترى له بها فصة و يكترى عليها فهدمها بنفسه ثم تابعوه فى هدمها • و كان هدمها يوم السبت النصف من جمادى الآخرة ٦٤هـ اربع ستين و لم يقرب ابن عباس مكة حين هدمت الكعبة حتى فرغ منها • و ارسل الى ابن الزبير : لا تدع الناس بغير قبلة انصب لهم حول الكعبة الخشب ، و اجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها و يصلون اليها ، ففعل ذلك ابن الزبير •

فلما هدم ابن الزبير الكعبة و سواها بالارض كشف عن اساس ابراهيم فوجده داخلا فى الحجر نحوا من ستة اذرع وشبر • كانها اعناق الابل اخذ بعضها بعضا ، كتشبيك الاصابع بعضها ببعض • يحرك الحجر من القواعد فتحرك الاركان كلها • فدعا ابن الزبير خمسين رجلا من وجوه الناس و اشرافهم و اشهدهم على ذلك الاساس • (١) فادخل عبد الله بن مطيع العدوى عتلة كانت فى يده فى ركن من اركان البيت ، فتزعزعت الاركان جميعا ، و يقال ان مكة كلها رجفت رجفة شديدة حين زعزع الاساس • و خاف الناس خوفا شديدا حتى ندم كل من كان اشار على ابن الزبير بهدمها • ثم وضع البناء على ذلك الاساس • و وضع حداث الباب ، باب الكعبة على مدماك على الشاذروان اللاصق بالارض • و جعل الباب الآخر بازائه فى ظهر الكعبة مقابلك و جعل عتبة على

---

(١) صف ٢٠١ ــ ٢٠٧ اخبار مكة باختصار

الاخضر الطويل الذى فى الشاذوران الذى فى ظهر الكعبة قريبا من الركن اليمانى . وكان البناء يبنون من وراء الستر والناس يطوفون من خارج . فلما ارتفع البنيان الى موضع الركن جعل الركن فى ديباجة وادخله فى تابوت واقفل عليه ووضعه عنده فى دار الندوة ، وعمد الى ماكان فى الكعبة من حلية فوضعها فى خزانة الكعبة فى دار شيبة بن عثمان . فلما بلغ البناء موضع الركن امر ابن الزبير بموضعه فنقر فى حجرين ، حجر من المداك الذى تحته ، وحجر من المداك الذى فوقه[1] بقدر الركن وطوق بينهما . فكان الذى وضعه فى موضعه هذا عباد بن عبد الله بن الزبير واعانه عليه جبير بن شيبة . وغضبت فيه رجال من قريش حين لم يحضرهم ابن الزبير وقالوا لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل قبيلة من قريش رجلا حين وضعه فى ردائه وحين وضعه فى موضعه .

وكانت[2] الكعبة يوم هدمها ابن الزبير ثمانية عشر ذراعا فى السماء . فلما بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعا ، قصرت بحال الزيادة التى زاد من الحجر فيها . واستسمح ذلك اذ صارت عريضة لا طول لها ، فقال : قد كانت قبل قريش تسعة اذرع حتى زادت قريش فيها تسعة اذرع طولا فى السماء فانا ازيد تسعة اذرع اخرى ، فبناها سبعة وعشرين ذراعا فى السماء . وهى سبعة وعشرون مدماكا وعرض جدارها ذراعان ، وجعل فيها ثلاث دعائم وكانت قريش فى الجاهلية جعلت فيها ست دعائم . وارسل ابن الزبير الى صنعاء فاتى برخام بها يقال له البلق فجعله فى الروازن التى فى سقفها للضوء وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعا واحدا فجعل له ابن الزبير

---

(١) (ص ٢٠٨) } اخبار مكة
(٢) (ص ٢٠٩) }

مصراعين طولهما احد عشر ذراعا من الارض الى منتهى اعلاهما اليوم وجعل الباب الاخر الذى فى ظهرها بازائه على الشاذوران الذى على الاساس مثله وجعل ميزابها يسكب فى الحجر . وجعل لها درجة فى بطنها فى الركن الشامى من خشب معرجة يصعد فيها الى ظهرها[1] فلما فرغ ابن الزبير من بناء الكعبة كساها القباطى واعتمر ماشيا من التنعيم ونحر مائة بدنة . فلما طاف بالكعبة استلم الاركان الاربعة جميعا وقال : انما كان ترك استلام هذين الركنين الشامى والغربى ، لان البيت لم يكن تاما . فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير اذا طاف به الطائف استلم الاركان جميعا ، ويدخل البيت من هذا الباب ويخرج من الباب الغربى . وابوابه لاصقة بالارض . حتى قتل ابن الزبير رحمه الله[2] .

يقول القسطلانى : ثم بناء عبد الله بن الزبير ، وسببه توهين الكعبة من حجارة المجنيق التى اصابتها حين كان ابن الزبير بمكة فى اوائل سنة ٦٤ لمعاندة يزيد بن معاوية . فهدمها حتى بلغت الارض يوم السبت منتصف جمادى الاخرة سنة ٦٤ وبناها على قواعد ابراهيم وادخل فيها ما اخرجته منها قريش فى الحجر وجعل لها بابين لاصقين بالارض احدهما بابها الموجود الان والاخر المقابل له المسدود . وجعل فيها ثلاث دعائم فى صف واحد

---

(١) (ص ٢١٠) . أخبار مكة

(٢) اخبار مكة (ص ٢١٠) باختصار .

وفرغ منها فى سنة ٦٥هـ كما ذكره السبحى[1] .

يقول ابن كثير : لما تمكن ابن الزبير بناها على ما اشار اليه رسـول الله صلى الله عليه وسلم (فى حديث عائشة) وجاءت فى غاية البهـاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل لها بابان ملتصقان بالارض شرقيا وغربيـا يدخل الناس من هذا ويخرجون من الاخر[2] .

---

(١) قسطلانى (٣ : ١٤٤) .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (١ : ٢٨٢) .

واما بناء الحجاج بن يوسف للبيت

روى الامام مسلم فى صحيحه عن عطاء قصة بناء عبد الله بن الزبير رضـــى الله عنهما . وفى هذا الحديث ذكر بناء الحجاج كما روى عن عطاء : فلمــــا قتل ابن الزبير كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك ويخــــبره ان ابن الزبير قد وضع البناء على اس نظر اليه العدول من اهل مكة .

فكتب اليه عبد الملك : انا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شئ ، اما ما زاد فى طوله فاقره واما مازاد فيه من الحجر فرده الى بنائه وسد الباب الذى فتحه ، فنقضه واعاده الى بنائه[1] .

ابن حجر : لم يذكر المصنف رحمه الله تغيير الحجاج لما صنعه ابـــن الزبير وقد ذكرها مسلم فى رواية عن عطاء (الذى ذكر آنفا) وللفاكهى مـــن طريق ابى اويس عن هشام بن عروة : فبادر يعنى الحجاج فهدمها وبنى شقها الذى يلى الحجر ورفع بابها وسد الباب الغربى . ولابن عيينة عن داود بـــن سابور عن مجاهد : فرد الذى كان ابن الزبير ادخل فيها من الحجر[2] .

الازرقى[3] فى معرض قصة بناء ابن الزبير قال : حتى قتل ابن الزبير رحمه الله ودخل الحجاج مكة ، فكتب الى عبد الملك بن مروان ان ابن الزبير زاد فـــى البيت ماليس منه ، واحدث فيه بابا آخر ، فكتب اليه يستأذنه فى رد البيت علــى ماكان عليه فى الجاهلية ، فكتب اليه عبد الملك بن مروان : ان سد بابهــــا

---

(١) مسلم (٩ : ٩٤) .

(٢) فتح (٤ : ١٩١) .

(٣) (١ : ٢١٠) . اخبار مكة

الغربى ، الذى كان فتحه ابن الزبير ، واهدم ماكان زاد فيها من الحجر ، واكبسها به على ماكانت عليه ، فهدم الحجاج منها ستة اذرع وشبرا مما يلى الحجر ، وبناها على اساس قريش الذى كانت استقصرت عليه وكبسها بما هدم منها ، وسد الباب الذى فى ظهرها وترك سائرها لم يحرك منها شيئا ، فكل شئ فيها اليوم بناء ابن الزبير الا الجدر الذى فى الحجر ، فانه بناء الحجاج ، وسد الباب الذى فى ظهرها ، وماتحت عتبة الباب الشرقى الذى يدخل منه اليوم الى الارض اربعة اذرع وشبر كل هذا بناء الحجاج ، والدرجة التى فى بطنها اليوم ، والبابان اللذان عليها اليوم هما ايضا من عمل الحجاج . وكان باب الكعبة الذى عمله ابن الزبير طوله فى السماء احد عشر ذراعا ، فلما كان الحجاج نقص من الباب اربعة اذرع وشبرا ، عمل لها هذين البابين وطولهما ستة اذرع وشبرا[1] .

يقول ابن كثير : ثم لما غلبه (ابن الزبير) الحجاج بن يوسف فى ثلاث وسبعين هدم الحائط الشمالى واخرج الحجر كما كان اولا . وادخل الحجارة التى هدمها فى جوف الكعبة فرصها فيه ، فارتفع الباب وسد الغربى وتلك آثاره الى الان . وذلك بأمر عبد الملك بن مروان فى ذلك[2] .

ويقول ابن العماد الحنبلى : واما الحجاج فلم يهدمها الا انفة ان يبقى هذا الشرف والمكرمة لابن الزبير[3] .

---

(١) اخبار مكة (ص ٢١١) .

(٢) البداية والنهاية (٨ : ٢٥١) .

(٣) شذرات الذهب (١ : ٨١) .

ويقول الحافظ ابن حجر : وذكر الازرقي ان سليمان بن عبد الملك هـم بنقض مافعله الحجاج ، ثم ترك ذلك لما ظهر له انه فعله بأمر ابيه عبد الملك[١] .

---

(١) فتح (٤ : ١٩٣) .

واما بناء السلطان مراد بن السلطان احمد آل عثمان

وقد[1] بنيت للمرة الحادية عشرة عام ١٠٣٩ هجرية فى عهد السلطان مراد آل عثمان . ذكر الاسدى انه حصل فى اوائل القرن الحادى عشر تشقق بالجدار الشامى ازداد عام ١٠١٩ حيث وقع مطر بمكة جاء على اثره السيل فدخل المسجد الحرام فانهلت مياه الامطار الى داخل الكعبة من سطحها واصاب الجدارين الشرقى والغربى وجدران الحجر تصدع فاراد السلطان احمد بن السلطان محمد هدم البيت الشريف وجعل هذه الجدران حجارة الكعبة المعظمة ملبسة واحدا بالذهب وواحدا بالفضة فمنعه العلماء من ذلك وقالوا له يمكن حفظه بنطاق يلم هذا التشعث فعمل لها نطاقا من النحاس الاصفر مغلفا بالذهب . وجرى تركيبه فى اواخر عام ١٠٢٠ اواوائل عام ١٠٢١ وقد انفق عليه نحو ثمانين الف دينار .

بناء السلطان مراد مفصل :

وفى الساعة الثانية صباح يوم الاربعاء ١٩ شعبان عام ١٠٣٩[2] وقع مطر عظيم بمكة المكرمة وضواحيها لم يسبق له مثيل ونزل معه برد كثير ثم جرى السيل فى وادى ابراهيم فيما بين المصرين ، فجرف ماوجده امامه من البيوت والدكاكين والاخشاب والاتربة ودخل بها بيت الله الحرام . وبقى السيل الى قريب العشاء ، فبلغ الماء الى طوق القناديل المعلقة حول المطاف ، ودخل الكعبة المشرفة بارتفاع مترين من قفل باب الكعبة . وفى

---

(١) اخبار مكة (١ : ٣٥٥) .

(٢) (ص ٣٥٦) . المصدر نفسه

صباح يوم الثاني فتحت سراديب باب ابراهيم فانسابت المياه منها الى اسفل مكة . واحصى من مات في السيل المذكور فكانوا نحو الف نسمة . وفي عصر اليوم المذكور سقط الجدار الشامي من الكعبة بوجهيه وانجذب معه من الجدار الشرقي الى حد الباب الشامي ، ولم يبق سواه وعليه قوام الباب . ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس ، ومن هذا الوجه الظاهر سقط منه نحو الثلثين ، وبعض السقف وهو الموالي للجدار الشامي . ويقول الغازي : وهذا الذي سقط من الجانب الشامي هو الذي بناه الحجاج بن يوسف الثقفي وسقطت ايضا درجة السطح .

فبدأ العمل محمد على باشا والي السلطان بمصر قبل صدور امر السلطان بمشاورة علماء مكة واعيانها لان الحج كان قد قرب . وانتهى البناء في اواخر رمضان سنة ١٠٤٠ هـ وتم خلال ذلك بناء المقام الشريف ، وفرش المسجد بالحصباء ، وسطح الكعبة بالرخام الابيض واصلحت المماشي (١) .

---

(١) اخبار مكة (ص ٥٥٢ ٣٧٢) مختصرا ، والتفصيل في الكتاب .

واما عمارة الكعبة المعظمة فى العهد السعودى

(اتخذت المملكة العربية السعودية مشروعا بتوسعة المسجد النبوى الشريف ثم توسعة المسجد الحرام عام ١٣٧٥هـ) وبينما كان العمل يجرى فى توسعة المسجد الحرام وتجديد عمارته ظهر ان فى بناية الكعبة المشرفة خللا فى السقف وتصدعا فى بعض الجدران وقد صدر الامر بتشكيل لجنة من العلماء والفنيين للكشف عن مواضع الخلل واقتراح ماتراه لاصلاحه .

وبعد ان قامت اللجنة بما عهد به اليها تبين لها ان للكعبة المشرفة سقفين من الخشب يفصل بينهما فراغ مساحته (٣٥ر١سم) وان الاخشاب فيها قد تآكل معظمها بمرور الزمن .

كما تبين لها فى بعض الجدران لا سيما فى الجدارين الشمالى والغربى عدة تصدعات وشقوق وبروز ولذلك ينبغى اجراء ما يأتى :

(١) ازالة السقف الاعلى وعمل سقف جديد بدلا عنه .

(٢) ابقاء السقف الاسفل على وضعه السابق على ان يرمم وتغير الاعواد والاخشاب التالفة فيه .

(٣) تعمل على الجدار بين السقفين ميدة تحيط بالجدران جميعها .

(٤) ترمم الجدران المتصدعة الترميم اللازم وكذلك ماقد يظهر عند مباشرة العمل لزوم لترميمه بما فى ذلك السلالم المؤدية الى السطح .

(٥) ترمم الكسوة الرخامية التى على الجدران من الداخل وتثبت فى اماكنها

كما كانت .

وقد اشترط :

(١) الا يظهر من العيدة التى بين السقفين شيء زائد عن سمك الحيطان حتى لا يزاد فى بيت الله مالم يكن فيه .

(٢) الا يحلى السقف او يموه بذهب او فضة .

(٣) ان تكون المواد التى تستخدم فى اعمال الترميم من المواد المحلية الصرفة .

(٤) ان تستبدل الاخشاب التالفة بغيرها ،من اجود اصناف الخشب .

وفى صباح يوم الجمعة الموافق ١٨ رجب عام ١٣٧٧هـ باشر مكتب الحرم المكى اعمال الترميم فى احتفال ترأسه حضرة صاحب السمو الملكى الامير فيصل ولى العهد المعظم (آنذاك) ودعى اليه المسئولون السياسيون للحكومات العربية والاسلامية وحضره عدد كبير من الاهالى الذين تسابقوا اليه من جميع جهات المملكة حرصا منهم على المشاركة فى هذا العمل المبرور . واستمر العمل فى ذلك اليوم والايام التى تلته حتى تم تجديد سقف الكعبة المشرفة وترميم جدرانها على خير ما يرجو المسلمون لهذا البيت المعظم الذى هو قبلتهم فى صلواتهم كل يوم ،ويتسابق اليه كل عام منهم من استطاع الى الحج سبيلا .

وفى يوم السبت الموافق ١١ شعبان عام ١٣٧٧هـ وضع جلالة الملك المعظم آخر حجر فى الكسوة الرخامية التى على جدار الكعبة من الداخل فى احتفال كبير ،وكان ذلك ايذانا بانتهاء العمل فى هذه العمارة المباركة وهى العمارة الثالثة عشرة للكعبة المعظمة صانها الله قبلة للمسلمين ورمزا خالدا للاسلام (١)

(١) ص ١٢٦ و ١٢٨ تاريخ الكعبة المعظمة

الفصل الرابع

فى بيان ان البيت كان مؤسسا قبل الخليل عليه السلام

قد سبق فى الفصل الثانى فى بيان اختلاف الاراء فيمن بناه اولا بأن ابن كثير رحمه الله ذهب من بين سائر العلماء الى ان البيت اول من بناه واسسه هو ابراهيم الخليل عليه السلام ، وليس هو اول بيت مطلقا لان البيوت كانت قبله وسيأتى بيانه .

وان الاثار والاحاديث التى تقول : ان البيت بنته الملائكة او ابو البشر آدم عليه السلام حين اهبط الى الارض من الجنة او ابنه شيث عليه السلام ، انكر هذه الروايات وقال : فيها نكارة او ضعف او غرابة ، او انها من الاسرائيليات ولا تصح ، كما سبق .

قال : فان ظاهر القرآن يقتضى ان ابراهيم اول من بناه مبتدأ واول من اسسه .(١)

وقال : ولم يجئ فى خبر صحيح عن معصوم ان البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام . فمن تمسك فى هذا بقوله : مكان البيت ، فليس بناهض ولا ظاهر .(٢)

وقال فى تفسير قوله تعالى " واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت " الاية .

---

(١) السيرة النبوية (١ : ٢٧٠) .

(٢) البداية والنهاية (١ : ١٦٣) .

قال : واستدل ~~لجو~~ كثير ممن قال : ان ابراهيم عليه السلام هو اول من بنى البيت العتيق وانه لم يبن قبله (١) .

وقال فى تفسير قوله تعالى " ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا " قال : يعنى الكعبة التى بناها ابراهيم الخليل عليه السلام .

واستدل على دعواه بما رواه ابن ابى حاتم عن على رضى الله عنه انه قال : كانت البيوت قبله . قال : وقال ابن ابى حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح : حدثنا سعيد بن سليمان عن شريك عن مجالد عن الشعبى عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى " ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا " قال : كانت البيوت قبله ، ولكنه اول بيت وضع لعبادة الله .

قال : وحدثنا ابى : حدثنا الحسن بن الربيع : حدثنا ابو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال : قام رجل الى على رضى الله عنه فقال الا تحدثنى عن البيت ، اهو اول بيت وضع فى الارض قال : لا ، ولكنه اول بيت وضع فيه البركة مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا .

قال : وزعم السدى انه اول بيت وضع على وجه الارض مطلقا . والصحيح قول على رضى الله عنه (٢) .

وذهب جمهور العلماء الى البيت كان مؤسسا قبل الخليل عليه السلام وانما رفع قواعده وبناه . يقول الحافظ ابن حجر عند شرح باب فضل مكة وبنيانها ، وقوله تعالى " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت " . قال : وظاهره

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ٣٨٣) . وص ٤١٥

(٢) فتح (٤ : ١٨٤) .

انه كان مؤسسا قبل ابراهيم[1]. وكذا قال القسطلانى .

وقال فى شرح حديث ابى ذر رضى الله عنه وهو ان المسجد الحرام هو اول مسجد وضع على الارض قال : وليس ابراهيم اول من بنى الكعبة ولا سليمان اول من بنى بيت المقدس . فقد روينا ان اول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده فى الارض . فجائز ان يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ثم بنى ابراهيم الكعبة بنص القرآن .

قال : وكذا قال القرطبى : ان الحديث لا يدل على ان ابراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما بل ذلك تجديد لما كان اسسه غيرهما[2] .

وما استدل ابن كثير رحمه الله برواية على رضى الله عنه بأن البيوت كانت قبله . فقد جاء عنه خلاف ذلك . ولاجل ذلك اضطر الى القول : وفى هذا السياق مايدل على ان قواعد البيت كانت مبنية قبل ابراهيم وانما هدى اليها وبوئ لها .

فقال فى تفسيره : قال سعيد : وحدثنا على بن ابى طالب : ان ابراهيم اقبل من ارض ارمينية ومعه السكينة تدله على تبوأ البيت كما تتبوأ العنكبوت بيتا قال : فكشفت عن احجار لا يطيق الحجر الا ثلاثون رجلا . فقلت يا ابا محمد فان الله يقول : واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . قال : كان ذلك بعد .

---

(١) فتح (٤ : ١٨٤) .

(٢) فتح (٧ : ٢١٨) .

قال : وقال السدى : ان الله عز وجل امر ابراهيم ان يبنى البيت هـو واسماعيل ابنيا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . فانطلق ابراهيم حتى اتى مكة فقام هو واسماعيل واخذ المعاول لا يدريان اين البيت فبعث الله ريحا يقال لها الريح الخجوج لها جناحان ورأس فى صورة حية فكشفت لهما ماحول الكعبة عن اساس البيت الاول .

ثم قال : وفى هذا السياق مايدل على ان قواعد البيت كانت مبنية قبل ابراهيم وانما هدى ابراهيم اليها وبوىء لها . وقد ذهب الى هذا ذاهبون . كما قال الامام عبد الرزاق : اخبرنا معمر عن ايوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . قال: القواعد التى كانت قواعد البيت قبل ذلك[1] . ولم يتكلم فيها بشىء من التجريح .

ولكن هناك ادلة من الكتاب والسنة قامت على ان البيت كان مؤسسا قبل الخليل عليه السلام خلاف ماذهب اليه ابن كثير رحمه الله .

وادلته على ذلك من الكتاب :

اولا : قوله تعالى " ان اول بيت وضع للناس" . وان كانت هذه الاولية فى البركة والهداية للخلق لا تنفى الاولية فى الوضع والبناء . لان كلمة الله مدلولها واسع لا يضيق فى حدود .

ثانيا : ان قول الله تعالى فى حكاية دعوة الخليل " ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٧٨ ، ١٧٩) .

افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون".(١)

وانه دعا الخليل عليه السلام بهذه الدعوة حين ترك بمكة وحيده اسماعيل مع امه وهو طفل رضيع . وهو منطلق راجعا الى الشام . فلنسمع الامام البخارى حيث روى هذه الواقعة الفريدة فى نوعها بسنده عن ابن عباس قال : اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل ،اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق الزمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء ،فوضعهما هنالك . ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا . فتبعته ام اسماعيل فقالت : يا ابراهيم ،اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شىء ؟ فقالت له ذلك مرارا . وجعل لا يلتفت اليها ،فقالت له : آلله الذى امرك بهذا قال : نعم قالت : اذن لا يضيعنا الله ثم رجعت . فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ،ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال : ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم - حتى بلغ - يشكرون.(٢) وقد سبق مفصلا فى بناء ابراهيم عليه السلام .

فقوله فى الاية حكاية عن دعاء الخليل : عند بيتك المحرم . هذه الكلمة محل الاستشهاد وبيت القصيد . فان الخليل عليه السلام كان يعرف ان هناك بيت الله الذى ترك عنده ابنه الرضيع فلو لم يكن موجودا لبطل معناه

---

(١) سورة ابراهيم : ٣٧ .

(٢) فتح (٧ : ٢٠٩) .

وهو باطل فثبت ان بيت الله كان موجودا يعلمه الخليل جيدا .

ثالثا : يدل عليه قوله تعالى " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت" .
ورفع القواعد ليس تأسيسها بل نقلها من حالة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ،كما يقوله الزمخشرى فى تفسيرها وشرحها :

قال : يرفع ،حكاية حال ماضية . والقواعد ،جمع قاعدة وهى الاساس والاصل لما فوقه ،وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة ،ومن قعدك الله ،اى اسأل الله ان يقعدك اى يثبتك . ورفع الاساس : البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ،وتطاولت بعد التقاصر[1] .

وهذه العبارة نقلها البيضاوى وفخر الرازى وغيرهم .

قال فخر الرازى : الاكثرون من اهل الاخبار على ان هذا البيت كان موجودا قبل ابراهيم عليه السلام على ما روينا من الاحاديث فيه واحتجوا بقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ،فان هذا صريح فى ان تلك القواعد كانت موجودة متهدمة ،الا ان ابراهيم عليه السلام رفعها وعمرها[2] .

ومن السنة :

رابعا : ما جاء فى حديث ابن عباس السابق الذى رواه البخارى . وفيه فقال لها (هاجر) الملك : لا تخافوا الضيعة فان هذا بيت الله يبنى هذا الغلام وابوه . وان الله لا يضيع اهله . وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ من يمينه وشماله . الحديث

---

(١) الكشاف (١ : ١٨٧) .

(٢) التفسير الكبير جـ١ (ص ٧٢٦) .

قال الحافظ فى شرحه : قوله " فان هذا بيت الله" فى رواية الكشميهنى : فان ههنا بيت الله . زاد ابن اسحاق فى روايته : واشار لها الى البيت وهو يومئذ مدرة حمراء، فقال : هذا بيت الله العتيق واعلمى ان ابراهيم واسماعيل يرفعانه .

فى هذا الحديث قول الملك لهاجر : فان هذا بيت الله يبنى هذا الغلام وابوه . وما فى معناه فى الروايات المتعددة دليل واضح على ان بيت الله كان مؤسسا وهو حجة على دعوى ابن كثير رحمه الله بان البيت اسسه ابراهيم . ولم يكن مؤسسا قبله .

وينبغى الا ننسى ان الكلام يدور هنا مع هاجر ويشيرها الملك الى بيت الله . واسماعيل اذ ذاك رضيع . ولما جاء ابراهيم ليطلع تركته بمكة كانت هاجر قد توفيت فلم يجد اسماعيل فى المرتين الاوليين وهو شاب قد تزوج حينذاك ووجده فى المرة الثالثة يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد . قال يا اسماعيل : ان الله امرنى بأمر . قال : فاصنع ما امرك ربك . قال : وتعيننى قال : واعينك . قال : فان الله امرنى ان ابنى ههنا بيتا . واشار الى اكمة مرتفعة على ماحولها . قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه ، وهو المعروف بمقام ابراهيم ومازال الى اليوم وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

وهذه القصة ينص عليها القرآن ويحكيها بقوله : وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

وقصة بناء ابراهيم كما هي ظاهرة مؤخرة من قصة نزول هاجر مع ابنها بمكة . وان هاجر رأت بيت الله حين اشارها الملك بقوله : فان هذا بيت الله وعند ما قام الاب والابن بعطية البناء كانت توفيت من قبل ،كما هو مصرح في الفاظ الحديث وقد سبق مفصلا في بناء الخليل عليه السلام .

خامسا : قال فخر الرازي في هذا الموضوع :

والمسألة الثانية : اعلم ان قوله : ان اول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركا يحتمل ان يكون المراد كونه اولا في الوضع والبناء وان يكون المراد كونه اولا في كونه مباركا وهدى . فحصل للمفسرين في تفسير هذه الاية قولان :

الاول : انه اول في الوضع والبناء . والذاهبون الى هذا المذهب لهم اقوال :

ثم سرد الروايات التي تقول ان البيت بنته الملائكة اوان موضع البيت ظهر اولا حين خلقت السماء والارض اوانه من بناء آدم وبقى الى زمن نوح عليه السلام . ثم بعد الطوفان اندرس موضع الكعبة وبقى مختفيا الى ان بعث الله تعالى جبريل صلوات الله عليه الى ابراهيم عليه السلام ودله على مكان البيت وامره بعمارته فكان المهندس جبريل والبناء ابراهيم والمعين اسماعيل عليهم السلام .

واعلم ان هذين القولين يشتركان في ان الكعبة كانت موجودة في زمان آدم عليه السلام وهذا هو الاصوب ويدل عليه وجوه :

الاول : ان تكليف الصلاة كان لازما فى دين جميع الانبياء عليهم السلام بدليل قوله تعالى فى سورة مريم " اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا" فدلت الاية على ان جميع الانبياء عليهم السلام كانوا يسجدون لله والسجدة لا بد لها من قبلة . فلو كانت قبلة شيث وادريس ونوح عليهم السلام موضعا آخر سوى القبلة لبطل قوله " ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا" فوجب ان يقال ان قبلة اولئك الانبياء المتقدمين هى الكعبة . فدل هذا على ان هذه الجهة كانت ابدا مشرفة مكرمة وان البيت كان موجودا قبله .

الثانى : ان الله تعالى سمى مكة ام القرى وظاهر هذا يقتضى انها كانت سابقة على سائر البقاع فى الفضل والشرف منذ كانت موجودة .

الثالث : روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض والشمس والقمر ، وتحريم مكة لا يمكن الا بعد وجود البيت .

الرابع : ان الاثار التى حكيناها عن الصحابة والتابعين دالة على انها كانت موجودة قبل زمان ابراهيم عليه السلام .

واعلم ان لمن انكر ذلك انه يحتج بوجوه :

الاول : ماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : اللهم انى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة . وظاهر هذا يقتضى ان مكة بناء ابراهيم عليه السلام . ولقائل ان يقول : ان البيت كان موجودا قبل ابراهيم ، وماكان

محرما ثم حرمه ابراهيم عليه السلام .

الثاني : تمسكوا بقوله تعالى " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل" ولقائل ان يقول انه لعل البيت كان موجودا قبل ذلك ثم انهدم ثم امر الله ابراهيم برفع قواعده . وهذا هو الوارد في اكثر الاخبار .

القول الثاني : ان المراد من هذه الاولية كون هذا البيت اولا في كونه مباركا وهدى للخلق . روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول مسجد وضع للناس،فقال عليه الصلاة والسلام : المسجد الحرام، ثم البيت المقدس، فقيل كم بينهما قال اربعون سنة .

وعن على رضي الله عنه ان رجلا قال له : اهو اول بيت ؟ قال : لا ، قد كان قبله بيوت، ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة اول من بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبناه العمالقة وهم ملوك من اولاد عمليق بن سام بن نوح ثم هدم فبناه قريش .

واعلم ان دلالة الاية على الاولية في الفضل والشرف امر لا بد منه لان المقصد الاصلي من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة لان المقصود ترجيحه على بيت المقدس وهذا انما يتم بالاولية في الفضيلة والشرف ولا تأثير للاولية في البناء في هذا المقصود . الا ان ثبوت الاولية بسبب الفضيلة لا ينافي ثبوت الاولية في البناء، وقد دللنا على ثبوت هذا المعنى ايضا[1] .

سادسا : وان البيت كان مبنيا وموجودا قبل ابراهيم، يدل على ذلك حديثان رواهما ابن كثير في حج الانبياء البيت . فقال : روى الامام احمد عن

---

(١) تفسير الامام الرازي (٣ : ٨ - ١٠) .

عكرمةعن ابن عباس قال : لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بوادى عسفان حين حج ، قال : يا ابا بكر ، اى واد هذا ؟ قال : وادى عسفان قال : لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمها الليف ، ازرهم العباء وارديتهم النمار ، يلبون يحجون البيت العتيق . . ابن كثير : اسناده حسن [(١)] .

روى الحافظ ابو يعلى بسنده من ابن عباس قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اتى وادى عسفان قال : يا ابا بكر اى واد هذا ؟ قال هذا وادى عسفان . قال : لقد مر بهذا الوادى نوح ، وهود ، وابراهيم على بكرات لهم حمر خطمهم الليف ، ازرهم العباء ، وارديتهم النمار يحجون البيت العتيق . ابن كثير : فيه غرابة [(٢)] .

وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : حدثنى بقية ـ او قال ـ ثقة من اهل المدينة عن عروة بن الزبير انه قال : مامن نبى الا وقد حج البيت الا ماكان من هود وصالح [(٣)] .

يقول ابن كثير : وقد ذكرنا حجهما اليه ، اى فى الحديثين السابقين .

وقال الحافظ ابن حجر فى حديث بناء ابراهيم البيت : قوله " رفعا القواعد من البيت " فى رواية احمد عن عبد الرزاق عن معمر عن ايوب عن سعيد عن ابن عباس : القواعد التى رفعها ابراهيم ، كانت قواعد البيت قبل ذلك . وفى رواية مجاهد عند ابن ابى حاتم : ان القواعد كانت فى

---

(١) البداية والنهاية (١ : ١٣٨) .

(٢) البداية والنهاية (١ : ١١٩) .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (١ : ٢٧٢) .

الارض السابعة . ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: رفع القواعد التى كانت قواعد البيت قبل ذلك . وفى حديث عثمان وابى جهم : فبلغ ابراهيم من الاساس اساس آدم . وفى حديثه ايضا : ان الله أوحى الى ابراهيم ان اتبع السكينة فحلقت على موضع البيت كأنها سحابة فحفرا يريدان اساس آدم الاول[1].

واخيرا نقول : قد سبقت الاشارة فى كلام الرازى بانه ثبت فى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال يوم افتتح مكة : ان هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة . . . الحديث

ومعلوم ان حرمة هذه البقعة لاجل حرمة البيت الحرام . فلو لم يكن موجودا ومؤسسا لبطل معنى هذه الحرمة . اذ ان ارض الحرم حوله كالحمى له .

فلما ثبتت الحرمة لبقعة من الارض حين خلقت ولم يكن آدم خلق بعد . وقال الله عز ذكره " الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات والارض[2] وهما خلقتا ولم يكن آدم موجودا حين خلقهما الله . وان الجنة والنار خلقتا ولم يدخل فيهما احد من بنى آدم بعد . فكذلك وضع الله بيته حين خلق الارض فهو يعلم انه سيبعث خليفته فى الارض وانه يعبده وحده لا شريك له عند هذا البيت فيما بعد فسبحانه من خلق ودبر وهو الحكيم العليم .

---

(١) فتح (٧ : ٢١٥) .

(٢) سورة لقمان : ٢٠ .

واذا نظرنا الى ماتقدم ذكره من الادلة من الكتاب والسنـــة واقـــوال السلف مثل مجاهد وقتادة وابن عباس وغيرهم انه اول بيت وضعه آدم او مـــن قبله وان قول الجمهور انه اول بيت وضع مطلقا كما قاله الامام النووى نقلا عـــن الماوردى (1) . فمجموع هذه الادلة يدل على ان البيت كان مؤسسا وموجودا قبـــل الخليل ابراهيم عليه السلام وهو حجة على ابن كثير رحمه الله .

---

(١) الايضاح (ص ٢٠٧) .

الفصل الخامس
في بيان تحديد مساحة الكعبة

حد الكعبة او ذرع الكعبة ـ كما يقوله المتقدمون هو معرفة طـــول وعرض قطعة الارض التي وضع عليها البيت وبناه الخليل عليه الصلاة والســلام وهذه المساحة هي الاصل . ثم بنا عليها عبدالله بن الزبير فيما بعد .

وحد ثان لها هو معرفة القدر الذى بنته قريش وهو الوضــع الحالــى للبيت . الا ان ارتفاع البيت فانه بقى على ماكان عليه فى بناء ابن الزبير رضى الله عنهما .

فالحد الاصلى ـ فيما نعلم ـ ثلاثون ذراعا ، يقول الحافظ ابن حجر : وفى حديث عثمان وابى جهم " فبلغ ابراهيم من الاساس اساس آدم ، وجعـــل طوله فى السماء تسعة اذرع وعرضه فى الارض يعنى دوره ثلاثين ذراعا ، وكـــان ذلك بذراعهم ".(١)

وقال الازرقى : كان ابراهيم خليل الرحمن بنى الكعبة البيت الحـــرام فجعل طولها فى السماء تسعة اذرع وطولها فى الارض ثلاثين ذراعا وعرضهـــا فى الارض اثنين وعشرين ذراعا ، وكان غير مسقف فى عهد ابراهيم . وامـــا البيت على ماهو عليه الان . يقول الازرقى : باب ذرع البيت من الخـــارج ـ طولها فى السماء سبعة وعشرون ذراعا ، وذرع طول وجه الكعبة من الركـــن الاسود الى الركن الشامى خمسة وعشرون ذراعا . وذرع دبرها من الركـــن

---

(١) فتح البارى (٧ : ٢١٥) .

اليمانى الى الركن الغربى خمسة وعشرون ذراعا . وذرع شقها اليمانى من الركن الاسود الى الركن اليمانى عشرون ذراعا ، وذرع شقها الذى فيه الحجر من الركن الشامى الى الركن الغربى واحد وعشرون ذراعا . وذرع جميع الكعبة مكسرا اربعمائة ذراع وثمانية عشر ذراع . وذرع نفذ جدار الكعبة ذراعان الذراع اربعة وعشرون اصبعا . والكعبة لها سقفان احدهما فوق الاخر .

وهنا يعترض الاستاذ حسين باسلامة على هذا الحساب ، يقول : فان كان قصده مربعا فهو لا ينطبق على العدد الذى ذكره حيث قال : ان طول الكعبة ٢٥ ذراعا ، وعرضها من الجنوب ٢٠ ذراعا ، ومن الشمال ٢١ ذراعا فظهر من نتيجة التكسير ان مساحة الارض التى بنيت عليها الكعبة بعد اخراج مازاده ابن الزبير فيها من حجر اسماعيل ٥١٢½ ذراعا . ثم قال : والذى يظهر لى انه وقع غلط او سقط من الناسخ . والله اعلم[1] .

ويقول الازرقى : ذرع الكعبة من داخلها .

ذرع طول الكعبة فى السماء من داخلها الى السقف الاسفل مما يلى باب الكعبة ثمانية عشر ذراعا ونصف . وطول الكعبة فى السماء الى السقف الاعلى عشرون ذراعا وفى سقف الكعبة اربع روازن نافذة من السقف الاعلى الى السقف الاسفل للضوء .

ثم يقول : وذرع داخل الكعبة من وجهها من الركن الذى فيه الحجر الاسود الى الركن الشامى - وفيه باب الكعبة - تسعة عشر ذراعا وعشر

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص : ١٣١) .

اصابع . وذرعها بين الركن الشامي الى الركن الغربي وهو الشق الذى يلى الحجر خمسة عشر ذراعا وثمانية عشر اصبعا . وذرع مابين الركن الغربي الى الركن اليمانى - وهو ظهر الكعبة - عشرون ذراعا وستة اصابع . وذرع مابين الركن اليمانى الى الركن الاسود ستة عشر ذراعا وستة اصابع .(١)

وقد ذرعها الفاسى ونقل عن غيره . وهذا القدر قد وافق الازرقى وقد يختلف، وهذا الخلاف راجع الى مقياس الذراع . وهو يختلف بعضها مع بعض لانه قد يكون من حديد المستعمل بمصر . وقد يكون ذراع اليد ، كما ذرعه الازرقى . واقرب الاقوال الى الصواب ماذهب اليه حسين باسلامة لانه قاسه بالامتار وهى لا تختلف كما يختلف مقياس الذراع . والله اعلم .

ثم يقول الاستاذ حسين باسلامة : وقد وفقنى الله تعالى ان اذرع الكعبة من داخلها وذلك فى يوم الجمعة الموافق ٢٣ من شهر ذى القعدة سنة١٣٥٢ بالمتر . فكان طولها من وسط الجدار اليمانى الى وسط الجدار الشامى ١٠ر٥١ من الامتار . ومن وسط جدارها الشرقى الى وسط جدارها الغربى ٨ر١٠ . وذرعت الدرجة التى بداخل الكعبة الواقعة فى الركن الشمالى الشرقى المصعدة الى سطح الكعبة . فكان عرض جدارها من الشرق الى الغرب مترين وثلاثين سنتيمترا ٣٠ر٢ ومن الشمال الى الجنوب متر ونصف ٥ر١ .(٢)

وقال تقى الفاسى : وقد حرر ذرع الكعبة الفقيه ابو عبدالله محمد بن سراقة العامرى فى كتابه "دلائل القبلة" لانه قال : اعلم ان الكعبة البيت

---

(١) اخبار مكة (١ : ٢٨٨ - ٢٩١) .

(٢) تاريخ الكعبة المعظمة (١ : ١٣٨) .

الحرام مربعة البنيان فى وسط المسجد ارتفاعها من الارض سبعة وعشرون ذراعا وعرض الجدار وجهها قرابة اربعة وعشرين ذراعا . وهو بناء الحجاج ابن يوسف الثقفى ، وكان عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما حين ولى مكة جعل عرضه ثلاثين ذراعا يزيد على ذلك اقل من ذراع ، بعد ان كشف عن قواعد ابراهيم الخليل عليه السلام وبنى عليها . ثم قال : وعرض وجهها وهو الذى فيه بابها اربعة وعشرون ذراعا وعرض مؤخرها مثل ذلك . وعرض جدارها الذى يلى اليمن وهو فيما بين الركن اليمانى والركن العراقى وهو الذى فيه الحجر الاسود عشرون ذراعا . ثم قال : وعرض جدارها الذى يلى الشام وهو الذى فيما بين الركن الشامى والركن العراقى احد وعشرون ذراعا . انتهى . قال : وانما ذكرنا ماذكره ابن سراقة العامرى من ذرع الكعبة لان فيه مخالفة لما ذكره الازرقى فى ذرع شقها الشرقى وشقها الغربى وذلك ينقص عما ذكره الازرقى فى ذرع ذلك ذراعا[1] .

ويقول الشيخ حسين الدياربكرى فى تاريخه : وذرع الكعبة الشريفة اليوم ارتفاعها الى السماء سبعة وعشرون ذراعا وربع ذراع . ومن الركن الاسود الى الركن العراقى ثلاثة وعشرون ذراعا وربع ذراع ومن الركن العراقى الى الركن الشامى اثنان وعشرون ذراعا . ومن الركن الشامى الى الركن اليمانى اربعة وعشرون ذراعا وشبر ومن الركن اليمانى الى الركن الاسود احدى وعشرون ذراعا وشبر .

---

(١) شفاء الغرام (١ : ١٠٨) .

وفى ايضاح النووى : الكعبة اليوم طولها فى السماء سبعة وعشرون ذراعا واما طولها فى الارض وهو مابين الركن الاسود والركن العراقى الذى يلى باب الحجر الذى يلى المقام فخمسة وعشرون ذراعا . وبين اليمانى والغربى كذلك . واما عرضها مابين الركنين اليمانى والاسود فعشرون ذراعا . وبين الشامى والغربى احد وعشرون ذراعا .

قال العبد الضعيف حسين بن محمد الدياربكرى غفر الله لهما : انا لما ذرعت بين اركان الكعبة الشريفة وغيرها فى شوال ٩٣١ هـ وجدت بعضها مخالفا لما فى التشويق والايضاح . فوجدت بين الركن الاسود والعراقى اربعة وعشرون ذراعا ونصف ذراع، مخالفا لما فى الكتابين معا . وبين العراقى والغربى احدا وعشرين ذراعا، موافقا لما فى الايضاح، وبين الغربى واليمانى خمسة وعشرين ذراعا، كما فى الايضاح ايضا . وبين اليمانى والاسود احدا وعشرين ذراعا وسبع اصابيع مخالفا لما فى الكتابين معا .

قال : وفى تشويق الساجد : وعرض جدار الكعبة ذراعان ولها سقفان احدهما فوق الاخر وفيها ثلاثة اعمدة مصطفة على طولها كلها من خشب الساج .

وعرض الباب اربعة اذرع . وارتفاع الباب وطوله الى السماء ستة اذرع وعشرة اصابيع . والباب فى الجدار الشرقى، والباب من خشب الساج، مضبب بصفائح من الفضة .

وعرض سطح الكعبة : ثمانية عشر ذراعا فى خمسة عشر ذراعا . . وعرض الباب المسدود ثلاثة اذرع ونصف ذراع .[1]

---

(١) (١ : ١٢٠) تاريخ الخميس فى احوال انفس نفيس . الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى .

الفصل السادس

في بيان الحجر ومقام ابراهيم والحطيم

ذهب بعض العلماء الى ان الحجر كله من البيت وهو رأي ابن عباس رضي الله عنهما والامام النووي في بعض اقواله فيما نقل عنه الحافظ ابن حجر في الفتح واستدلوا على ذلك بما رواه الامام البخاري ومسلم من طريق الاسود ابن يزيد واللفظ للبخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدر ءامن البيت هو ؟ قال : نعم . قلت : فمالهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال : ألم ترى قومك قصرت بهم النفقة ؟ قلت : فما شأن بابه مرتفعا ؟ قال : فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولولا ان قومك حديث عهدهم بجاهلية ءفاخاف ان تنكر قلوبهم ان ادخل الجدر في البيت وان الصق بابه بالارض .

وبما جاء من طريق علقمة عن امه عن عائشة قالت : كنت احب ان اصلي في البيت . فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فادخلني الحجر فقال : صلي فيه فانما هو قطعة من البيت . ولكن قومك استقصروه حين بنوا الكعبة فاخرجوه من البيت . رواه الترمذي والنسائي كما نقله الحافظ ابن حجر.

وبما رواه الامام البخاري عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : ياعائشة ءلولا ان قومك حديث عهد بجاهلية لامرت بالبيت فهدم ءفادخلت فيه ما اخرج منه . الحديث

فان الحجر من البيت ولاجل هذا تمنى صلى الله عليه وسلم ان يدخله في البيت لولا خشية نفور قريش من هذا الفعل لقرب عهدهم بالكفر . كما

مر صريحا فى الحديث الاول وهو قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى اللـــه عنها ولولا ان قومك حديث عهدهم بجاهلية فاخاف ان تنكر قلوبهم ان ادخــل الجدر فى البيت ، وان الصق بابه بالارض .

فقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الاول لعائشة حين سألته عـــن الجدر ، امن البيت هو ؟ قال :نعم .

وفى الحديث الثانى قال لها عليه السلام : انما هو قطعـــة مـــن البيت . لما ارادت ان تصلى فى البيت فادخلها فى الحجر .

وفى الحديث الثالث قوله عليه السلام لام المؤمنين : فادخلت فيـــه ما اخرج منه . . دليل صريح بان الحجر كله من البيت . ولاجل هذا كـــان ابن عباس رضى الله عنهما يفتى بأن الحجر من البيت . كما نقل ذلك الحافـظ ابن حجر بقوله :" وبذلك كان يفتى ابن عباس كما رواه عبد الرزاق عن ابيه عـــن مرثد بن شرحبيل قال : سمعت ابن عباس يقول : لو وليت من البيت ماولـــى ابن الزبير لادخلت الحجر كله فى البيت ، فلم يطاف به ان لم يكن من البيت"[1] .

ويرى الامام النووى احاديث الحجر فى قدره مضطربة . لانه جاء فيهـــا خمس اذرع او ستة اذرع ونحوها . وسبعة اذرع . فذهب الى عدم الاخذ بهـــا ويشير الى هذا الحافظ ابن حجر بقوله :

وان الجمع بين المختلف منها ممكن كما تقدم . وهو اولى من دعـــوى الاضطراب والطعن فى الروايات المقيدة لاجل الاضطراب ، كما جنح اليه ابـــن الصلاح وتبعه النووى . لان شرط الاضطراب ان تتساوى الوجوه بحيـــث

---

(١) فتح (٤ : ١٨٧) .

يتعذر الترجيح او الجمع ولم يتعذر ذلك هنا . فيتعين حمل المطلق على المقيد كما هي قاعدة مذهبهما .

قال : وانما قال النووي ذلك نصرة لما رجحه من ان جميع الحجر من البيت . وعمدته في ذلك ان الشافعي نص على ايجاب الطواف خارج الحجر ونقل ابن عبد البر الاتفاق عليه . ونقل غيره انه لا يعرف في الاحاديث المرفوعة ولا عن احد من الصحابة ومن بعدهم انه طاف من داخل الحجر، وكان عملا مستمرا . ومقتضاه ان يكون جميع الحجر من البيت .

ويرد عليه الحافظ فقال : وهذا متعقب، فانه لا يلزم من ايجاب الطواف من ورائه ان يكون كله من البيت . فقد نص الشافعي ايضا كما ذكره البيهقي في المعرفة ان الذي في الحجر من البيت نحوه من ستة اذرع . ونقله عن عدة من اهل العلم من قريش لقيهم، كما تقدم . فعلى هذا فلعله رأى ايجاب الطواف من وراء الحجر احتياطا[1] .

تحقيق الحجر والجدر .

قال الحافظ ابن حجر : الحجر بكسر المهملة وسكون الجيم، وهو معروف على صفة نصف الدائرة، وقدرها تسع وثلاثون ذراعا . وقد عبر عنه في الحديث بالجدر والجدار كما في حديث البخاري من عائشة رضي الله عنها قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدر، أمن البيت هو ؟ قال نعم وفي رواية المستملي ـ الجدار ـ قال الخليلي : الجدر لغة في الجدار .

---

(١) فتح (٤ : ١٩٢) .

قال :الجدر هو الحجر،كما فى مسند الطيالسى عن ابى الاحـــوص الجدر او الحجر،بالشك . ولابى عوانة من طريق شيبان عن الاشعث : الحجر بغير شك[1].

اقول الجدر هو الحجر كما جاء فى حديث مسلم صريحا ايضا رواه مـــن ابى بكر بن ابى شيبة قال حدثنا عبيدالله بن موسى حدثنا شيبان عـــن اشعث بن ابى الشعثاء عن الاسود بن يزيد عن عائشة قالت : سألت رســول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجر[2] . وساق الحديث .

اذن الحجر هو القدر الذى كان مشغولا به من البيت الذى بنا عليـــه الخليل ابراهيم واسماعيل عليهما السلام واخرج منه حين بنته قريش لقلة النفقـــة بهـــم .

وذهب الجمهور الى ان بعض الحجر من البيت وليس كله . واستدلـــوا على ذلك بما رواه الامام مسلم فى صحيحه من طريق سعيد بن ميناء قـــال سمعت عبدالله بن الزبير يقول : حدثتنى خالتى يعنى عائشة قالت : قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعائشة لولا ان قومك حديثو عهد بشـــرك لهدمت الكعبة فالزقتها بالارض وجعلت لها بابين -بابا شرقيا وبابا غربيـــا وزدت فيها ستة اذرع من الحجر فان قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة[3] .

---

(١) فتح (٤ :١٨٧-١٩٢) .

(٢) مسلم (٩ :٩٧) .

(٣) مسلم (٩ :٩١) .

وايضا بما رواه من طريق ابن جريج قال سمعت عبد الله بن عبيد قال وفد الحارث بن عبد الله على عبد الملك بن مروان فى خلافته، فقال عبد الملك ما اظن ابا خبيب (يعنى ابن الزبير) سمع من عائشة ماكان يزعم انه سمعه منها قال الحارث : بلى انا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك اعدت ماتركوا منه فان بدا لقومك من بعدى ان يبنوه فهلمى لا ريك ماتركوا منه . فاراها قريبا من سبعة اذرع ... الحديث .(1)

وبما رواه البخارى من طريق يزيد بن رومان الذى كان قد شهد بناء ابن الزبير وقواعد ابراهيم وانه اراه لجرير فحرزه ستة اذرع او نحوها . يقول يزيد : وشهدت ابن الزبير حين هدمه وبناه . وادخل فيه من الحجر وقد رأيت اساس ابراهيم حجارة كأسنمة الابل . قال جرير : فحزرت من الحجر ستة اذرع او نحوها(2) .

وما استدل به الفريق الاول من ان الحجر كله من البيت هى مطلقة وما استدل بها الجمهور من ان بعض الحجر من البيت هى مقيدة واصح من الاولى . وقد صرح بذلك الحافظ ابن حجر بقوله :

وهذه الروايات كلها مطلقة . وقد جاءت روايات اصح منها مقيدة . ثم يشير الى احاديث مسلم المذكورة آنفا . وقال : ولسفيان بن عيينة فى

---

(1) مسلم (ص ٩٤، ٩٥) ج٩

(2) فتح (٤ : ١٩٥) .

جامعه عن داود بن شابور عن مجاهد ان ابن الزبير زاد فيها ستة اذرع مما يلى الحجر . وله عن عبيد الله بن ابى يزيد عن ابن الزبير ستة اذرع وشبر . وهكذا ذكر الشافعى عن عدد لقيهم من اهل العلم من قريش، كما اخرجه البيهقى فى المعرفة عنه . وهذه الروايات كلها تجتمع على انها فوق الستة ودون السبعة .(١)

وقال : فيتعين حمل المطلق على المقيد . ويؤيده ان الاحاديث المطلقة والمقيدة متواترة على سبب واحد وهو ان قريشا قصروا عن بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام . وان ابن الزبير اعاده على بناء ابراهيم . وان الحجاج اعاده على بناء قريش . ولم تأت رواية قط صريحة ان جميع الحجر من بناء ابراهيم .

قال : وقال محب الطبرى فى شرط التنبيه له : والاصح انه القدر الذى فى الحجر من البيت قدر سبعة اذرع . والرواية التى جاء فيها ان الحجر من البيت مطلقة، فيحمل المطلق على المقيد . فان اطلاق اسم الكل على البعض سائغ مجازا .(٢)

وقال المحب فى كتابه القرى لقاصد ام القرى بعد ماساق ادلة الفريق الاول، قال : استدل بظاهر هذه الاحاديث من قال : الحجر كله من البيت . وفيه دليل على جواز التنفل فى الكعبة ودليل على التوسعة

---

(١) فتح (٤ : ١٨٧) .

(٢) فتح (٤ : ١٩٢) .

للنساء في الصلاة في الحجر . وقال : وفي قوله عليه الصلاة والسلام : فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا . وقوله عليه السلام : والصق بابها بالارض . دلالة على ان الناس غير محجوبين عن البيت، وانه لا يحل منعهم . وما تأخذه السدنة على ذلك، لا يطيب لهم، الا بطيب نفس الدافعين وانما يجب اجرهم من بيت المال .

وقال : حجة من قال : الذي في الحجر من البيت بعضه، لا كله . وساق هنا حديث ابن الزبير عن خالته . وفيه قوله عليه السلام وزدت فيها ستة اذرع من الحجر . وحديث عطاء في قصة بناء ابن الزبير البيت، وفيه : فزاد فيه خمس اذرع من الحجر . قال : وفي هذه الاحاديث دلالة على ان بعض الحجر من البيت . ومن يرى حمل المطلق على المقيد يقول مطلق الاحاديث المتقدمة منزلة على هذا . ومن لا يراه عمل بهما واستدل بظاهر قول ابن عباس : من طاف بالبيت فليطف من وراء الحجر[1] .

قال الامام النووي : قال اصحابنا : ست اذرع من الحجر مما يلي البيت محسوبة من البيت، بلا خلاف[*] .

وفي الزائد خلاف[2] .

---

(١) (ص ٤٦٨) . القرى لقاصد أم القرى .

(٢) مسلم (٩ : ٩١) .

مقـــام ابراهـــيم

واما مقام ابراهيم فهو الحجر المعروف الذى استعان به الخليل فقـــام عليه عند بناء البيت فخشى الحجر الصلب على ان يؤثر سوءا بصلابته فى قدمى الخليل فيتأذى به . فلان وتغير عن طبعه . فغاض فيه قدما خليل الرحمـــن فصار منذ ذلك اليوم ميمونا ومباركا وشاهدا لبنائه بيت الله الحرام على مـــر القرون والازمان .

اختلف اهل العلم فى تحديد مقام ابراهيم والمراد به ماهو ؟ فقـــال طائفة منهم انه الحجر الذى استعان به وقام عليه الخليل عند بناء البيت لمـــا ارتفع البناء . وفيه اثر قدميه مازال باقيا موجودا . فقد جعله الله تعالـــى ذكرى خالدة لخليله وذكره باسمه فى كتابه حيث يقول : ان اول بيت وضـــع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومـــن دخله كان آمنا .

وقالت طائفة اخرى ان مقام ابراهيم هو الحرم كله قاله النخعى وعطـــاء ومجاهد وروى عن ابن عباس .

وفيما يلى بيان ذلك .

ادلة الفريق الاول :

منها حديث البخارى رواه عن ابن عباس وهو حديث طويل وقد مر سابقا فى بناء ابراهيم البيت مفصلا ، وفى آخره : ثم لبث (ابراهيم) عنهم ماشاء اللـــه ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له تحت دومة قريبا من زمزم فلما رآه قـــام

اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد قال يا اسماعيل ، ان الله امرني بأمر ، قال : فاصنع ما امرك ربك . قال : وتعينني . قال : واعينك قال : فان الله امرني ان ابني هاهنا بيتا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت . فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني ، حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

وفي حديث ابراهيم بن نافع ، وفي آخره قال : فقام فجعل ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال : حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

ففي الرواية الاولى : جاء بهذا الحجر ، يقول الحافظ ابن حجر : يعني المقام ، وفي الرواية الثانية جاء اكثر وضوحا وهو قوله : فقام على حجر المقام .

يقول الحافظ : زاد في حديث عثمان : ونزل عليه الركن والمقام ، فكان ابراهيم يقوم على المقام يبني عليه ويرفعه له اسماعيل ، فلما بلغ الموضع الذي فيه الركن وضعه يومئذ موضعه ، واخذ المقام فجعله لاصقا بالبيت ، فلما فرغ ابراهيم من بناء الكعبة جاء جبريل فاراه المناسك كلها ، ثم قام ابراهيم على المقام ، فقال : يا ايها الناس اجيبوا ربكم فوقف ابراهيم واسماعيل تلك المواقف .

ثم يقول : وروى الفاكهي باسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس

قال : قام ابراهيم على الحجر فقال : يا ايها الناس كتب عليكم الحج ، فاسمع من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فاجابه من آمن ومن كان سبق فى علم الله انه يحج الى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك[(١)] .

ثم يقول الحافظ فى باب فضل مكة وتفسير قوله تعالى : " واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى " ، ومقام ابراهيم ، الحجر الذى فيه اثر قدميه على الاصح[(٢)] .

وقال فى باب قول الله تعالى : " واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى " وهذا بناء على ان المراد بمقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدمه . وهو موجود الى الان . وقال مجاهد : المراد بمقام ابراهيم الحرم كله ، والاول اصح[(٣)] .

وقال القسطلانى فى قوله تعالى " واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى " يقول : مقام ابراهيم الحجر المعروف او المسجد الحرام او الحرم او مشاعر الحج . وقد جاء عن عمر قال يارسول الله : هذا مقام ابينا ابراهيم ؟ قال نعم . قال : افلا نتخذه مصلى ؟ فانزل الله : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى[(٤)] .

ويقول الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى :" فيه آيات بينات مقام ابراهيم " يقول : مقام ابراهيم : يعنى الذى لما ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولده اسماعيل وقد كان ملتصقا بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى امارته

---

(١) فتح (٧ : ٢١٥ - ٢١٧) .

(٢) فتح (٤ : ١٨٣) .

(٣) فتح (٢ : ٤٥) .

(٤) قسطلانى (٣ : ١٤٢) .

الى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه ، ولا يشوشون على المصلين عنـــده بعد الطواف .

وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله : فيه آيات بينات مقام ابراهـــيم اى فمنهم مقام ابراهيم والمشاعر .

وقال مجاهد : اثر قدميه فى المقام آية بينة . وكذا روى عن عمر بـــن عبد العزيز والحسن وقتادة والسدى ، ومقاتل بن حيان وغيرهم . وقال ابـــو طالب فى قصيدته اللامية المشهورة :

وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبة   على قدميه حافيا غير ناعل

وقال ابن ابى حاتم : حدثنا ابو سعيد وعمرو الاودى ، قالا : حدثنـــا وكيع ، حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالـــى مقام ابراهيم ، قال : الحرم كله مقام ابراهيم ، ولفظ عمرو : الحجر كله مقـــام ابراهيم .

وروى عن سعيد بن جبير انه قال : الحج مقام ابراهيم ، هكذا رأيتـــه فى النسخة ولعله الحجر كله مقام ابراهيم ، وقد صرح بذلك مجاهد[1] .

وحين فسر رحمه الله قوله تعالى " واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنـــا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى " .

قال : وفى هذه الاية الكريمة نبه على مقام ابراهيم مع الامر بالصـــلاة عنده فقال : واتخذوا من مقام ابراهيم .

وقال سفيان الثورى عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير " واتخــذوا

---

(١) ابن كثير (١ : ٣٨٤) .

من مقام ابراهيم مصلى" قال : الحجر مقام ابراهيم نبي الله قد جعله الله رحمة فكان يقوم عليه ويناوله اسماعيل الحجارة .

وقال السدى : المقام ـ الحجر الذى وضعته زوجة اسماعيل تحت قدم ابراهيم حتى غسلت رأسه . حكاه القرطبي وضعفه . ورجحه غيره . وحكاه الرازى فى تفسيره عن الحسن البصرى وقتادة والربيع بن انس .

وقال ابن ابى حاتم : اخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح : اخبرنا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريج عن جعفر بن حميد عن ابيه سمع جابرا يحدث عن حجة النبى صلى الله عليه وسلم قال : لما طاف النبى صلى الله عليه وسلم قال له عمر : هذا مقام ابينا ؟ قال : نعم . قال : افلا نتخذه مصلى ؟ فانزل الله عز وجل : "واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى"(١) .

وقال عثمان بن ابى شيبة : اخبرنا ابو اسامة عن زكريا عن ابى اسحاق عن ابى ميسرة قال : قال عمر قلت يارسول الله ، هذا مقام خليل ربنا ؟ قال نعم . قال : افلا نتخذه مصلى ؟ فنزلت : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .

وقال ابن مردويه : اخبرنا دعلج بن احمد : اخبرنا غيلان بن عبد الصمد : اخبرنا مسروق بن المرزبان : اخبرنا زكريا بن ابى زائدة عن ابى اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب انه مر بمقام ابراهيم فقال يارسول الله ، اليس تقوم بمقام خليل ربنا ؟ قال : بلى . قال : افلا نتخذه مصلى ؟ فلم يلبث الا يسيرا حتى نزلت : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٦٨ - ١٦٩) .

وقال البخاري : باب قوله : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، مثابة يثوبون يرجعون .

حدثنا مسدد : اخبرنا يحيى عن حميد عن انس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في ثلاث او وافقني ربي في ثلاث : قلت يارسول الله ، لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى ؟ فنزلت : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وقلت : يارسول الله . يدخل عليك البر والفاجر ، فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب ، فانزل الله آية الحجاب ، قال : وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه ، فدخلت عليهن ، فقلت : ان انتهيتن او ليبدلن الله رسوله خيرا منكن ، حتى اتيت احدى نسائه قالت : ياعمر اما في رسول الله مايعظ نساءه حتى تعظهن انت ؟ فانزل الله : عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات . . . الاية

وروى البخاري بسنده عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين . وتمام الحديث هكذا : ثم خرج الى الصفا - وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة . . ثم رد ابن كثير الاقوال التي قيل فيها بأن المراد به غير الحجر فيقول : فهذا كله مما يدل على ان المراد بالمقام انما هو الحجر الذي كان ابراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار اتاه اسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار ، وكلما كمل ناحية انتقل الى الناحية الاخرى ، يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه ، كلما فرغ من جدار نقله الى الناحية التي تليها ، وهكذا

حتى تم جدران الكعبة .

وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها . ولهذا قال ابو طالب في قصيدته المعروفة اللامية :

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وقد ادرك المسلمون ذلك فيه ايضا ـ كما قال عبدالله بن وهب : اخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب ان انس بن مالك حدثهم ، قال : رأيت المقام فيه اصابعه عليه السلام واخمص قدميه ، غير ان اذهبه مسح الناس بايديهم .

وقال ابن جرير : اخبرنا بشر بن معاذ : اخبرنا يزيد بن زريع : اخبرنا سعيد عن قتادة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى : انما امروا ان يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، وقد تكلفت هذه الامة شيئا ماتكلفته الامم قبلها . ولقد ذكر لنا من رأى اثر عقبه واصابعه فيه ، فما زالت هذه الامة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى (١) .

وادلة الطائفة الثانية :

ماجاء عن ابن عباس وعطاء ومجاهد والنخعي بان المراد به الحرم كله او مشاعر الحج والمناسك .

قال الحافظ ابن حجر في باب فضل مكة وتفسير قوله تعالى : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى . قال : وعن عطاء : مقام ابراهيم ، عرفة وغيرها من

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٦٩ - ١٧٠) .
انظر الفتح (٤ : ٢٣٣) ، (٩ : ٢٣٥) .

المناسك لانه قام فيها ودعا . وعن النخعى : الحرم كله . وكذا رواه الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس.(١)

وقال الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .

قال : وقد اختلف المفسرون فى المراد بالمقام ماهو ؟ فقال ابن ابى حاتم : اخبرنا عمرو بن شبية النميرى : حدثنا ابو خلف يعنى عبدالله بن عيسى : اخبرنا داود بن ابى هند عن مجاهد عن ابن عباس : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، قال : مقام ابراهيم ـ الحرم كله .

وروى عن مجاهد وعطاء مثل ذلك . وقال ايضا : اخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن " واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى " فقال : سمعت ابن عباس قال : اما مقام ابراهيم الذى ذكر ههنا فمقام ابراهيم هذا الذى فى المسجد ، ثم قال : ومقام ابراهيم يعد كثير ، مقام ابراهيم الحج كله . ثم فسره لى عطاء فقال : التعريف وصلاتان بعرفة والمشعر ومنى ورمى الجمار والطواف بين الصفا والمروة . فقلت افسره ابن عباس ؟ قال : لا ، ولكن قال : مقام ابراهيم الحج كله . قلت اسمعت ذلك لهذا اجمع ؟ قال : نعم ، سمعته منه .(٢)

---

(١) فتح (٤ : ١٨٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (١ : ١٦٩) .

والقول الراجح في هذا الباب - ان المراد بالمقام هو الحجر الذى وقف عليه الخليل عند ارتفاع البناء وهو المراد بقوله تعالى : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .

ومن ذهب الى ان المقام - هو مشاعر الحج او الحرم ، انما يقصد المواضع التى كان يقف فيها ابراهيم الخليل حين ادى مناسك الحج ، لانه قام فيها ودعا .

ثم اختلفوا بعد ذلك في موضع المقام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقبله وبعده .

ذهب محب الطبرى والازرقى الى ان موضع المقام الحالى هو موضعه من عهد الخليل الى عهد ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، واستدل على ذلك بما رواه عن المطلب بن ابى وداعة السهمى قال : كانت السيول تدخل المسجد الحرام من باب بنى شيبة الكبير . فربما دفعت المقام عن موضعه . حتى جاء سيل في خلافة عمر يقال له سيل ام نهشل . وسمى بذلك لانه ذهب بام نهشل ابنة عبيدة بن ابى احيحة ، فماتت فيه . فاحتمل المقام ، فذهب به حتى وجد بأسفل مكة فاتى به فربط باستار الكعبة في وجهها ، وكتب بذلك الى عمر ، فاقبل فزعا فدخل بعمرة في رمضان وقد غبى موضعه ، وعفاه السيل فدعا عمر بالناس ، وقال انشد الله عبدا عنده علم في هذا المقام ، اين موضعه ؟ قال المطلب بن ابى وداعة : عندى ذلك ، كنت اخشى عليه هذا فاخذت قدره من موضعه الى الركن ومن موضعه الى باب الحجر ، ومن موضعه الى زمزم بمقاط وهو عندى في البيت فقال له عمر : فاجلس عندى وارسل اليها . فجلس عنده وارسل اليها فاتى بها

فمدها فوجدها مستوية الى موضعه هذا ،فسأل الناس ،وشاورهم . فقالوا نعم . هذا موضعه .

فلما استثبت ذلك عمر وحق عنده امر به فاحكم بناء ربضه تحت المقام وحوله . وهو فى مكانه هذا الى اليوم .

وقال ابو الوليد الازرقى : قال : وحدثنى جدى ،قال : حدثنا عبد الجبار بن الورد قال : سمعت ابن ابى مليكة يقول : موضع المقام هذا الذى هو به اليوم وهو موضعه فى الجاهلية ،وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر رضى الله عنهما ،الا ان السيل ذهب به فى خلافة عمر فجعل فى وجه الكعبة ، حتى قدم عمر ورده بمحضر من الناس .

وعن عروة بن الزبير قال : كان المقام عند سقع[1] البيت ،فاما موضعه الذى هو موضعه فموضعه الان . واما مايقول الناس انه كان هنالك موضعه فلا . هذا مانقله ابو الوليد الازرقى فى كتابه المشهور .

وقال مالك فى المدونة : كان المقام فى عهد ابراهيم عليه السلام فى مكانه اليوم . وكان اهل الجاهلية الصقوه الى البيت خيفة السيل . فكان ذلك فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد ابى بكر ،فلما ولى عمر رده بعد ان قاس موضعه بخيوط قديمة ،قيس بها حين اخروه . وعمر هو الذى نصب معالم الحرم بعد ان بحث على ذلك .

وقال الفقيه سند بن عنان المالكى فى كتابه المترجم بالطراز : وروى اشهب

---

(١) سقع وصقع بمعنى واحد وهو الناحية . مختار الصحاح .

عن مالك قال : سمعت من يقول من اهل العلم : ان ابراهيم عليه السلام اقام هذا المقام ، وقد كان ملصقا بالبيت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه وقبل ذلك . وانما الصق اليه لمكان السيل مخافة ان يذهب به . فلما ولى عمر اخرج خيوطا كانت فى خزانة الكعبة . وقد كانوا قاسوا بها مابين موضعه وبين البيت فى الجاهلية ، اذ قدموه مخافة السيل فقاسه عمر ، واخره الى موضعه اليوم ، وكان السيل يأتى من الجبال الى الوادى ، والبيت فى وسط الوادى ، فيدخل السيل ، فرفعت العرب بابه وقدموا مقام ابراهيم اليه . فالصقوه بالباب .

قال مالك : والذى حمل عمر على ذلك - والله اعلم - ماكان النبى صلى الله عليه وسلم يذكره من كراهية تغيير مراسم ابراهيم عليه السلام . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة : لولا حدثان قومك بكفر لنقضت البيت . . . . . . الحديث . فرأى عمر ان ذلك ليس فيه تغيير لمكان مارآه من مراسم ابراهيم عليه السلام .

ثم يقول المحب الطبرى : وفى هذا مناقضة ظاهرة لما ذكره الازرقى عن ابن ابى ملكية ، وسياق لفظ حديث الصحيح الطويل ، وماروى نحوه يشهد بترجيح قول ابن ابى مليكة وذلك قوله : ثم تقدم الى مقام ابراهيم ، وقرأ : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، فجعل المقام بينه وبين الكعبة .

والمتبادر الى الفهم عند سماع هذا اللفظ ، انه لم يكن حينئذ ملصقا بالبيت ، لانه لا يقال فى العرف : تقدم الى كذا ، فجعله بينه وبين كذا الا فيما يمكن ان يقدمه امامه وان يخلفه خلفه ، واذا كان ملصقا تعين التقديم لا غير .

واما ماذكره اعنى الازرقى عن المطلب بن ابى وداعة ، فيحتمل امرين :

احدهما : ان يكون قول عمر : انشد الله عبدا علم فى هذا المقام ، اين موضعه ؟ اى الذى كان فيه فى عهد النبوة وهو المتبادر الى الفهم . وعليه دلت القرينة المتقدم ذكرها . لانه كان بحاثا عن السنن وقافا عندها وكذلك فهمه ابن ابى مليكة . فلذلك اثبت ان موضعه اليوم هو الموضع الذى كان فيه فى عهد النبوة . وان الصاقه بالكعبة ، انما كان لعارض السيل .

والاحتمال الثانى : ان يكون عمر رضى الله عنه سأل عن موضعه فى زمن ابراهيم عليه السلام ليرده اليه ، لعلمه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يؤثر بقاء مراسم ابراهيم ، ويكره تغييرها ، ويكون سبيله صلى الله عليه وسلم فى تقرير المقام ملصقا بالبيت الى ان توفى صلى الله عليه وسلم ، سبيل تقرير ماكان من الكعبة فى الحجر ، تأليفا لقريش فى عدم تغيير مراسمهم . فلذلك سأل عمر عن مكان المقام فى زمن ابراهيم عليه السلام ، ليرده اليه ، اعتمادا على ماعلمه من النبى صلى الله عليه وسلم ، فيكون موافقا لسنته صلى الله عليه وسلم .

ولما كان عند المطلب علم بذلك اخبره به ، فرجع اليه وعمل بما علمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما فعل ابن الزبير باد خال ماكان من البيت فى الحجر فيه لما بناه ، اعتمادا على مابلغه عنه ، وذلك مشهور .

وعلى هذا فلا مناقضة بين مانقله المطلب ومانقله مالك . فيكون الجمع بينهما اولى من دحض احدهما . ويكون ابن ابى مليكة قال ماقاله فهما من سياق مارواه المطلب رضى الله عنه . والامام مالك اثبت ما اثبته جازما به ولا يكون ذلك الا عن توقيف ، فكان الجمع اولى ، والله اعلم .

وما نقله ايضا سند من ان العرب رفعوا بابها لمكان السيل ، مناقض لما في الصحيح انهم رفعوه ليمنعوا من شاءوا - والله اعلم[1] .

وقال الحافظ ابن حجر : قال ابن الجوزي : انما طلب عمر الاستنان بابراهيم عليه السلام (اى حين طلب ان يتخذ مقام ابراهيم مصلى) مع النهي عن النظر في كتاب التوراة لانه سمع قول الله تعالى في حق ابراهيم : اني جاعلك للناس اماما ، وقوله تعالى : ان اتبع ملة ابراهيم ، فعلم ان الائتمام بابراهيم من هذه الشريعة ، ولكون البيت مضافا اليه ، وان اثر قدميه في المقام كرقم الباني ليذكر به بعد موته فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناه . انتهى وقال : وهي مناسبة لطيفة .

قال : وفي موطأ ابن وهب عن يونس عن شهاب عن انس قال : رأيت المقام فيه اصابع ابراهيم واخمص قدميه ، غير انه اذهبه مسح الناس بايديهم .

قال : وكان المقام من عهد ابراهيم لزق البيت الى ان اخره عمر رضي الله عنه الى المكان الذي هو فيه الان . اخرجه عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن عطاء وغيره ، وعن مجاهد ايضا .

واخرج عن عائشة مثله بسند قوي ، ولفظه : ان المقام كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي زمن ابي بكر ملتصقا بالبيت ، ثم اخره عمر . واخرج ابن مردويه بسند ضعيف عن مجاهد ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي حوله والاول اصح .

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص٢٠٨ - ٢١١) . وانظر اخبار مكة (١ : ٣٥) .

وقد اخرج ابن ابى حاتم بسند صحيح من ابن عيينة ،قال : كان المقام فى سقع البيت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحوله عمر ،فجاء سيل فذهب به ،فرده عمر اليه . قال سفيان : لا ادرى أكان لاصقا بالبيت ام لا ؟ انتهى

ولم تنكر الصحابة فعل عمر ،ولا من جاء بعدهم ،فصار اجماعا . وكان عمر رأى ان ابقاءه يلزم منه التضييق على الطائفين او على المصلين فوضعه فى مكان يرتفع به الحرج . وتهيأ له ذلك لانه الذى كان اشار باتخاذه مصلى[(1)] .

وقالت جماعة من العلماء وفيهم ابن كثير وابن عيينة وعطاء ومجاهد وعائشة ام المؤمنين ان المقام كان لاصقا بالبيت من عهد الخليل الى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه . ثم اخره عمر فى عهده الى موضعه الحالى ،ولم ينكر عليه احد من الصحابة ،فصار اجماعا . واستدل على ذلك ابن كثير بما رواه البيهقى من هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة : ان المقام كان فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان ابى بكر ملتصقا بالبيت ،ثم اخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه[(2)] .

ويقول : وقد كان هذا المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما ومكانه معروف اليوم الى جانب الباب مما يلى الحجر يمنة الداخل من الباب فى البقعة المستقلة هناك وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه الى

---

(١) فتح (٩ : ٢٣٥ - ٢٣٦) .

(٢) دلائل النبوة (١ : ٣٣٥) .

جدار الكعبة او انه انتهى عنده البناء فتركه هناك ولهذا والله اعلم امر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف . وناسب ان يكون عند مقام ابراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه وانما اخره باتباعهم وهو احد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر وهو الذى نزل القرآن بوفاقه فى الصلاة عنده . ولهذا لم ينكر ذلك احد من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين .

قال عبد الرزاق عن ابن جريج : حدثنى عطاء وغيره من اصحابنا قال اول من نقله عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال عبد الرزاق ايضا عن معمر عن حميد الاعرج عن مجاهد قال : اول من اخر المقام الى موضعه الان عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقال الحافظ ابو بكر احمد بن على بن الحسين البيهقى : اخبرنا ابو الحسين بن الفضل القطان : اخبرنا القاضى ابو بكر احمد بن كامل حدثنا ابو اسماعيل محمد بن اسماعيل السلمى : حدثنا ابو ثابت : حدثنا الدراوردى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها : ان المقام كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان ابى بكر رضى الله عنه ملتصقا بالبيت ثم اخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وهذا اسناد صحيح مع ما تقدم .

وقال ابن ابى حاتم : اخبرنا ابى : اخبرنا ابن ابى عمر المدنى قال : قال سفيان يعنى ابن عيينة وهو امام المكيين فى زمانه : كان المقام من سقع البيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحوله عمر الى مكانه بعد النبى صلى الله عليه وسلم وبعد قوله : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى

قال : ذهب السيل به بعد تحويل عمر اياه من موضعه هذا ،فرده عمر اليه وقال سفيان : لا ادرى كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله ؟ وقال سفيان لا ادرى اكان لاصقا بها ام لا ؟

ثم يقول ابن كثير : فهذه الاثار متعاضدة على ماذكرناه . والله اعلم .

وقد قال الحافظ ابو بكر ابن مردويه : اخبرنا ابن عمر ،وهو احمد بن محمد بن حكيم : اخبرنا محمد بن عبد الوهاب بن ابى تمام : اخبرنا آدم هو ابن ابى اياس فى تفسيره : اخبرنا شريك عن ابراهيم بن المهاجر عن مجاهد قال قال عمر بن الخطاب : يارسول الله لو صلينا خلف المقام ،فانزل الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ،فكأن المقام عند البيت فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضعه هذا ،قال مجاهد : وكان عمر يرى الرأى فينزل به القرآن . هذا مرسل عن مجاهد ،وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق عن معمر عن حميد الاعرج عن مجاهد : ان اول من اخر المقام الى موضعه الان عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وهذا اصح من طريق ابن مردويه مع اعتضاد هذا بما تقدم . والله اعلم .[1]

وقال فى كتابه البداية والنهاية : مقام ابراهيم :اى الحجر الذى كان يقف عليه قائما لما ارتفع البناء عن قامته فوضع له ولده هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لما تعالى البناء وعظم الفناء . وقد كان هذا الحجر ملصقا بحائط الكعبة على ماكان عليه من قديم الزمان الى ايام عمر رضى الله عنه

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٧٠ - ١٧١) .

فاخره من البيت قليلا لئلا يشغل المصلون عنده الطائفين بالبيت . واتبع عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى هذا فانه قد وافقه ربه فى اشياء - منها فى قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى - فانزل الله - واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى[1] .

قال الحافظ ابن حجر فى حديث بناء ابراهيم البيت : زاد فى حديث عثمان : وفيه : واخذ المقام فجعله لاصقا بالبيت . الحديث[2]

والذى يترجح عندى ان مقام ابراهيم تركه الخليل ملتصقا بالبيت كما تبينه اكثر الروايات حين انتهى من بنائه وهو بجوار باب الكعبة على يمين الداخل فيه . وبقى هكذا فى الجاهلية حتى جاء الاسلام واستمر على ذلك فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . ولما نزل قوله تعالى : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى . كان الناس يصلون عنده . وقد ادى ذلك الى ان المصلين عنده كانوا فى طريق الطائفين مما ادى الى الضيق على الطائفين وعدم الخشوع للمصلين .

وبقى كذلك فى عهد ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، فلما تولى عمر رأى ان يؤخر المقام عن البيت ليجعل مكان الصلاة عنده بعيدا عن طريق الطائفين . فوضعه فى مكانه الذى هو فيه الان . غير ان سيلا شديدا حدث فى عهده اطاح بالمقام وذهب به الى اسفل مكة . فلما علم بذلك عمر جاء

---

(١) البداية والنهاية (١ : ١٦٤) .

(٢) فتح (٧ : ٢١٦) .

الى مكة واعاد المقام الى مكانه ،كما تقول بذلك رواية ابن عيينة الصحيحة التى نقلها الحافظ ابن كثير آنفا .

وكان هناك المطلب بن ابى وداعة قد قاس بخيط ذلك المكان الى الكعبة والى زمزم فلما اشتبه على عمر مكانه الاول ناشد من عنده علم بمكانه الاول ، ان يخبره حتى لا يكون هذا عبثا منه بمقام ابراهيم ،فكان المطلب بن ابى وداعة عنده ذلك الخيط فمده عمر وتحقق من مكانه الذى كان فيه قبل ان يأخذ به السيل فوضعه ثانيا واحكم بناءه حتى لا يذهب به مرة اخرى ،وبقى فى مكانه هذا بوضع عمر بن الخطاب الى اليوم .

ولا يعقل ان الخليل تركه بعيدا من الكعبة وقد لعب دورا فعالا عند ابنائنا . بحيث يدوسه اقدام الناس،وان المسافة التى بينه وبين الكعبة اكثر من عشرين ذراعا تدل على ان موضعه الان قد كان مشغولا بمبانى قريش تحيط بالكعبة . وانما هدمت بعد ذلك فى عهد عمر حين اراد ان يوسع المطاف والمسجد ،وفى هذا القضاء الذى تخلف من ازالة المبانى هو المكان الذى وضع فيه المقام ترجيحا لاكثر الروايات على رواية الفرد . والله اعلم .

واما الكلام عن الحطيم

روى الامام البخاري في صحيحه وبسنده فقال : حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي : حدثنا سفيان ، اخبرنا مطرف : سمعت أبا السفر يقول سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول : يا ايها الناس اسمعوا مني ما اقول لكم واسمعوني ماتقولون ، ولا تذهبوا فتقولوا : قال ابن عباس، قال ابن عباس، قال ابن عباس : من طاف بالبيت، فليطف من وراء الحجر . ولا تقولوا : الحطيم فان الرجل في الجاهلية كان يحلف فيلقي سوطه أو نعله او قوسه[1] .

تحديد الحطيم .

ويقول الحافظ ابن حجر : وقال غيره : الحطيم هو بئر الكعبة التي كان يلقى فيها مايهدى لها . وقيل الحطيم : بين الركن الاسود والمقام . وقيل من اول الركن الاسود الى اول الحجر يسمى الحطيم[2] .

وقال ياقوت الحموي : انما هو مابين الركن والمقام . قال ابن جريج الحطيم مابين الركن والمقام وزمزم والحجر . وقال ابن حبيب : مابين الركن الاسود الى باب المقام حيث يتحطم الناس للدعاء[3] .

---

(١) فتح (٨ : ١٥٨ - ١٥٩) .

(٢) فتح (٨ : ١٥٩) .

(٣) معجم البلدان (٥ : ١٩٠) .

وقال المحب الطبري : وقد روى حديثا عن عبد الرحمن بن صفوان قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قلت : لالبسن ثيابي فلانظرن كيف يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلقت، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من الكعبة هو واصحابه . وقد استلموا البيت من الباب الى الحطيم، وقد وضعوا خدودهم على البيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطهم . اخرجه ابو داود .

يقول : وسياق هذا اللفظ يشعر بأن الحطيم، هو الحجر الاسود والمشهور في الحطيم انه مابين الركن والباب . فلعله يريد مابين الباب وانتهاء الحطيم على حذف المضاف .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : الحطيم الجدر، يعنى جدار حجر الكعبة . وعن ابن جريج قال : الحطيم مابين الركن والمقام وزمزم والحجر .(١)

وقال الشوكاني : وقال مالك في المدونة : الحطيم مابين الباب الى المقام . وقال ابن حبيب : هو مابين الحجر الاسود الى الباب الى المقام وقيل : هو الشاذوران . وقيل : هو الحجر الاسود، كما يشعر به سياق هذا الحديث (اى حديث عبد الرحمن بن صفوان المذكور) .

وفي كتب الحنفية : ان الحطيم، هو الموضع الذى فيه الميزاب .(٢)

وحديث ابن عباس المذكور في الباب يؤيد قول الاحناف . يقول الحافظ ابن حجر حين شرح حديث الباب، يقول : وحديث ابن عباس حجة في

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٢٧٨، ٢٧٩) .

(٢) نيل الاوطار (٥ : ٩٨) .

ر. اكثر هذه الاقوال ، وكما يؤيدهم حديث المعراج . يقول الامام البخارى باب المعراج قال حدثنا هدبة بن خالد : حدثنا همام بن يحيى : حدثنا قتادة عن انس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى ، قال : بينما انا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا اذ اتانى آت ... الحديث

يقول الحافظ ابن حجر : قوله فى الحطيم وربما قال فى الحجر ، هو شك من قتادة كما بينه احمد عن عفان عن همام ، ولفظه : بينما انا نائم فى الحطيم . وربما قال قتادة فى الحجر ، والمراد بالحطيم هنا الحجر . وابعد من قال : المراد به مابين الركن والمقام او بين زمزم والحجر .(١)

فتبين من هذه الادلة ان الحطيم هو الحجر ، ولاجل ذلك كره ابن عباس تسميته بالحطيم ، لانه من اسماء الجاهلية ويذكر ايامها ، ولذلك اورد البخارى فى باب ايام الجاهلية وكانت فيه اصنام قريش .

وجه تسميته .

سبب تسميته بذلك بينه ابن عباس رضى الله عنه فى حديثه وهو قوله ولا تقولوا الحطيم فان الرجل فى الجاهلية كان يحلف فيلقى سوطه او نعله او قوسه .

يقول الحافظ ابن حجر فى شرحه : والمعنى انهم كانوا اذا حالف بعضهم بعضا القى الحليف فى الحجر نعلا او سوطا او قوسا او عصا علامة

---

(١) فتح (٨ : ٢٠٠ - ٢٠٢) .

لقصد حلفهم ، فسموه الحطيم لذلك لكونه يحطم امتعتهم وهو فعيل بمعنى فاعل . ويحتمل ان يكون ذلك كان شأنهم اذا ارادوا ان يحلفوا على نفي شيء .

وقيل : انما سمى الحطيم لان بعضهم كان اذا دعا على من ظلمه في ذلك الموضع هلك . وقال ابن الكلبى : سمى الحجر حطيما لما تحجر عليه او لانه قصر به من ارتفاع البيت واخرج عنه . فعلى هذا فعيل بمعنى مفعول او لان الناس يحطم فيه بعضهم بعضا من الزحام عند الدعاء فيه[1] .

وقال المحب الطبرى : وقد قيل : الحطيم هو الشاذروان سمى به لان البيت رفع وترك هو محطوما . فيكون فعيلا بمعنى مفعول . وقيل : لان العرب كانت تطرح فيه ماطافت فيه من الثياب، فتبقى حتى تتحطم بطول الزمان فيكون فعيلا بمعنى فاعل .

ثم يقول : وذكر المنذرى فى تسميته حطيما ماتقدم من المعنيين في الشاذروان ، قال : وقيل : لانحطام الناس عنده ومزاحمتهم عليه للدعاء .

وقيل : بل كان يحطم الكاذب فى حلفه . وعن ابن جريج : وسمى هذا الموضع حطيما لان الناس كانوا يحطمون هنالك بالايمان ، ويستجاب فيه الدعاء للمظلوم على الظالم . فقل من دعا هنالك على ظالم الا هلك . وقل من حلف هنالك آثما الا عجلت له العقوبة . وكان ذلك يحجز بين الناس عن المظالم ، ويتهيب الناس الايمان هنالك . فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الله

---

(١) فتح (١٥٩:٨) .

بالاسلام فاخر الله ذلك لما اراد الى يوم القيامة [١].

ويقول القاضي عياض : ومنه سمي الحطيم بمكة لانحطام الناس عنده وتزاحمهم للدعاء والحلف عنده . وقيل : بل كان يحطم الكاذب في حلفه [٢].

وقال ياقوت الحموي : بل كانت الجاهلية تتحالف هنالك بالايمان ، فمن دعا على ظالم او حلف آثما عجلت عقوبته . وقال ابو زيد : فعلى هذا الحطيم الجدار من الكعبة والفضاء الذي بين الباب والمقام . وعلى هذا اتفقت الاقاويل والروايات [٣].

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٢٧٥) .

(٢) مشارق الانوار مع صحاح الاثار (١ : ١٩٢) ، ابو الفضل عياض بن موسى .

(٣) معجم البلدان (٥ : ١٩٠) .

الفصل السابع
فى بيان الحجر الاسود وفضلـه

عقد الامام البخارى بابا فى صحيحه بقوله "باب ماذكر فى الحجـر الاسود" ثم روى بسنده فقال : حدثنا محمد بن كثير : اخبرنا سفيان عـن الاعمش عن ابراهيم عن عابس بن ربيعة عن عمر رضى الله عنه انه جـاء الـى الحجر الاسود فقبله فقال : انى اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع، ولـولا انـى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك[1] .

عـ وروى من طريق نافع عن ابن عمر : ان عمر قبل الحجر، وقال : انـى لا قبلك وانى لاعلم انك حجر، ولكنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك[2] . وروى هذا الحديث بطرق والفاظ مختلفة .

وكفى به شرفا وفضلا عندما ركبه الخليل فى هذا الركن من البيت وقبلـه الخليل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند طوافه والمؤمنون بعـده اقتداء بـه .

يقول الحافظ ابن حجر : اورد فيه حديث عمر فى تقبيل الحجر وقولـه لا تضر ولا تنفع كأنه لم يثبت عنده فيه على شرطه بشىء غير ذلك . وقد وردت فيـه احاديث، منها :

---

(١) فتح (٤ : ٢٠٧) .

(٢) مسلم (٩ : ١٦) .

عـ وروى الامام مسلم فى صحيحه من طريق سالم عن أبيه قال : قبل عمر بن الخطاب الحجر، ثم قال : أمَ والله لقد علمت أنك حجر، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا : ان الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضآء مابين المشرق والمغرب . اخرجه احمد والترمذى وصححه ابن حبان . وفى اسناده رجى ابو يحيى وهو ضعيف . قال الترمذى : حديث غريب . ويروى عنه موقوفا . وقال ابن ابى حاتم عن ابيه وقفه اشبه . ورفعه ليس بقوى .

وروى عنه الامام البيهقى فى سننه بلفظ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ، طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءتا مابين المشرق والمغرب[1] .

ونقل عنه الامام النووى فى كتابه المجموع[2] وقال رواه الترمذى وغيره ورواه البيهقى باسناد صحيح على شرط مسلم . ونقله المحب الطبرى فى القرى لقاصد ام القرى[4] .

قال الحافظ : ومنها حديث ابن عباس مرفوعا : نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم . اخرجه الترمذى وصححه . وفيه عطاء بن السائب وهو صدوق ، لكنه اختلط . وجرير ممن سمع منه بعد اختلاطه . لكن له طريق اخرى فى صحيح ابن خزيمة فيقوى بها .

وقد رواه النسائى من طريق حماد بن سلمة عن عطاء مختصرا . ولفظه الحجر الاسود من الجنة . وحماد ممن سمع من عطاء قبل الاختلاط.

---

(١) انظر الترمذى (٤ : ٩٨) ، والنسائى (٥ : ٢٢٦) .

(٢) السنن الكبرى (٥ : ٧٥) .

(٣) (٨ : ٤١) .

(٤) (ص ٢٥٨) .

ورواه النووى فى المجموع وقال : رواه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح . ونقله المحب الطبرى فى القرى .

قال الحافظ : وفى صحيح ابن خزيمة ايضا عن ابن عباس مرفوعا : ان لهذا الحجر لسانا وشفتين يشهدان لمن استلمه يوم القيامة بحق . وصححه ايضا ابن حبان والحاكم وله شاهد من حديث انس عند الحاكم ايضا[١].

اقول : وقال الحاكم فى مستدركه بعد ايراد حديث ابن عباس : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبى صحيح . وقال الحاكم : وله شاهد صحيح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يأتى الركن يوم القيامة اعظم من ابى قبيس له لسان وشفتان يتكلم عمن استلمه بالنية ، وهو يمين الله التى يصافح بها خلقه . قال الذهبى : عبد الله بن المؤمل واه[٢].

ورواه البيهقى فى سننه الكبرى من طريق سعيد بن جبير عنه بلفظ : قال النبى صلى الله عليه وسلم : ليبعثن الله الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق ... وقال بعضهم فى الحديث لمن استلمه بحق[٣]. وقال النووى فى المجموع : رواه البيهقى باسناد صحيح على شرط مسلم .

---

(١) فتح (٤ : ٢٠٧ - ٢٠٨) .
(٢) المستدرك للحاكم (١ : ٤٥٧) .
(٣) السنن الكبرى (٥ : ٧٥) .

ورواه المحب الطبرى فى القرى عن احمد . الى قوله له لسان وشفتان فقط .

وروى الامام البيهقى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الركن والمقام من ياقوت الجنة ولولا ما مسهما من خطايا بنى آدم لاضاآ مابين المشرق والمغرب، وما مسهما من ذى عاهة ولا سقيم الا شفى . ورواه عنه ايضا فى دلائل النبوة (١) .

وروى عنه الامام النووى فى المجموع وقال : واسنادها صحيح .

وروى عنه البيهقى ايضا من طريق عطاء يرفعه، قال : لولا ما مسه من انجاس الجاهلية، ما مسه ذو عاهة الا شفى، وما على الارض شىء من الجنة غيره . رواه النووى فى المجموع وقال : اسنادها صحيح .

وعن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحجر الاسود من حجارة الجنة . وسكت عنه البيهقى (٢) .

وروى النووى عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : استمتعوا من هذا الحجر الاسود قبل ان يرفع فانه خرج من الجنة وانه لا ينبغى لشىء يخرج من الجنة الا رجع اليها قبل يوم القيامة . وقال : رواه القاسم الطبرانى (٣) .

وروى نور الدين الهيثمى عن عبد الله بن عمرو قال : نزل الركن الاسود من السماء فوضع على ابى قبيس كأنه مهاة بيضاء فمكث اربعين سنة ثم وضع على

---

(١) دلائل النبوة (١ : ٣٢٦) .

(٢) السنن الكبرى (٥ : ٧٥) .

(٣) المجموع (٨ : ٤٢) .

قواعد ابراهيم . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات[(١)] .

وروى عنه قال : نزل جبريل عليه السلام بهذا الحجر من الجنـــة فتمتعوا به فانكم لا تزالون بخير ما دام بين اظهركم . فانه يوشك ان يأتـــى فيرجع به من حيث جاء به . وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

وعنه : يأتي الحجر الاسود يوم القيامة اعظم من ابي قبيس له لســـان وشفتان . رواه احمد والطبراني في الاوسط وزاد : يشهد لمن استلمه بالحـق وهو يمين الله عز وجل يصافح بها خلقه .

قال : وفيه عبد الله بن المؤمل ، وثقه ابن حبان وقال يخطىء وفيـــه كلام . وبقية رجاله رجال الصحيح[(٢)] .

وروى المحب الطبري عن عبد الله بن عمرو قال : الحجر الاسود مـــن حجارة الجنة ، ولولا ما تعلق به من الايدي الفاجرة ما مسه اكمه ولا ابرص ولا ذو داء الا برأ . وقال اخرجه سعيد بن منصور[(٣)] .

وقال الحافظ ابن حجر : وفي حديث ابي جهم : ذهب اسماعيـــل الى الوادي يطلب حجرا فنزل جبريل بالحجر الاسود وقد كان رفع الى السماء حين غرقت الارض فلما جاء اسماعيل ورأى الحجر الاسود قال له : من ايـــن هذا ؟ من جاءك به ؟ قال ابراهيم : من لم يكلني اليك والى حجرك[(٤)] .

---

(١) انظر المجموع (ص ٤١ ، ٤٢) ، القرى (ص ٢٥٥ - ٢٥٨) .

(٢) مجمع الزوائد (٣ : ٢٤٢) .

(٣) القرى لقاصد ام القرى (ص ٢٥٩) .

(٤) فتح (٧ : ٢١٦) .

وقال : قوله اى عمر : لا تضر ولا تنفع اى الا باذن الله . وقد روى الحاكم من حديث ابى سعيد ان عمر لما قال هذا ، قال له على بن ابى طالب انه يضر وينفع ، وذكر ان الله لما اخذ المواثيق على ولد آدم كتب ذلك فى رق والقمه الحجر . قال : وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى يوم القيامة بالحجر وله لسان زلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد . وفى اسناده ابو هارون العبدى وهو ضعيف جداً[1] . (وقال الذهبى : هو ساقط) .

السبب فى اسوداد الحجر الاسود .

قد مر آنفا انه كان لامعا وانما سوده لمس ايدى مشركة وفاجرة ولذلك فقد خاصيته فى شفاء ذوى السقام .

يقول الحافظ ابن حجر : اعترض بعض الملحدين على الحديث الماضى فقال : كيف سودته خطايا المشركين ولم تبيضه طاعات اهل التوحيد ؟ واجيب بما قال ابن قتيبة : لو شاء الله لكان ذلك . وانما اجرى الله العادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ على العكس من البياض .

وقال المحب الطبرى : فى بقائه اسود عبرة لمن له بصيرة ، فان الخطايا اذا اثرت فى الحجر الصلد فتأثيرها فى القلب اشد . قال : روى عن ابن عباس انما غيره بالسواد لئلا ينظر اهل الدنيا الى زينة الجنة فان ثبت فهذا هو الجواب .

---

(١) فتح (٤ : ٢٠٧ - ٢٠٨) .

قلت (ابن حجر) : اخرجه الحميدى فى فضائل مكة باسناد ضعيـــف والله اعلـــم .[١]

وقال السهيلى : وانتبه من ههنا الى الحكمة فى ان سودته خطايـــا بنى آدم دون غيره من حجارة الكعبة واستارها ، وذلك ان العهد الذى فيـــه هى الفطرة التى فطر الناس عليها من توحيد الله ، فكل مولود يولد علـــى تلك الفطرة وعلى ذلك الميثاق . فلولا ان ابويه يهودانه وينصرانه ويمجسانـــه حـــتى يسود قلبه بالشرك لما حال عن العهد فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق ، وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهـــــد والميثاق فتناسبا فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ماكان ولد عليه مـــن ذلك العهد . واسود الحجر بعد ابيضاضه ، وكانت الخطايا سببا فى ذلـــك حكمة من الله سبحانه .[٢]

فقد شبه رحمه الله اسوداد الحجر الاسود باسوداد قلب بنى آدم ، لاقتراف الذنوب والمعاصى . فناسب كل منهما بالاخر .

حكمـــة :

قول امير المؤمنين عمر رضى الله عنه للحجر الاسود ـ حين قبله ـ انـــك حجر لا تضع ولا تنفع .

يقول الامام النووى حين فسر هذا الحديث : فاراد به بيان الحث على

---

(١) فتح (٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩) .

(٢) الروض الانف (١ : ١٢٩) .

الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى تقبيله ونبه على انه لولا الاقتداء به لما فعله . وانما قال : وانك لا تضر ولا تنفع،لئلا يغتر بعض قريبى العهد بالاسلام الذين كانوا الفوا عبادة الاحجار وتعظيمها ورجاء نفعها وخوف الضرر بالتقصير فى تعظيمها وكان العهد قريبا بذلك فخاف عمر رضى الله عنه ان يراه بعضهم يقبله ويعتنى به فيشتبه عليه،فبين انه لا يضر ولا ينفع بذاته وان كان امتثال ماشرع فيه ينفع بالجزاء والثواب فمعناه انه لا قدرة له على نفع ولا ضر وانه حجر مخلوق كباقى المخلوقات التى لا تضر ولا تنفع . واشاع عمر هذا فى الموسم ليشهد فى البلدان ويحفظه عنه اهل الموسم المختلفوا الاوطان . والله اعلم.(1)

ويقول الحافظ ابن حجر : قال الطبرى : انما قال ذلك عمر،لان الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الاصنام فخشى عمر ان يظن الجهال ان استلام الحجر من باب تعظيم بعض الاحجار،كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية فاراد عمر ان يعلم الناس ان استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم،لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقد فى الاوثان .

وقال المهلب : حديث عمر هذا يرد على من قال : ان الحجر يمين الله فى الارض يصافح بها عباده،ومعاذ الله ان يكون لله جارحة،وانما شرع تقبيله اختبارا ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع وذلك شبيه بقصة ابليس حيث امر بالسجود لآدم .

---

(1) مسلم (٩ : ١٦،١٧) .

وقال الخطابي : معنى انه يمين الله في الارض،ان من صافحه في الارض كان له عند الله عهد . وجرت العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والاختصاص به فخاطبهم بما يعهدونه .

وقال المحب الطبري : معناه ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ،فلما كان الحاج اول مايقدم يسن له تقبيله نزل منزلة يمين الملك ،ولله المثل الاعلى .

وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في امور الدين ،وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه . وفيه دفع ماوقع لبعض الجهال من ان في الحجر الاسود خاصة ترجع الى ذاته . وفيه بيان السنن بالقول والفعل . وان الامام اذا خشي على احد من فعله فساد اعتقاده ان يبادر الى بيان الامر ويوضح ذلك[1] .

اقول : ان المتأمل في افعال الحج من تقبيل الحجر الاسود والسعي بين الصفا والمروة ،ورمي الجمرات حتى الوقوف في عرفات ليجد بأن كلها اتباع ولم يكشف له اية حكمة في ذلك . وان ام اسماعيل سعت بين الصفا والمروة طلبا للغوث وفرارا من المنظر السوء الذي لحق بوحيدها وهو رضيع وان الشيطان عرض للخليل عليه السلام عند الجمرات فرماه بسبع حصيات وهذه وقائع فردية خاصة وقد مضت في غابر الزمان ومع ذلك جعلها الله

---

(١) فتح (٤ : ٢٠٨) .

عبادة ونسكا فى الحياة ولو مرة واحدة . فالحج مشاعر لذكر الله واحياء مواقف الخليل عليه السلام واهله فانه وقف فيها ودعا وقد امرنا باتباع ملته عليه السلام .

كما يشير الى ذلك ابن تيمية بقوله : فان (الرمل) صار من سنة الحج فانه فعل اولا لمقصود الجهاد ، ثم شرع نسكا . كما روى فى سعى هاجر وفى رمى الجمار وفى ذبح الكبش . . انه فعل اولا لمقصود ثم شرعه الله نسكا وعبادة.[1]

قال : وكان لابراهيم ولآل ابراهيم من محبة الله وعبادته والايمان به وطاعته مالم يكن لغيرهم فخصهم الله بأن جعل لبيته الذى بنوه له خصائص لا توجد لغيره . وجعل ماجعله من افعالهم قدوة للناس وعبادة يتبعونهم فيها .

قال : ولا ريب ان الله شرع لابراهيم السعى ورمى الجمار والوقوف بعرفات بعد ماكان من امر هاجر واسماعيل وقصة الذبح وغير ذلك ماكان ، كما شرع لمحمد الرمل فى الطواف حيث امر ان ينادى فى الناس بحج البيت.[2]

وكما يشير اليه تلميذه الشيخ ابن القيم حيث يقول : كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيرا لشأن اسماعيل وامه ، واقامة لذكر الله قال : وليرى عباده جبره بعد الكسر ، ولطفه بعد الشدة وان عاقبة صبرها جر

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (١٧ : ٤٨١ ، ٤٨٢) .

(٢) فتاوى شيخ الاسلام (١٧ : ٤٨٣) .

وابنها على البعد والوحدة، والغربة والتسليم الى ذبح الولد آلت الــــى ما آلت اليه من جعل آثارهما ومواطئ اقدامهما مناسك لعبادة المؤمنــــين ومتعبدات لهم الى يوم القيامة . وهذه سنته تعالى وذلك فضل الله يؤتيــه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [١].

الحوادث التى وقعت به

يقول الشيخ حسين باسلامة نقلا عن تقى الفاسى عن ابن اسحاق بـــأن عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى اخـــذوا الى الكعبة والحجر الاســـود فدفنهما فى زمزم . وانطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن بعد ما استباحوا البيت .

وهناك خبر يقول بانهم دفنوه باسفل مكة . ولكن هذا لا يؤيده الفاكهى وغيره . بل ذلك ينطبق على ابى اياد بن نزار اخرجتهم خزاعة فدفنوه با سفل مكة فابصرته امرأة من خزاعة، فاعادوه الى مكانه .

قال : هذا ماكان من خبر الحجر الاسود من عهد ابراهيم عليه السلام الى عهد قصى بن كلاب . وما وقع عليه من جرهم وخزاعة فى زمن الجاهلية . ولـم يعثر على الحجر الاسود نقل او تغييب من عهد قصى الى بناء عبد الله بــن الزبير رضى الله عنهما الكعبة المعظمة [٢].

واما ماكان من الحوادث التى وقعت عليه من عهد عبد الله بن الزبير الى العمارة الاخيرة التى حصلت فى عصر السلطان مراد خان سنة ١٠٤٠هـ ثـم الى العصر الحاضر فسنعرض لها الان :

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد (١ : ٣٠ - ٣٦) .
(٢) (ص ١٥٠) ملخصا . تاريخ الكعبة المعظمة

قال نقلا عن الازرقى بأن عبد الله بن الزبير اول من ربط الركن الاسود بالفضة لما اصابه من الحريق الذى وقع بالكعبة فتصدع الحجر اثر هذا الحريق بثلاث فرق . فانفضت منه شظية كانت عند بعض آل بنى شيبة بعد ذلك بدهر طويل . فشده ابن الزبير بالفضة الا تلك الشظية من اعلاه بين موضعها من اعلى الركن .

وفى رواية له : ثم كانت الفضة قد تزلزلت ونزمت وتخلخلت حول الحجر حتى خافوا عليه ان ينقض . فلما اعتمر هارون الرشيد وجاور فى سنة ١٨٩ هـ امر بالحجارة التى بينها الحجر الاسود ان تنقب بالماس، فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ، ثم افرغ فيها الفضة ، وكان الذى عمل له ذلك ابن الطحان مولى ابن الشمعل . وهى الفضة التى هى عليه الان .

ثم قال : ونقل ذلك المؤرخون الاخرون مثل تقى الفاسى ونجم الدين بدون اى تعليق عليه .

واما حادثة القرامطة واخذهم الحجر الاسود وتغيبه عندهم نحو اثنين وعشرين سنة والفظائع التى ارتكبوها فى مكة من قتل الطائفين والعاكفين والركع السجود . فاليك تفصيلها .

قال نقلا عن شفاء الغرام : ان عدو الله ابا طاهر القرمطى وافى مكة فى سابع ذى الحجة سنة ٣١٧ هـ وفعل فيها واصحابه امورا منكرة منها إن بعضهم ضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم قلعه . وقيل قلعه جعفر بن علاج البناء بأمر ابى طاهر يوم الاثنين بعد الصلاة لاربع عشرة خلت من ذى الحجة ٣١٧هـ . وذهب الى بلاده هجر . وبقى موضعه من الكعبة خاليا يضع

الناس ايديهم فيه للتبرك الى حين رده الى موضعه من الكعبة المعظمة وذلك فى يوم الثلاثاء يوم النحر من سنة ٣٣٩ هـ على ماذكره المسبحى.[1]

وذكر انه الذى وافى به مكة سنبر بن الحسن القرمطى . وانه لما صار بفناء الكعبة ومعه امير مكة اظهر الحجر من سفط وعليه ضبة فضة قد عملت من طوله وعرضه تضبط شقوقا حدثت عليه بعد اقتلاعه واحضر جصا يشد به فوضع سنبر الحجر بيده وشده الصائغ بالجص . وقال سنبر لما رده :

اخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله . . ونظر الناس الى الحجر فتبينوه وقبلوه واستلموه وحمدوا الله .

وكان رد الحجر الاسود فى موضعه قبل حضور الناس لزيارة الكعبة يوم النحر . وكانت مدة كينونته عند القرمطى واصحابه اثنى وعشرين سنة الا اربعة ايام (قال : هذا معنى كلام المسبحى) .

وان جهودا واموالا طائلة بذلت لاجل استرجاع الحجر الاسود الى مكانه .

قال نقلا عن الفاسى : وكان يحكم التركى مدير الخلافة ببغداد بذل للقرامطة على رد الحجر الاسود خمسين الف دينار فأبوا ذلك وقالوا : اخذناه بامر ولا نرد الا بامر .

وقيل ان المطيع العباسى اشتراه بثلاثين الف دينار من القرامطة وكلام القاضى عز الدين بن جماعة صريح فى ان المطيع العباسى اشتراه بهذا

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ١٤٩ - ١٥٢) .

القدر من ابى طاهر القرمطى . قال : وفيه نظر لان ابا طاهر مات قبل خلافة المطيع فى سنة ٣٣٢هـ على ماذكره ابن الاثير وغيره .

تفصيل آخر فى هذه الحادثة المنكرة من القرامطة :

قال نقلا عن نجم الدين بن فهد القرشى فى كتابه اتحاف الورى فى حوادث سنة ٣١٧هـ فيها دخل صاحب البحرين -الاحساء- ابو طاهر سليمان بن ابى ربيعة الحسن القرمطى مكة فى تسعمائة رجل من اصحابه فدخلوا المسجد الحرام وهو سكران راكبا فرسه وبيده سيف مسلول ، فصفر لفرسه فبال عند البيت واسرف هو واصحابه فى قتل الحجاج واسرهم ونهبهم مع هتك حرمة البيت . وكان الناس يطوفون والسيوف تأخذهم فقتل فى المسجد الحرام الف وسبعمائة وقيل : ثلاثةعشر الفا من الرجال والنساء وهم متعلقون بالكعبة . وردم بهم زمزم فملأوها وفرش بهم المسجد الحرام .

وكان الناس يصيحون : تقتل جيران الله فى حرم الله ؟ فيقول : ليس بجار من خالف اوامر الله ونواهيه . ثم يتلو :انما جزاء الذين يحاربون الله . . .الاية . وصعد ابو طاهر بنفسه باب الكعبة ثم يقول : انا بالله . .وبالله انا . . يخلق الخلق ،وافنيهم انا .

ثم يتحدى الناس يقول : اين الامن ،وقد فعلت مافعلت . وقتل فى هذه الحادثة نيفا وثلاثين الفاوسبى من النساء والصبيان . فكان ممن قتل بمكة اميرها ابن محارب والحافظ ابو الفضل محمد بن الحسن الجارودى وابو سعيد احمد بن الحسين البردعى ،وابو بكر عبدالرحمن بن عبدالله الرهاوى وعلى بن بابويه الصوفى وابو جعفر محمد بن خالد نزيل مكة .

وقد اخذ ابو طاهر اموال الناس وحلى الكعبة وهتك استارها وقسمهـا بين اصحابه . ونهب دور مكة وقلع باب الكعبة وامر بقلع الميزاب وكان من الذهب الابريز . فطلع رجل من اصحابه فسقط ومات . واراد اخذ المقام فلم يظفر به لان سدنة المسجد غيبوه فى شعاب مكة . ثم عمد الى الحجر الاسود فقلعه وهو ينشد :

فلو كان هذا البيت لله ربنـا   لصب علينا النار من فوقنا صبـا

لانا حججنا حجة جاهليـة   مجللة لم تبق شرقـا ولا غربـا

وانا تركنا بين زمزم والصفـا   جنائز لا تبغى سوى ربها ربـا

وقلع القرمطى قبة زمزم ، واقام حول اصحابه بمكة احد عشر يوما ، ثم انصرف الى بلده هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد ان يجعل الحج عنده فهلك تحت الحجر اربعون جملا .

وبقى موضع الحجر من الكعبة خاليا يضع الناس فيه ايديهم للتبرك ، وكان القرمطى يخطب بمكة لعبيد الله المهدى صاحب المهدية بافريقيا ، فبلغ المهدى ذلك فكتب : العجب من كتبك الينا ممتنا علينا بما ارتكبت واجتريت باسمنا من حرم الله وجيرانه بالاماكن التى لم تزل الجاهلية تحرم الدماء فيها واهانة اهلها ثم تعديت ذلك الى ان قلعت الحجر الذى هو يمين الله فى الارض ، يصافح بها عباده ، وحملته الى ارضك ورجوت ان اشكرك على ذلك ، فلعنك الله ثم لعنك الله ثم لعنك ، والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده .

فانحرفت القرامطة عن طاعة العبيديين ، واقام الحجر بالاحساء اثنين وعشرين سنة يستميلون الناس اليهم ، ثم يئسوا وردوه .

قال نقلا عن الفاسي : بأن المسبحي ذكر انه في سنة ٣٤٠هـ قلع الحجبة الشيبي الحجر الاسود الذي نصبه سنبر القرمطي وجعلوه في الكعبة خوفا عليه ، واحبوا ان يجعلوا له طوقا من فضة يشد به كما كان قديما ، حين عمله ابن الزبير وذلك بعد حادثة ارجاعه ببضعة اشهر . فعملوا له طوقا من فضة واحكموه . وكان قدر الفضة التي طوق بها الحجر الاسود ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهما ونصف .

وهذا الطوق اخذه امير مكة آنذاك داود بن عيسى حين عزله من مكة سنة ٥٨٥ . وذكر انه قلع الحجر الاسود من محله لاجل التحلية سنة ٧٨١ هـ ، ابدلها الامير سودون باشا .

وذكر نجم الدين في حوادث سنة ٣٦٣هـ ان روميا جاء الى مكة وحاول قلع الحجر الاسود فلم يظفر بذلك ولكن تفتت الحجر لضربته حتى اخذه الناس واحرقوه بالحطب .

ونقلا عن ابن الاثير في حادثة سنة ٤١٤ بينما رجل مصري كأنه يستلم الحجر فضربه ثلاث ضربات متوالية فتخبش وجه الحجر الاسود وتساقطت منه ثلاث شظايا . وكان يقول : الى متى يعبد هذا الحجر ولا محمد ولا علي يمنعني عما افعله . فاني اريد اليوم هدم هذا البيت . ثم طارت الفتنة واخذه الناس ومن معه فاحرقوه بالنار . وكان من العبيديين . ثم ان آل شيبة اخذوا ما سقط منه وعجنوه بالمسك وحشيت الشقوق وطليت من ذلك .

قال انه جاء في منائح الكرم ، ان الشيخ محمد بن علان المكي اخبره عن شيخ الفراشين بمكة وهو محمد بن ابي بكر بن عبد الرحمن عن والده انه

فى سنة ٩٩٠هـ جاء رجل اعجمى بدبوس بيده فضرب الحجر الاسود وكان الامير ناصر جاوش حاضرا فقتل ذلك الاعجمى بخنجره ـ فاراد المجاورون بمكة ان يقتادوا منه وزعموا انه كان شريفا ،فحال بينهم وبينه القاضى حسين المالكى ومنعهم .(١)

وروى السنجارى فى تاريخه انه فى اوائل ربيع من سنة ١٠٩٧هـ جعل شيخ الحرم طوقا من فضة للحجر الاسود وله جرم ظاهر،قال : وهو الباقى الى الان .

قال : ومما هو جدير بالذكر ماوقع فى عصرنا الحاضر فى آخر شهر محرم سنة ١٣٥١هـ وذلك انه جاء رجل فارسى من بلاد الافغان فاقتلع قطعة من الحجر الاسود ،وسرق قطعة من ستارة الكعبة وقطعة فضة من مدرج الكعبة الذى هو بين زمزم باب بنى شيبة،فشعر به حرس المسجد الحرام فاعتقلوه فاعدم عقوبة له .

قال : ثم لما كان يوم ٢٨ من ربيع الثانى من سنة ١٣٥١هـ حضر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود من مصيفه بالطائف قبل توجهه الى الرياض الى المسجد الحرام وحضر معه رئيس هيئة القضاء الشرعى الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ وحضر ايضا الشيخ عبدالله الشيبى نيابة عن والده رئيس السدنة المرحوم الشيخ عبدالقادر بن على الشيبى وحضر بعض الاعيان ثم احضر مدير الشرطة العام محمد مهدى بك تلك القطعة التى اقتلعها ذلك الفارسى التعيس وعمل الاخصائيون مركبا كيماويا مضافا اليه المسك والعنبر

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ١٥٢ - ١٥٧) .

ووضع موضع تلك القطعة من الحجر الاسود للتثبيت . ثم أخذ المرحـــــوم الملك عبد العزيز تلك القطعة بيده ووضعها فى محلها تيمنا واثبتها الاخصائيون اثباتا محكما .

وقال : وهذا حاصل ما وقفت عليه من حوادث الحجر الاسود وما جرى عليه من تعمد الايدى الاثمة من قلع او تكسير .(١)

تحلية الحجر الاســـود

قد تقدم فى تاريخ الحجر الاسود ما وقع عليه من الحوادث وقد ذكرنـــا شيئا عن الفضة التى وضعت عليه اجمالا . وكان أول من طوقه بالفضة عبد اللـــه ابن الزبير رضى الله عنهما ، ثم تكرر ذلك عند اصلاحه وسنذكر الان تحليتـــه الى العصر الحاضر .

قال نقلا من تحصيل المرام : ان فى سنة ١٢٦٨ هـ بعث السلطـــان عبد المجيد خان طوقا من ذهب صحبة الشريف عبد المطلب ، وقدره الف دينـــار ثم ركب بعد ان ازيلت الفضة ومكتوب فوقه : بسم الله الرحمن الرحيم .

وفى سنة ١٢٨٠ هـ تكسر بعض الذهب من الطوق ولم يعلم من اخـــذه ثم حشى مكانه لك أسود .

قال : ولم يعلم ان الحجر الاسود قد طوق بالذهب غير هذه المـــرة وكان فى غاية الاتقان من التنقيش .

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ١٥٨) مختصرا .

واخرج الاول اى الفضة وارسل الى الاستانة، واصل هذا الذهب من كنز وجد بمكة فى شعب اجياد .

قال نقلا من تحصيل المرام : انه فى سنة ١٢٨١هـ ارسل السلطان عبدالعزيز خان طوقا من فضة وكان وصوله الى مكة فى ١٤ رمضان . وابتدأوا فى قلع الطوق الاول الذى ارسله السلطان عبدالمجيد وركب الطوق الذى ارسله السلطان عبدالعزيز خان يوم ١٥ رمضان فى السنة المذكورة وامير مكة حينئذ الشريف عبدالله بن محمد بن عون وشيخ الحرم الحاج وجهى باشا .

وانه حصل اصلاح فى الحجر الاسود فى عهد السلطان عبدالحميد خان ابن السلطان عبدالمجيد خان وفى عام ١٣٣١هـ غيرت الفضة المحلى بها الحجر الاسود وذلك فى زمن السلطان محمد رشاد خان بن السلطان عبد المجيد خان ، وهذه الحلية هى التى عليه الى العصر الحاضر .

ثم قال : هذا ماوقفت عليه من امر تحلية الحجر الاسود[1] .

واثناء طباعة هذه الرسالة فى شهر رمضان المبارك جدد وغير طوق الحجر الاسود بمركب من المعادن مموه بالفضة يتلألأ . وهو اقوى واغلظ من السابق ومكتوب على دائرته : جدد فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٩٩هـ .

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ١٩٤ ١٩٥) .

الفصل الثامـــن

فى بيان : باب الكعبــــة

قال الشيخ حسين باسلامة : اختلف الرواة فى اول من عمل للكعبــــة المعظمة بابا . فقيل : اول من جعل لها بابا انوش بن شيت بن آدم علـــى قول انها كانت مبنية بالحجر فى زمن شيت . وهذا القول ذكره الفاسى نقلا عــن الزبير بن بكار والسهيلى فى روض الانف . وهو من الامور البعيدة التى يتعذر اثباتها مالم تأت عن نبى معصوم او كتاب منزل .

والقول الثانى : ان جرهما لما بنت البيت المعظم جعلوا لها مصراعين وقفلا ، ذكره الفاسى .

والقول الثالث : ان اول من وضع بابا على الكعبة المعظمة تبع الثالـــث احد ملوك اليمن المتقدمين على البعثة النبوية بزمن بعيد .

وهذا القول رواه ابن هشام فى سيرته عن ابن اسحاق المطلبى ، ورواه الازرقى فى تاريخ مكة . فاما رواية ابن اسحاق فقال فى حديث طويل - وكـــان تبع فيما زعموا اول من كسا البيت واوصى به ولا ة من جرهم ، وامرهم بتطهـــيره وجعل له بابا ومفتاحا .

واما رواية الازرقى فهى عن ابن جريج قال : كان تبع اول من كســـى الكعبة كسوة كاملة وجعل لها بابا يغلق . ولم يكن يغلق قبل ذلك . وقال تبع شعرا منه هذا البيت :

واقمنا به من الشهر عشـــرا   وجعلنا لبابه اقليـــدا

هذا ماكان قبل عمارة قريش له . ولما عمرته قريش جعلت له بابا بمصراعين

قال ابن فهد ان الباب الذى كان على الكعبة قبل بناء ابن الزبير بمصراعين طوله احد عشر ذراعا من الارض الى منتهى اعلاه . وقال الازرقى : وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعا واحدا فجعل له ابن الزبير مصراعين (١) .

قال ابن جريج : وكان الباب الذى عمله ابن الزبير احد عشر ذراعا فلما كان الحجاج عمل لها بابا طوله ستة اذرع وشبر . انتهى ، وذلك ان الحجاج رفع باب الكعبة عما كان عليه فى زمن ابن الزبير كما سبق بيانه ولذلك صار طول الباب الذى عمله على قدر الفتحة .

قال ابن فهد القرشى فى حوادث سنة ٩٤ ١هـ وفيها ارسل الخليفة الامين محمد بن هارون الرشيد العباسى الى سالم بن الجراح ، وهو احد عماله على صوافى مكة بثمانية عشر الف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على باب الكعبة فقلع ماكان على الباب من الصفائح وزاد عليها من الثمانية عشر الف دينار ، فضرب عليه الصفائح والمسامير وحلقتى باب الكعبة وعلى الغياريز والعتب .

وقال الازرقى يصف باب الكعبة المذكور ، لانه هو الذى بقى الى عصره بدون تغيير او تبديل : وذرع طول باب الكعبة فى السماء ستة اذرع وعشرة اصابع وعرض مابين جداريه ثلاثة اذرع وثمانية عشر اصبعا . والجدران وعتبة الباب العليا وتجاف الباب طبس صفايح ذهب منقوش، وفى جدار عضادتى الباب اربع عشرة حلقة من حديد مموهة بالفضة متفرقة فى كل جدار سبع حلق يشد بها جوف الباب من استار الكعبة (٢) .

---

(١) اخبار مكة (١ : ٢٠٩) .

(٢) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ١٨٤ ، ١٨٥) .

الفصل التاسع

في بيان : ميزاب الكعبة

اول من وضع ميزابا للكعبة قريش حين بنتها سنة ٣٥ من ولادة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كانت قبل ذلك بلا سقف . كما تقدم تفصيله . ثم لما بناها عبدالله بن الزبير رضى الله عنه وضع لها ميزابا وجعل مصبه على حجر اسماعيل كما فعلت قريش .

ثم لما انقص الحجاج منها مازاده فيها عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما على بناء قريش حسب قواعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم وضع الميزاب في موضعه من الجهة الشمالية، وجعل مصبه على حجر اسماعيل عليه السلام كما كان سابقا . وكل ذلك تقدم ذكره وتفصيله في عمارة الكعبة المعظمة .

وقال القرشي : عمل الشريف رميثه صاحب مكة ميزابا .

ذرع الميزاب :

قال الازرقي : ذرع طول الميزاب اربعة اذرع، وسعته ثمانية اصابع في ارتفاع مثلها .

تحلية الميزاب :

قال الازرقي : والميزاب ملبس صفائح ذهب داخله وخارجه . وكان الذي جعل عليه الذهب الوليد بن عبد الملك .

وجاء في درر الفوائد : ان اول من حلى الميزاب بالذهب الوليد بن عبد الملك . ومن ذلك ميزاب عمله رامشت وصل به خادمه مثقال في سنة ٥٣٩ هـ .

وقال نجم الدين بن فهد في حوادث سنة ٥٣٧هـ وصل ابو القاسم ابراهيم المعروف براشت بن الحسين الفارسي صاحب الرباط المشهور بمكة الى مكة، ووصل خادمه مثقال ومعه ميزاب الكعبة الشريفة، كان عمله مولاه راشت وركب بالكعبة الشريفة في سنة ٥٣٩هـ .

تغيير وتبديل في الميزاب :

وقد وقع تغيير وتبديل في ميزاب الكعبة وذلك لسببين :

احدهما : كان اذا اعتراه خراب عمل غيره .

والثاني : كان بعض الملوك او الاغنياء من عظماء المسلمين يهدى للكعبة المشرفة ميزابا فيركب فيها وينزع الذى قبله .

ومن ذلك ميزاب عمله امير المؤمنين المقتفي العباسي وركب في الكعبة بعد ان قلع ميزاب رامشت وذلك في سنة ٥٤١ او التي بعدها ،كما ذكره تقي الفاسي ونجم الدين بن فهد .

وميزاب عمله الناصر العباسي واسمه مكتوب فيه وهو من خشب مبطن برصاص في الموضع الذى يجرى فيه الماء ،وظاهره فيما يبدو للناس محلى بفضة . وذكر ابن فهد ان الامير سودون باشا عمر الميزاب من ضمن العمارة التي اجراها في عموم الحرم عام ٧٨١هـ .

وجاء في تحصيل المرام ان هذا الميزاب قلع في سنة ٩٥٩هـ وعمل على صفته ميزاب حلي بالفضة وطلي بالذهب بامر من السلطان سليمان ،وركب في الكعبة المشرفة في موسم السنة المذكورة ،وامر بنقل الميزاب القديم الى خزانة الروم ،فتعرض له بنو شيبة فاعطوا مقابل ذلك وزنه فضة من بندر جدة ـ وذلك

بحسب تخمين نائب جدة والقاضى بمكة ـ الفان وثمانمائة درهم فضة . ومن ذلك ميزاب عمله السلطان احمد خان .

قال الطبرى المكى فى " ارج المسكى " وفى سنة ١٠٢٠هـ ورد من الابواب السلطانية حسن اغا المعمار ومعه ميزاب للكعبة ونطاق من فضة مطلى بالذهب يشد به البيت الشريف ، وذلك لما انهى للسلطان تصدع فى جدار البيت الشريف من سيل دخل الحرم . وصحيفة توضع على وجه الباب الشريف من ذهب مكتوب عليها قوله تعالى " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا " ، وصفايح مطلية بالذهب لاعلى الحجر وغير ذلك .

قال فى تحصيل المرام : ومن ذلك ميزاب عمله السلطان احمد خان فى سنة ١٠٩١ هـ على ماهو مكتوب فى حجر ابيض فى الشاذروان على يمين الحفرة التى بجانب الباب مكتوب فيه : امر بتجديد سقف الكعبة وميزاب الرحمة السلطان احمد خان فى سنة الف واحدى وتسعين .

والظاهر انه وقع غلط فى التاريخ حيث ان الذى كتب على الحجر الابيض المذكور ان عمل الميزاب المنوه عنه هنا هو فى سنة ١٠٢١هـ لا فى سنة ١٠٩١هـ .

ومن ذلك ميزاب عمله السلطان عبدالمجيد خان بن السلطان محمود خان عمله فى القسطنطينية ثم جىء به صحبة الحاج رضا باشا وركب سنة ١٢٧٦ ووالى مكة يومئذ الشريف عبدالله بن محمد بن عون . ثم حمل الميزاب القديم فى العام القابل الى الابواب العالية . والميزاب الجديد مصفح بالذهب نحو خمسين رطلا ـ بحسب التخمين ـ والله اعلم . ا.هـ

قال : وهذا الميزاب هو الموجود في الكعبة الى العصر الحاضـــــــر حيث لم يحدثنا التاريخ انه وضع ميزاب بعد هذا الميزاب . والله اعلم .

هذا ما وقفت عليه من امر الميزاب . ا . هـ (بحروفه)[1]

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ١٨٣) .

الفصل العاشر

فى بيان الشاذروان

بفتح الذال المعجمة ، وهو الخارج عن عرض جدار البيت مرتفعا عن وجه الارض قدر ثلثى ذراع تركته قريش لضيق النفقة . فلو كان فى الطواف ومس جدار البيت فى موازاة الشاذروان لا يصح على الاصح ، لان بعض بدنه فى البيت . والصحيح من مذهب الحنابلة لا يجزئه وقطعوا به .

وعند الشيخ تقى الدين ابن تيمية : انه ليس من الكعبة . فعلى الاول لو مس الجدار بيده فى موازاة الشاذروان صح لان معظمه خارج البيت . قال فى الرعاية الكبرى لكن قال المرداوى ويحتمل عدم الصحة .

وقال الحنفية يصح طواف من لم يحترز منه . لكن قال العلامة ابن الهمام وينبغى ان يكون طوافه وراء الشاذروان لئلا يكون طوافه فى البيت بناء على انه منه . وقال الكرمانى بن الحنفية الشاذروان ليس من البيت عندنا وعند الشافعى منه حتى لا يجوز الطواف عليه . والقول قولنا لان الظاهر ان البيت هو الجدار المرئى قائما الى اعلاه . ا.هـ

ومشهور مذهب المالكية ، كالشافعية وعبارة الشيخ بهرام : ومن واجبات الطواف ان يطوف وجميع بدنه خارج عن شاذروان البيت وهو البناء المحدود الذى فى جدار البيت واسقط من اساسه ولم يرفع على استقامته . ا.هـ

ونحوه قال الشيخ خليل فى التوضيح .

لكن نازع الخطيب ابو عبد الله بن رشيد فى رحلته فى ذلك محتجا

بما حاصله : ان لفظ الشاذوران لم يوجد فى حديث صحيح ولا سقيم ولا عن احد من السلف ولا ذكر له عن فقهاء المالكية ، الا ما وقع فى الجواهر لابن شاس وتبعه ابن الحاجب . . وهو بلا شك منقول من كتب الشافعية واقدم من ذكر ذلك منهم المزنى ومن ذكره منهم كابن الصلاح والنووى مقر بأن اليمانيين على قواعد ابراهيم والاخرين ليسا عليها . فلو كان الشاذوران من البيت لكان الركن الاسود داخلا فى البيت ولم يكن متمما على قواعد ابراهيم . فمن اين نشأ الشاذوران ؟

وقد انعقد الاجماع على ان البيت متم على قواعد ابراهيم من جهة الركنين اليمانيين ولذلك استلمها النبى صلى الله عليه وسلم دون الاخرين وان ابن الزبير لما هدمه حتى بلغ به الارض وبناه على قواعد ابراهيم انما زاد فيه من جهة الحجر واقامه على الاسس الظاهرة التى عاينها العدول من الصحابة وكبراء التابعين وان الحجاج لما نقض البيت بامر عبد الملك لم ينقضه الا من جهة الحجر خاصة وهذا امر معلوم مقطوع به مجمع عليه منقول بالسند الصحيح فى الكتب المعتمدة التى لا يشك فيها احد . وهو يرد قول ابن الصلاح : ان قريشا لما رفعوا الاساس بمقدار ثلاثة اصابع من وجه الارض وهو القدر الظاهر الان من الشاذوران الاصلى ، قبل تزليقه نقصوا عرض الجدار عن عرض الاساس الاول .

قال ابن رشيد : وكيف يقال ان هذا القدر الظاهر نقصته قريش عن عرض الجدار وهل بقى لبناء قريش اثر فالسهو والغلط فيما نقله ابن الصلاح مقطوع به . ولعل ابن الصلاح نقله عن التاريخيين ، والا فهذا لم يأت فى

خبر صحيح ولا روى من قول صاحب يصح سنده ولو صح لاشتهر ونقل وانما وضع هذا البناء حول البيت ليقيه السيول كما قاله ابن عبد ربه في كتاب العقد في صفة الكعبة .

وقال ابن تيمية : انه جعل عمادا للبيت وايده بان داخل الحجر تحت حائط الكعبة شاذروان ، فيكون هذا الشاذروان نظيرا لشاذروان الذى هو خارج البيت . ولم يقل احد ان هذا في الحجر له حكم الشاذروان الخارج ولانه عماد وان الخارج شاذروان .. فكون هذا الشاذروان مراعى في الطواف لادليل عليه . ومثل هذا لا يثبت الا بالاجماع الصحيح المتواتر النقل . ا.هـ

واقول قول ابن رشيد انه لم يوجد لفظ الشاذروان عن احد من السلف . ونسبة ابن الصلاح الى السهو والغلط فيما نقله من ذلك يقال عليه هذا الامام الاعظم الشافعي قد قال ذلك فيما نقله عنه البيهقي في كتابه معرفة السنن والاخبار وعبارته : قال الشافعي : فكل طواف طاف على شاذروان الكعبة او في الحجر او على جداره فكما لم يطف . قال الشافعي اما الشاذروان فاحسبه مبنيا على اساس الكعبة ، ثم يقتصر بالبنيان عن استيطافه .[1]

ولا ريب ان الشافعي من اجل السلف . ثم انه لا يلزم من كونه عليه الصلاة والسلام كان يستلم الركنين اليمانيين عدم وجود الشاذروان ووجوده ليس مانعا من استلامهما لصدق القول بانهما على القواعد . وليس فيما

---

(١) قسطلانى (٣ : ١٤٦ ، ١٥٠) .

نقله ابن رشيد تصريح بأن ابن الزبير وضع البناء على اساس ابراهيم عليه السلام بحيث لم يبق شيئا مما يسمى شاذوران ولا وقفت على ذلك في شيء من الروايات فيحتمل ان يكون الامر كذلك . وان يكون على حد بناء قريش فابقى ماقيل انهم ابقوه . واذا احتمل الامر واحتمل سقط الاستدلال به .

نعم هدم ابن الزبير لجميع البيت الظاهر منه انما كان ليعيده على القواعد بحيث لم يترك شيئا منها خارجا عن الجدار من جميع جوانبه والا فلو كان غرضه اعادة مانقصته قريش من جهة الحجر فقط لاكتفى بهدم ذلك . فهدمه لجميعه واعادته لابد وان يكون لغرض صحيح وليس ثم سوى اعادته على بناء الخليل من غير ان يترك منه شيئا .

لكن روى مسلم في صحيحه عن عطاء قال لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية قال ابن الزبير : يا ايها الناس اشيروا على في الكعبة انقضها ثم ابني بناءها او اصلح ماوهى منها . قال ابن عباس : انى ارى ان تصلح ماوهى منها وتدع بيتا اسلم الناس عليه واحجارا اسلم الناس عليها وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم . فقال ابن الزبير : لو ان احدكم احترق بيته مارضي حتى يجدده فكيف ببيت ربكم ؟ انى مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على امر فلما مضى الثلاث اجمع رأيه على ان ينقضها . الحديث .

فلم يقل : انى اريد اعادته على قواعد ابراهيم . بل قال جوابا لابن عباس حيث قال : انى ارى ان تصلح ماوهى لو ان احدكم احترق بيته مارضي حتى يجدده ، ففيه مع ماقبله اشعار بان الداعي له على الهدم والبناء زيادة مانقصته قريش من البيت من جهة الحجر وماوهى بسبب الحريق . فلم يتعين

ان الهدم كان متمحضا لاعادتها كلها على القواعد بحيث لا يترك منها شيئا .

ولم ار في شيء من الاحاديث التصريح بان قريشا ابقت من الاساس مايسمى شاذوران بل السياق مشعر بالتخصيص بالحجر . فليتأمل[(١)] .

ولكن تصريح القسطلاني نفسه يدل على ان البيت نقصته القريش من عرضه ايضا كما نقصته من طوله . يقول الامام القسطلاني في عدد مرات بنائه ثم بناء قريش . . . ونقصوا من طولها ومن عرضها للضيق النفقة بهم[(٢)] .

وقال الامام النووي : والشاذوران والحجر من البيت . اما الشاذوران - فهو القدر الذي ترك من عرض الاساس خارجا عن عرض الجدار مرتفعا من وجه الارض قدر ثلثي ذراع . قال الازرقي في كتابه في تاريخ مكة طول الشاذوران في السماء ستة عشر اصبعا وعرضه ذراع، قال : والذراع : اربع وعشرون اصبعا .

قال اصحابنا وغيرهم من العلماء : هذا الشاذوران جزء من البيت نقصته قريش من اصل الجدار حين بنوا البيت[(٣)] .

ان الامر الواقع المحسوس في البناء القديم يكون اسفله عريضا بالنسبة لما اعلاه، لاجل التقوية والدوام . فالكعبة المشرفة اذا تأملها احد وجدها كما قلنا . فلعل بنيان البيت لما تحت الارض عريض - وهذا مؤكد - بالنسبة

---

(١) القسطلاني (٣: ١٤٩) .
(٢) القسطلاني (٣ : ١٤٣ - ١٤٤) .
(٣) الايضاح (ص ١١٨) .

لما فوقه . فالشاذوران هو مقدار من اصل البيت،وانما ترك لاجل تقوية البناء.

وبهذا اندفع معارضة القسطلانى على الشاذوران الذى هو بين الركنين ولان الائمة مجمعون على ان يكون الطواف بالبيت خارجا من الشاذوران . وان لم يوجد هذا الاسم فى كتب الحديث ـ فسمه انت هذا القدر من البيت بمـــــا شئت . وانما اشتهر باسم الشاذوران مؤخرا . فكم من اسماء جددت وكم منهـــا محيت . والله يحصى كل شىء عددا .

الفصل الحادى عشر

فى بيان كسوة الكعبة

ذكر من كسى الكعبة فى الجاهلية .

روى الازرقى بسنده عن همام بن منبه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن سب اسعد الحميرى هو تبع . وكان هو اول من كسى الكعبة .

وعن محمد بن اسحاق قال : بلغنى عن غير واحد من اهل العلم ان اول من كسى الكعبة كسوة كاملة تبع وهو اسعد ارى فى النوم انه يكسوها فكساها الانطاع . ثم ارى ان يكسوها فكساها الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمن . وجعل لها بابا يغلق . وقال اسعد فى ذلك :

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاءً معضدا وبرودا
واقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه اقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا

وعن ابن ابى ملكية يقول : كانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ ابو ربيعة ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وكان يختلف الى اليمن يتجر بها فاثرى فى المال . فقال لقريش : انا اكسو وحدى الكعبة سنة وجميع قريش سنة فكان يفعل ذلك حتى مات . يأتى بالحبرة الجيدة من الجند فيكسوها الكعبة ، فسمته قريش العدل ، لانه عدل فعله بفعل قريش كلها

فسموه الى اليوم العدل ، ويقال لولده بنو العدل .

ذكر كسوة الكعبة فى الاسلام .

روى الازرقى تحت هذا العنوان من ابن جريج قال : كانت الكعبة فيما مضى انما تكسى يوم عاشوراء ، اذا ذهب آخر الحاج ، حتى كانت بنو هاشم فكانوا يعلقون عليها القمص يوم التروية من الديباج لان يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا . فاذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الازار .

وعن نافع قال : كان ابن عمر يكسو بدنه اذا اراد ان يحرم القباطى والحبرة ، فاذا كان يوم عرفة البساها اياها ، فاذا كان يوم النحر نزعها ثم ارسل بها الى شيبة بن عثمان فناطها على الكعبة .

وعن اسماعيل بن ابراهيم عن ابيه قال : كسى البيت فى الجاهلية الانطاع ، ثم كساه النبى صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان القباطى ، ثم كساه الحجاج الديباج . ويقال : اول من كساه الديباج يزيد بن معاوية . ويقال : ابن الزبير ، ويقال : عبد الملك بن مروان .

وعن حبيب بن ابى ثابت قال : كسا النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة وكساها ابو بكر وعمر رضى الله عنهما .

وعن ابن ابى نجيح عن ابيه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كسا الكعبة القباطى من بيت المال . وكان يكتب فيها الى مصر تحاك له هناك ، ثم عثمان من بعده . فلما كان معاوية بن ابى سفيان كساها كسوتين كسوة عمر القباطى ، وكسوة ديباج . فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء ، وتكسى القباطى فى آخر شهر رمضان .

وروى عن جده مامعناه ان الكعبة تكسى ثلاث كسا فى عهد المأمون الديباج الاحمر يوم التروية ، والقباطى يوم هلال رجب وكسوة الديباج الابيض التى احدثها المأمون يوم سبع وعشرين من شهر رمضان (١) .

بهذه الادلة التاريخية ثبت بوضوح ان الكعبة المعظمة كانت ولا تزال موضع اعتناء من الملوك والرؤساء فى كل قرن من الزمان . وانهم بذلوا جهدا واسعا فى هذا المجال وبالغوا فيه .

عقد الامام البخارى فى صحيحه بابا بقوله (باب كسوة الكعبة) ثم روى بسنده فقال : حدثنا عبدالله بن عبدالوهاب : حدثنا خالد بن الحارث حدثنا سفيان حدثنا واصل الاحدب عن ابى وائل قال : جئت الى شيبة ح وحدثنا قبيصة : حدثنا سفيان عن واصل عن ابى وائل قال جلست مع شيبة على الكرسى فى الكعبة فقال : لقد جلس هذا المجلس عمر رضى الله عنه فقال : لقد هممت ان لا ادع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمته . قلت ان صاحبيك لم يفعلا . قال : هما المرآن اقتدى بهما .

بدء كسوة الكعبة .

يقول الحافظ ابن حجر : فصل فى معرفة بدء كسوة البيت . روى الفاكهى من طريق عبدالصمد بن معقل عن وهب بن منبه انه سمعه يقول : زعموا ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن سب اسعد ، وكان اول من كسا البيت الوصائل . ورواه الواقدى عن معمر عن همام بن منبه عن ابى هريرة مرفوعا

---

(١) اخبار مكة (١ : ٢٤٩ - ٢٥٦) . باختصار .

اخرجه الحارث بن ابى اسامة فى مسنده عنه ومن وجه آخر عن عمر موقوفا . وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال : بلغنا ان تبعا اول من كسا الكعبة الوصائل فحترتبها . وزعم بعض علمائنا ان اول من كسا الكعبة اسماعيل عليه السلام وحكى الزبير بن بكار عن بعض علمائهم ان عدنان اول من وضع انصاب الحرم واول من كسا الكعبة وكسيت فى زمنه . وحكى البلاذرى ان اول من كساها الانطاع عدنان بن اد . وروى الواقدى ايضا عن ابراهيم بن ابى ربيعة قال كسى البيت فى الجاهلية الانطاع ثم كساه رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية . ثم كساه عمر وعثمان القباطى . ثم كساه الحجاج الديباج .

وروى الفاكهى باسناد حسن عن سعيد بن المسيب قال : لما كان عام الفتح اتت امرأة تجمر الكعبة فاحترقت ثيابها وكانت كسوة المشركين ، فكساها المسلمون بعد ذلك . وقال ابو بكر بن ابى شيبة : حدثنا وكيع عن حسن هو ابن صالح عن ليث هو ابن ابى سليم قال : كانت كسوة الكعبة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم المسوح والانطاع . ليث ضعيف ، والحديث معضل وقال ابو بكر ايضا : حدثنا عبد الاعلى عن محمد بن اسحاق عن عجوز من اهل مكة قالت : اصيب ابن عفان وانا بنت اربع عشرة سنة قالت : ولقد رأيت البيت وما عليه كسوة الا ما يكسوه الناس الكساء الاحمر يطرح عليه والثوب الابيض . وقال ابن اسحاق : بلغنى ان البيت لم يكس فى عهد ابى بكر ولا عمر ، يعنى لم يجدد له كسوة .

وروى الفاكهى باسناد صحيح عن ابن عمر انه كان يكسو بدنه القباطى والحبرات يوم يقلدها فاذا كان يوم النحر نزعها ثم ارسل بها الى شيبة بن

عثمان فناطها على الكعبة . وزاد فى رواية صحيحة ايضا : فلما كست الامراء الكعبة جللها القباطى ،ثم تصدق بها . وهذا يدل على ان الامر كان مطلقا للناس،ويؤيده ماروواه عبد الرزاق عن معمر عن علقمة بن ابى علقمة عن امه قالت : سألت عائشة انكسو الكعبة ؟ قالت : الامراء يكفونكم . وروى عبد الرزاق عن الاسلمى هو ابن ابراهيم بن ابى يحيى عن هشام ابن عروة ان اول من كساها الديباج عبدالله بن الزبير . وابراهيم ضعيف ،وتابعه محمد بن الحسين بن زبالة وهو ضعيف ايضا . اخرجه الزبير عن هشام . وروى الواقدى عن اسحاق بن عبدالله عن ابى جعفر الباقر قال : كساها يزيد بن معاوية الديباج ،واسحاق بن ابى فروة ضعيف . وقال عبدالرزاق عن ابن جريج اخبرت ان عمر كان يكسوها القباطى واخبرنى غير واحد ان النبى صلى الله عليه وسلم كساها القباطى والحبرات،وابو بكر وعمر وعثمان . واول من كساها الديباج عبدالملك بن مروان . وان من ادرك ذلك من الفقهاء قالوا :اصاب . مانعلم لها من كسوة اوفق منه . وروى ابو عروبة فى الاوائل له عن الحسن قال : اول من لبس الكعبة القباطى النبى صلى الله عليه وسلم وروى الفاكهى فى كتاب مكة من طريق مسعر عن جسرة قال : اصاب خالد بن جعفر بن كلاب لطيمة فى الجاهلية فيها غط من ديباج فارسل به الى الكعبة فنيط عليها فعلى هذا هو اول من كسا الكعبة الديباج [(١)] .

وقال : وروى الدارقطنى فى المؤتلف ان اول من كسا الكعبة الديباج فتيلة بنت حيان والدة العباس بن عبد المطلب . كانت اضلت العباس صغيرا

---

(١) فتح البارى (٤ : ٢٠١ ، ٢٠٤) .

فنذرت ان وجدته ان تكسو الكعبة الديباج . وذكر الزبير بن بكار انها اضلت ابنها ضرار بن عبد المطلب شقيق العباس فنذرت ان وجدته ان تكسو البيت فرده عليها رجل من جذام ، فكست الكعبة ثيابا بيضاء . وهذا محمول على تعدد القصة .

وحكى الازرقى : ان معاوية كساها الديباج والقباطى والحبرات . فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء والقباطى فى آخر رمضان .

قال : فحصلنا فى اول من كساها مطلقا ثلاثة اقوال : اسماعيل ، وعدنان وتبع . وهو اسعد المذكور فى الرواية الاولى . ولا تعارض بين ماروى عنه انه كساها الانطاع والوصائل . لان الازرقى حكى فى كتاب مكة ان تبعا ارى فى المنام ان يكسو الكعبة فكساها الانطاع . ثم ارى ان يكسوها فكساها الوصائل وهى ثياب حبرة من عصب اليمن . ثم كساها الناس بعده فى الجاهلية . ويجمع بين الاقوال الثلاثة ان كانت ثابتة بأن اسماعيل اول من كساها مطلقا . واما تبع فاول من كساها ماذكر . واما عدنان فلعله اول من كساها بعد اسماعيل وسيأتى فى اوائل غزوة الفتح مايشعر انها كانت تكسى فى رمضان .

وحصلنا فى اول من كساها الديباج على ستة اقوال : خالد او نتيلة او معاوية ، او يزيد او ابن الزبير او الحجاج . ويجمع بينها بأن كسوة خالد وقتيلة لم تشملها كلها وانما كان فيما كساها شىء من الديباج . واما معاوية فلعله كساها فى آخر خلافته فصادف ذلك خلافة ابنه يزيد . واما ابن الزبير فكأنه كساها ذلك بعد تجديد عمارتها فاوليته بذلك الاعتبار . لكن لم يداوم على كسوتها الديباج . فلما كساها الحجاج بأمر عبد الملك استمر ذلك

فكأنه اول من داوم على كسوتها الديباج فى كل سنة . وقول ابن جريج اول من كساها ذلك عبدالملك يوافق القول الاخير . فان الحجاج انما كساها بأمر عبدالملك . وقول ابن اسحاق ان ابا بكر وعمر لم يكسوا الكعبة فيه نظر لما تقدم من ابن ابى نجيح عن ابيه ان عمر كان ينزعها كل سنة،لكن يعارض ذلك ماحكاه الفاكهى من بعض المكيين ان شيبة بن عثمان استأذن معاوية فى تجريد الكعبة فاذن له فكان اول من جردها من الخلفاء،وكانت كسوتها قبل ذلك تطرح عليها شيئا فوق شيء . وقد تقدم سؤال شيبة لعائشة انها تجتمع عندهم فتكثر . وذكر الازرقى ان اول من ظاهر الكعبة بين كسوتين عثمان بن عفان .

وذكر الفاكهى ان اول من كساها الديباج الابيض،المأمون بن الرشيد واستمر بعده . وكسيت فى ايام الفاطميين الديباج الابيض . وكساها محمد بن سبكتكين ديباجا اصفر . وكساها الناصر العباسى ديباجا اخضر،ثم كساها ديباجا اسود فاستمر الى الان . ولم تزل الملوك يتداولون كسوتها[1] .

قال تقى الفاسى : اول من كسا الكعبة بعد العباسيين الملك المظفر صاحب يمن . يقول الفاسى : والملك المظفر اول من كسا الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بنى العباس فى بغداد وذلك تسع وخمسين وستمائة (٦٥٩) واستمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر وانفرد بكسوتها فى بعض السنين وكان المستولى بذلك غالبا .

قال : واول من كساها من ملوك مصر بعد بنى العباس الملك

(١) فتح (٤ : ٢٠٤،٢٠٥) .

الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي . واول سنة كسى فيها الكعبة سنة ٦٦١ هـ
قال : ومن كسا الكعبة من غير الملوك الشيخ ابو القاسم رامشت صاحب الرباط
بمكة كساها من الحبرات وغيرها فكانت كسوته بثمانية عشر الف دينار مغربية
على ما قال ابن الاثير وقيل باربعة آلاف دينار وذلك في سنة ٥٣٢هـ [١].

الزركشة الذهبية في كسوة الكعبة .

لم يعثر في تاريخ الكسوة الشريفة الطويل زركشة بالذهب وغيره . الا في
سنة ٧٦١هـ فان الملك الناصر حسن اخو الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن
قلاوون فانه زركش الكسوة الداخلية للكعبة بالذهب وارسل بها الى الكعبة
في السنة المذكورة .

يقول الشيخ حسين باسلامة : وهذه اول مرة ذكر التاريخ زركشة الكسوة
بالذهب حيث لم يأت في الكسوة التي قبلها منذ كسيت الكعبة زركشة شيء من
كسوتها ـ لا الداخلية ولا الخارجية بالذهب . وانما كانت الزركشة بالوان الحرير
كما تقدم . والله اعلم [٢].

وهذه الزركشة استمرت الى عصرنا الحاضر .

---

(١) شفاء الغرام (١ : ١٢٤) .
(٢) تاريخ الكعبة (ص ٢٤٤) .

هل يجوز التصرف فى كسوة الكعبة

لعل الامام البخارى اشار الى ذلك حين عقد بابا فى صحيحه واورد حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقول البخارى : باب كسوة الكعبة ثم يشرحه الحافظ ابن حجر بقوله : قوله " باب كسوة الكعبة" اى حكمها فى التصرف فيها ونحو ذلك .

ثم قال ابن حجر : قال ابن بطال : اراد عمر لكثرته انفاقه فى منافع المسلمين . ثم لما ذكر بان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعرض له امسك . وانما تركا ذلك ، والله اعلم ، لان ماجعل فى الكعبة وسبل لها يجرى مجرى الاوقاف فلا يجوز تغييره عن وجهه . وفى ذلك تعظيم الاسلام وترهيب العدو ..

قلت (اى ابن حجر) اما التعليل الاول فليس بظاهر من الحديث ، بل يحتمل ان يكون تركه صلى الله عليه وسلم لذلك رعاية لقلوب قريش ، كما ترك بناء الكعبة على قواعد ابراهيم ويؤيده ماوقع عند مسلم فى طرق حديث عائشة فى بناء الكعبة " لانفقت كنز الكعبة" ولفظه : لولا ان قومك حديثو عهد بكفر لانفقت كنز الكعبة فى سبيل الله . . ولجعلت بابها بالارض . . . الحديث فهذا التعليل هو المعتمد .

وحكى الفاكهى فى كتاب مكة انه صلى الله عليه وسلم وجد فيها يوم الفتح ستين اوقية ، فقيل له : لو استعنت بها على حربك ، فلم يحركه . وعلى هذا فانفاقه جائز كما جاز لابن الزبير بناؤها على قواعد ابراهيم لزوال سبب الامتناع ، ولولا قوله فى الحديث " فى سبيل الله" لامكن ان يحمل

الانفاق على مايتعلق بها . فيرجع الى ان حكمه حكم التحبيس، ويمكن ان يحمل قوله"في سبيل الله" على ذلك، لان عمارة الكعبة يصدق عليه انه في سبيل الله .

مايستفاد من ترجمة البخارى والفاظ الحديث

ترجمة الامام البخارى لهذا الباب بهذا العنوان والالفاظ التى جاءت من طرق الحديث تدل على جواز التصرف فى مال الكعبة وكسوتها على السواء .

يقول الحافظ ابن حجر: قال الاسماعيلى : ليس فى حديث الباب لكسوة الكعبة ذكر . يعنى فلا يطابق الترجمة . وقال ابن بطال : معنى الترجمة صحيح ، ووجهها انه معلوم ان الملوك فى كل زمان كانوا يتفاخرون بكسوة الكعبة برفيع الثياب المنسوجة بالذهب وغيره كما يتفاخرون بتسبيل الاموال لها فاراد البخارى ان عمر لما رأى قسمة الذهب والفضة صوابا ، كان حكم الكسوة حكم المال تجوز قسمتها ، بل مافضل من كسوتها اولى بالقسمة .

وقال ابن المنير فى الحاشية : يحتمل ان يكون مقصوده التنبيه على ان كسوة الكعبة مشروع والحجة فيه انها لم تزل تقصد بالمال يوضع فيها على معنى الزينة اعظاما لها ، فالكسوة من هذا القبيل . قال : ويحتمل ان يكون اراد مافى بعض طرق الحديث كعادته ويكون هناك طريق موافقة للترجمة اما لخلل شرطها واما لتبحر الناظر فى ذلك .

واذا تقرر ذلك فيحتمل ان يكون اخذه من قول عمر : لا اخرج حتى اقسم مال الكعبة ، فالمال يطلق على كل شيء فيدخل فيه الكسوة . وقد ثبت فى الحديث : ليس لك من مالك الا مالبست فابليت، قال : ويحتمل ايضا

فذكر نحو ما قال ابن بطال ، وزاد فاراد التنبيه على انه موضع اجتهاد وان رأى عمر جواز التصرف فى المصالح .

واما الترك الذى احتج به عليه شيبة فليس صريحا فى المنع . والـذى يظهر جواز قسمة الكسوة العتيقة اذ فى بقائها تعريض لاتلافها ، ولا جمال فـى كسوة عتيقة مطوية .[1]

وهنا يقول الشوكانى بعد ما نقل قول الحافظ فى الموضوع نفسه : فـان وضع الاموال التى ينتفع بها اهل الحاجات فى المواضع التى لا ينفع الوضع فيهما آجلا او عاجلا مما لا يشك فى كراهته .[2]

قال (اى ابن المنير) : ويؤخذ من رأى عمر ان صرف المال فى المصالح اكد من صرفه فى كسوة الكعبة لكن الكسوة فى هذه الازمنة اهم . قال : واستدلال ابن بطال بالترك على ايجاب بقاء الاحباس لا يتم ، الا ان كان القصد بمال الكعبة اقامتها وحفظ اصولها اذا احتيج الى ذلك . ويحتمل ان يكون القصد منـه منفعة اهل الكعبة وسدنتها او ارصاده لمصالح الحرم او لاعم من ذلك . وعلى كل تقدير فهو تحبيس لا نظير له فلا يقاس عليه . انتهى

ولم ار فى شىء من طريق حديث شيبة هذا ما يتعلق بالكسوة ، الا ان الفاكهى روى فى كتاب مكة من طريق علقمة بن ابى علقمة عن امه عن عائشة رضـى الله عنها قالت : دخل على شيبة الحجبى فقال : يا ام المؤمنين ، ان ثيـاب

---

(١) فتح (٤ : ٢٠١ ، ٢٠٣) .

(٢) نيل الاوطار (٦ : ٣٨) .

الكعبة تجتمع عندنا فتكثر فننزعها ونحفر ابيارا فنعمقها وندفنها لكى لا تلبسها الحائض والجنب، قالت : بئسما صنعت، ولكن بعها فاجعل ثمنها فى سبيل الله وفى المساكين ، فانها اذا نزعت عنها لم يضر من لبسها من حائض او جنب فكان شيبة يبعث بها الى اليمن فتباع له فيضعها حيث امرته . واخرجه البيهقى من هذا الوجه ، لكن فى اسناده راو ضعيف . واسناد الفاكهى سالم منه .

واخرج الفاكهى ايضا من طريق ابن خيثم : حدثنى رجل من بنى شيبة قال : رأيت شيبة بن عثمان يقسم ما سقط من كسوة الكعبة على المساكين . واخرج من طريق ابن ابى نجيح عن ابيه : ان عمر كان ينزع كسوة البيت كل سنة فيقسمها على الحاج ، فلعل البخارى اشار الى شئ من ذلك[1] .

لان الفاظ الحديث تدل على ان مال الكعبة يستحقه فقراء المسلمين ومساكينهم فقد وردت هذه الكلمات صريحة فى بعض طرق الحديث . يقول الحافظ ابن حجر : وفى رواية عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عند المصنف فى الاعتصام : الا قسمتها بين المسلمين ، وعند الاسماعيلى من هذا الوجه لا اخرج حتى اقسم مال الكعبة بين فقراء المسلمين[2] .

ويقول الامام النووى فى هذا الموضوع : وقال ابو العباس بن القاص من اصحابنا : لا يجوز بيع كسوة الكعبة . قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى : الامر فيها الى الامام يصرفها فى بعض مصارف بيت المال بيعا وعطاء واحتج بما رواه الازرقى فى كتاب مكة : ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه

---

(١) فتح (٤ : ٢٠٣) .

(٢) فتح (٤ : ٢٠١) .

كان ينزع كسوة البيت كل سنة فيقسمها على الحاج . وهذا الذى قالـــــه الشيخ حسن .

وقد روى الازرقى عن ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم وبما انهما قالا : تباع كسوتها ويجعل ثمنها فى سبيل الله للفقراء والمساكين وابن السبيل .

قال ابن عباس وعائشة وام سلمة رضى الله عنهم : ولا بأس ان يلبـــس كسوتها من صارت اليه من حائض وجنب وغيرهما[1] .

ويقول المحب الطبرى فيه : فيما تقدم من الاحاديث دلالة على جـواز لبس ثياب الكعبة لذى الحاجة، وللمشترى لها ممن يجوز له بيعها . وللناظـر فى امرها البيع، وصرف الثمن لمن ذكرته عائشة، الا ان تحتاج الى عمارة فصرفه فيها اولى . وله ايضا قسمتها فيمن يراه على مادل عليه حديث عمر الاول (اى انه كان ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة، فيقسمها على الحاج) .

وذكر الامام الرافعى وابن الصلاح فى منسكه عن ابى الفضل بن عبدالله الهمدانى انه قال : لا يجوز لاحد قطع شىء من كسوة الكعبة، ولا شراؤه مـــن بنى شيبة، ومن اخذ منها شيئا فعليه رده . ولا يجوز وضعه فى اوراق المصاحف خلافا لما يتوهمه العامة . وقال الامام الحليمى : لا ينبغى ان يؤخذ من كســوة الكعبة شىء .

وقال ابن الصلاح : الامر فى ذلك الى الامام يصرفها فى بعض مصـــارف بيت المال، بيعا او عطاء . قلت (اى المحب الطبرى) : والامر فيه عندى علـى ماتقدم، ويؤيده ماذكرناه عن عمر وعائشة وام سلمة . ويحمل على المحتاجـــين

---

(١) الايضاح (ص ٢٠٢) .

وان كان ظاهر اللفظ يعم جميع الحاج[1] .

ويقول ابن قدامة : وثياب الكعبة اذا نزعت يتصدق بها[2] .

ويقول ابن العابدين : ولا يجوز شراء الكسوة من بني شيبة ، بل من الامام او نائبه ، وله لبسها ولو جنبا او حائضا . ثم يشرحه بقوله : مطلب في استعمال كسوة الكعبة . قال العلامة قطب الدين الحنفي : والذي يظهر لي ان الكسوتان كانت من قبل السلطان من بيت المال ، فامرها راجع اليه يعطيها لمن يشاء من الشيبيين اوغيرهم . وان كانت من اوقاف السلاطين وغيرهم فامرها راجع الى شرط الواقف فيها ، فهي لمن عينها له وان جهل شرط الواقف فيها عمل فيها بما جرت العوائد السالفة كما هو الحكم في سائر الاوقاف .

وكسوة الكعبة الشريفة الان من اوقاف السلاطين ولم يعلم شرط الواقف فيها ، وقد جرت عادة بني شيبة انهم يأخذون لانفسهم الكسوة العتيقة بعد دخول الكسوة الجديدة ، فيبقون على عادتهم فيها[3] .

ويقول التقي الفاسي : نختتم هذه الترجمة بمسألة تتعلق بكسوة الكعبة .

وهي ان العلماء اختلفوا في جواز بيع كسوة الكعبة ، فنقل جواز ذلك عن عائشة وابن عباس وجماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم .

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٤٧٧ ، ٤٧٨) .

(٢) المغني (٣ : ٤٧٧) .

(٣) حاشية ابن عابدين (٢ : ٦٢٤) .

ومنع ذلك ابن القاضى وابن عبدان بن الشافعية . وذكر الحافظ ابن صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائى الشافعى فى قواعده : انه لايتردد فى جواز ذلك الان ،لاجل وقف الامام ضيعة معينة على ان يصرف ريعها فى كسوة الكعبة . والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها . قال : وهذا ظاهر لا يعارضه المنقول المتقدم (١).

قال الشيخ حسين باسلامة فى هذه المسألة :

قال : قال الفاسى : وكان امراء مكة يأخذون من السدنة ستارة الكعبة فى كل سنة وجانبا كبيرا من كسوتها او ستة آلاف درهم كاملة عوضا من ذلك . فسمح لهم بذلك الشريف عنان بن مغامس بن رميثة بن ابى نمى لما ولى امر مكة فى آخر سنة ٧٨٨هـ وجرى على ذلك الامراء بعده فى الغالب ثم ان السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته لمكة صار يأخذ منهم ستارة باب الكعبة وكسوة مقام ابراهيم ويهدى ذلك لمن يرجوه من الملوك وغيرهم .

ثم يقول الشيخ : هذا حاصل ماوقفت عليه من امر جواز تصرف آل شيبى فى كسوة الكعبة المعظمة من بيع واهداء وغير ذلك . واما ماكان يأخذه امراء مكة من كسوة الكعبة فالذى اعلمه فى العصر الحاضر ان امراء مكة كانوا يأخذون ستارة باب الكعبة والحزام وثوب مقام ابراهيم الخليل عليه السلام . وآل الشيبى يأخذون كسوة الكعبة وستارة باب التوبة الذى هو باب الدرجة التى فى داخل الكعبة المصعدة الى سطحها ،وستارة باب مقام

---

(١) شفاء الغرام (١: ١٢٥) .

ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم .

ثم لما استولى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود ملك المملكة العربية السعودية على الحجاز انعم على آل الشيبي بجميع كسوة الكعبة من ستارة وحزام وغير ذلك سواء حال مجيء الكسوة من مصر او الكسوة التي امر جلالته بعملها في المعمل الذى انشأه في اجياد .

وبعمله هذا زال كل اشكال عند بعض الفقهاء القائلون : بأن امر بيع كسوة الكعبة وتصرف آل الشيبي راجع الى شرط الواقف او امر السلطان . وعليه صارت الكسوة حق من حقوق آل الشيبي يتصرفون فيها كيف شاءوا ذلك وفقا لارادة الملك المعظم ، ورأى معظم الفقهاء القائلين بجواز البيع .

واما تقسيم الكسوة بين آل الشيبي فكلهم فيها سواء الشيخ والشاب الطفل والذكر والانثى ، تقسم بينهم بالسوية ماعدا رئيسهم صاحب المفتاح فله سهمان وذلك باتفاقهم جميعا وهذه عادتهم من قديم الزمان الى العصر الحاضر على ماعلمت . والله اعلم .[1]

مصادر ايراد كسوة الكعبة

اول من وقف لاجل كسوة الكعبة والحجرة النبوية الشريفة السلطان اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر في سلطنته . وهذا الوقف زاد في الخلافة العثمانية التركية .

يقول الفاسي : وكسوتها في هذه السنة وفيما قبلها من سبعين سنة

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ٣٣٤ ، ٣٣٦) .

من الوقف الذى وقفه السلطان الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ايام سلطنته على كسوة الكعبة فى كل سنة وعلى كسوة الحجرة النبوية الشريفة والمنبر النبوى فى كل خمس سنين مرة . وهذا الوقف قرية بنواحى القاهرة فى طرف القليوبية مما يلى القاهرة اشتراها الملك الصالح من بيت المال ووقفها على ما ذكر فيها[1].

وزاد هذا الوقف فى عهد السلطان سليمان العثمانى .

يقول الشيخ حسين باسلامة : ولما آلت السلطنة الى السلطان سليمان خان امر باستمرار الكسوة الشريفة على عوائدها السابقة . ثم ان قريتى بيسوس وسنديس الموقوفتين على كسوة الكعبة الشريفة خربتا وضعف ريعهما عن الوفاء بصرف الكسوة فأمر ان تكمل من خزائن السلطنة بمصر . ثم اضاف الى تلك القريتين الموقوفتين قرى اخرى وقفها على كسوة الكعبة الشريفة، فصار وقفا عامرا فائضا مستمرا . وذلك من اعظم مزايا السلاطين العظام التى يفخرون بها على ملوك الانام . وهى الان من مخصصات آل عثمان الكرام .

قال ج وجاء فى مرآة الحرمين مانصه : وكسوة الكعبة من سنة ٧٥٠ من الوقف الذى وقفه الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر بن قلاوون على كسوة الكعبة كل سنة، وعلى كسوة الحجرة النبوية الشريفة والمنبر النبوى فى كل خمس سنين مرة . وهذا الوقف عبارة عن ثلاث قرى (بسوس وسند بيس وابى الغيط) من قرى القليوبية اشتراها من بيت المال ووقفها على كسوة الكعبة والحجرة .

وقد اشترى السلطان سليمان بن السلطان سليم خان عدة قرى بمصر

---

(١) قريتين بمصر اسمهما بيسوس وسنديس . شفاء الغرام (١ : ١٢٣) .

اضافها الى القرى التى وقفها على الكسوة الملك الصالح وهذه القرى هى :

١ - سلكة　　　　٢ - سرو بجنجة　　　　٣ - قريش الحجر

٤ - منابل وكوم رهان　　٥ - بجـــام　　　　٦ - منية العصارى

٧ - بطاليا .

ولم تزل موقوفة على ذلك حتى حل وقفها محمد على باشا فى اوائــــل القرن الثالث عشر الهجرى ، وتعهدت الحكومة بصنع الكسوة من مالها العــــام ولا يزال ذلك دأبها للان[1].

يقول : ان هناك عشر قرى بمصر موقوفة على كسوة الكعبة ، وكسوة الحجـرة النبوية . كان ريعها فى ذلك العصر سنويا مبلغ ثلاثمائة وستة وستون الفـــا وسبعمائة وستة وثلاثون درهما فضيا . وكان اعتبار الدينار يتراوح من العشــرة الى العشرين درهما . وذلك بسبب اختلاف أوزان الدراهم باختلاف العصــور واذا اعتبرنا سعر الدينار على اقصى ما ارتفع سعره وهو عشرون درهما بدينـــار فيكون ذلك الربح يبلغ سنويا فى ذلك العصر ١٨٣٣٧ دينار .

واما فى هذا العصر فلا شك انه يبلغ ذلك الايراد على اقل تقدير خمســون الف جنيها مصريا ذهبا ، وربما يكون مائة الف جنيه مصرى حيث ان الاراضــــى الزراعية المصرية ترقت ايراداتها اضعاف ماكانت عليه فى تلك العصور المتوسطـــة ولولا ذلك لما طمع فيها رأس العائلة المالكة بمصر فقد قضى محمد على باشــــا خديوى مصر السابق على ذلك الوقف وحله كما تقدم .　　ا . هـ

(وكان هذا العمل منه تعديا على ايراد الكسوة للكعبة وكسوة الحجـرة

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ٢٤٧) .

النبوية الشريفة الذى ظل مستمرا منذ اربعمائة سنة حيث بعمله هذا جعل الكعبة المعظمة والحجرة النبوية عالة على الحكومة المصرية بعد ان سلبهما حقهما الشرعى . وقد كانتا فى غنى عن ذلك باوقافهما المذكورة ، التى يكفى من ايرادها جزء بسيط لعمل الكسوة للكعبة سنويا ، وعمل كسوة الحجرة النبوية فى كل خمس عشرة سنة مرة .

وبعد ماحل محمد على باشا تلك الاوقاف وادخلها فى خزنة الحكومة المصرية ، لا تكسى الكعبة من داخلها ولا الحجرة النبوية الا تبرعا ممن يتولى السلطنة من آل عثمان . ثم ترك ذلك من زمن بعيد ، وبقيت كسوة الكعبة من داخلها وكسوة الحجرة النبوية منذ كساهما السلطان عبد العزيز خان حتى الان لم تجدد . وسبب ذلك هو حل الاوقاف المذكورة ، فلو بقيت اوقاف الكسوة على حالها السابقة كما وقفها السلطان سليمان العثمانى رحمه الله لما وقع من الامتناع من الحكومة المصرية عن عمل الكسوة الا لانها ترى ذلك تبرعا منها وتفضلا . وفعلا حصل الامتناع فى عهد الشريف الحسين بن على بن عون . وفى حكومة جلالة الملك عبد العزيز وذلك لان المتبرع لا يجبر على التبرع (١) .

وهذه الحادثة هى السبب فى اقامة صنع كسوة الكعبة فى مكة المكرمة فيما بعد .

كسوة الكعبة فى عهد الحسين بن على والملك عبد العزيز .

قال : واما ماكان من امر كسوة الكعبة المعظمة اثناء الحرب العالمية الاولى ، فهذا بيانه .

---

(١) تاريخ الكعبة (ص ٢٥٦) .

لما وقعت الحرب العامة سنة ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٤م جاءت كسوة الكعبة من مصر على حسب العادة فى نهاية السنة المذكورة والبست الكعبة بهـا .

ثم دخلت الحكومة العثمانية فى الحرب العامة،عملت كسوة الكعبة المعظمة ظنا منها ان الانجليز سيمنع الحكومة المصرية من ارسال كسوة الكعبة بناء على اعلانها وضع الحماية على مصر . وكانت الكسوة التى عملتها فى غاية الجمال والمتانة والاتقان مع عموم لوازمها وتوابعها المزركشة بالاسلاك الفضية المموهة بالذهب . وارسلتها فى السكك الحديدية عن طريق البر من استانة الى المدينة المنورة . غير ان الحكومة المصرية لم تمتنع من ارسال الكسوة المعتادة،فارسلتها عام ١٣٣٣هـ ووضع على الحزام اسم السلطان حسين كامل سلطان مصر مضافا الى اسم السلطان محمد رشاد خان العثمانى فاتفق امير مكة المكرمة حينذاك الشريف الحسين بن على مع والى حجاز غالب باشا من قبل الحكومة العثمانية على اخراج اسم سلطان مصر والاكتفاء على اسم السلطان محمد رشاد خان . وبقيت الكسوة التى ارسلتها الحكومة العثمانية بالمدينة المنورة الى سنة ١٣٤١هـ .

فلما اعلن امير مكة الشريف الحسين بن على بن محمد بن عبد المعين بن عون استقلال البلاد العربية والثورة على الحكومة التركية فجر يوم السبت ٩ من شعبان ١٣٣٤هـ الموافق ٤ يوليو ١٩١٤م ارسلت الحكومة المصرية الكسوة حسب المعتاد واستمرت على ارسالها الى سنة ١٣٤٠هـ .

ثم لما وقع الخلاف بين الحكومة المصرية وبين الشريف الحسين ملك الحجاز سنة ١٣٤١هـ وذلك لما وصل المحمل المصرى فى باخرة خاصة الى جدة ومعه

كسوة الكعبة وبعثة طبية وغيرها منع الشريف الحسين دخول البعثة الطبية الى مكة المكرمة فرجع المحمل بكل ما معه فى آخر ذى القعدة فى السنة المذكورة . فابرق الشريف الحسين الى المدينة وامر اميرها باحضار الكسوة التى اودعتها الحكومة العثمانية فى ثغر رابغ فحملتها بعض البواخر الى جدة ثم الى مكة المكرمة فى غاية السرعة وكسيت الكعبة فى الوقت المعتاد عاشر ذى الحجة سنة ١٣٤١هـ .

وقد حدث ذلك ضجة عظيمة فى مصر وخصوصا فى صحافتها وصحافة الغرب، وظنوا انها نسجت فى عشرة ايام واندهشوا لذلك ولم يعلموا بحقيقة الامر من انها كانت موجودة من قبل . ثم عمل الشريف الحسين كسوة الكعبة نسجت فى قيلان بالعراق احتياطا لعل مصر تمنع من ارسالها ، ولكنها ارسلت فى وقتها المعتاد فكسيت ، وبقيت كسوة القيلان محفوظة .

فلما كان عام ١٣٤٣هـ استولى على مكة المكرمة الملك عبد العزيز آل سعود بعد حرب وقعت بينه وبين الشريف الحسين واستمرت الى منتصف جمادى الاخرة ١٣٤٤هـ فامتنعت الحكومة المصرية من ارسال الكسوة سنة ١٣٤٣هـ فكسا جلالة الملك عبد العزيز ذلك العام الكسوة القيلان التى عملها الشريف الحسين تقدم ذكرها[1].

فلما كانت سنة ١٣٤٤هـ وانتهت الحرب بانسحاب الملك على بن الحسين من الحجاز وذلك يوم الاحد ٤ جمادى الثانية فى السنة المذكورة واستتب امر الحجاز للملك عبد العزيز ارسلت الحكومة المصرية كسوة الكعبة المعظمة فكسيت بها الكعبة فى ذلك العام .

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ٢٦٤) (اختصارا) .

فلما كان عام ١٣٤٥ هـ وحان وقت مجيء الكسوة منعت الحكومة المصرية ارسالها مع ما يتبعها من العوائد التى هى من اوقاف الخير على اهل الحرمين منذ مئات السنين . ولم تشعر بذلك الحكومة السعودية الا فى غرة ذى الحجة من تلك السنة فصدر امر الملك بعمل الكسوة فى غاية السرعة فقام الرجال المختصون بذلك وفى مقدمتهم وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان وعملوا كسوة من الجوخ الاسود الفاخر مبطنة بالقلع القوى ، وعمل حزام الكعبة بآلة التطريز وكتبت الايات عليه بالقصب الفضى المموه بالذهب مع ستارة الباب ولم يأت اليوم الموعود لكسوة الكعبة وهو يوم النحر من ذلك العام الا والكعبة المعظمة لابسة تلك الكسوة التى عملت فى بضعة ايام [1].

انشاء معمل كسوة الكعبة بمكة .

قد سبق ذكر ذلك بأن الملك اراد انشاء مصنع الكسوة لانها دخلت فى السياسة وقد كانت تأتى من مصر من اوقافها الخاصة وكان ذلك من اعمال البر والاحسان ، واصبح مجيئها متعلقا بالسياسة المصرية وخرجت من كونها من اعمال البر التى يقصد بها وجه الله تعالى ، الى عمل يقصد به امورسياسية صدرت اوامر ملك المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل السعود وذلك فى مستهل شهر محرم الحرام سنة ١٣٤٦ هـ الى وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان الحمدان بانشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المعظمة .

فقام وزير المالية بانشاء تلك الدار بحارة اجياد امام دار وزارة المالية

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ٢٦٥) .

العمومية فكانت مساحة الارض التى انشئت عليها تلك الدار نحو ١٥٠٠ متر مربع، وتم بناؤها فى ستة اشهر فى ذلك العام، وهى اول دار اسست خصيصا لحياكة الكسوة للكعبة بمكة المكرمة فى عصر الملك عبد العزيز منذ كسيت الكعبة من العصر الجاهلى والاسلامى .

وطلب لاجل الحياكة عمال هنود ستون رجلا ، وفى نهاية شهر ذى القعدة ١٣٤٦هـ تم عمل الكسوة الشريفة على غاية مايرام من حسن الحياكة واتقان الصناعة على شكل الكسوة التى تأتى من مصر حياكة ولونا وتطريزا .

وكتب على الحزام فى هذه الكسوة : "هذه الكسوة صنعت فى مكة المباركة المعظمة بأمر خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود ملك المملكة العربية السعودية ايده الله بنصره سنة ١٣٤٦ هجرية على صاحبها افضل التحية واتم التسليم"[1] . (مختصرا)

ثم انتقل هذا المصنع فيما بعد من اجياد الى التيسير امام المحكمة الشرعية . ومن هنا الى ميدان ام الجود . ويبعد من المسجد الحرام نحو ثمانية كيلو مترا على شارع جدة ـ مكة داخل ارض الحرم . ويشتمل على عدة مبانى ، وهو اوسع مما سبق ، فهو المصنع الحالى للكسوة الشريفة .

نموذج مما تنفقه الحكومة السعودية على كسوة الكعبة واوصافها ومايتبعها .

١٣ مليونا ، ٩١٧ الفا ، ٣٠٠ ريالا مجموع تكاليف كسوة الكعبة المشرفة لهذا العام . . فقد انتهى مشروع صناعة كسوة الكعبة المشرفة التى صنعتها الايدى السعودية خلال احدى عشر شهرا لكى تأتى آية فى الفن الاسلامى العريق .

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ٢٦٨) .

ومحتويات الكسوة التى تبلغ مساحتها ٦٥٨ متر مربع . وتقدر كمية الاصبغة المستخدمة فى صناعتها ٧٢٠ كيلو جراما بالاضافة الى ١٢٠ كيلو جرام من الاسلاك الفضية المطلية بالذهب الخالص منها ٥٠ كيلو جرام من الاسلاك الفضية وحدها ، وذلك لحشو وتطريز فراغات الكتابات فى ستارة باب الكعبة المشرفة والحزام الخاص بالكسوة .. مساحةموقع الكسوة " الستارة" تبلغ ثلاثين مترا ، ويتألف ثوب الكعبة المشرفة من ٥٤ قطعة مستطيلة طول كل منها ٢٤ مترا وعرضها ٩٥ سنتيمترا ، وتختلف اضلاع الكعبة المشرفة نسبيا ويستهلك الحزام والستارة والقطع الجانبية ٨٠٠ متر من الحرير المستقل الممتاز الذى لا يتأثر بعوامل الطبيعة . وتتكون الستارة بدورها من اربع قطع متصلة طولها سبعة امتار ونصف وعرضها اربعة امتار ، بالاضافة الى قطعة كبيرة تكتب عليها كلمة الاهداء باسم جلالة الملك المعظم . واربع قطع مربعة توضع فى الاركان الاربعة للكعبة المشرفة تجللها سورة الاخلاص وثلاث قطع اخرى تحت الحزام عليها آيات كريمة من القرآن .

وهذا القدر من النقود يرتفع عاما بعد عام بارتفاع اسعار المواد[1] .

حـزام الكعبـة .

هو شىء حديث لم يوجد ذكره فى كسوة الكعبة فى الجاهلية ، ولا فى الاسلام . وقد ذكر باسم الطراز حينما احدث ، ولم يعثر على اول من صنعه وفصله ، وكان ابيض اولا ثم اصفر ثم مذهبا ، يقول الشيخ حسين باسلامة نقلا عن شفاء الغرام :

وفى كسوة الكعبة طراز من حرير اصفر وكان قبل ذلك ابيض على ما ادركناه

(١) جريدة عكاظ اليومية ، العدد ٤١٧١ فى ٢١/١١/١٣٩٧هـ .

واول ماعمل اصفر قبل سنة ثمانمائة بسنة او سنتين وفي الطراز مكتوب آيات من القرآن العظيم .

قال وجاء في تحصيل المرام مالفظه : وكسوة الكعبة المشرفة الان من حرير اسود وبطانتها من قطن ابيض، وللكسوة الان طراز مدار بالكعبة "الحزام" وبين الطراز والارض قريبا من عشرين ذراعا ، وعرض الطراز ذراعان الا شيئا يسيرا ، وهو مكتوب بالفضة ومذهب، وعلى جانب وجه الكعبة بعد البسملة " ان اول بيت وضع للناس" الى قوله تعالى " غني عن العالمين" . صدق الله العظيم .

وبين الركنين اليمانيين مكتوب بعد البسملة " جعل الله الكعبة البيت الحرام" الى قوله تعالى " بكل شيء عليم" .

وبين الركن اليماني والغربي مكتوب بعد البسملة " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل " الى قوله تعالى " التواب الرحيم" صدق الله العظيم .

وبين الركن الغربي والشامي بعد البسملة " مما امر بعمل هذه الكسوة الشريف العبد الفقير السلطان فلان" .

قال : وجاء في كتاب اقامة الانام ان اول من بدأ بالطراز المذهب السلطان سليم بن آل عثمان ـ وهو سليم بن سليمان ـ وكان قبل ذلك من حرير اصفر .

وفي بداية عهد آل السعود في مكة والحجاز كانوا يكسونها حريرا اسود من غير كتابة نحو سبع سنين وهذه الكتابة تختلف كل عام حسب ذوق الكاتب (1)

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص٢٥٨ - ٢٥٩) .

كما سيأتى .

ويكتب ما يناسب بالبيت وبابراهيم الخليل ومناسك الحج .

وعند كتابة هذه الرسالة كان حزام الكعبة مكتوبا فيه هذه الايات .

من الركن الاسود الى الركن اليمانى :

" بسم الله الرحمن الرحيم قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين " .

" ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين " .

" فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا " .

" ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا " .

وتحته :

" قال الله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما " .

من الركن اليمانى الى الغربى :

" بسم الله الرحمن الرحيم واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والركع السجود " .

" واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " .

" ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق " . وتحته :

" قال الله تعالى : وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى " .

من الركن الغربى الى الشامى :

" بسم الله الرحمن الرحيم الحج اشهر معلومات من فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج" .

" وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب" .

" ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام" .

"واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم" .

تحت الميزاب :

" قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعانى) .

من الركن الشامى الى الركن الاسود :

" بسم الله الرحمن الرحيم واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى " .

" وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود " .

" واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم" .

" ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم" .

وفى وجه الكعبة :

صنعت هذه الكسوة فى مكة المكرمة واهداها الى الكعبة المشرفة خادم الحرمين الشريفين خالد بن عبدالعزيز آل السعود تقبل الله منه ١٣٩٨هـ .

وفى كل ركن من اركان البيت دائرة فيها سورة الاخلاص بكاملها مع البسطة، وصورة قناديل من حرير مذهب كتب فيها ياحى ياقيوم - ويارحمن يارحيم فى اربع جهات من البيت .

ستارة باب الكعبة المعظمة .

وقد سبق ذكرها فى حزام الكعبة باسم " البردة " التى توضع على باب الكعبة هى من حرير اسود مكتوبة بالفضة المذهبية وتلك الكتابة هى : " قد نرى تقلب وجهك فى السماء . . . " الخ

قال : واما ماكتب على ستارة باب الكعبة المعظمة بالقصب المموه بالذهب واسلاك الفضة " الجر" فاليك بيانه : كتب فى السطر الاول باعلى الستارة داخل دائرتين مستطيلتين : " قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها " ، ثم السطر الذى يليه داخل دائرة طويلة بعرض الستارة : "بسم الله الرحمن الرحيم، رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا" .

ثم كتب فى السطر الذى يليه داخل اربعة دوائر تشبه كل دائرة منها الكمثرى فى صف واحد : " ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين" .

ثم كتب داخل اربعة دوائر مستطيلة فى السطر الذى يليه والسطر

الذى يلى بعده : " بسم الله الرحمن الرحيم ، الله لا اله الا هو الحـــــى القيوم الى وهو العلى العظيم" .

ثم كتب داخل دائرة واسعة على قدر عرض الستارة بقلم عريض بين آيـــة الكرسى : " بسم الله الرحمن الرحيم ـ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحـــق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين" .

ثم كتب داخل دائرتين احداهما فى اليمنى والاخرى فى اليسرى فـــى كل منهما : " بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله احد . . " بكاملها .

ثم كتب بين الدائرتين المذكورتين فى اربعة اسطر : " وقل جاء الحـــق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمـــة للمؤمنين . ولا يزيد الظالمين الا خسارا" .

ثم كتب فى السطر الذى يليه داخل دائرة مستطيلة :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، لايلاف قريش . . . " الى آخر السورة .

ثم كتب داخل دائرتين فى سطرين جانب الستارة الايمن ، ومثلها فـــى الجانب الايسر : " لا اله الا الله الحق المبين ، محمد رسول الله صادق الوعد اليقـــين " .

ثم كتب حول ماتقدم من عموم الكتابات على الستارة المذكورة : "بسم اللـــه الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين . . . " الى آخر السورة .

وكذلك كتب حول الستارة بين آيات الفاتحة داخل دوائر صغار " اللـــه ربى " . ثم كتب فى ذيل الستارة داخل دائرتين صغيرتين " صنع بمكة المكرمة وتاريخ السنة التى عملت فيها تلك الستارة وحول ذلك نقوش .

قال : وهذه الكسوة التى هى على الكعبة المعظمة فى هذا العـــام الذى هو ١٣٥٤هـ وقد قام بحياكتها ابناء هذا الوطن العربى احسن قيـــام اجزل الله مثوبتهم [(١)] .

اقول : وهذه الكتابة فن من فنون العربية الجميلة تدل على اصالـــة الكتابة العربية العريقة .

---

(١) تاريخ الكعبة (ص ٢٦٩ - ٢٧١) .

الفصل الثاني عشر

فى بيان تحلية الكعبة بالذهب وتفريشها بالرخام

جاءت الروايات التاريخية بالادلة فى تحليتها وتفريشها لكل من عبد الله ابن الزبير وعبد الملك بن مروان وابنه الوليد . فيمكن التوفيق بين هذه الاخبار المختلفة كما يقول الشيخ حسين باسلامة : فهذه الاوليات لا تنافى الترتيب حيث كل مؤرخ ذكر اسم اول من حلى الكعبة حسبما اطلع عليه . والجمع بين الروايات الثلاث ـ هو ان ابن الزبير حلى الكعبة قبل عبد الملك بن مروان لان الاولية فى الخلافة له قبل عبد الملك . ثم حلاها عبد الملك وابنه الوليد فثبت لكل واحد منهم عمله فى خلافته (1) .

ويذكر ان اول من حلاها فى الجاهلية عبد المطلب .

يقول الفاسى : اول من حلاها فى الجاهلية ـ على ماقيل : عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بالغزالين الذهب اللذين وجدهما فى زمزم حين حفرها .

اول من حلاها فى الاسلام عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما .

قال الفاسى : وذكر المسبحى ما يقتضى خلاف ماذكره الازرقى (لانه وصف الوليد اول من حلاها) فى اول من حلى الكعبة فى الاسلام ، لانه اى المسبحى قال فى اخبار سنة خمس وستين من الهجرة : وفيها استتم ابن الزبير بناء الكعبة وقال ان بناءها بالرصاص المذوب المخلوط بالورس ، وجعل

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ١٩٢) .

على الكعبة واساطنها صفائح الذهب ومفاتحها ذهب . انتهى

ثم يقول الفاسي : نقلت ذلك هكذا من خط الحافظ رشيد الدين مصا اختصرنا في المسبحي . وانما قلنا ذلك بنصفه لما فيه من افادة تاريخ عمارة ابن الزبير للكعبة ، ولما فيه من انه بناها بالرصاص مع الورس . وذلك مالم يذكره الازرقي في خبرعمارته .

ورواية السهيلي تشير وتؤيد القول بان ابن الزبير اول من حلاها وليس الوليد كما ذكره الازرقي .

يقول الفاسي : وافاد السهيلي في تحلية الوليد بن عبد الملك للكعبة امرا لم يفده الازرقي ، وفي كلامه مايقتضي انه ليس اول من حلاها في الاسلام ونصه : ثم كان الوليد بن عبد الملك فزاد في حليتها وصرف في ميزابها وسقفها ماكان في مائدة سليمان عليه السلام من ذهب وفضة . وكانت قد احتملت على بغل قوي منفسخ تحتها فضرب منها الوليد حلية الكعبة ، وكانت قد احتملت اليه من طليطلة من جزيرة الاندلس ، وكانت لها اطواق من ياقوت وزبرجد .[1] انتهى

ولا يستبعد ذلك من ان ابن الزبير لانه وجد سعة من المال ماتكفي بناء الكعبة ولانه يقول ذلك في حديث مسلم عن عطاء في قصة بناء ابن الزبير للبيت على قواعد ابراهيم بناء على حديث سمعه من خالته ام المؤمنين ، قال فانا اليوم اجد ماانفق ، ولست اخاف الناس . الحديث . والماوردي يؤيد ذلك يقول : وجعل (ابن الزبير) على بابها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من ذهب.[2]

---

(١) شفاء الغرام (١ : ١١٣ ، ١١٥) .

(٢) الاحكام السلطانية (ص ١٦١) .

اول من فرشها بالرخام عبد الله بن الزبير .

يقول الازرقي في قصة بناء ابن الزبير الكعبة : وارسل ابن الزبير الى صنعاء فاتى من رخام بها يقال لها البلق فجعله في الروازن التي في سقفها للضوء.(١)

يقول الشيخ حسين باسلامة في قصة تفريش ابن الزبير الكعبة : فاراد ابن الزبير ان يبنيها بالورس ويرسل الى اليمن في ورس يشترى فقيل له : ان الورس يرفت ويذهب ولا يقيم ولا يستمسك البنيان به كالجص، ولكن ابنها بالقصة، فسأل عن القصة فاخبر بان قصة صنعاء هي اجود القصة، فارسل الى صنعاء باربعمائة دينار يشترى له قصة ويكترى عليها، فأتى له من صنعاء برخام يقال له البلق، فجعله في الروزن التي في سقفها للضوء وبناها بالرصاص المخلوط بالورس.(٢)

الذين لم يذكروا تحلية ابن الزبير الكعبة كالازرقي وغيره لعلهم لم يبلغهم الخبر كما ذهب اليه الشيخ حسين باسلامة وقد مر آنفا . او ان تحلية الوليد كانت بنطاق اوسع مما صنعه ابن الزبير فاشتهر صنع الوليد اكثر مما اشتهرت تحلية ابن الزبير رضي الله عنهما . والله اعلم .

تحلية الكعبة بعد الوليد بن عبد الملك .

ذكر الازرقي ان الخليفة العباسي الامين محمد بن هارون الرشيد

---

(١) اخبار مكة (١:٢٠٩) .

(٢) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ٨٨) .

(١٩٣ - ١٩٨) ارسل الى سالم بن الحجاج عامله على ضواحي مكة بثمانية عشر الف دينار ليضربها صفايح الذهب على باب الكعبة فقلع ماكان على الباب من الصفايح ، وزاد عليها من الثمانية عشر الف دينار فضرب عليه الصفايح التى هى عليه اليوم - يعنى فى زمنه - والمسامير وحلقتى باب الكعبة وعلى الفياريز والعقب .

وذكر ايضا : ان الحجبة كتبوا الى الخليفة المتوكل العباسى رقعة ذكروا فيها ان زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها ملبستان ذهبا وزاويتين فضة ، وان ذلك لو كان ذهبا كله كان احسن وازين ، وان قطعة مركبة على بعض جدران الكعبة شبه المنطقة فوق الازار الثانى من الرخام . وذكروا انه لو كان بدل تلك القطعة فضة مركبة فى اعلى ازار الكعبة فى تربيعها كان ابهى واحسن .

وذكر - الازرقى - ان المتوكل انفذ لعمل ذلك ولعمل ماكتب له اسحاق ابن سلمة الصائغ قال : وعمل اسحاق الذهب على زاويتى الكعبة من داخلها فكان ماكان هنالك من الفضة ملبسا وكرس الذهب الذى كان على الزاويتين الباقيتين ، واعاد عمله ، فصار ذلك اجمع على مثال واحد منقوشة مؤلفة ثابتة وعمل منطقة من فضة وركبها فوق ازار الكعبة فى تربيعها كلها منقوشة مؤلفة جليلة ثابتة يكون عرض المنطقة ثلثى ذراع وجعل لها طوقا من ذهب منقوشا متصلا بهذه المنطقة ثم قال : وفى اعلى هذه المنطقة رخام منقوش فى لبس ذلك الرخام ذهب رقيق من الذهب الذى يتخذ السقوف . قال : وكان فى الجدار الذى من ظهر الباب يمنة من دخل الكعبة رزة من كلاب من صفر يشد به الباب اذا فتح بذلك الكلاب لئلا يتحرك من موضعه فقلع ذلك الصفر . وصير مكانه

فضةوالبس ما حول باب الدرجة فضة مضروبة . وكانت عتبة الباب السفلى قطعتين من خشب الساج قد رثتا ونخرتا من طول الزمان عليهما فاخرجها وجعل مكانها قطعة واحدة من خشب الساج والبسها صفائح فضة .

قال (الازرقى) واخبرنى ابو سلمة اسحاق بن سلمة الصايغ انه بلغ ماكان فى الزوايا من الذهب والطوق الذى حول المنطقة نحوا من ثمانية آلاف مثقال . وان ما فى منطقة الفضة وماكان على عتبة الباب السفلى من الصفايح وعلى كرسى المقام من الفضة نحوا من سبعين الف درهم . وماركب من الذهب الرقيق على جدران الكعبة وسقفها نحوا من مائتى حق يكون فى كل حق خمسة مثاقيل ، وذكر ذلك ابن فهد ايضا . ا.هـ

قال نقلا عن الفاسى : كتب الحجبة الى الخليفة المعتضد العباسى (٢٧٩ - ٢٨٩) يذكرون ان بعض عمال مكة كان قد قلعها على عضادتى باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير واستعان به على حرب وامور كانت بمكة سنة ٢٥١ هـ ، فكانوا يسترون العضادتين بالديباج ، وان بعض العمال بعده قلع مقدار الربع من اسفل ذهب بابى الكعبة وماعلى الانقال وذلك فى سنة ٢٦٨ واستعان بها على اخماد فتنة ، وجعل بدل ما اخذه فضة مموهة بالذهب على مثال ماكان عليه فاذا تمسح فى ايام الحج بدت الفضة فامر بعمل ذلك كله . قال : هذا ماذكره الفاسى .

وقد ذكر نجم الدين ابن فهد فى حوادث سنة ٣١٠ هـ ان المقتدر الخليفة العباسى (٢٩٥ - ٣٢٠) امر عامله على مكة ان يلبس جميع الاسطوانة الاولى التى تلى باب الكعبة الذهب ، لان التى تليها كانت ملبسة بصفايح

الذهب وبقيتها مموهة . ا.هـ

وقال الفاسى : ان ام المقتدر الخليفة العباسى هى التى امرت غلامها لؤلؤا بان يلبس جميع الاسطوانة الاولى التى تلى باب الكعبة الذهب . وقال ان الوزير جمال الدين محمد بن على المعروف بالجواد وزير صاحب مصر انفذ فى سنة ٥٤٩هـ رجلا من جهينة يقال له الحاجب ومعه خمسة آلاف دينار لعمل صفايح الذهب والفضة فى داخل الكعبة وفى اركانها .

قال : وممن حلاها الملك المظفر صاحب اليمن وحليته لبابها وممن حلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن واخبر عمن رأى اسم الملك المجاهد مكتوبا بقلم غليظ فى اعلى الحائط الذى فوق باب الكعبة من داخلها .

قال : وقد تقدم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى صاحب مصر حلى باب الكعبة الذى عمله لها بخمسة وثلاثين الف درهم وثلاثمائة درهم وان حفيده الملك الاشرف شعبان بن حسين حلى باب الكعبة فى سنة ٧٧٦هـ قال الفاسى : هذا ماعلمته من حلية الكعبة بعد الازرقى (١) . ا.هـ زائد من تاريخ الكعبة المعظمة .

قال الشيخ حسين : ولم يوجد شيء مما تقدم من ذلك الحلى فى العصر الحاضر. والظاهر ان كل ذلك ازيل وذهب فى العمارة الاخيرة التى وقعت فى سنة ١٠٤٠هـ وابدل ذلك الحلى الذهبى بالثوب الحرير الاحمر الذى هو ساتر داخل الكعبة بدل تلك القناطر المقنطرة من الذهب والفضة التى تقدم ذكرها (٢) . ا.هـ

---

(١) شفاء الغرام (١: ١١٦) .

(٢) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ١٩٢ - ١٩٠) .

الفصل الثالث عشر

فى بيان : سدانة البيت

سدانة الكعبة قبل الاسلام .

كانت سدانة البيت الحرام بعد بناء ابراهيم الخليل عليه السلام اياه بيد ابنه اسماعيل عليه السلام ثم بعد وفاته صارت لولده نابت بن اسماعيل الى ان اغتصبها من ولده اخواله جرهم ، ومكثت السدانة فى جرهم عدة قرون الى ان اغتصبها منهم خزاعة ومكثت فيهم عدة قرون الى ان آل امر مكة والكعبة المعظمة الى قصى بن كلاب بن مرة القرشى ، وهو الجد الخامس للنبى صلى الله عليه وسلم فاسترجعها من خزاعة بعد حروب دامية . ثم صارت من بعده فى ولده الاكبر عبد الدار ، ثم صارت فى بنى عبد الدار جاهلية واسلاما الى ان آل امر السدانة الى شيبة بن عثمان بن ابى طلحة واسمه عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى .

ثم صار امر السدانة فى اولاد شيبة بن عثمان الى العصر الحاضر يتوارثونها كابرا عن كابر .

روى الازرقى فى اخبار مكة : انه ولد لاسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام اثنا عشر رجلا وامهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى ، وهم :

١ - نابت بن اسماعيل ٢ - قيدار ٣ - واصل ٤ - مياس
٥ - آزر ٦ - طيما ٧ - فطورا ٨ - نبش
٩ - قيدما

ولم يذكر الاسماء الثلاثة الباقين من الاثنى عشر . ثم ذكر الازرقى الحروب الدامية التى نشبت لاجل رياسة البيت وتوليتها . ولم اذكر هذه الحروب خوفا من التطويل[1].

سدانة البيت فى ظل الاسلام .

كان مفتاح البيت فى بنى عبد الدار حيث ان قصى بن كلاب اعطى ولاية مكة وشرفها لابنه الاكبر عبد الدار من بين ابنائه الاربعة وهم عبد الدار وعبد مناف وعبد شمس وعبد كما سيأتى بيانه .

ولما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا سنة ٨ هـ واراد ان يدخل البيت دعا عثمان بن طلحة الحجبى فاخذ منه مفتاح البيت ودخل وصلى فيه ثم اعطاه اليه الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

كما رواه الامام مسلم فى صحيحه بسنده من طريق سفيان عن ابن عمر قال : اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقة لاسامة بن زيد حتى اناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال ائتنى بالمفتاح فذهب الى امه فابت ان تعطيه فقال والله لتعطينه او ليخرجن هذا السيف من صلبى قال : فاعطته اياه فجاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فدفعه اليه ففتح الباب . . . الحديث[2].

وهذا اليوم يوم الفتح الاعظم حيث سقطت الجاهلية امام جند الله وحزبه ومفتاح البيت بيده صلى الله عليه وسلم وقد كان اراد يوما ان يدخل البيت قبل الهجرة فلم يفتح له عثمان الا باك منه وغلظ عليه .

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ٢٧٥) .

(٢) مسلم (٩ : ٨٥) .

وتمام القصة تسمع من الامام ابن القيم حيث يقول : وذكر ابن سعد فى الطبقات عن عثمان بن طلحة قال : كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ، فنلت منه ، فحلم عنى ثم قال : ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى ، اضعه حيث شئت ، فقلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلك فقال : بل عمرت وعزت يومئذ ، ودخل الكعبة . فوقعت كلمة منى موقعا ظننت يومئذ ان الامر سيصير الى ماقال . فلما كان يوم الفتح قال : ياعثمان ائتنى بالمفتاح فاتيت به فاخذه منى ، ثم دفعه الى وقال : خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم الا ظالم . ياعثمان ، ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف . قال : فلما وليت نادانى فرجعت اليه فقال : الم يكن الذى قلت لك ؟ قال : فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدى اضعه حيث شئت . فقلت : بلى اشهد انك رسول الله .

وقد اراد العباس ومن قبله على رضى الله عنهما ان يأخذا المفتاح من يده صلى الله عليه وسلم لتضم السدانة مع السقاية فلم يفعل عليه الصلاة والسلام ذلك وهو جالس فى المسجد بعد ماخرج من الكعبة وصلى فيها . يقول الامام ابن القيم فى هذه القصة : فقام اليه على بن ابى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يارسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية - صلى الله عليك - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال له : هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم بر ووفاء .

قال : وذكر سعيد بن المسيب ان العباس تطاول يومئذ لاخذ المفتاح

فى رجال من بنى هاشم فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة[١].

وقد اقر النبى صلى الله عليه وسلم بنى عبد الدار على سدانة البيت وحجابته حيث دفع اليهم مفتاح الكعبة خالدة تالدة . واقرلهم ذلك حين الغى افعال الجاهلية ومآثرها وهو واقف آخذا بعضادتى الباب وقريش تحته منتظرين . يقول الحافظ ابن القيم فى هذه الحادثة : ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفا ينتظرون ماذا يصنع ؟ فاخذ بعضادتى الباب وهم تحته فقال :

لا اله ألا الله وحده لا شريك له صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده ، الا كل مأثرة او مال او دم فهو تحت قدمى هاتين ، الا سدانة البيت وسقاية الحاج[٢].

وان قوله تعالى : ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ، نزلت فى رد مفتاح البيت الى بنى عبد الدار على قول كثير من المفسرين . يقول الحافظ ابن كثير : وقد ذكر كثير من المفسرين ان هذه الاية نزلت فى شأن عثمان بن طلحة بن ابى طلحة واسم ابى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان ابن عبد الدار بن قصى بن كلاب القرشى العبدرى صاحب الكعبة المعظمة وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن ابى طلحة الذى صارت الحجابة فى نسله الى اليوم . قال : وسبب نزولها فيه لما اخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) زاد المعاد (٢ : ٣٩٥) .

(٢) زاد المعاد (٢ : ٣٩٤) .

مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه .

وقال محمد بن اسحاق فى غزوة الفتح حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبدالله بن ابى ثور عن صفية بنت شيبة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن بيده . فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها . ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد قال ابن اسحاق فحدثنى بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ، الا كل مأثرة او دم او مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج . وذكر بقية الحديث فى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ الى ان قال ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فقام اليه على بن ابى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يارسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اين عثمان بن طلحة فدعى له ، فقال له : هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم وفاء وبر .

قال ابن جرير : حدثنى القاسم : حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج فى الاية قال : نزلت فى عثمان بن طلحة قبض منه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة فدخل فى البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الاية ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها . الاية . فدعا عثمان اليه فدفع اليه المفتاح . قال : وقال عمر بن الخطاب : لما خرج رسول الله صلى

الله عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو هذه الاية " ان الله يأمركم ان تـــــؤدوا الامانات الى اهلها" فداء ابى وامى ماسمعته يتلوها قبل ذلك .

قال : وهذا من المشهورات ان هذه الاية نزلت فى ذلك . وســـواء كانت نزلت فى ذلك اولا فحكمها عام[1] .

قال الشيخ حسين باسلامة : وقال الحافظ ابن عبدالـــبر فـــــى الاستيعاب : عثمان بن طلحة بن ابى طلحة القرشى العبدرى ،واسم ابــى طلحة عبدالله بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصى قتل ابوه طلحـــة وعمه عثمان بن ابى طلحة جميعا يوم احد كافرين . قتل حمزة عثمان ،وقتـــل على طلحة مبارزة . ثم قال : وهاجر عثمان بن طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وكانت هجرته فى هدنة الحديبية مع خالد بن الوليد فلقيا عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشى يريد الهجرة فاصطحبوا جميعا حتى قدمـــوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ،فقال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم حين رآهم : رمتكم مكة بافلاذ كبدها . يقول : انهم وجوه اهل مكـــــة فاسلموا ثم شهد عثمان بن طلحة فتح مكة فدفع رسول الله صلى الله عليــــه وسلم مفتاح الكعبة اليه والى شيبة بن عثمان بن ابى طلحة وقال : خذوهــــا خالدة تالدة لا ينزعها يابنى ابى طلحة منكم الا ظالم .

ثم نزل عثمان بن طلحة المدينة فاقام بها الى وفاة رسول الله صلـــــى الله عليه وسلم ثم انتقل الى مكة فسكنها حتى مات بها فى اول خلافة معاويـــة سنة ٤٢هـ ،وقيل انه قتل يوم اجنادين .

---

(١) تفسير ابن كثير سورة النساء (١ : ٥١٥ ، ٥١٦) .

وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : عثمان بن ابى طلحة واسمه عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار العبدرى حاجب البيت . . . قتل ابوه طلحة وعمه عثمان بن ابى طلحة باحد . ثم اسلم عثمان بن طلحة فى هدنة الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وشهد الفتح مع النبى صلى الله عليه وسلم فاعطاه مفتاح الكعبة . وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة ودخل معه بلال وعثمان بن طلحة واسامة بن زيد الحديث . ثم قال : وقد وقع فى تفسير الثعلبى بغير سند فى قوله تعالى : ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها" ان عثمان المذكور انما اسلم يوم الفتح بعد ان دفع له النبى صلى الله عليه وسلم مفتاح البيت ، وهذا منكر . والمعروف انه اسلم وهاجر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، وبذلك جزم . ثم سكن المدينة الى ان مات بها سنة اثنين واربعين . قاله الواقدى وابن البرقى . وقيل : استشهد باجنادين ، قاله العسكرى وهو باطل . ا.هـ

قال العلامة القسطلانى : وعثمان المذكور ابن ابى طلحة ابن عبد العزى ويقال له الحجبى ويعرفونه الان بالشيبيين ، نسبة الى شيبة بن عثمان ابن ابى طلحة وهو ابن عم عثمان ، وعثمان هذا لا ولد له ، وله صحبة ورواية واسم ام عثمان سلافة بضم السين . ا.هـ

قال : هذا ماكان من امر اسلام عثمان بن طلحة واخذه المفتاح من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح . ومن مطالعة ماتقدم يظهر انه وقع خلاف فى وفاة عثمان بن طلحة هل هو بالمدينة او بمكة او باجنادين فارجح الروايات تدل على انه مكث بالمدينة الى ان توفى رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثم رجع الى مكة واقام بها الى ان مات،والله اعلم .

واما ماكان من امر شيبة بن عثمان بن ابى طلحة الذى ينتهى اليه نسب سدنة الكعبة المشرفة فى عصرنا هذا وهم الشيبيون فقد اسلم عام الفتح على اصح الروايات وله صحبة ورواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ،وقد ترجم له كثير من الحفاظ والمؤرخين واصحاب التراجم والسير والمغازى .

فقال الحافظ ابن عبدالبر فى الاستيعاب : شيبة بن عثمان بن عبد الدار بن قصى القرشى العبدرى الحجبى المكى ،يكنى ابا عثمان وقيل : ابا صفية . وابوه عثمان بن ابى طلحة يعرف بالاوقص . قتله على بن ابى طالب رضى الله عنه يوم احد . اسلم شيبة بن عثمان يوم فتح مكة وشهد حنينا وقيل اسلم بحنين . قال الزبير : كان شيبة قد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين مشركا يريد ان يغتال رسول الله صلى الله عليه وسلم غرة فاقبل يريده فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياشيبة هلم لاام لك فقذف الله فى قلبه الرعب ودنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على صدره ثم قال : اخسأ عنك الشيطان فاخذه ونزع فقذف الله فى قلبه الايمان فاسلم قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ممن صبر معه يومئذ وكان من خيار المسلمين . ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة الى عثمان بن طلحة بن ابى طلحة ،والى ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابى طلحة وقال : خذوها خالدة تالدة الى يوم القيامة يابنى ابى طلحة لا يأخذها منكم الا ظالم . قال : فبنو طلحة هم الذين يلون سدانة الكعبة دون بنى عبدالدار .

قال ابن عبد البر : شيبة هذا هو جد بنى شيبة حجبة الكعبة الى اليوم دون سائر الناس اجمعين ، وهو ابو صفية بنت شيبة ، توفى فى آخر خلافة معاوية سنة ٥٩ هـ وقيل بل توفى فى ايام يزيد . وذكر بعضهم فى المؤلفة قلوبهم وهو من فضلائهم . ا.هـ

وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : شيبة بن عثمان وهو الاوقص ابن ابى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عبد الدار القرشى العبدرى الحجبى ابو عثمان . قال ابن السكن : امه ام جميل هند بنت عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار اخت مصعب بن عمير . قال البخارى وغير واحد : له صحبة ، اسلم يوم الفتح وكان ابوه ممن قتل باحد كافرا . ولبنته صفية بنت شيبة صحبة . وكان شيبة ممن ثبت يوم حنين بعد ان كان اراد ان يغتال النبى صلى الله عليه وسلم فقذف الله فى قلبه الرعب ووضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على صدره فثبت الايمان فى قلبه وقاتل بين يديه ـ رواه ابن ابى خيثمة عن مصعب النميرى . وذكره ابن اسحاق فى المغازى بمعناه . وكذا اخرجه ابن سعد عن الواقدى باسناد له مطول . وكذا ساقه البغوى باسناد آخر عن شيبة وفيه : فجئته من خلفه فدنوت ثم اذا لم يبق الا ان اثر بالسيف وقع لى شهاب من نار كالبرق فرجعت القهقرى ، فالتفت الى فقال : تعال ياشيبة ووضع يده على صدرى فرفعت اليه بصرى وهو احب الى من سمعى وبصرى الحديث .

وروى ابن سعد عن هوذة عن عوف عن رجل من اهل المدينة قال : دعا النبى صلى الله عليه وسلم شيبة بن عثمان فاعطاه مفتاح الكعبة فقال : دونك

هذا فانت امين الله على بيته . قال مصعب الزبيرى : دفع اليه والى عثمان ابن طلحة وقال : خذوها يابنى ابى طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم الا ظالم[1].

وذكر الواقدى ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطاها يوم الفتح لعثمان وانه ولى الحجابة الى ان مات فوليها شيبة فاستمرت فى ولده . وروى ابن لهيعة عن ابى الاسود عن عروة قال : اسلم العباس وشيبة ولم يهاجرا .اقام العباس على سقايته وشيبة على حجابته . وقال يعقوب بن سفيان : اقام شيبة للناس الحج سنة تسع وثلاثين . قال خليفة : وكان السبب فى ذلك ان عليا رضى الله عنه بعث قثم بن عباس ليقيم للناس الحج ،وبعث معاوية رضى الله عنه يزيد بن شجرة فتنازعا فسعى بينهما ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه وغيره فاصطلحا على ان يقيم الحج شيبة بن عثمان ويصلى بالناس .

وقد روى شيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابى بكر وعمر رضى الله عنهما . وروى عنه ابو وائل وابنه مصعب بن شيبة وحفيده مسافع بن عبد الله ابن شيبة وعبد الرحمن بن الزجاج وآخرون . قال خليفة وغير واحد : مات سنة ٥٩ هـ وقال ابن سعد : عاش الى خلافة يزيد بن معاوية ،واوصى الى عبد الله ابن الزبير رضى الله عنهم .

ووقع عند ابن منده : انه مات سنة ٥٨ ثمان وخمسين وهو ابن ثمان وخمسين وهو غلط . وكذا وقع له فى سياق نسبه غلط فاحش . ا.هـ

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ٢٩٤) .

قال : ويظهر من سياق التاريخ ان القاعدة التى صار عليها آل عبد الدار ان يكون المفتاح بيد اكبر العائلة سنا . ومما يدل على ذلك ماورد فى القصة ان قصى بن كلاب لما قسم مواد الشرف بين ابنيه عبد الدار وعبد مناف اعطى السدانة وهو مفتاح الكعبة لاكبر اولاده عبد الدار، ثم صارت من بعده فى اكبر اولاده .

اقول : ذكر ابن اسحاق وابن كثير هذه القصة وان قصيا اعطى الشرف لعبد الدار اكبر اولاده من ابنائه الاربعة : عبد الدار، وعبد مناف وعبد شمس وعبد .

يقول الحافظ ابن كثير : ثم لما كبر قصى فوض امر هذه الوظائف التى كانت اليه - من رياسات قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والندوة الى ابنه عبد الدار وكان اكبر ولده . وانما خصه بها كلها لان بقية اخوته - عبد مناف وعبد شمس وعبد كانوا قد شرفوا فى زمن ابيهم، وبلغوا فى قومهم شرفا كبيرا ، فاحب قصى ان يلحق بهم عبد الدار فى السؤدد فخصه بذلك . فكان اخوته لا ينازعونه فى ذلك فى زمنهم .

فلما انقرضوا تشاجر ابناؤهم فى ذلك، واختلفوا اختلافا كثيرا وكادوا ان يقتتلوا عليه ثم اصطلحوا واتفقوا على ان تكون الرفادة والسقاية لبنى عبد مناف وان يستقر الحجابة واللواء والندوة فى بنى عبد الدار . فانبرم الامر على ذلك واستمر .(١)

قال : ثم لما هاجر عثمان بن طلحة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (١ : ١٠٠) اختصارا .

ابقى المفتاح عند والدته . اقول : واليه يشير حديث مسلم ان ام عثمان ابت ان تعطيه فخوفها عثمان بالقتل كما مر . قال : ثم لما كان يوم الفتح اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح بامر الله تعالى الى عثمان بن طلحة لانه اكبر اولاد ابى طلحة . ثم لما هاجر عثمان الى المدينة هجرته الثانية اعطى المفتاح لابن عمه شيبة لكونه اصبح صاحب الحق فى الرياسة على آل ابى طلحة بعده . فلما رجع عثمان الى مكة اخذ المفتاح من شيبة وبقيت سدانة البيت بيده الى ان توفى سنة ٤٢هـ .

ثم بعد وفاته صار شيبة بن عثمان هو رئيس السدنة ولكون عثمان مات عقيما على مارواه القسطلانى وغيره فانحصرت السدانة فى اولاد شيبة من بعده فلما توفى شيبة بن عثمان سنة ٥٩هـ على اصح الروايات تولى رياسة السدنة بعده اكبر اولاده وهكذا جرى العمل فى ان يكون رئيس السدنة اكبر اولاد شيبة سنا من ذلك التاريخ الى العصر الحاضر .

وقد ذكر بعض الفقهاء والمؤرخين مايزيد ماذكرناه فى ذلك . فقال الكازرونى [1] فى فتاويه والسنجارى فى تاريخه : ان تقديم السدانة لاكبرهم سنا من فعله صلى الله عليه وسلم لانه دفع المفتاح يوم الفتح الى عثمان لانه اكبرهم سنا مع وجود شيبة بن عثمان بن ابى طلحة . فلما هاجر عثمان الى المدينة المنورة دفع المفتاح الى ابن عمه شيبة . فلما رجع عثمان مكة اخذ المفتاح منه وبقى فى يده الى ان مات سنة ٤٢هـ فتولى السدانة بعده ابن عمه شيبة الى ان توفى سنة ٥٩هـ .

---

(١) تاريخ الكعبة (ص ٢٩٥) .

قال وقد وقفت على بعض فتاوى للعلماء بتقديم أكبر السدنة سنا في الرياسة على الحجبة وان يكون المفتاح بيده لو كان غير مرضى الحال منهم الشيخ محمد يحيى الحطاب المالكى قال : اذا اختلف حجبة البيت فيما جرت به عادتهم من تقديم الاكبر فالاكبر يقضى لهم بذلك، لانه لا شك ان القضاء بالمعروف والعادة امر معمول به فى الشريعة فى ابواب متعددة من ابواب الفتوى . ا.هـ

ومنهم القاضى ابن ظهيرة قال فى فتاويه مانصه : اذا اختلف حجبة البيت فيما جرت به العادة هل يقضى لهم من تقديم اكبرهم سنا وربما كان غير مرضى الحال ؟ نعم، يقضى للاكبر وان كان غير مرضى الحال . وانما يجعل منه مشرف منهم . والقضاء بما جرت به العادة تشهد له مسائل كثيرة . ا.هـ (بلفظه) .

اقول : وقد اصبح هذا عندهم سنة متبعة فى الشيبيين الى اليوم .

سدنة البيت الذين تولوا هذا المنصب العظيم .

وقد تولى رياسة السدانة للكعبة كثير من آل الشيبة ممن لم يذكر اسمهم فى سلسلة النسب المتقدم ذكره . منهم غانم وعلى من ابناء غانم بن محمد بن مفرج .

ومحمد بن على ينتهى نسبهما الى يحيى بن عبيدة بن حمزة .

واحمد الطيب من اولاد سراج الدين بن محمد بن على .

وذكر تقى الفاسى ممن تولوا السدانة منهم : محمد بن ابى بكر بن ناصر بن احمد العبدرى الشيبى الملقب بالجمال ولى السدانة بعد

محمد بن يوسف الشيبي فى اوائل جمادى الاولى سنة ٧٤٩هـ وتوفى سنة ٧٧٢هـ .

ثم ذكر ممن كان اسمه محمد بن آل شيبة :

محمد بن عبد الرحمن بن طلحة بن طلحة بن الحارث بن طلحة بن ابى طلحة ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى . ابو عبد الله اخو منصور بن عبد الرحمن الحجبى .

محمد بن على بن ابى راجح بن محمد ادريس العبدرى الشيبي جمال الدين بن نور الدين شيخ الحجبة وفاتح الكعبة . ولى فتح الكعبة بعد موت قريبه فخر الدين ابى بكر محمد بن ابى بكر الشيبى سنة ٨١٧ وصار مفتاح الكعبة بعده لقريبه نور الدين بن على بن احمد الشيبى المعروف بالعراقى .

ومحمد بن يوسف بن ادريس بن مفرج بن غانم الشيبى شيخ الحجبة وفاتح الكعبة ولى السدانة بعد يحيى بن على بن يحيى الشيبى وتوفى سنة ٧٤٩هـ.(١)

وزين العابدين بن عبد القادر الشيبى .

ومحمد بن زين العابدين بن محمد بن عبد المعطى انيس ابن عم زين العابدين بن عبد القادر ، وبعد وفاة ابن عمه لم يوجد فى آل الشيبة ولد ذكر غيره وكان امير مكة فى ذلك العصر الشريف غالب بن مساعد فربى محمدا هذا تربية حسنة واعتنى به . وتولى امر السدانة ثلاثا واربعين سنة وله رسالة فى المناسك نظما على مذهب الامام الشافعى وتوفى سنة ١٢٥٣هـ .

---

(١) تاريخ الكعبة (ص ٣٠٣) .

وتولى اكبر اولاده عبدالقادر بن محمد بعد وفاة ابيه سنة ١٢٥٣ هـ ، وتوفى سنة ١٢٦٠ هـ وتولى رياسة السدنة سبع سنين .

ثم اخوه الشيخ سليمان بن محمد وتوفى سنة ١٢٦١ هـ ، سنة واحدة .

ثم اخوه جعفر بن محمد سنة واحدة فقط وتوفى سنة ١٢٦٢ هـ .

ثم اخوه الشيخ احمد بن محمد وفى عصره بنى دار المفتاح عند الصفا وتوفى سنة ١٢٧٤ هـ (١٢ سنة) .

ثم اخوه عبدالله بن محمد وتوفى سنة ١٢٩٦ هـ مكثت بيده ٢٢ سنة وهو احد من تولى سدانة البيت من اولاد الشيخ محمد بن زين العابدين .[1]

نسب آل الشيبى سدنة الكعبة .

هذا النسب بدأ به الشيخ حسين باسلامة من صاحب المفتاح المرحوم الشيخ عبدالقادر بن على الشيبى وقد كان مكتوبا فى لوحة بماء الذهب فى دار المفتاح مسكن رئيس السدنة .

قال : هذه سلسلة آل الشيبى اسردها كما وجدتها فى دار المفتاح الذى جعل فى هذا العصر مسكنا لرئيس السدنة على لوحة مكتوبة بخط بديع بماء الذهب . ابتدأت هذه السلسلة من صاحب الفضيلة مولانا الشيخ المرحوم عبدالقادر بن على الشيبى المتوفى فى اليوم العاشر من شهر رمضان ١٣٥١ هـ واليك سلسلة النسب :

عبدالقادر بن على بن محمد بن زين العابدين بن محمد بن عبد المعطى بن عبدالواحد بن محمد جمال الدين بن القاسم بن ابى السعود

---

(١) تاريخ الكعبة (ص ٣٠٥) مختصرا .

ابن ابى بكر فخر الدين بن محمد جمال الدين بن عمر بن سراج الدين بن محمد بن على بن غانم بن محمد بن مفرح بن محمد بن يحيى بن عبيدة بن حمزة ابن بركات بن شيبة بن عبد الله بن شعيب بن جبير بن شيبة بن عثمان بن ابى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب القرشى هذه سلسلة النسب ومنها يعلم ان آل الشيبى يجتمعون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصى بن كلاب[١].

بعد عبد القادر تولى السدنة الشيخ محمد بن محمد صالح بن احمد ابن محمد بن زين العابدين الشيبى ولد سنة ١٢٩٢هـ وتولى رياسة السدنة فى اليوم الحادى عشر من شهر رمضان سنة ١٣٥١هـ بعد وفاة الشيخ عبد القادر . وهو لا يزال فى رياسة السدنة الى اليوم[٢].

عبد الله بن عبد القادر بن على بن محمد بن زين العابدين . ولد بمكة سنة ١٢٩٧هـ وهو السادن الثانى بعد رئيس السدنة الحالى . وقد تقلد عدة وظائف فى حكومة جلالة الملك عبد العزيز المعظم وهو الان حين تحرير هذا المؤلف نائب رئيس مجلس الشورى الثانى ورئيس هيئة المطالبة باوقاف الحرمين الشريفين ورئيس هيئة الاسعاف الطبى وهو صاحب جاه واقبال ومكارم اخلاق وهمة فى الاعمال وسخاء وله حرمة ومكانة فى البلاد .

وله من الاولاد الذكور : الشيخ محمد امين ولد سنة ١٣٢٥هـ، والشيخ طه ولد سنة ١٣٢٣هـ وعاصم ولد سنة ١٣٢٧هـ، وزين العابدين ولد سنة

---

(١) (ص ٣٠١) بلفظه .

(٢) (ص ٣٠٨) .

١٣٣٩هـ وسراج الدين ولد سنة ١٣٤٤هـ وعبدالعزيز ولد سنة١٣٤٨هـ.

ابناء الشيخ عبدالله بن عبدالقادر الشيبي رئيس السدنة الذى قد بدأنا به سلسلة نسب آل شيبة بن عثمان الحجبى فيما تقدم[1].

(ذكر فى سلسلة النسب الشيخ عبدالمعطى، تولى السدانة سنة ١١٠٤هـ قال البخارى وابوه الشيخ عبدالواحد تولى رياسة السدنة سنة ١٠٨٠هـ) . من حاشية الكتاب المذكور .

الذين تولوا سدانة الكعبة .

هم احفاد الشيخ محمد بن زين العابدين .

(١) الشيخ عمر بن جعفر بن محمد بن زين العابدين الشيبى . ومكث المفتاح بيده ثمان سنين وتوفى سنة ١٣٠٤هـ .

(٢) ثم تولى بعده ابن عمه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن زين العابدين . وظل رئيسا على سدانة الكعبة الى سنة ١٣١١هـ ، فاخذ منه المفتاح وعزل عن رياسة السدانة فى عهد السلطان عبد الحميد خان .

(٣) وتولى بعده ابن عمه الشيخ محمد صالح بن احمد بن محمد بن زين العابدين ، فقد تولى رياسة مجلس الشيوخ فى عهد الملك الشريف الحسين بن على . وكان ذا رأى ثاقب ومكث رئيسا للسدنة ٢٤ سنة وتوفى سنة ١٣٣٥هـ وكانت ولادته سنة ١٢٧١هـ .

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة (ص ٣٠٩) .

(٤) ثم تولى بعده الشيخ عبدالقادر بن على بن محمد بن زين العابدين الشيبى رياسة السدنة سنة ١٣٣٥هـ وقد باشر مدة وظائف منها رئاسة مجلس الشيوخ فى عهد الملك الشريف الحسين بن على . وترأس عدة مجالس فى حكومة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وكانت له مكانة عند الملك . وظل رئيسا للسدنة ١٦ سنة الى ان توفى عاشر رمضان ١٣٥١هـ .

هؤلاء من الطبقة الثانية من احفاد الشيخ محمد بن زين العابدين .

ورئيس السدنة فى زمن الشيخ حسين هو الشيخ محمد بن حمد بن صالح ابن احمد بن محمد بن زين العابدين[1] .

فهؤلاء بنو ابى طلحة الذين اشار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : خذوها يابنى ابى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم قبل اربعة عشر قرنا وهى معجزة صريحة له عليه الصلاة والسلام على مر الزمان وهم لا يزالون الى يوم القيامة ، واليه يشير قوله عليه السلام " خالدة تالدة " ، كما قاله كثير من العلماء بان نسبهم لا ينقطع الى يوم الساعة .

اقول : فى اثناء كتابة هذه الرسالة توفى رئيس السدنة الشيخ محمد امين بن عبدالله الشيبى ، ولد سنة ١٣٢٥هـ يوم ١٧ محرم الحرام ١٣٩٩ هـ وابوه الشيخ عبدالله بن عبدالقادر الذى قال عنه الشيخ حسين وهو السادن الثانى بعد رئيس السدنة الحالى . ثم تولى بعده سدانة الكعبة اخوه

---

(١) (ص ٣٠٨) اختصارا .

الشيخ طه بن عبد الله . كما نشرت ذلك جرائد المملكة[١] . وقد ولد بمكة سنة ١٣٣٣هـ وهو رئيس السدنة الحالي حين كتابة هذه السطور .

فيكون النسب هكذا : الشيخ طه بن عبد الله بن عبد القادر بن علي ابن محمد بن زين العابدين بن محمد بن عبد المعطي بن عبد الواحد بن محمد جمال الدين بن القاسم بن ابي السعود بن ابي بكر فخر الدين بن محمد جمال الدين بن عمر بن سراج الدين بن محمد بن علي بن غانم بن محمد بن مفرج بن محمد بن يحيى بن عبيدة بن حمزة بن بركات بن شيبة بن عبد الله بن شعيب بن جبير بن شيبة بن عثمان بن ابي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب الشيبي القرشي .

---

(١) اخبار العالم الاسلامي ، الاسبوعية تصدر عن ادارة الصحافة والنشر برابطة العالم الاسلامي ، العدد ٦٠٨ - ٢٥ محرم الحرام ١٣٩٩هـ .

الفصل الرابع عشر

فى بيان موقف تبع من البيت وتفسير سورة الفيل

فشل محاولة تدميره .

تبع هو اسعد الحميرى اراد هتك حرمة البيت لمؤامرة دبرها الهذليون حسدا على تولية القريش عليه . فوجدوا فرصة متاحة لتنفيذ مؤامرتهم بالتعاون مع جبار من جبابرة العرب حينذاك ،فباءت محاولتهم بالفشل وخابوا ولم ينالوا منه خيرا بل عوقبوا جزاء سنمار . وجعل الله تدبيرهم تدميرا لهم وكذلك شأن حرم الله حماه من اراده بسوء كما فعل باصحاب الفيل ،وسيأتى تفصيله .

يقول الازرقى عن هذه القصة : حدثنا ابو الوليد : حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال اخبرنى ابن اسحاق ،قال : سار تبع الاول الى الكعبة،واراد هدمها وتخريبها وخزاعة يومئذ تلى البيت وامر مكة فقامت خزاعة دونه وقاتلت عنه اشد القتال حتى رجع،ثم تبع آخر فكذلك .

واما التبابعة الذين ارادوا هدم الكعبة وتخريبها ثلاثة . وقد كان قبل ذلك منهم من يسير فى البلاد فاذا دخل مكة عظم الحرم والبيت .

واما التبع الثالث الذى اراد هدم البيت فانما كان فى اول زمان قريش قال : وكان سبب خروجه ومسيره اليه ان قوما من هذيل من بنى لحيان جاءوه فقالوا : ان بمكة بيتا تعظمه العرب جميعا وتفد اليه ،وتنحر عنده وتحجه وتعتمره . وان قريشا تليه فقد حازت شرفه وذكره وانت اولى ان يكون ذلك

البيت وشرفه وذكره لك . فلو سرت اليه وخربته وبنيت عندك بيتا صرفت حاج العرب اليه كنت احق به منهم . قال : فاجمع المسير اليه .

ابن اسحاق قال : فسار حتى اذا كان بالدف من جمدان بين امج وعسفان دفت بهم الارض وغشيتهم ظلمة شديدة وريح . فدعا احبارا كانوا معه من اهل الكتاب فسألهم ، فقالوا : هل هممت لهذا البيت بسوء؟ فاخبرهم بما قال لهم الهذليون وبما اراد ان يفعل . فقالت الاحبار : والله ما ارادوا الا هلاكك وهلاك قومك . ان هذا بيت الله الحرام ، ولم يرده احد قط بسوء الا هلك . قال : فما الحيلة ؟ قالوا : تنوله خيرا ان تعظمه وتكسوه وتنحر عنده وتحسن الى اهله ، ففعل فانجلت عنهم الظلمة وسكنت الريح وانطلقت بهم ركابهم ودوابهم . فامر تبع بالهذليين فضربت اعناقهم وصلبهم . وانما كانوا فعلوا ذلك حسدا لقريش طي ولا يتهم البيت .

ثم سار تبع حتى قدم مكة ، فكانت سلاحه بقعيقعان . فيقال : فبذلك سمي قعيقعان . وكانت خيله باجياد . ويقال : انما سميت اجياد ، اجيادا بجياد خيل تبع . وكانت مطابخه في الشعب الذي يقال له : شعب عبد الله ابن عامر بن كريز . فلذلك سمي الشعب المطابخ .

فاقام بمكة اياما ينحر في كل يوم مائة بدنة لا يرزأ هو ولا احد من في عسكره منها شيئا . يردها الناس فيأخذون منها حاجتهم . ثم تقع الطير فتأكل ، ثم تنتابها السباع اذا امست لا يصد عنها شيء من الاشياء انسان ولا طائر ولا سبع . يفعل ذلك كل يوم مقامه اجمع ثم كسا البيت كسوة كاملة كساه العصب . وجعل له بابا يغلق بضبة فارسية .

قال ابن جريج : كان تبع اول من كسا البيت كسوة كاملة . ارى فـــى المنام ان يكسوها فكساها الانطاع، ثم ارى ان يكسوها فكساها الوصائل - ثياب حبرة من عصب اليمن . وجعل لها بابا يغلق ولم يكن يغلق قبل ذلك .

وقال تبع فى ذلك وفى مسيره شعرا :

وكسونا البيت الذى حرم اللـــه ملاءً معصبا و بـــــرودا

واقمنا به من الشهـــر عشـــرا وجعلنا لبابـــه اقليـــدا

وخرجنا منـــه لؤم سهيــــــلا قد رفعنا لواءنا معقـــودا[1]

وذكر ابن اسحاق سببا آخر لمسير تبع الى مكة خلاف ماذكره الازرقـــى وهو ان الهذليين ارادوا هلاكه للخلاص من سطوته . فقال : وكان تبع وقومـــه اصحاب اوثان يعبدونها ، فتوجه الى مكة ، وهى طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان وامج اتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بـــن معد فقالوا له : ايها الملك ، الا ندلك على بيت مال داثر اغفلته الملوك قبلـــك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت ، والذهب والفضة . قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبد اهله ويصلون عنده .

وانما اراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من اراده مـــــن الملوك وبغى عنده . فلما اجمع لما قالوا ارسل الى الحبرين ، فسألهما عن ذلـــك فقالا له : ما اراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك . مانعلم بيتا لله اتخذه فـــى الارض لنفسه غيره ، ولئن فعلت مادعوك اليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعــــا قال : فماذا تأمرانني ان اصنع اذا انا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنـــــده

---

(١) اخبار مكة (١ : ١٣٢ - ١٣٤) .

ما يصنع اهله - تطوف به ، وتعظمه ، وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده ، وتذل له ، حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما انتما من ذلك ؟ قال : اما والله ، انه لبيت ابينا ابراهيم ، وانه لكما اخبرناك ، ولكن اهله حالوا بيننا وبينه بالاوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يهرقون عنده . وهم نجس اهل شرك - او كما قالا له - فعرف نصحهما وصدق حديثهما . فقرب النفر من هذيل ، فقطع ايديهم وارجلهم . ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه ، واقام بمكة ستة ايام - فيما يذكرون - ينحر بها للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل .

وارى في المنام ان يكسو البيت ، فكساه الخصف ، ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك ، فكساه المعافر ، ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك ، فكساه الملاء والوصائل . فكان تبع - فيما يزعمون - اول من كسا البيت . واوصى به ولاته من جرهم ، وامرهم بتطهيره ، والا يقربوه دما ولا ميتة ولا مئلاة - وهي المحايض وجعل له بابا ومفتاحا[1] .

وذكر الفاسي اسبابا اخرى غير ما ذكره الازرقي فقال : وذكر الفاكهي بسنده عن جعفر بن محمد عن ابيه اخبارا من خبر تبع منها : لما اقبل تبع يريد هدم البيت وصرف وجوه العرب الى اليمن فبات صحيحا فاقبل وقد سالت عيناه على خديه فبعث الى الاحبار والسحرة والكهان والمنجمين فقال : مالي ؟ فوالله لقد بت ليلتي وما اجد شيئا ثم صرت الى ما ترون ، فقالوا : لعلك حدثت نفسك لهذا البيت بسوء ؟ فقال : نعم . قالوا : فحدث نفسك ان تصنع به وباهله خيرا . ففعل وقد رجعت عيناه فارتد بصيرا وكسى البيت الخصف . ا . هـ

---

(١) سيرة ابن هشام (١ : ٢٣ - ٢٥) .

ونقل عن السهيلي : ان تبعا لما عمد الى البيت يريد تخريبه رمى بداء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا يثج ثجا ، وانتن حتى لا يستطيع احد ان يدنو منه قيد رمح .

وقيل : بل ارسل عليه ريح كنعت منه يديه ورجليه وجلده واصابتهم ظلمة شديدة حتى دفت خيلهم فسمى ذلك المكان الدف . فدعا الحزاة والاطباء فسألهم من ذلك فهالهم مارأوا منه ولم يجد له عندهم فرجا . فعند ذلك قال له الحبران : لعلك هممت بشيء في امر هذا البيت ؟ فقال نعم اردت هدمه ، فقالا له : تب الى الله مما نويت فانه بيت الله وحرمه وامر له بتعظيم حرمه ففعل ذلك فبرأ من دائه وصح من وجعه . قال السهيلي : واخلق بهذا الخبر ان يكون صحيحا فان الله سبحانه يقول : " ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم " .[1]

وكذلك شأن من اراد ببيته سوءا يهلكهم ويعاقبهم كما يخسف الله بقوم في آخر الزمان يريدون هدم البيت . كما رواه النسائي قال : اخبرنا الحسين ابن عيسى : ثنا سفيان عن امية بن صفوان بن عبد الله بن صفوان سمع جده يقول حدثتني حفصة انه قال صلى الله عليه وسلم ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى اذا كانوا ببيداء من الارض خسف باوسطهم فينادى اولهم وآخرهم فيخسف بهم جميعا ولا ينجو الا الشريد الذى يخبر عنهم . فقال له رجل : اشهد عليك انك ماكذبت على جدك واشهد على جدك انه ماكذب على حفصة واشهد على حفصة انها لم تكذب على النبي صلى الله عليه وسلم .[2]

---

(١) شفاء الغرام (١ : ١٨٨) .

(٢) النسائي (٥ : ٢٠٧) .

تفسير سورة الفيل .

بسم الله الرحمن الرحيم . الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل . الـم يجعل كيدهم فى تضليل . وارسل عليهم طيرا ابابيل . ترميهم بحجارة مـن سجيل . فجعلهم كعصف مأكول .

يقول الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه السورة : هذه من النعم الـتى امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من اصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو اثرها من الوجود فاباد هم الله وارغم انافهم وخيب سعيهم واضل عملهم وردهم بشر خيبة وكانوا قوما نصارى وكان دينهم اذ ذاك اقـرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الاوثان .

ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى اللـه عليه وسلم فانه فى ذلك العام ولد على اشهر الاقوال . ولسان حال القـدر يقول : لم ننصركم يامعشر قريش على الحبشة لخيرتكم عليهم ، ولكن صيانـة للبيت العتيق الذى ستشرفه وتعظمه ونوقره ببعثة النبى الامى محمد صلـوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء .

وهذه قصة اصحاب الفيل على وجه الايجاز والاختصار والتقريب ـ قـد تقدم فى قصة اصحاب الاخدود ان ذا نواس وكان آخر ملوك حمير وكان مشركـا وهو الذى قتل اصحاب الاخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين الفـا فلم يفلت منهم الا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام وكـان نصرانيا فكتب له الى النجاشى ملك الحبشة لكونه اقرب اليهم فبعث معه اميريـن ارياط وابرهة بن الصباح ابا يكسوم فى جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خـلال

الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو نواس غريقا في البحر . واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الاميران ارياط وابرهة فاختلفا في امرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا فقال احدهما للاخر : انه لا حاجة بنا الى اصطدام الجيشين بيننا ولكن ابرز الى وابرز اليك فاينا قتل الاخر استقل بعده بالملك فاجابه الى ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما قناة . فحمل ارياط على ابرهة فضربه بالسيف فشرم انفه وفمه وشق وجهه ، وحمل عتوده مولى ابرهة على ارياط فقتله ورجع ابرهة جريحا فداوى جرحه فبرأ واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن . فكتب اليه النجاشي يلومه على ماكان منه ويتوعده ويحلف : ليطأن بلاده ويجزن ناصيته فارسل اليه ابرهة يترقق له ويصانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه من تراب اليمن وجز ناصية فارسلها معه . يقول في كتابه : ليطأ الملك على هذا الجراب فيبر قسمه وهذه ناصيتي قد بعثت بها اليك فلما وصل ذلك اليه اعجبه منه ورضى عنه واقره على عمله .

وارسل ابرهة يقول للنجاشي : انى سأبنى لك كنيسة بارض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء عالية الفناء مزخرفة الارجاء سمتها العرب القليس لارتفاعها لان الناظر اليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها . وعزم ابرهة الاشرم على ان يصرف حج العرب اليها كما يحج الى الكعبة بمكة . ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا ، حتى قصدها بعضهم وتوصل الى ان دخلها ليلا فاحدث فيها وكر راجعا فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا امره الى ملكهم ابرهة ، وقالوا له : انما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذى ضاهيت هذا به . فاقسم ابرهة

ليسيرن الى بيت مكة وليخربنه حجرا حجرا .

قال : وذكر مقاتل بن سليمان ان فتية من قريش دخلوها فاججوا فيها نارا وكان يوما فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت الى الارض فتأهب ابرهة لذلك ، وسار فى جيش كثيف عرمرم لئلا يصده احد عنه واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعثه اليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ،

ويقال كان معه ايضا ثمانية افيال . وقيل اثنا عشر فيلا غيره ، فالله اعلم ، يعنى ليهدم به الكعبة بان يجعل السلاسل فى الاركان وتوضع فى عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة .

فلما سمعت العرب بمسيره اعظموا ذلك جدا ورأوا ان حقا عليهم المحاجبة دون البيت ورد من اراده بكيد . فخرج اليه رجل من اشراف اهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نفر فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الى حرب ابرهة وجهاده عن بيت الله وما يريده من هدمه وخرابه فاجابوه وقاتلوا ابرهة فهزمهم ،[1] لما يريده الله عز وجل من كرامة البيت وتعظيمه . واسر ذو نفر فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى اذا كان بارض خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قومه شهران وناهس فقاتلوه فهزمهم ابرهة واسر نفيل ابن حبيب فاراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله فى بلاد الحجاز فلما اقترب من ارض الطائف خرج اليه اهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذى يسمونه اللات فاكرمهم وبعثوا معه ابا رغال دليلا . فلما انتهى ابرهة الى المغمس وهو قريب من مكة نزل به ، واغار جيشه على سرح اهل مكة من الابل وغيرها فاخذه .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ : ٥٤٩) .

وكان فى السرح مائتا بعير لعبد المطلب، وكان الذى اغار على السرح بامر ابرهة امير المقدمة ، وكان يقال له الاسود ابن مقصود . فهجاه بعض العرب فيما ذكره ابن اسحاق . وبعث ابرهة حناطة الحميرى الى مكة وامره ان يأتيه باشرف قريش وان يخبره ان الملك لم يجئ لقتالكم الا ان تصدوه عن البيت . فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه من ابرهة ما قال فقال له عبد المطلب والله مانريد حربه ومالنا بذلك من طاقة . هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم . فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وان يخلى بينه وبينه فوالله ماعندنا دفع عنه . فقال له حناطة : فاذهب معى اليه فذهب معه فلما رآه ابرهة اجله ، وكان عبد المطلب رجلا جسيما حسن المنظر، ونزل ابرهة عن سريره وجلس معه على البساط . وقال لترجمانه قل له ماحاجتك ؟ فقال للترجمان : ان حاجتى ان يرد على الملك مائتى بعير اصابها لى . فقال ابرهة لترجمانه : قل له لقد كنت اعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى . اتكلمنى فى مائتى بعير اصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه ؟ فقال له عبد المطلب : انى انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه . قال : ماكان ليمتنع منى . قال : انت وذاك .

ويقال انه ذهب مع عبد المطلب جماعة من اشراف العرب، فعرضوا على ابرهة ثلث اموال تهامة على ان يرجع من البيت . فابى عليهم ، ورد ابرهة على عبد المطلب ابله . ورجع عبد المطلب الى قريش فامرهم بالخروج من مكة والتحصن فى رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لا هم ان المـــرء يمـــ ــنع رحله فامنع رحالـــك

لا يغلبـــن صليبهـــم ومحالهم ابدا محالـــك

قال ابن اسحاق : ثم ارسل عبد المطلب حلقة الباب ثم خرجوا الـــى رؤوس الجبال . وذكر مقاتل بن سليمان انهم تركوا عند البيت مائة بدنـــة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيئا بغير حق فينتقم الله منهم . فلمـــا اصبح ابرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله ، وكان اسمه محمودا ، وعبأ جيشـــه فلما وجهوا الفيل نحو مكة اقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنبه ثم اخـــذ باذنه وقال : ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت ، فانك في بلد اللـــه الحرام . ثم ارسل اذنه . فبرك الفيل . وخرج نفيل بن حبيب يشتد حـــتى اصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فابى فضربوا في رأسه بالطبرزيـــن وادخلوا محاجن لهم في مراقه فنزعوه بها ليقوم فابى فوجهوه راجعا الـــى اليمن فقام يهرول . ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك .

وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كـــل طائر منها ثلاثة احجار حملها - حجر في منقاره وحجران في رجليـــه امثـــال الحمص والعدس لا يصيب منهم احدا الا هلك . وليس كلهم اصابت . وخرجـــوا هاربين يبتدرون الطريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق . هـــذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا انزل اللـــه باصحاب الفيل من النقمة . وجعل نفيل يقول :

اين المفر والاله الطالـــب والاشرم المغلوب ليس الغالب

قال وذكر الواقدى باسناده انهم لما تعبأوا لدخول الحرم وهيأوا الفيل جعلوا لا يصرفونه الى جهة من سائر الجهات الا ذهب فيها . فاذا وجهوه الى الحرم ربض وصاح . وجعل ابرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم وطال الفصل فى ذلك .

هذا وعبد المطلب وجماعة من اشراف مكة فيهم المطعم بن عدى وعمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو الثقفى على حراء ينظرون ماالحبشة يصنعون وماذا يلقون من امر الفيل ، وهو العجب العجاب . فبينما هم كذلك ان بعث الله عليهم طيرا ابابيل اى قطعا قطعا صفرا اللون دون الحمام وارجلها حمر ، ومع كل طائر ثلاثة احجار ، وجاءت فحلقت عليهم وارسلت تلك الاحجار عليهم فهلكوا .

وقال عطاء بن يسار وغيره : ليس كلهم اصابه العذاب فى الساعة الراهنة بل منهم من هلك سريعا ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون . وكان ابرهة ممن تساقط عضوا عضوا حتى مات ببلاد خثعم .

وقال ابن اسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل . واصيب ابرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط انملة انملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

وذكر مقاتل بن سليمان ان قريشا اصابوا مالا جزيلا من اسلابهم وما كان معهم وان عبد المطلب اصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة .

وقد قال محمد بن اسحاق : حدثنا عبدالله بن ابى بكر عن عمرة بنت عبدالرحمن بن اسعد بن زرارة عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل

وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان . ورواه الواقدى عن عائشة مثله . ورواه عن اسماء بنت ابى بكرانها قالت : كانا مقعدين يستطعمان الناس عند اساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم.[1]

هذه الحادثة التاريخية وقعت فى وادى محسر بين منى والمزدلفة وقدره رمية حجر وهذا الوادى معروف حتى الان . فلما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الموضع وهو يفيض الى منى فى حجته حرك دابته ليجتازه سريعا وكان هذا دأبه عليه الصلاة والسلام فى محل وقوع العذاب،كما فعل ذلك فى غزوة تبوك فمشى سريعا لما كان فى وادى ثمود قوم صالح عليه السلام ومنع اصحابه ان يشربوا من مائه .

وذكر ذلك جابر رضى الله عنه فى حديثه عن حجة النبى صلى الله عليه وسلم قال : حتى اتى بطن محسر فحرك قليلا .

يقول الامام النووى فى شرحه : اما محسر فبضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة . سمى بذلك لان فيل اصحاب الفيل حسر فيه اى اعيى وكل . قال : ويكون ذلك قدر رمية حجر.[2]

المفردات .

قال ابن كثير رحمه الله : قال ابن هشام : الابابيل : الجماعات،ولم تتكلم العرب بواحدة . قال : واما السجيل ،فاخبرنى يونس النحوى وابو عبيدة انه عند العرب الشديد الصلب . قال : ذكر بعض المفسرين انهما

---

(١) تفسير ابن كثير(٤ : ٥٤٨ - ٥٥٢) .

(٢) مسلم(٨ : ١٩٠) .

كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة واحدة . وانما هو سنج وجل ، يعني بالسنج الحجر والجل الطين . قال : والعصف : ورق الزرع الذى لم يقضب . واحدته عصفة . انتهى ماذكره

وقال ابن عباس والضحاك : ابابيل : يتبع بعضها بعضا . وقال الحسن البصرى وقتادة : الابابيل : الكثيرة . وقال مجاهد : ابابيل شتى متتابعة مجتمعة . وقال ابن زيد : الابابيل : المختلفة تأتى من هنا ومن ههنا . وقال الكسائى : سمعت بعض النحويين يقول : واحد الابابيل ابيل .

وقوله تعالى " فجعلهم كعصف مأكول " ، قال سعيد بن جبير يعني التبن الذى تسميه العامة هبور . وفى رواية عن سعيد : ورق الحنطة، وعنه ايضا العصف : التبن . والمأكول : القصيل يجز للدواب . وكذلك قال الحسن البصرى ، وعن ابن عباس : العصف : القشرة التى على الحبة كالغلاف على الحنطة . وقال ابن زيد : العصف : ورق الزرع وورق البقل اذا اكلته البهائم فرأيته فصار درينا .

والمعنى ان الله سبحانه وتعالى اهلكهم ودمرهم وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرا واهلك عامتهم ولم يرجع عنهم بخبر الا وهو جريح كما جرى لملكهم ابرهة فانه انصدع صدره عن قلبه حين وصل الى بلده صنعاء واخبرهم بما جرى لهم ثم مات.[1]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ : ٥٥٢) .

يقول ابن جرير الطبرى فى هذه الحادثة :

وكان السبب الذى من اجله حلت عقوبة الله تعالى باصحاب الفيل مسير ابرهة الحبشى بجنده معه الفيل الى بيت الله الحرام لتخريبه ، وكان الذى دعاه الى ذلك فيما حدثنا به ابن حميد : ثنا سلمة بن النفيل : ثنا ابن اسحاق : ان ابرهة بنى كنيسة بصنعاء وكان نصرانيا فسماها القليس لم ير مثلها فى زمانها من الارض وكتب الى النجاشى ملك الحبشة : انى قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى اصرف اليها حاج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة ذلك للنجاشى غضب رجل من النسأة احد بنى فقيم ثم احد بنى مالك فخرج حتى اتى القليس فقعد فيها ثم خرج فلحق بارضه فاخبر ابرهة بذلك ، فقال : من صنع هذا ؟ فقيل صنعه رجل من اهل هذا البيت الذى تحج العرب اليه بمكة لما سمع من قولك : اصرف اليه حاج العرب فغضب فجاء فقعد فيها اى انها ليست لذلك باهل . فغضب عند ذلك ابرهة وحلف ليسيرن الى البيت فيهدمه .

وعند ابرهة رجال من العرب قد قدموا عليه يلتمسون فضله منهم محمد ابن خزاعى بن حزابة الذكوانى ثم السلمى فى نفر من قومه معه اخ له يقال له قيس بن خزاعى فبينما هم عنده غشيهم عيد لابرهة فبعث اليهم فيه بغدائه وكان يأكل الخصى . فلما اتى القوم بغدائه قالوا : والله لئن اكلنا هذا لا تزال تسبنا العرب مابقينا فقام محمد بن خزاعى فجاء ابرهة فقال ايها الملك : ان هذا يوم عيد لنا لا نأكل فيه الا الجنوب والايدى . فقال له ابرهة : فسنبعث اليكم ما احببتم فانما اكرمتكم بغدائى امنزلتكم عندى . ثم

ان ابرهة توج محمد بن خزاعى وامره على مضر وامره أن يسير فى الناس يدعوهم الى حج القليس كنيسته التى بناها . فسار محمد بن خزاعى حتى اذا نزل ببعض ارض بنى كنانة وقد بلغ اهل تهامة امره وماجاء له بعثوا اليه رجلا من هذيل يقال له عروة بن حياض الملاحى فرماه بسهم فقتله . وكان محمد بن خزاعى اخوه قيس بن خزاعى فهرب حين قتل اخوه فلحق بابرهة فاخبره بقتله فزاد ذلك ابرهة غضبا وحنقا وحلف ليغزون بنى كنانة وليهدمن البيت[1].

ولما تهيأ وخرج قابله رجل من اشراف اهل اليمن يقال له ذو نفر ودعا العرب لقتاله ، فهزم[1] . والباقى كما فى ابن كثير الى آخر ماتقدم[2].

---

(١) تفسير ابن جرير (٣ : ١٩٣ - ١٩٤) .

(٢) محمد على زنجى (ص ٢٦٣) الطبعة الاولى - المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية ١٣٢٩هـ .

الفصل الخامس عشر

فى بيان مصير الكعبة فى آخر الزمان

الكعبة بيت الله الحرام وقبلة المسلمين احياء واموانا ترفع فى آخر لحظة حياة الارض بأن يخربها الحبشة ويقلعونها حجرا حجرا . وذلك بعد ما ترك حجه وطوافه وباستحلال اهله اياه .

روى الامام البخارى فى صحيحه تحت باب " هدم الكعبة " فقال حدثنا عمرو بن على : حدثنا يحيى بن سعيد : حدثنا عبيد الله بن الاخنس: حدثنى ابن ابى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما : عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كأنى به اسود افحج يقلعها حجرا حجرا .

قال : حدثنا يحيى بن بكير : حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب : ان ابا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة .

يقول الحافظ ابن حجر فى شرحه : والذى يظهر ان فى الحديث شيئا حذف . ويحتمل ان يكون هو ما وقع فى حديث على عند ابى عبيد فى غريب الحديث من طريق ابى العالية عن على قال : استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يحال بينكم وبينه فكأنى برجل من الحبشة اصلع او قال اصمع حمش الساقين قاعد عليها وهى تهدم . ورواه الفاكهى من هذا الوجه ولفظه اصعل بدل اصلع . وقال : قائما عليها يهدمها بمسحاته . ورواه يحيى الحمانى فى مسنده من وجه آخر عن على مرفوعا .

شرح الغريب : افحج بوزن افعل بفاء ثم حاء ثم جيم . والفحج تباعد مابين الساقين .

الاصلع : من ذهب شعر مقدم رأسه . والاصعل : الصغير الرأس .

الاصمع : الصغير الاذنين . حمش الساقين : دقيق الساقين . وهو موافق لقوله فى رواية ابى هريرة : ذو السويقتين .

ذو السويقتين : تثنية السويقة ، وهى تصغير ساق . اى له ساقان دقيقان .

ثم يقول الحافظ : ووقع هذا الحديث عند احمد من طريق سعيد بن سمعان عن ابى هريرة باتم من هذا السياق ، ولفظه : يبايع للرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت الا اهله . فاذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ، ثم تجئ الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده ابدا . وهم الذين يستخرجون كنزه . رواه الحاكم ايضا فى مستدركه (١) .

ولابى قرة فى السنن من وجه آخر عن ابى هريرة مرفوعا : لا يستخرج كنز الكعبة الا ذو السويقتين من الحبشة . ونحوه لابى داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (وعنه الحاكم ايضا) . وزاد احمد والطبرانى من طريق مجاهد عنه : فيسلبها حليتها ويجردها من كسوتها ، كأنى انظر اليه اصيلع افيدع يضرب عليها بمسحاته او بمعوله .

ثم يقول : قيل هذا الحديث يخالف قوله تعالى " اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا " ولان الله حبس عن مكة الفيل ولم يمكن اصحابه من تخريب الكعبة ولم تكن اذ ذاك قبلة . فكيف يسلط عليها الحبشة بعد ان صارت قبلة

---

(١) (٤٥٢:٤) .

المسلمين . واجيب : بان ذلك محمول على انه يقع فى آخر الزمان قرب قيـــام الساعة حيث لا يبقى فى الارض احد يقول : الله الله . كما ثبت فى صحيــــح مسلم : لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله . ولهذا وقع فى روايـــة سعيد بن سمعان : لا يعمر بعده ابدا[1] .

اضيف الى هذا مارواه الحاكم عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهمــــا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استمتعوا من هذا البيت فانـــه قد هدم مرتين ويرفع الثالثة . الحاكم : هذا حديث صحيح على شـــرط الشيخين ولم يخرجاه . الذهبى : صحيح على شرطهما[2] .

قال الحافظ : وقد وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو اهل الشام لـــه فى زمان يزيد بن معاوية ثم من بعده فى وقائع كثيرة من اعظمها وقعـــة القرامطة بعد الثلثمائة فقتلوا من المسلمين فى المطاف من لا يحصى كثرة وقلعوا الحجر الاسود فحولوه الى بلادهم، ثم اعادوه بعد مدة طويلة . ثم غزى مـرارا بعد ذلك وكل ذلك لا يعارض قوله تعالى " اولم يروا انا جعلنا حرما آمنـــا " لان ذلك انما وقع بايدى المسلمين فهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم " لـن يستحل هذا البيت الا اهله " .

فوقع ما اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم وهو من علامات نبوته . وليـس فى الاية مايدل على استمرار الامن المذكور فيها . والله اعلم[3] .

وهذه الاحاديث من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم عما سيقع فيها بعـد

---

(١) فتح (٤ : ٢٠٦ - ٢٠٧) .

(٢) المستدرك (١ : ٤٤١) .

(٣) فتح (٤ : ٢٠٧) .

وتدل على ان اصحاب هؤلاء المتآمرين سيمكنون مما ارادوه . ولا يعجل الله عقوبته عليهم وذلك لان وقت فناء الدنيا وقيام الساعة قد حان .

وهناك مؤامرة دمر الله اصحابها كأصحاب الفيل قامت لتدمير البيت وكذلك يهلك الله قوما فيما بعد يريدون هتك حرمات الله كما جاء فى صحيح البخارى والنسائى وغيرهما واللفظ للبخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يغزو جيش الكعبة . فاذا كانوا ببيداء من الارض يخسف باولهم وآخرهم . قالت : قلت يارسول الله ،كيف يخسف باولهم وآخرهم وفيهم اسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال : يخسف باولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم[1].

---

(١) فتح (٥ : ٢٤٢) .

الفصل السادس عشر

فى بيان بقاء الدين والدنيا ببقاء البيت

والدليل على هذا قوله تعالى " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس " . وقد عقد البخارى بابا بقوله تعالى هذا .

يقول الحافظ ابن حجر : كأنه يشير الى أن المراد بقوله : قياما اى قواما ، وانها مادامت موجودة فالدين قائم .

قال : ولهذه النكتة اورد فى الباب قصة هدم الكعبة فى آخر الزمان وقد روى ابن ابى حاتم باسناد صحيح عن الحسن البصرى : انه تلا هذه الاية فقال : لا يزال الناس على دين ما حجوا البيت واستقبلوا القبلة .

وعن عطاء قال : قياما للناس ، لو تركوه عاما لم ينظروا ان يهلكوا . وان البيت قواما لدنيا الناس .

والدليل على هذه النتيجة مارواه الامام البخارى بسنده فقال : حدثنا احمد : حدثنا ابى : حدثنا ابراهيم عن الحجاج بن حجاج عن قتادة عن عبد الله بن ابى عتبة ، عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج . وفيه : لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت . وذكر الحافظ ابن كثير فى تفسيره عن ابن عباس : لو لم يحج الناس هذا البيت ، لاطبق الله السماء على الارض .(١)

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٦٨) .

وقال الحافظ في باب فضل الحرم : وقد جاء عن عياش بن ابى ربيعة المخزومى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان هذه الامة لا تزال بخير ماعظموا هذه الحرمة يعنى الكعبة حق تعظيمها ، فاذا ضيعوا ذلك هلكوا . اخرجه احمد وابن ماجه وعمر بن شبة فى كتاب مكة ، وسنده حسن .[١]

وقوله عليه الصلاة والسلام : ليحجن البيت بعد خروج يأجوج ومأجوج وفيه قول شعبة : لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت . يقول الحافظ : لان ظاهر ذلك التعارض لان المفهوم من الاول : ان البيت يحج بعد اشراط الساعة ومن الثانى : انه لا يحج بعدها . قال : ولكن يمكن الجمع بين الحديثين فانه لا يلزم من حج الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج ان يمتنع الحج في وقت ما عند قرب ظهور الساعة . ويظهر والله اعلم ان المراد بقوله : ليحجن البيت اى مكان البيت ، لما سيأتى بعد باب ان الحبشة اذا خربوه لم يعمر بعد ذلك .[٢]

يقول السهيلى : ان تحريم القتال فى الاشهر الحرم كان معمولا به من عهد ابراهيم واسماعيل ، وكان من حرمات الله وما جعله مصلحة لاهل مكة قال تعالى " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام " وذلك لما دعا ابراهيم لذريته بمكة اذ كانوا بواد غير ذى زرع ان يجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ، فكان فيما فرض على الناس من حج البيت قواما لمصلحتهم ومعاشهم .

---

(١) فتح (٤ : ١٩٤) .

(٢) فتح (٤ : ١٩٩ ، ٢٠٠) .

ثم جعل الاشهر الحرم اربعة ، ثلاثة سردا وواحد فردا ، وهو رجب
اما الثلاثة فلأمن الحجاج الواردين الى مكة والصادرين عنها شهرا قبل شهر
الحج وشهرا بعده ، قدر مايصل الراكب من اقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة
من الله تعالى .

واما رجب فللعمار يأمنون فيه مقبلين وراجعين ، نصف الشهر للاقبال
ونصفه للاياب ، اذ لا تكون العمرة من اقاصى بلاد العرب كما يكون الحج .

فكانت الاقوات تأتيهم فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان
العرب وقطاع السبل . فكان فى رجب امان للسالكين اليها مصلحة لاهلها ،
ونظرا من الله لهم دبره وابقاه من ملة ابراهيم لم يغير حتى جاء الاسلام.(1)

فكأن السهيلى رحمه الله فسر تفسيرا ماديا خلاف مافسره الاخرون
واخذ مصلحة معاشهم فقط . وترك جانبا هاما وهو ان وجود البيت ماهو
الا رمزا لوحدة الدين ووحدة المسلمين مادام باقيا فالدين باق ودائم .

وقال البيضاوى فى تفسير هذه الاية : البيت الحرام : عطف بيان
على جهة المدح او المفعول الثانى . قياما للناس : انتعاشا لهم اى سبب
انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف
ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او مايقوم به امر دينهم ودنياهم.(2)

وقال ابن جرير الطبرى فى قوله تعالى " جعل الله الكعبة البيت
الحرام قياما للناس " .

---

(1) الروض الانف (ص ٦٠ ، ٦١) .
(2) سورة المائدة : ١٩٢ .

يقول تعالى ذكره : صير الله الكعبة البيت الحرام قواما للناس الذين لا قوام لهم من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم ومسيئهم عن محسنهم وظالمهم عن مظلومهم . والشهر الحرام والهدى والقلائد فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض اذ لم يكن لهم قيام غيره . وجعلها معالم لدينهم ومصالح امورهم .

قال : وجعل تعالى ذكره الكعبة ،والشهر الحرام والهدى والقلائد قواما لمن كان يحترم ذلك من العرب ويعظمه بمنزلة الرئيس الذى يقوم به امر تباعه . واما الكعبة فالحرم كله وسماها الله تعالى حراما لتحريمه اياها ان يصاد صيدها او يختلى خلاها او يعضد شجرها .

ثم نقل من قال ذلك : فعن سعيد بن جبير : قياما للناس : قال صلاحا لدينهم . وعن مجاهد فى هذه الاية قال : حين لا يرجون جنة ولا يخافون نارا فشدد الله ذلك بالاسلام . وعن سعيد بن جبير قال : شدة لدينهم . وعن ابن عباس قال : قيامها ان يأمن من توجه اليها . وعنه ايضا قياما لدينهم ومعالم لحجهم . ثم قال : ان القوام للشىء هو الذى به صلاحه كالملك الاعظم قوام رعيته ومن فى سلطانه لانه مدبر امرهم وحاجز لظالمهم عن مظلومهم والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم كذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد قوام امر العرب الذى كان به صلاحهم فى الجاهلية . وهى فى الاسلام لاهله معالم حجهم ومناسكهم ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم التى باستقبالها يتم فرضهم.[1]

---

(١) تفسير ابن جرير (٧ : ٤٩ ، ٥٠) ،محمد على زبن (ص ٢٢٥) . م.ح.ط.

وقال القرطبي في الاية : قياما للناس : اى صلاحا ومعاشا لامن الناس بها ، وعلى هذا يكون قياما بمعنى يقومون بها . وقيل : قياما : اى يقومون بشرائعها .

قال : قال العلماء : والحكمة فى جعل الله تعالى هذه الاشياء قياما للناس ان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق على سليقة الادمية من التحاسد والتنافس والتقاطع والتدابر ، والسلب والغارة والقتل والثأر ، فلم يكن بد فى الحكمة الالهية والمشيئة الاولية من كاف يدوم معه الحال ، ووازع يحمد معه المآل .

قال الله تعالى : انى جاعل فى الارض خليفة ، فأمرهم الله سبحانه بالخلافة ، وجعل امورهم الى واحد يزعهم عن التنازع ويحملهم على التآلف من التقاطع ، ويرد الظالم عن المظلوم ، ويقرر كل يد على ماتستولى عليه .

روى ابن القاسم : قال حدثنا مالك ان عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يقول : مايزع الامام اكثر مما يزع القرآن . ذكره ابو عمر رحمه الله . وجور السلطان عاما واحدا اقل اذاية من كون الناس فوضى لحظة واحدة . فانشأ الله سبحانه الخليفة لهذه الفائدة ، لتجرى لرأيه الامور ، ويكف الله به عادية الجمهور ، فعظم الله سبحانه فى قلوبهم البيت الحرام ، واوقع فى نفوسهم هيبته وعظم بينهم حرمته . فكان من لجأ اليه معصوما به ، وكان من اضطهد محميا بالكون فيه . قال تعالى : " اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم .

قال العلماء : فلما كان موضعا مخصوصا لا يدركه كل مظلوم ، ولا يناله كل

خائف جعل الله الشهر الحرام ملجأ آخر [١].

يقول فخر الرازى فى قوله تعالى " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس" .

كون الكعبة سببا لقوام مصالح الناس بوجوه : الاول ان اهل مكة كانوا محتاجين الى حضور اهل الافاق عندهم ليشتروا منهم مايحتاجون اليه طول السنة . فان مكة بلدة ضيقة لا ضرع فيها ولا زروع وقلما يوجد فيها مايحتاجون اليه . فالله تعالى جعل الكعبة معظمة فى القلوب حتى صار اهل الدنيا راغبين فى زيارتها فيسافرون اليها من كل فج عميق لاجل التجارة ويأتون بجميع المطالب والمشتهيات، فصار ذلك سببا لاسباغ النعم على اهل مكة .

الثانى : ان العرب كانوا يتقاتلون ويغيرون الا فى الحرم، فكان اهل الحرم آمنين على انفسهم وعلى اموالهم . =

الثالث : ان اهل مكة صاروا بسبب الكعبة اهل الله وخاصته وسادة الخلق الى يوم القيامة وكل احد يتقرب اليهم ويعظمهم .

الرابع : انه تعالى جعل الكعبة قواما للناس فى دينهم بسبب ماجعل فيها من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة . وجعل تلك المناسك سببا لحط الخطيئات ورفع الدرجات وكثرة الكرامات .

قال : واعلم انه لا يبعد حمل الاية على جميع هذه الوجوه . وذلك لان قوام المعيشة اما بكثرة المنافع، وهو الوجه الاول . واما بدفع المضار، وهو

---

(١) تفسير القرطبى (٦ : ٣٢٥) ، زينى (ص ٢٢٥) الناشر دار الكاتب العربى القاهرة ١٩٦٧م .

الوجه الثانى . واما بحصول الجاه والرياسة وهو الوجه الثالث، واما بحصول الدين ، وهو الوجه الرابع . فلما كانت الكعبة سببا لحصول هذه الاقسام الاربعة، وثبت ان قوام المعيشة ليس الا بهذه الاربعة، ثبت ان الكعبة سبب لقوام الناس.[1]

وقال السيد محمود الالوسى : معنى كونه قياما لهم انه سبب اصلاح امورهم وجبرها دينا ودنيا حيث كان مأمنا لهم وملجأ وجمعا لتجارتهم يأتون اليه من كل فج عميق . ولهذا قال سعيد بن جبير : من اتى هذا البيت يريد شيئا للدنيا والاخرة اصابه . وقيل : معنى كونه قياما للناس كونه امنا لهم من الهلاك . فمادام البيت يحج اليه الناس لم يهلكوا . فان هدم وترك الحج هلكوا ، وروى ذلك عن عطاء.[2]

وقال الزمخشرى فى الاية : قياما للناس : انتعاشا لهم فى امر دينهم ودنياهم ، ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم فى معاشهم ومعادهم ، لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم ، وانواع منافعهم . وعن عطاء بن ابى رباح : لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا.[3]

هذه نصوص الادلة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم . فقوله عليه الصلاة والسلام فى الفصل السابق بان البيت يخربه ذو السويقتين ولم يعمر بعده . وان الساعة لا تقوم حتى لا يقال فى الارض الله

---

(١) تفسير الرازى الكبير (٣ : ٦٧٢) .

(٢) روح المعانى (٧ : ٣١) السيد محمود الالوسى البغدادى - ادارة الطباعة المنيرية - مصر .

(٣) الكشاف (١ : ٦٨١) ، سورة المائدة . جار الله محمود بن عمر . الناشر : دار الكتاب العربى - بيروت .

الله . وانها لا تقوم حتى لا يحج البيت - وان هذه الامة لا تزال بخير ماعظموا هذه الحرمة يعني الكعبة .

وقول ابن عباس : لو لم يحج الناس هذا البيت لاطبق الله السماء على الارض .

وقول عطاء : لو تركوه عاما لم ينظروا ان يهلكوا . وقول الحسن البصري لا يزال الناس على دين ماحجوا البيت . وقول الحافظ ابن حجر : انها مادامت قائمة فالدين قائم .

يستفاد من مجموع هذه الادلة ان بيت الله الحرام ووجوده ودوامه هو ضمان لبقاء الدين وبقاء الدنيا . وان تخريب الحبشة هذا البيت وتمكينهم على ذلك وعدم معاقبتهم عاجلا بخلاف اصحاب الفيل وقوما سيخسف بهم الله الارض بالبيداء . يصادف ارادة الله بفناء الارض قرب الساعة ، فلذا لا يؤاخذهم الله بالدمار عاجلا وفجأة .

وان اصحاب الفيل وقوما مخسوفين اخذهم الله بعذاب عاجل ودمرهم ولم يمكنهم الوصول للبيت لان بقاء الدنيا لم تنته بعد . وان تمكين الحبشة على تخريبه ايذانا بفناء الدنيا وقيام الساعة ، وان الدين يرفع قبل ذلك .

فاذن صار معنى قوله تعالى " قياما للناس " لبقاء دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم . وانا اخشى ان تكون بداية النهاية من هذه البقعة لان الدنيا بدأت من هنا كما مر سابقا ، وقد تكون نهايتها ايضا من هنا ، وذلك لان قريشا وجدت نارا تحت قواعد ابراهيم حين بنوا البيت كادت ان تخطف ابصارهم ، وكذلك وجد ابن الزبير هولا عظيما عند تفقد اساس ابراهيم فترك تلك الناحية عن الحفر .

يقول الازرقي : فادخل الوليد بن المغيرة عتلته بين الحجرين فانفلقت منه فلقة عظيمة فاخذها ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فنزت من يده حتى عادت في مكانها وطارت من تحتها برقة كادت ان تخطف ابصارهم ورجفت مكة باسرها . فلما رأوا ذلك امسكوا عن ان ينظروا ماتحت ذلك.(١)

وانما يخمد هذه النار ذكر الله تعالى حول البيت وطوافه ، فاذا انقطع ذلك في وقت من الاوقات وهدم البيت مع ذلك مايمنعها شيء عن الانفجار حتى تبس الجبال بسا ، ويدل عليه مجموع الادلة التي سلنف ذكرها .

ولاجل ذلك لم يعم الله هذه البقعة بعذاب من زلازل وغيرها مع الداعي اليه حين اخرجت قريش نبيهم من عندهم . قال تعالى " وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا ".(٢)

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الاية : وقيل نزلت في كفار قريش هموا باخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين اظهرهم فتوعدهم الله بهذه الاية وانهم لو اخرجوه مالبثوا بعده بمكة الا يسيرا . قال : ولولا انه صلى الله عليه وسلم رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا مالاقبل لاحد به.(٣)

---

(١) اخبار مكة (١ : ١٦٣) .

(٢) سورة الاسراء : ٧٦ .

(٣) تفسير ابن كثير (٣ : ٥٣) .

الفصل السابع عشر

في بيان فضيلة دخول البيت وآداب دخوله

يقول الامام النووي : يستحب دخول البيت لما روى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل البيت، دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفورا له ، رواه البيهقي ، وقال تفرد به عبدالله بن المؤمل وهو ضعيف .[1]

وقال محب الطبري بعد ايراد الحديث وهو حديث حسن غريب من حديث عطاء بن ابي رباح[2] : وقد رواه الشوكاني بلفظ يختلف يسيرا . يقول وقد ذهب جماعة من العلماء الى ان دخوله مستحب، ويدل على ذلك ما اخرج ابن خزيمة والبيهقي من حديث ابن عباس : من دخل البيت دخل في جنة وخرج مغفورا له . وفي اسناده عبدالله بن المؤمل ، وهو ضعيف . ومحل استحبابه مالم يؤذ احدا بدخوله .[3]

وقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم وكفى به فضلا . روى الامام البخاري بسنده فقال : حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى عن سيف قال سمعت مجاهدا قال : اتى ابن عمر فقيل له : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة، فقال ابن عمر : فاقبلت والنبي صلى الله عليه وسلم قد

---

(١) المجموع (٨ : ٤٠٨) .

(٢) القرى (ص ٢٥٢) .

(٣) نيل الاوطار (٥ : ٩٨) .

خرج واجد بلالا قائما بين البابين . فسألت بلالا فقلت : اصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ؟ فقال نعم . ركعتين بين الساريتين اللتين على يساره اذا دخلت . ثم خرج فصلى فى وجه الكعبة ركعتين[1] . ودخوله صلى الله عليه وسلم البيت ثابت عن كثير من الصحابة .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : ودخول الكعبة ليس بفرض ولا سنة مؤكدة بل دخولها حسن . والنبى صلى الله عليه وسلم لم يدخلها فى الحج ولا فى العمرة ، لا عمرة الجعرانة ، ولا عمرة القضاء ، وانما دخلها عام فتح مكة ومن دخلها يستحب له ان يصلى فيها ، ويكبر الله ويدعوه ويذكره[2] .

آداب دخول البيت .

يقول ابن قدامة فى هذا الباب : ولا يدخل البيت بنعليه ، ولا خفيه ولا الحجر ايضا لان الحجر من البيت ، ولا يدخل الكعبة بسلاح[3] .

ويقول الامام النووى : ينبغى لداخل الكعبة أن يكون متواضعا خاشعا خاضعا لما ذكرناه من حديث عائشة ولانه اشرف الارض ومحل الرحمة والامان ويدخل حافيا ويصلى فى الموضع الذى ذكره ابن عمر وهو مقابل باب الكعبة على ثلاث اذرع من الجدار المقابل للباب[4] .

---

(١) فتح (٢ : ٤٦) .

(٢) فتاوى شيخ الاسلام (٢٦ : ١٤٤ ، ١٤٥) .

(٣) المغنى (٣ : ٤٧٧) .

(٤) المجموع (٨ : ٢١٠) .

وحديث عائشة المذكور هو انها قالت : عجبا للمرء المسلم اذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قبل السقف ليدع ذلك اجلالا لله تعالى واعظاما . دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها .[١]

وتحدث محب الطبري بهذا العنوان " ماجاء فى آداب دخول البيت "[٢] عن عائشة انها قالت : واعجبا للمرء المسلم اذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قبل السقف، لا يدع ذلك اجلالا لله تعالى واعظاما له، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها . اخرجه ابو ذر وابن الصلاح فى منسكيهما .

الحديث رواه الحاكم فى المستدرك ولفظه : عجبا للمرء المسلم اذا دخل الكعبة حتى يرفع بصره قبل السقف يدع ذلك اجلالا لله واعظاما .... الخ ثم يقول : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .[٣]

وعن داود بن عبد الرحمن قال : اوصانى عبد الكريم بن ابى المخارق الا اخرج من منزلى يوم الجمعة حتى اصلى ركعتين، ولا ادخل الكعبة حتى اغتسل . اخرجه الازرقى .

وعن سعيد بن جبير انه كان اذا اراد دخول البيت او الحجر نزع نعليه .

وعن عطاء وطاوس ومجاهد انهم كانوا يقولون : لا يدخل احد الكعبة

---

(١) شرح الايضاح (ص ٩٦) .

(٢) القرى لقاصد ام القرى (ص ٤٤٩) .

(٣) المستدرك (١ : ٤٧٩) .

فى خف ولا نعل ،أخرجهما سعيد بن منصور .

فينبغى لداخل الكعبة ان يلزم نفسه الادب،فلا يطلق بصره فى ارجاء البيت،فذلك قد يولد الغفلة واللهو عند القصد ، ولا يكلم احدا الا لضرورة او امر بمعروف او نهى عن منكر . ويلزم قلبه الخشوع والخضوع وعينه الدموع ان استطاع ذلك،والا حاول صدهما .

ثم تحدث المحب الطبرى عن البدعتين فى زمانه وبحث عن الاحتراز منهما احداهما مايسمى بالعروة الوثقى . والثانية سرة الدنيا . وفى عصرنا الحاضر ازيلت عنا هاتين البدعتين والحمد لله .

حجة من قال : لا يستحب .

عن عائشة رضى اللهعنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى ،وهو قرير العين ،طيب النفس، ثم رجع الى وهو حزين . فقلت له ،فقال دخلت الكعبة ووددت انى لم اكن فعلت،انى اخاف ان اكون اتعبت أمتى من بعدى . اخرجه احمد والترمذى وصححهوابو داود .

وقد استدل بهذا الحديث من كره دخول البيت، ولا دلالة فيه ،بل نقول دخوله صلى الله عليه وسلم دليل الاستحباب ،وتمنيه عدم الدخول قد علله بالمشقة على امته وذلك لا يرفع حكم الاستحباب .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : انه حج كثيرا ولم يدخل البيت. اخرجه البخارى تعليقا .

وعن عبد الله بن ابى اوفى قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ،ومعه من يستره من الناس،فقال له

رجل ادخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ؟ قال : لا . اخرجاه وبوب عليه البخارى باب من لم يدخل الكعبة . وفى رواية عندهما قال : ونحن معه نستره من اهل مكة ، لا يرميه احد او يصيبه احد بشئ . وعن ابن عباس قال : ليس من امر الحج دخول البيت فتؤذى وتؤذى ، ولا يستلم الحجر الا ان تيسر .

وعنه انه قال : ليس من امر حجك دخول بيتك . وعن سفيان قال : سمعت غير واحد من اهل العلم يذكرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح . وحج ولم يدخلها .

وعن سماك الحنفى قال : سألت ابن عمر عن الصلاة فى الكعبة قال صل فيها . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى فيها ، وسيأتى آخر فينهاك ، فلا تطعه يعنى ابن عباس . فسألته فقال : ائتم به كله . ولا تجعلن شيئا منه خلفك ، وسيأتى آخر فيأمرك ، فلا تطعه . اخرج الثلاثة الازرقى .

وعن ابراهيم قال : من حج ولم يدخل البيت لم ينقص حجه شيئا .

وعن عطاء ان رجلا قال له : ان طفت بالبيت ولم ادخله . فقال عطاء وما عليك الا تدخله انما امرت بالطواف به ، ولم تؤمر بالدخول فيه .

وعن خيثمة قال له رجل : اطوف بالبيت فلا ادخله ؟ فقال له خيثمة لا عليك والله الا تدخله . اخرج الثلاثة سعيد بن منصور .(١)

يقول المحب الطبرى : اذا تقرر ذلك فقول ابن عمر يدل على الاستحباب وهو اولى للحديث المتقدم . وحديثه الاول انه حج كثيرا ولم يدخله ، لا دلالة فيه على كراهية الدخول ، فقد يكون منه عذر . وكذلك عدم

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٤٥٣) .

دخوله صلى الله عليه وسلم فى عمرته يجوز ان يكون للعذر . ولعله تركه شفقة على امته كما دل عليه الحديث المتقدم . وقول سفيان ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يدخله غير مرة واحدة سيأتى مايدل على خلافه . وقول ابن عباس الاول : ليس من امر الحج دخولك البيت يشير الى واجبات الحج وقوله الثانى : انما دل على عدم استحباب الصلاة فيه لا على دخوله وهو ظاهر من سياق لفظه . وقول ابراهيم وعطاء وخيثمة محمول على عدم رؤية الوجوب لا على نفى الاستحباب.(1)

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٤٤٩ - ٤٥٣) .

الفصل الثامن عشر

في بيان : الصلاة في البيت

جعل الله البيت مباركا وهدى للعالمين . وقد دخله النبي صلى الله عليه وسلم وصلى فيه . وهي عبادة ذات شأن فاذا صلاها في البيت وهو موصوف بالبركة فقد صارت نورا على نور كأنه جمع بين الحسنيين ، بفعله في بيت الله تعالى وصلاته صلى الله عليه وسلم فيه ثابت بالسنة الثابتة .

روى الامام البخاري في صحيحه تحت باب اغلاق البيت ويصلي في اي نواحي بيت شاء ، بسنده فقال : حدثنا قتيبة بن سعيد : حدثنا الليث عن ابن شهاب عن سالم عن ابيه انه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فاغلقوا عليهم ، فلما فتحوا كنت اول من ولج فلقيت بلالا فسألته : هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، بين العمودين اليمانيين .

وفي باب الصلاة في الكعبة روى بسنده فقال : حدثنا احمد بن محمد : اخبرنا عبدالله قال : اخبرنا موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : انه كان اذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حين يدخل ، ويجعل الباب قبل الظهر يمشي حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريبا من ثلاث اذرع فيصلي ، يتوخى المكان الذي اخبره بلال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه . وليس على احد بأس ان يصلي في اي نواحي البيت شاء .

يقول الحافظ ابن حجر اثناء شرح الحديث الاول : وفيه استحباب الصلاة فى الكعبة، وهو ظاهر فى النفل، ويلتحق به الفرض اذ لا فرق بينهما فى مسألة الاستقبال للمقيم وهو قول الجمهور . وعن ابن عباس : لا تصح الصلاة داخلها مطلقا . وعلله بانه يلزم من ذلك استدبار بعضها ، وقد ورد الامر باستقبالها فيحمل على استقبال جميعها وقال به بعض المالكية والظاهرية والطبرى .

وقال المازنى : المشهور فى المذهب منع صلاة الفرض داخلها ووجوب الاعادة . وعن ابن عبد الحكم الاجزاء وصححه ابن عبد البر وابن العربى وعن ابن حبيب : يعيد ابدا . وعن اصبغ : ان كان متعمدا .

واطلق الترمذى عن مالك جواز النوافل . يقول فيه : والعمل عليه عند اكثر اهل العلم لا يرون بالصلاة فى الكعبة بأسا . وقال مالك بن انس لا بأس بالصلاة النافلة فى الكعبة، وكره ان يصلى المكتوبة والتطوع فى الكعبة لان حكم النافلة والمكتوبة فى الطهارة والقبلة سواء.(١)

وقال الحافظ : وقيده بعض اصحاب مالك بغير الرواتب وما تشرع فيه الجماعة . وفى شرح العمدة لابن دقيق العيد : كره مالك الفرض او منعه فكأنه اشار الى اختلاف النقل عنه فى ذلك . ويلتحق بهذه المسألة الصلاة فى الحجر.(٢)

وقال بدر الدين العينى : وفيه حجة على ابن جرير الطبرى حيث قال

---

(١) تحفة الاحوذى (٢ : ٩٧) .

(٢) فتح (٤ : ٢٠٩ - ٢١٢) .

بعدم جواز الصلاة فى الكعبة فرضا كان او نفلا . وقال مالك : لا تصلى فيه الفريضة ولا ركعتا الطواف الواجب، فان صلى اعاد فى الوقت ويجوز ان يصلى فيه النافلة . وفى المسالك لابن العربى : روى محمد عن اصبغ ان من صلى فى البيت اعاد ابدا . وقال محمد : لا اعادة عليه . وقال اشهب : من صلى على ظهر البيت اعاد ابدا .

وعند ابى حنيفة : يجوز الفرض والنفل فيه . وبه قال الشافعى[1] .

وقال ابن قدامة المقدسى : ويستحب لمن حج ان يدخل البيت ويصلى فيه ركعتين . كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم[2] .

وقال الحافظ فى باب فضل مكة وقوله تعالى " واذ جعلنا البيت مثابة للناس" الاية وفيها الركع السجود ، يقول : وقوله : والركع السجود ، استدل به على جواز صلاة الفرض والنفل داخل البيت، وخالف مالك فى الفرض[3] .

وقال الحافظ ابن حجر : وروى ابن ابى شيبة من قول ابن عباس : ان دخول البيت ليس من الحج فى شىء . وحكى القرطبى عن بعض العلماء ان دخول البيت من مناسك الحج . ورده بان النبى صلى الله عليه وسلم انما دخله عام الفتح ، ولم يكن حينئذ محرما .

واضيف الى هذا بان ابن عمر رضى الله عنهما كان يحج كثيرا مع هذا لا يدخل البيت . وهو معروف بتتبع آثاره وسنته صلى الله عليه وسلم . لو كان الدخول من المناسك لدخله ابن عمر رضى الله عنهما .

---

(١) العينى (٤ : ١٣٣) .
(٢) المغنى (٣ : ٤٧٧) .
(٣) فتح (٤ : ١٨٣) .

والدليل على هذا ماقاله البخارى تحت عنوان " باب من لم يدخل الكعبة" وكان ابن عمر رضى الله عنهما يحج كثيرا ولا يدخل . ثم روى بسنده المتصل الى شيخه فقال :

حدثنا مسدد : حدثنا خالد بن عبدالله : حدثنا اسماعيل بن ابى خالد عن عبدالله بن ابى اوفى قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ومعه من يستره من الناس . فقال له رجل : ادخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ؟ قال : لا[١] .

ويقول الامام النووى فى هذا الباب : واختلف العلماء فى الصلاة فى الكعبة اذا صلى متوجها الى جدار منها او الى الباب وهو مردود . فقال الشافعى والثورى وابو حنيفة واحمد والجمهور : تصح فيها صلاة النفل وصلاة الفرض .

وقال مالك : تصح فيها صلاة النفل المطلق ، ولا يصح الفرض ولا الوتر ولا ركعتا الفجر ولا ركعتا الطواف . وقال محمد بن جرير واصبغ المالكى وبعض اهل الظاهر : لا تصح فيها صلاة ابدا ، لا فريضة ولا نافلة . وحكاه القاضى عن ابن عباس ايضا . ودليل الجمهور حديث بلال . واذا صحت النافلة صحت الفريضة لانهما فى الموضع سواء فى الاستقبال فى حال النزول ، وانما يختلفان فى الاستقبال فى حال السير فى السفر ، والله اعلم[٢] .

والحافظ ابن حجر ينتقد النووى فى مسألة الصلاة داخل البيت ، يقول :

---

(١) فتح (٤ : ٢١٢ ، ٢١٣) .

(٢) مسلم (٩ : ٨٩) .

ومن المشكل مانقله النووى فى زوائد الروضة عن الاصحاب : ان صـــلاة الفرض داخل الكعبة ان لم يرج جماعة افضل منها خارجها . ووجه الاشكـــال ان الصلاة خارجها متفق على صحتها بين العلماء بخلاف داخلها ، فكيـــف يكون المختلف فى صحته افضل من المتفق[1] ؟

---

(١) فتح (٤ : ٢١٢) .

الفصل التاسع عشر

فى بيان ذكر البيت فى كتاب الله تعالى

لقد جاء ذكر بيته تعالى صريحا فى آيات كثيرة . فاول آية فيها ذكر البيت قوله تعالى : " واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا "[١] .

قال الزمخشرى : البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا . " مثابة للناس " مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اى يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم . " وامنا " وموضع امن كقوله : "حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم". ولان الجانى يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج . وقرئ : مثابات، لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد[٢] .

ويقول ابن جرير الطبرى فى هذه الاية : والبيت الذى جعله الله تعالى مثابة للناس هو البيت الحرام . ذهب البصريون الى ان الهاء فى مثابة للمبالغة كالداعية والسيارة . وقال الكوفيون : انها مصدرية كالمقام والمقامة . اى ثاب يثوب مثابا ومثابة وثوابا . فمعنى قوله : واذ جعلنا البيت مثابة للناس، اى واذ جعلنا البيت مرجعا للناس ومعاذا يأتونه كل عام ويرجعون اليه فلا يقضون منه وطرا . ومن المثاب قول ورقة بن نوفل فى

---

(١) سورة البقرة : ١٢٥ .

(٢) الكشاف(١ : ٢٣٧) ، مكتبة محمد زينل ٢٢٢٩ ـ شركة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٩٤٨م .

صفة الحـــرم :

مثاب لافناء القبائل كلهـــــا تخب اليها اليعملات الصلائح

وفي القرطبي مثابا .... الذوامل

وقد قيل : ثاب اليه عقله اذا رجع اليه بعد عزوبه .

ثم نقل اقوال ائمة التأويل : فعن مجاهد في هذه الاية : واذ جعلنا البيت مثابة للناس . قال : لا يقضون منه وطرا . وعن ابن عباس في قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال : لا يقضون منه وطرا يأتونه ثم يرجعون الى اهليهم ثم يعودون اليه . وعن عطاء انه قال في هذه الاية : يثوبون اليه من كل مكان ولا يقضون منه وطرا . وعن سعيد بن جبير قال : يحجون ويثوبون .

واما القول في تأويل قوله تعالى " وامنا " الامن مصدر من قول القائل امن يأمن امنا . وانما سماه الله تعالى امنا لانه كان في الجاهلية معاذا لمن استعاذ به . وكان الرجل منهم لو لقي به قاتل ابيه او اخيه لم يهجه ولم يعرض له حتى يخرج منه . وكان كما قال الله جل ثناؤه : اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم .

فعن ابن زيد : من ام اليه فهو آمن كان الرجل يلقى قاتل ابيه او اخيه فلا يعرض له .

وعن ابن عباس : امنا للناس ، وعن مجاهد قال : تحريمه لا يخاف فيه من دخله .(١)

وقال القرطبي في هذه الاية : فيها مسألتان :

---

(١) ابن جرير (١ : ٩ ؛ ٤ ١ ، ٤ ٢ ٠) .

الاولى : قوله تعالى " جعلنا " بمعنى صيرنا لتمديه الى مفعولين الاول : البيت ، والثاني : مثابة .

البيت يعني الكعبة . ومثابة : مرجعا . يقال : ثاب يثوب مثابا ومثابة وثؤوبا وثوبانا . وقرأ الاعمش مثابات على الجمع . فالمثابة مصدر وصف به ويراد به الموضع الذي يثاب اليه . وقيل : هاء تأنيث المصدر وليست للمبالغة.

فان قيل : ليس كل من جاء يعود اليه . قيل : ليس يختص بمن ورد عليه . وانما المعنى انه لا يخلو من الجملة، ولا يعدم قاصدا من الناس والله اعلم . اقول : وصف الله تعالى بيته بانه مثابة للناس وقولهم يرجعون ثم يعودون اليه ليس المعنى انهم يأتونه مرة بعد الاخرى دون غيرهم ، بل المشاهد يأبى ذلك وان ارواح المؤمنين تشتاق وتحن اليه كما قاله ابن كثير والذين استطاعوا اليه سبيلا فلهم اجرهم والذين لم يستطيعوا اتيانه وقلوبهم تهوى اليه وتتوق لهم اجرهم لقصدهم وحسن نياتهم . ونظيره قوله عليه السلام " من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق"(١) وذلك لعدم قصدهم الخير . فكم من الناس يبكون لزيارة الحرمين الشريفين ومن حال بينهم الفقر(٢) .

" فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر" .

يقول الحافظ ابن القيم في انجذاب القلوب الى البيت اعظم من جذب المغناطيس للحديد . قال فهو الاولى بقول القائل :

محاسنه هيولى كل حسن ومغناطيس افئدة الرجال

ولهذا اخبر سبحانه انه مثابة للناس، اى يثوبون اليه على تعاقب الاعوام من جميع الاقطار، ولا يقضون منه وطرا . بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقا .

---

(١) رواه ابو داود عن ابى هريرة رضى الله عنه .

(٢) (٣ : ١٠) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - دار احياء السنة النبوية .

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها

حتى يعود اليها الطرف مشتاقا

فلله ،كم لها من قتيل وسليب وجريح ؟ وكم انفق فى حبها من الاموال والارواح ؟ ورضى المحب بمفارقة فلذ الاكباد والاهل والاحباب والاوطان مقدما بين يديه انواع المخاوف والمتالف والمعاطب والمشاق ،وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه . ويراه لو ظهر سلطان المحبة فى قلبه اطيب من نعم المتحليسة وترفهم ولذاتهم .

وليس محبا من يعد شقاءه   عذابا اذا ماكان يرضى حبيبه

قال : وهذا كله سر اضافته سبحانه وتعالى بقوله " وطهر بيتى ". [(١)] ا.هـ

وعند ابن كثير : هذا الشرف لشرف بانه خليل الرحمن . كما سبق آنفا .

الثانية : قوله تعالى " وامنا " استدل به ابو حنيفة وجماعة من فقهاء الامصار على ترك اقامة الحد فى الحرم على المحصن والسارق اذا لجأ اليه وعضوا ذلك بقوله تعالى " ومن دخله كان آمنا " كأنه قال : امنوا من دخل البيت .

قال : والصحيح اقامة الحدود فى الحرم وان ذلك من المنسوخ . ويأتى تفصيله فى فصل اقامة الحدود فى الحرم .[(٢)]

---

(١) زاد المعاد (١ : ١٤) .

(٢) الجامع لاحكام القرآن (٢ : ١١٠ - ١١١) المعروف بتفسير القرطبى .

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيرها بعد ماتقل مما تقدم في تفسير ابن جرير الطبري . وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية وان جعلنا البيت مثابة للناس وامنا ، يقول : وامنا من العدو وان يحمل فيه السلاح . وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لا يسبون وروى عن مجاهد وعطاء والسدي وقتادة والربيع بن انس قالوا : من دخله كان آمنا .

قال : ومضمون مافسر به هؤلاء الائمة هذه الاية ان الله تعالى يذكر شرف البيت وماجعله موصوفا به شرعا وقدرا من كونه مثابة للناس اي جعله محلا تشتاق اليه الارواح وتحن اليه ولا تقضي منه وطرا ولو ترددت اليه كل عام استجابة من الله تعالى لدعاء خليله ابراهيم عليه السلام في قوله : فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم الى ان قال : ربنا وتقبل دعائي .

ويصفه تعالى بانه جعله آمنا من دخله امن ولو كان قد فعل مافعل ثم دخله كان آمنا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم : كان الرجل يلقى قاتل ابيه او اخيه فيه فلا يعرض له كما وصف في سورة المائدة بقوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس . اي يدفع عنهم بسبب تعظيمها السوء كما قال ابن عباس : لو لم يحج الناس هذا البيت لاطبق الله السماء على الارض . وماهذا الشرف الا لشرف بانيه اولا وهو خليل الرحمن كما قال تعالى " وان بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا "[1] .

الاية الثانية : قوله تعالى " وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود "[2] .

---

(٢) سورة البقرة : ١٢٥ .

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٦٨) .

قال الزمخشري : عهدنا : امرناهما . ان طهرا بيتي : بأن طهراه او اي طهرا . والمعنى : طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها . او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم . والعاكفين : المجاورين الذين عكفوا عنده . اي اقاموا لا يبرحون ، او المعتكفين . ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلاة . كما قال : للطائفين والقائمين والركع السجود . والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت المصلي[1].

قال الحافظ ابن كثير : قال الحسن البصري : قوله وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل . قال : امرهما الله ان يطهراه من الاذى والنجس ولا يصيبه من ذلك شيء . وقال ابن جريج قلت لعطاء : ماعهده ؟ قال : امره . وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم : وعهدنا الى ابراهيم اي امرناه كذا قال والظاهر ان هذا الحرف انما عدى بالى لانه في معنى تقدمنا واوحينا .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : قوله ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين . قال من الاوثان . وقال مجاهد وسعيد بن جبير : طهرا بيتي للطائفين . ان ذلك من الاوثان والرفث وقول الزور والرجس .

قال ابن ابي حاتم : وروي عن عبيد بن عمير وابي العالية وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وقتادة ان طهرا بيتي اي بلااله الا الله من الشرك . واما قوله تعالى " للطائفين " فالطواف بالبيت معروف .

---

(١) تفسير الكشاف (١ : ١٨٥) جار الله محمود بن عمر الزمخشري م ٥٢٨هـ الناشر دار الكتاب العربي - بيروت .

وعن سعيد بن جبير انه قال فى قوله تعالى " للطائفين" يعنى من اتاه من غربة . والعاكفين المقيمين فيه . وهكذا روى عن قتادة والربيع بن انس انهما فسرا العاكفين باهله المقيمين فيه كما قال سعيد بن جبير .

وقال يحيى القطان عن عبدالملك هو ابن ابى سليمان عن عطاء فى قوله والعاكفين قال من انتابه من الامصار فاقام عنده . وقال لنا - ونحن مجاورون : انتم من العاكفين . وقال وكيع عن ابى بكر الهذلى عن عطاء عن ابن عباس قال : اذا كان جالسا فهو من العاكفين .

وقال ابن ابى حاتم : اخبرنا ابى : اخبرنا موسى بن اسماعيل : اخبرنا حماد بن سلمة : اخبرنا ثابت قال : قلنا لعبدالله بن عبيد بن عمير : ما ارانى الا مكلم الامير ان امنع الذين ينامون فى المسجد الحرام فانهم يجنبون ويحدثون . قال : لا تفعل ، فان ابن عمر سئل عنهم فقال : هم العاكفون ورواه عبد بن حميد عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة به .

قلت : (ابن كثير) وقد ثبت فى الصحيح ان ابن عمر كان ينام فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عزب . واما قوله تعالى والركع السجود فقال وكيع عن ابى بكر الهذلى عن عطاء عن ابن عباس : والركع السجود . قال اذا كان مصليا فهو من الركع السجود . وكذا قال عطاء وقتادة .

قال : وقال ابن جرير رحمه الله : فمعنى الاية . . وامرنا ابراهيم واسماعيل بتطهير بيتى للطائفين . والتطهير الذى امرهما به فى البيت هو تطهيره من الاصنام وعبادة الاوثان فيه ومن الشرك . ثم اورد سؤالا فقال . فان قيل فهل كان قبل بناء ابراهيم عند البيت شىء من ذلك الذى امر بتطهيره منه واجاب بوجهين :

احدهما : انه امرهما بتطهيره مما كان يعبد عنده زمان قوم نوح من الاصنام والاوثان ليكون ذلك سنة لمن بعدهما اذ كان الله تعالى قد جعل ابراهيم اماما يقتدى به كما قال عبدالرحمن بن زيد "ان طهرا بيتى"، قال من الاصنام التى يعبدون التى كان المشركون يعظمونها . قلت (ابن كثير) وهذا الجواب مفرع على انه كان يعبد عنده اصنام قبل ابراهيم عليه السلام ويحتاج اثبات هذا الى دليل عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم .

والجواب الثانى : انه امرهما ان يخلصا فى بنائه لله وحده لا شريك له فيبنياه مطهرا من الشرك والريب . كما قال جل ثناؤه : افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار . قال فكذلك قوله : وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى . اى ابنياه على طهر من الشرك بى والريب .

قال : وملخص هذا الجواب ان الله تعالى امر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ان يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له للطائفين به والعاكفين عنده والمصلين اليه من الركع السجود . والمراد من ذلك الرد على المشركين الذين كانوا يشركون عند بيته المؤسس على عبادته وحده لا شريك له ثم مع ذلك يصدون اهله المؤمنين عنه كما قال تعالى : ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام . . الاية .

وفى هذه الاية الكريمة ذكر الطائفين والعاكفين واكتفى بذكر الركوع والسجود عن القيام لانه قد علم انه لا يكون ركوع ولا سجود الا بعد قيام . ورد ايضا على اهل الكتابين وهم يزعمون انهم من آل ابراهيم وعلموا انه بنى هذا البيت لانواع العبادات وهم لا يفعلون شيئا من ذلك فكيف يقوم دعواهم . وقد

حج موسى عليه السلام هذا البيت، كما اخبر بذلك المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى[(١)].

والاية الثالثة : قوله تعالى " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل"[(٢)]. الاية

وقد سبق بيانها فى بناء الخليل ابراهيم بيت الله الحرام فى فصل عدد مرات بنائه .

والاية الرابعة : قوله تعالى " فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما"[(٣)].

فقد اخطأ بعض السلف فى فهم هذه الاية وهو عروة بن الزبير رضى الله عنه فانه فهم ان السعى ليس من واجبات الحج وانه يتم بدونه، فصوبته خالته ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها تقول : بأن الحج لا يتم بدون السعى خلاف مازعمه عروة . فقد ذكر هذه القصة الامام احمد والبخارى ومسلم وغيرهم .

يقول الامام مسلم فى صحيحه : حدثنا يحيى بن يحيى : حدثنا ابو معاوية عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قال : قلت لها : انى لاظن رجلا لو لم يطف بين الصفا والمروة ماضره . قالت : لم ؟ قلت : لان الله تعالى يقول : ان الصفا والمروة من شعائر الله الى آخر الاية . فقالت : ما اتم الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة . ولو كان كما تقول لكان : فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما . وهل تدرى فيما كان ذاك ؟ انما كان ذاك ان

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٧١، ١٧٢) .

(٢) سورة البقرة : ١٢٧ .

(٣) سورة البقرة : ١٥٨ .

الانصار كانوا يهلون فى الجاهلية لصنمين على شط البحر يقال لهما اساف وناءلة ، ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يحلقون . فلما جاء الاسلام كرهوا ان يطوفوا بينهما للذى كانوا يصنعون فى الجاهلية . قالت : فانزل الله عز وجل : ان الصفا والمروة من شعائر الله الى آخرها . قالت : فطافوا .

وروى من طريق سفيان قال : سمعت الزهرى يحدث من عروة بن الزبير قال : قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ما أرى على احد لم يطف بين الصفا والمروة شيئا . وما ابالى ان لا اطوف بينهما . قالت : بئس ماقلت يا ابن اختى . طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون فكانت سنة . وانما كان من اهل لمناة الطاغية التى بالمشلل ، لا يطوفون بين الصفا والمروة . فلما كان الاسلام سألنا النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما . ولو كانت كما تقول لكانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما .

قال الزهرى : فذكرت ذلك لابى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاعجبه ذلك . وقال : ان هذا العلم . ولقد سمعت رجالا من اهل العلم انما كان من لا يطوف بين الصفا والمروة من العرب يقولون : ان طوافنا بين هذين الحجرين من امر الجاهلية . وقال آخرون من الانصار : انما امرنا بالطواف بالبيت ولم نؤمر به بين الصفا والمروة . فانزل الله عز وجل : ان الصفا والمروة من شعائر الله . قال ابو بكر بن عبد الرحمن فاراها قد نزلت فى هؤلاء وهؤلاء . ا.هـ رواه مسلم بست طرق فى صحيحه .

قول ام المؤمنين فى الحديث : لصنمين على شط البحر يقال لهما اساف ونائله . قال النووى : قال القاضى عياض : هكذا وقع فى هذه الرواية قال : وهو غلط . والصواب : ماجاء فى الروايات الاخرى فى الباب يهلون لمناة وفى الرواية الاخرى لمناة الطاغية التى بالمشلل . قال : وهذا هو المعروف.

قال : واما اساف ونائلة فلم يكونا قط فى ناحية البحر، وانما كانا فيما يقال رجلا وامرأة . فالرجل اسمه اساف بن بقاء ويقال ابن عمرو . والمرأة اسمها نائلة بنت ذئب ويقال بنت سهل . قيل كانا من جرهم فزنيا داخل الكعبة فمسخهما الله حجرين فنصبا عند الكعبة وقيل : على الصفا والمروة ليعتبر الناس بهما ويتعظوا ثم حولهما قصى بن كلاب فجعل احدهما ملاصق الكعبة والاخر بزمزم . وقيل جعلهما بزمزم ونحر عندهما ، وامر بعبادتهما[1].

وقول ابى بكر بن عبد الرحمن : ان هذا العلم . يشير بذلك الى غزارة علم ام المؤمنين فى فهم نصوص الشريعة وقواعدها واحكامها .

يقول الحافظ ابن كثير فى تفسيرها : وقد تقدم قوله عليه السلام : اسعوا فان الله كتب عليكم السعى . فقد بين الله تعالى ان الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله اى مما شرع الله تعالى لابراهيم فى مناسك الحج . وقد تقدم فى حديث ابن عباس ان اصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة فى طلب الماء لولدها لما نفد ماؤها وزادها حين تركهما ابراهيم عليه السلام هنالك ، وليس عندهما احد من الناس . فلما خافت على ولدها الضيعة هنالك ونفد ماعندها قامت تطلب الغوث من الله عز وجل فلم

---

(١) مسلم (ص ٢٠ - ٢٣) جـ٩.

تزل تتردد فى هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة الى الله عز وجل حتى كشف الله كربتها وانس غربتها وفرج شدتها وانبع لها زمزم التى ماؤها طعام طعم، وشفاء سقم . (رواه ابن ابى شيبة والبزار عن ابى ذر) .

قال : فالساعى بينهما ينبغى له ان يستحضر فقره وذله وحاجته الى الله فى هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه وان يلتجىء الى الله عز وجل لتفريج ماهو به من النقائص والعيوب . وان يهديه الى الصراط المستقيم، وان يثبته عليه الى مماته . وان يحوله من حاله الذى هو عليه من الذنوب والمعاصى الى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام[1]. ا.هـ

والايةالخامسة قوله تعالى " ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين "[2].

انه اول مسجد وضع لعبادة الله وحده . يفسر ذلك حديث ابى ذر رضى الله عنه رواه الشيخان واحمد . قال الامام البخارى فى صحيحه : حدثنا موسى بن اسماعيل : حدثنا عبدالواحد : حدثنا الاعمش : حدثنا ابراهيم التيمى عن ابيه قال : سمعت ابا ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله اى مسجد وضع فى الارض اول ؟ قال : المسجد الحرام . قال : قلت : ثم اى ؟ قال : المسجد الاقصى . قلت : كم كان بينهما ؟ قال : اربعون سنة ثم اينما ادركتك الصلاة بعد فصله . فان الفضل فيه .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ٩٩ ١ ، ٢٠٠) .

(٢) سورة آل عمران : ٩٦ .

يقول الحافظ ابن حجر : وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة .[1] ا.هـ

والاية السادسة قوله تعالى " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ".[2]

يقول الحافظ ابن كثير : هذه آية وجوب الحج عند الجمهور . وقيل بل هى قوله : واتموا الحج والعمرة لله . والاول اظهر . وقد وردت الاحاديث المتعددة بانه احد اركان الاسلام ودعائمه وقواعده . واجمع المسلمون على ذلك اجماعا ضروريا . وانما يجب على المكلف فى العمر مرة واحدة بالنص والاجماع .

قال الامام احمد رحمه الله : حدثنا يزيد بن هارون : حدثنا الربيع ابن مسلم القرشى عن محمد بن زياد عن ابى هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا . فقال رجل اكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . ثم قال : ذرونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم . واذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه . وفى رواية عن ابن عباس ان السائل هو الاقرع بن حابس .

وروايات كثيرة فى هذا المعنى .

---

(١) فتح (٧ : ٢١٧ ، ٢١٨) .

(٢) سورة آل عمران : ٩٧ .

فقد روى الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن أسلمة عن قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله عز وجل : من استطاع اليه سبيلا .فقيل ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة . ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[١] .

والاية السابعة وهى قوله تعالى " ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا "[٢] .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الاية :اى ولا تستحلوا قتال القاصدين الى بيت الله الحرام الذى من دخله كان آمنا وكذا من قصده طالبا فضل الله وراغبا فى رضوانه فلا تصدوه ولا تمنعوه وتهيجوه .

قال مجاهد وعطاء وابو العالية ومطرف بن عبدالله وعبدالله بن عبيد ابن عمير والربيع بن انس ومقاتل بن حيان وقتادة وغير واحد فى قوله : يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ،يعنى بذلك التجارة . وهذا كما تقدم فى قوله تعالى " ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم" .

وقوله : ورضوانا ،قال ابن عباس : يترضون الله بحجهم .

وقد ذكر عكرمة والسدى وابن جرير ان هذه الاية نزلت فى الحطم بن هند البكرى ،كان قد اغار على سرح المدينة . فلما كان من العام المقبل اعتمر الى البيت فاراد بعض الصحابة ان يعترضوا فى طريقه الى البيت فانزل الله عز وجل ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ٣٨٥، ٣٨٦) .

(٢) سورة المائدة : ٢ .

وقد حكى ابن جرير الاجماع على ان المشرك يجوز قتله اذا لم يكن له امان وان ام البيت الحرام او بيت المقدس، وان هذا الحكم منسوخ فى حقهم والله اعلم .

فاما من قصده بالالحاد فيه والشرك عنده والكفر به فهذا يمنع . قال الله تعالى " يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا" . ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تسع لما امر الصديق على الحجيج عليا وامره ان ينادى على سبيل النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة، وان لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان . وقال ابن ابى طلحة عن ابن عباس قوله : ولا آمين البيت الحرام يعنى من توجه قبل البيت الحرام فكان المؤمنون والمشركون يحجون فنهى الله المؤمنين ان يمنعوا احدا من مؤمن او كافر ثم انزل الله بعدها : انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا . وقال تعالى ماكان للمشركين ان يعمروا مساجد الله . وقال : انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر . فنفى المشركين من المسجد الحرام .

وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة فى قوله : ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام . قال : منسوخ . كان الرجل فى الجاهلية اذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من الشجر فلم يعرض له احد . فاذا رجع تقلد قلادة من شعر فلم يعرض له احد . وكان المشرك يومئذ لا يصد عن البيت فامروا الا يقاتلوا فى الشهر الحرام ولا عند البيت فنسخها قوله : قاتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقد اختار ابن جرير ان المراد بقوله : ولا القلائد يعنى ان تقلدوا قلادة

من الحرم فأمنوهم[1] .

قال ولم تزل العرب تعير من اخفر ذلك ، قال الشاعر :

الم تقتلا الحرجين اذ اعورا لكم يمران بالايدى اللحاء المضفرا[2]

والاية الثامنة وهى قوله تعالى " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس[3] .

وقد سبق فى الفصل السادس عشر بيان هذه الاية الكريمة مفصلا .

والاية التاسعة قوله تعالى " وماكان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية[4] " .

قال الحافظ ابن كثير : قال عبدالله بن عمرو وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وابو رجاء العطاردى ومحمد بن كعب القرظى وحجر بن عنبس ونبيط بن شريط وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن اسلم : هو الصفير .

وزاد مجاهد : وكانوا يدخلون اصابعهم فى افواههم . وقال السدى المكاء الصفير على نحو طير ابيض يقال له المكاء ويكون بارض الحجاز .

وتصدية : قال ابن ابى حاتم : حدثنا ابو خلاد سليمان بن خلاد حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا يعقوب يعنى ابن عبدالله الاشعرى حدثنا جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله : وماكان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية . قال كانت قريش تطوف بالبيت عراة تصفر وتصفق والمكاء الصفير والتصدية التصفيق .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ : ٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ : ٥) .

(٣) سورة المائدة : ٩٧ .

(٤) سورة الانفال : ٣٥ .

وهكذا روى علي بن ابي طلحة والعوفي عن ابن عباس وكذا روى عن ابن عمر ومجاهد ومحمد بن كعب وابي سلمة بن عبد الرحمن والضحاك وقتادة وعطية العوفي وحجر بن عنبس وابن ابزى نحو هذا .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا ابو عامر حدثنا قرة عن عطية عن ابن عمر في قوله : وماكان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية . قال : المكاء الصفير والتصدية التصفيق .

قال قرة : وحكى لنا عطية فعل ابن عمر، فصفر ابن عمر وامال خده وصفق بيديه . وعن ابن عمر ايضا انه قال : انهم كانوا يضعون خدودهم على الارض ويصفقون ويصفرون . رواه ابن ابي حاتم في تفسيره بسنده عنه .

وقال عكرمة : كانوا يطوفون بالبيت على الشمال . قال مجاهد : وانما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته .

وقال الزهري : يستهزئون بالمؤمنين . وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن ابن زيد ، وتصدية ، قال : صدهم الناس عن سبيل الله عز وجل[1] .

وقال الزمخشري : المكاء : فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر . ومنه المكاء ، كأنه سمى بذلك لكثرة مكائه ، واهله الصفة نحو الوضاء والفراء . وقرئ : مكا بالقصر . ونظيرهما البكى والبكاء .

والتصدية : التصفيق . تفعله من الصدى او من صد يصد . وانهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة . وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء ، وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون . وكانوا

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ : ٣٠٦، ٣٠٧) .

يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاته يخلطون عليه .[1]

الاية العاشرة وهى قوله تعالى " وان بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود "[2] .

قال الزمخشرى : واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة، اى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة .

فان قلت كيف يكون النهى عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت : كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة، فكأنه قيل : تعبدنا ابراهيم قلنا له : لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله .[3]

ويقول الحافظ ابن كثير : هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله واشرك به من قريش فى البقعة التى اسست من اول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له فذكر تعالى انه بوأ ابراهيم مكان البيت اى ارشده اليه وسلمه له واذن له فى بنائه .

قوله تعالى : الا تشرك بى شيئا اى ابنه على اسمى وحدى . وطهر بيتى، قال قتادة ومجاهد من الشرك . للطائفين والقائمين والركع السجود اى اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له . فالطائف

---

(١) الكشاف (٢ : ٢١٨) دار الكتب العربى - بيروت .

(٢) سورة الحج : ٢٦ .

(٣) الكشاف (٣ : ١٥٢) دار الكتاب العربى - بيروت .

به معروف ، وهو اخص العبادات عند البيت ، فانه لا يفعل ببقعة من الارض سواها والقائمين ، اى فى الصلاة ولهذا قال : الركع السجود ، فقرن الطواف بالصلاة لانهما لا يشرعان الا مختصين بالبيت . فالطواف عنده والصلاة اليه فى غالب الاحوال [١] .

وذكر فى سورة البقرة العاكفين ولم يذكر هنا لانه تقدم . ويقرأ مع هذا تفسير قوله تعالى " وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود " .

واضافة البيت الى الله تعالى اضافة تشريف . كما قاله العلماء . وفى الاية ذكر البيت ظاهرا موضع الاضمار تفخيم الشأن والاهتمام به . ونظيره قوله تعالى : الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين [٢] .

ومن هذه الاية اخذ حكم تطهير المساجد وتنظيفها .

الاية الحادية عشرة : قوله عز وجل " وليطوفوا بالبيت العتيق " [٣] .

قال الزمخشرى : العتيق : القديم . لانه اول بيت وضع للناس ، عن الحسن ، وعن قتادة : اعتق من الجبابرة كم جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد : لم يملك قط . وعنه : اعتق من الغرق . وقيل : بيت كريم من قولهم : عتاق الخيل والطير [٤] .

---

(١) (٣ : ٢١٥) .

(٢) سورة الاعراف : ٩٢ .

(٣) سورة الحج : ٢٩ .

(٤) الكشاف (٣ : ١٥٣) دار الكتاب العربى - بيروت .

وقال الحافظ ابن كثير فى قوله تعالى : وليطوفوا بالبيت العتيق . قال مجاهد يعنى الطواف الواجب يوم النحر . وقال ابن ابى حاتم : حدثنا ابى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن ابى حمزة قال : قال لى ابن عباس اتقرأ سورة الحج يقول الله تعالى : وليطوفوا بالبيت العتيق . فان آخر المناسك الطواف بالبيت العتيق .

ابن كثير : قلت : وهكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما رجع الى منى يوم النحر بدأ برمى الجمرة ، فرماها بسبع حصيات ثم نحر هديه وحلق رأسه ، ثم افاض فطاف بالبيت . وفى الصحيحين عن ابن عباس انه قال امر الناس ان يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف الا انه خفف عن المرأة الحائض .

وقوله : بالبيت العتيق . فيه مستدل لمن ذهب الى انه يجب الطواف من وراء الحجر ، لانه من اصل البيت الذى بناه ابراهيم ، وان كانت قريش قد اخرجته من البيت حين قصرت بهم النفقة . ولهذا طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجر . واخبر انه من البيت . ولم يستلم الركنين الشاميين لانهما لم يتما على قواعد ابراهيم العتيقة .

ولهذا قال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا ابن ابى عمر العدنى حدثنا سفيان عن هشام بن حجر عن رجل عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الاية : وليطوفوا بالبيت العتيق : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجر . وقال قتادة عن الحسن البصرى فى قوله وليطوفوا بالبيت العتيق لانه اعتق يوم الغرق فى زمن نوح . وقال خصيف : انما سمى البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار قط . وقال ابن ابى نجيح وليث عن مجاهد اعتق من الجبابرة ان يسلطوا عليه . وكذا قال قتادة . وقال حماد بن سلمة عن حميد

عن الحسن بن مسلم عن مجاهد لانه لم يرده احد بسوء الا هلك .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن الزبير قال : انما سمى البيت العتيق لان الله اعتقه من الجبابرة . وقال الترمذي : حدثنا محمد بن اسماعيل وغير واحد قال حدثنا عبد الله بن صالح اخبرني الليث عن عبد الرحمن ابن خالد عن ابن شهاب عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما سمى البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار، وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن سهل البخاري عن عبد الله بن صالح به . وقال : ان كان صحيحا . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسلا[1] .

الاية الثانية عشرة : قوله تعالى " فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف[2] .

قال الحافظ ابن كثير : اى فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما ،كما قال تعالى : قل انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة التي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين . وقوله تعالى : الذي اطعمهم من جوع ، اى هو رب البيت وهو الذي اطعمهم من جوع، وامنهم من خوف، اى تفضل عليهم بالامن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا ولهذا من استجاب لهذا الامر جمع الله له بين امن الدنيا وامن الاخرة ومن عصاه سلبهما منه . كما قال تعالى

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٢١٨) .

(٢) سورة قريش : ٣ .

ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون .

وقد قال ابن ابى حاتم حدثنا عبد الله بن عمرو الغزى حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ويل لكم قريش لئلاف قريش، ثم قال حدثنا ابى حدثنا المؤمل بن الفضل الحرانى حدثنا عيسى يعنى ابن يونس عن عبد الله ابن ابى زياد عن شهر بن حوشب عن اسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف . ويحكم يامعشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمكم من جوع وآمنكم من خوف .

قال : هكذا رأيته عن اسامة بن زيد وصوابه عن اسماء بنت يزيد بن السكن ام سلمة الانصارية رضى الله عنها . فلعله وقع غلط فى النسخة او فى اصل الرواية . والله اعلم.[1]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ : ٥٥٣) .

الفصل العشرون

في بيان خصائص البيت واحكامه

تحدثت في هذا الفصل عن بعض احكام بيت الله وخصائصه من امهات الكتب ثم ذكرت مصدرها .

وذكر الزركشي في الاعلام بعض الاحكام والخصائص تتعلق بعضها بالبيت وبعضها بالمسجد الحرام وبعض الاخر بالحرم . وهنا بعض هذه الاحكام والخصائص التي لها علاقة ببيت الله الحرام ذكرتها باختصار .

١ — انه اول بيت وضع على الارض كما سبق الكلام عليه .

٢ — ان احياء الكعبة بالحج في كل سنة من فروض الكفايات . قال الرافعي وينبغي ان تكون العمرة كالحج ، بل الاعتكاف والصلاة في المسجد الحرام . وقال الامام النووي : قال اصحابنا : من فروض الكفايات ان تحج الكعبة في كل سنة ، فلا يعطل . وليس لعدد المحصلين لهذا الغرض قدر معين ، بل الغرض وجود حجها كل سنة من بعض المكلفين (١) .

٣ — لا تصح الصلاة فوق ظهر الكعبة ، اذا لم يكن بين يديه شاخص . وفيه خلاف .

٤ — قال امام الحرمين في النهاية : لو اقترب صف من البيت فقد لا يحاذى الكعبة منهم الا عشرون او نيف وعشرون ويخرج طرف الصف ان زاد . ثم قال فلو بعدوا ووقفوا في اخريات المسجد فقد بلغ الصف الفا وهم يحاذون الكعبة

---

(١) المجموع (٧ : ٤٤٥) .

فصلاتهم صحيحة .

٥ — النفل فى الكعبة افضل من خارجها . واما الفرض فان لم يرج جماعة وان رجاها فخارجها افضل .

٦ — ان نظر المصلى الى موضع سجوده افضل مما سواه . فلو كان يصلى بالمسجد الحرام، فهل الاولى النظر الى الكعبة لترتب الثواب على مجرد النظر، وان لم يكن فى صلاة، او المحافظة على النظر الى موضع السجود لان مجمع القلب، والنظر يلهى عن الخشوع الذى هو مقصود الصلاة . وظاهر كلام ابن ابى الصيف اليمنى ان المشاهدة اولى . وبذلك جزم الماوردى والرويانى .

وقال المحب الطبرى فى شرح التنبيه : ان كان مشاهد الكعبة ينظر اليها مع توفر الخشوع فحسن .

٧ — ان الطواف تحية البيت، يجوز فعله فى الاوقات المنهية لحديث جبير بن مطعم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يابنى عبد مناف، لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت، وصلى اية ساعة شاء من ليل او نهار . رواه السنن الاربعة وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وهو قول الشافعى واحمد واسحاق وداود وجمهور العلماء . وبه قالت الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس والحسن والحسين وابن الزبير وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم .

ومنعه ابو حنيفة . وقال مالك : لو اخر ركعتى الطواف الى وقت الجواز جاز . والحديث السابق حجة فى هذا الباب . وهو سنة تفرد بها المكيون وهى صحيحة برواية عبد الله بن باباه، وهو ثقة .

٨ — ان تحية المساجد الصلاة، وتحية البيت الطواف . وفى الصحيحين عن

عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم اول شىء بدأ به الطواف .

٩ — ان الدعاء عند رؤية البيت مستجاب، لما روى البيهقى فى سننه فى باب الاستسقاء عن ابى امامة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تفتح ابواب السماء ويستجاب الدعاء فى اربعة مواطن : عند التقاء الصفوف، ونزول الغيث، واقامة الصلاة، ورؤية الكعبة .

١٠ — يترتب الثواب على مجرد النظر الى الكعبة . روى الطبرانى فى معجمه الاوسط عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله على اهل المسجد، مسجد مكة كل يوم عشرين ومائة رحمة، ستين منها للطائفين واربعين منها للمصلين، وعشرين منها للناظرين .

قال فى مجامع المناسك : يستحب لمن جلس فى المسجد الحرام ان يكون وجهه الى الكعبة الشريفة وينظر اليها ايمانا واحتسابا.[1]

١١ — لو نذر قصده لزمه الذهاب اليه بحج اوعمرة كما سبق، بخلاف غيره من المساجد، فانه لا يجب عليه الذهاب اذا نذره، الا مسجد المدينة والمسجد الاقصى على قول . والاظهر انه لا يجب، بل يستحب .

١٢ — اذا سرق ستارة الكعبة، فنقل من الشافعى ان عليه القطع، قال : لان نصبها حرزها . وهذا هو المذهب . وقال ابو حنيفة : لا قطع فيها، لانها ليست ملكا لاحد . ولنا ان سارقا سرق قبطية من منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعه عثمان . ولم ينكره احد، فصار كالاجماع، ولانها ثراه للزينة

---

(١) (ص ٣٨٥) . مجامع المناسك

وبما يراد لزينة المسجد يقطع به .

١٣ — ان من حجه او اعتمره لا يزال يزداد هيبة وتعظيما وبرا ، كما امرنا بالدعاء له فى قولنا : وزد من عظمة ممن حجه او اعتمره تشريفا وتعظيما وبرا . وهـذا المعنى حسن لمن تأمله .

١٤ — بيت الله مبارك يسن التبرك به ، اورد الشوكانى تحت عنوان باب ما جاء فى دخول الكعبة والتبرك بها ، حديثا عن عبد الرحمن بن صفوان قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة انطلقت فوافقته قد خرج من الكعبة واصحابه قد استلموا البيت من الباب الى الحطيم . وقد وضعوا خدودهم على البيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطهم . رواه احمد وابو داود[1].

وعن اسامة بن زيد قال : دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فجلس فحمد الله واثنى عليه وكبر وهلل . ثم قام الى ما بين يديه من البيت فوضع صدره عليه وخده ويديه ثم هلل وكبر ودعا . ثم فعل ذلك بالاركان كلها . ثم خرج فاقبل على القبلة وهو على الباب فقال : هذه القبلة ، هذه القبلة مرتين او ثلاثا . رواه احمد والنسائى[2].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وقد ذكر ابن جرير ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى البيت رفع يديه وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا . وزد من شرفه وكرمه ممن حجه او اعتمره تشريفا وتعظيما .

---

(١) (٢ : ١٨١) . نيل الأوطار

(٢) نيل الاوطار (٥ : ٩٧) ، النسائى (٥ : ٢٢٠) - طبع لبنان .

قال : فمن رأى البيت قبل دخول المسجد فعل ذلك . وقد استحب ذلك من استحبه عند رؤية البيت ولو كان بعد دخول المسجد[١] .

١٥ — ان الطواف عبادة تخص هذا البيت دون سواه لقوله تعالى : " وليطوفوا بالبيت العتيق"[٢] . يقول شيخ الاسلام : ان الطواف بالبيت مازال مشروعا من اول مبعث النبى صلى الله عليه وسلم، بل ولم يزل من زمن ابراهيم، بل ومن قبل ابراهيم ايضا[٣] .

١٦ — من حج هذا البيت غفرت ذنوبه ورجع كيوم ولدته امه .

يقول الحافظ ابن القيم : وجعل قصده مكفرا لما سلف من الذنوب ماحيا للاوزار، حاطا للخطايا كما فى الصحيحين من ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اتى هذا البيت، فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه . ولفظ البخارى : من حج لله . . الخ[٤] ولفظ مسلم كما هو، وفى آخره : رجع كما ولدته امه[٥] .

قال : ولم يرض بقاصده من الثواب دون الجنة . ففى السنن عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تابعوا بين الحج والعمرة، فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة[٦] .

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (٢٦ : ١٢٠) .

(٢) سورة الحج : ٢٩ .

(٣) فتاوى شيخ الاسلام (٢٦ : ٢٥٥) .

(٤) فتح (٤ : ١٢٥) .

(٥) مسلم (٩ : ١١٩) .

(٦) رواه الترمذى (٢ : ٧٨) وقال حديث حسن صحيح .

وفى الصحيحين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة[1].

١٧ — وان تقبيل الحجر الاسود ، والاستلام مخصوصان بهذا البيت . يقول الحافظ ابن القيم : وليس على وجه الارض موضع يشرع تقبيله واستلامه ، وتحط الخطايا والاوزار فيه غير الحجر الاسود والركن اليمانى[2].

وانما استلم النبى صلى الله عليه وسلم اليمانيين لانهما على قواعد ابراهيم ، وانما ترك الاخرين لانهما ليسا على قواعده .

ويفهم هذا من قول ابن عمر : ما ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر الا ان البيت لم يتم على قواعد ابراهيم . ولاجل ذلك كان ابن الزبير يستلم الاركان كلها لانه بنى البيت على قواعد ابراهيم .

وكان معاوية رضى الله عنه يستلم الاركان كلها مع انكار ابن عباس عليه . وروى البخارى عن ابى الشعثاء انه قال : ومن يتقى شيئا من البيت ؟ وكان معاوية يستلم الاركان فقال له ابن عباس رضى الله عنهما : انه لا يستلم هذان الركنان فقال : ليس شىء من البيت مهجورا وكان ابن الزبير رضى الله عنهما يستلمهن كلهن[3].

١٨ — ان الرمل خاص ببيت الله الحرام . وهو اسراع المشى مع تقارب الخطى . روى مسلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف بالبيت

---

(١) فتح (٤ : ٣٤٧) ، مسلم (٩ : ١١٧) ، زاد المعاد (١ : ١١) .

(٢) زاد المعاد (١ : ١٢) .

(٣) انظر الفتح (٤ : ٨٦ ، ٩١ ، ٢) .

الطواف الاول خب ثلاثا ومشى اربعا . الحديث[1]

١٩ — روى عن بعض السلف ان الملك اذا نزل الى الارض فى بعض امور الله تعالى ، فاول ما يأمره الله تعالى به زيارة البيت . فينقض من تحت العرش محرما ملبيا حتى يستلم الحجر، ثم يطوف بالبيت سبعا ويركع ركعتين ثم يعد و لحاجته بعد . فى الحاشية : هذا من وهب بن منبه عن الكتب القديمة - رواه الازرقى .

٢٠ — كونه بواد غير ذى زرع . والارزاق تجلب اليه من كل جانب، ومن قريب وبعيد (تلبية لدعوة ابراهيم الخليل حيث يدعو الله بقوله : وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . فيمتن الله على اهل مكة ان يقول : اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا[2]) .

٢١ — ذكر مكى وغيره ان الطير لا تعلوه . وان علاه طائر فانما ذلك لمرض به يستشفى من البيت . وذكره النووى وفخر الرازى فى تفسيره . ومن المشاهد ان حمام الحرم لا تقع على جدران البيت .

٢٢ — ما ذكره الناس قديما وحديثا انه اذا عم المطر من جوانبه الاربعة فى العام الواحد ، اخصبت آفاق الارض . وان لم يصب جانبا منه لم يخصب ذلك الافق الذى يليه ذلك العام .

٢٣ — امر الفيل ورمى طير الله عنه بحجارة السجيل ، وكف الجبابرة عنه على وجه الدهر .

٢٤ — ذكر ابن هشام فى سيرته : ان الماء لم يصل الى البيت المعظم حين

---

(١) مسلم (٦ : ٩) .

(٢) سورة القصص : ٥٧

الطوفان ، ولكنه قام حولها وبقيت هي في هواء السماء ، وهي تطوف بالبيت .

٢٥ — وانه لا يدخله احد الا متواضعا خاشعا متذللا ، مكشوف الرأس متجردا عن لباس الدنيا ، بخلاف غيره من البقاع . اقول : لعله اراد بذلك من قصد النسك ، والا فكثير من الناس يدخلونه بلباسهم العادى .

٢٦ — انه سبحانه وتعالى اضافه لنفسه في قوله تعالى " وطهر بيتى للطائفين " وناهيك بهذه الاضافة المنوهة بذكره المعظمة لشأنه ، الرافعة لقدره ، وهى السر في اقبال قلوب العالمين عليه ، وعكوفهم لديه .

٢٧ — انه سبحانه عطف القلوب والافئدة اليه دون غيره من البلاد ، فهى للقلوب اعظم من جذب المغناطيس للحديد . ولهذا اخبر سبحانه انه مثابة للناس ، اى يثوبون اليه على تعاقب الاعوام من جميع الاقطار ، ولا يقضون منه وطرا ، بل كلما قربوا منه ازدادوا شوقا اليه . وقد سبق في تفسير قوله تعالى "واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا .

٢٨ — انها منذ خلقت ما خلت من طائف يطوف بها من جن او انس او ملك .

٢٩ — روى ابن حبان في صحيحه في حديث طويل مرفوعا ان الحاج اذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه . وفي سنن سعيد بن منصور عن عمر انه قال : من اتى هذا البيت لا ينتهره غير صلاة فيه رجع كيوم ولدتـه امـه .

٣٠ — تخصيصها بالحجر الاسود . وانه يمين الله في الارض . وروى الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو ، مرفوعا ان الركن الاسود والركن اليمانى ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طمس من نورهما لاضاء ما بين المشرق والمغرب .

٣١ — ان من رأى الكعبة فى المنام فهى رؤيا حق . كما روى الطبرانى فى معجمه من طريق عبدالرزاق : انا معمر عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رآنى فى منامه فقد رآنى ، فان الشيطان لا يتمثل بى ، ولا بالكعبة.

وقال : تفرد به عن عبدالرزاق محمد بن ابى السرى العسقلانى ، قال وهذه اللفظة " ولا الكعبة" لا تحفظ الا فى هذا الحديث .

٣٢ — لو قال : لله على ان استر الكعبة ، او اطليها لزمه لانه قد عهد فى الصدر الاول . فدل على انه المطلوب واندرج تحت قوله : من نذر ان يطيع الله فليطعه . ولما فيه من التعظيم ، وعود النفع للطائفين والقاطنين .

٣٣ — لو نذر صلاة فى الكعبة جازت فى اطراف المسجد الحرام .

٣٤ — ان نفس دخول الكعبة مثاب عليه ، ففى سنن البيهقى والاوسط للطبرانى من طريق عبدالله بن المؤمل عن ابن محيص عن عطاء عن ابن عباس يرفعه : من دخل البيت ، دخل فى حسنة وخرج من سيئة ، وخرج مغفورا له . قال البيهقى : تفرد به عبدالله بن المؤمل ، وليس بقوى . وجعله ابن ابى شيبة من قول مجاهد .

٣٥ — يستحب الغسل لدخول الكعبة ، حكاه امام الحرمين فى النهاية واقره .

٣٦ — تحريم استقبال الكعبة واستدبارها بالبول والغائط فى الصحراء والبنيان عند كثير من العلماء ، لحديث ابى ايوب الانصارى رواه الشيخان واللفظ لمسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا اتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط ، ولكن شرقوا او غربوا . قال ابو ايوب : فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت قبل القبلة . . . فننحرف عنها

ونستغفر اللـــه [(١)].

يقول ابن القيم : واصح المذاهب فى هذه المسألة انه لافرق فـــى ذلك بين الفضاء والبنيان ،لبضعة عشر دليلا . وليس مع المفرق ما يقاومهـــا البتة مع تناقضهم فى مقدار الفضاء والبنيان [(٢)].

٣٧ — يجوز ستر الكعبة بالحرير، لان ذلك محرم على الرجال فقط وان الاجماع قام على جوازه .

٣٨ — هل يمتنع الشرب من ماء السيل النازل من الميزاب تحت الحجر، لانـــه من ذهب واستعماله حرام ،والظاهر الجواز . كما قالوا فيمن اراد استعمـــال ماء الورد من مرش ذهب او فضة ان يسكبه فى يده ،ثم يستعطه منه .

٣٩ — قال ابو الفضل بن عبدان من اصحابنا : لا يجوز قطع شىء من ســـترة الكعبة ،ولا نقله ،ولا بيعه ،ولا شرائه ،ولا وضعه بين اوراق المصحف . ومن حصـــل شيئا من ذلك لزمه رده . واقره الرافعى على ذلك .

وقال ابن الصلاح (الامر فيها الى الامام يصرفه فى بعض مصارف بيـــت المال بيعا وعطاء) . وقد مر فى كسوة الكعبة .

٤٠ — يحرم اخذ شىء من طيب الكعبة للتبرك وغيره . ومن اخذه لزمـــه رده اليها . فان اراد التبرك اتى بطيب من عنده فسحها به ،ثم اخذه . قالـه النووى فى الروضة من زوائده : قال عطاء : كان احدنا اذا اراد ان يستشفـى به جاء بطيب من عنده فسح به الحجر .

---

(١) مسلم (٣ : ١٥٢) .

(٢) زاد المعاد (١ : ١٢) .

٤١ — انه يجب قصده للحج والعمرة على المستطيع ولا يجب ذلك فى موضع آخر بالاتفاق ويفهم من هذا ان ركن الاسلام الخامس وهو الحج لا يؤدى الا فى هذا المحل دون سائر اخواته من صلاة وزكاة فهو مخصوص بهذا البيت .

وبهذا احتج الشيخ عز الدين لتفضيله على المدينة . قال لانه اذا كان للملك داران ، واوجب على رعيته اتيان احداهما دون الاخرى ، دل ذلك على ان اهتمامه بتلك اقوى ، وانها ارجح عنده من الاخرى .

٤٢ — يجب على من خرج من مكة - ان يكن قد حج واعتمر - الى مسافة تقصر فيها الصلاة مكيا كان او غير مكى ، ان يطوف للوداع تعظيما للحرم على اصح الوجهين .

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفرن احد حتى يكون آخر عهده بالبيت . هكذا قال الرافعى : بناء على انه ليس من المناسك ، وبه صرح النووى ايضا . لكن نص الشافعى فى الام على انه من المناسك ، فيقتضى اختصاص الطواف بالخارج الى وطنه حاجا كان او معتمرا .

٤٣ — يستحب التطيب لزيارة البيت لغير المحرم . ففى الصحيح عن عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحله حين يريد ان يزور البيت .

٤٤ — استحب جماعة من السلف استلام الحجر عند الخروج من البيت سواء كان عقب الطواف ام لا . روى ذلك عن ابن عمر وسعيد بن جبير ، وطاوس وابراهيم النخعى وغيرهم .

٤٥ — يستحب تطييب الكعبة . قالت عائشة : لان اطيب الكعبة احب الى من ان اهدى لها ذهبا او فضة . رواه الازرقى . وقالت : طيبوا البيت ، فان

ذلك من تطهيره ، تعنى قوله تعالى " وطهر بيتى " .

وخلق[1] ابن الزبير جوف الكعبة اجمع[2] .

---

(١) يقول فى الصحاح : الخلوق : بالفتح ضرب من الطيب، وخلقه تخليقا طلاه به فتخلق . مادة خ ل ق .

(٢) اعلام الساجد باحكام المساجد (ص ٨٤ - ٩ (٢) .

الباب الثانى

فى بيان المسجد الحرام ـــ وتحته فصول

الفصل الاول

فى بيان بناء المسجد الحرام وعدد مرات بنائه

أول من بناه عمر بن الخطاب رضى الله عنه

اتفقت آراء المحدثين والمؤرخين على ان المسجد الحرام اول من بنـــاه هو امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

فقد روى الامام البخارى فى صحيحه حديثا عن بناء عمر رضى الله عنـــه المسجد الحرام فى باب بنيان الكعبة بسنده المتصل الى شيخه ابى النعمـــان فقال :

حدثنا ابوالنعمان : حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار وعبيد اللـــه ابن ابى يزيد قالا : لم يكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم حول البيـــت حائط ، كانوا يصلون حول البيت حتى كان عمر فبنى حوله حائطا . قال عبيد الله جدره قصير فبناه ابن الزبير رضى الله عنهما .

(الجدر بفتح الجيم والجدار بمعنى) .

ابن حجر : وقد اخرجه الاسماعيلى من طريق حماد ابن زيد عن عبيـــد الله بن ابى يزيد بتمامه وقال فيه : وكان اول من جعل الحائط على البيـــت عمر ، قال عبيد الله وكان جدره قصيرا حتى كان زمن ابن الزبير فزاد فيه .

قال : وذكر الفاكهى : ان المسجد كان محاطا بالدور على عهـــــــد النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فضاق على الناس فوسعه عمر واشـــترى

دورا فهدمها واعطى من ابى ان يبيع ثمن داره ثم احاط عليه بجدار قصير دون القامة ورفع المصابيح على الجدر . قال : ثم كان عثمان فزاد فى سعته من جهات اخر ثم وسعه عبد الله بن الزبير، ثم ابو جعفر المنصور ثم ولده المهدى . قال : ويقال ان ابن الزبير سقفه او سقف بعضه ثم رفع عبد الملك ابن مروان جدرانه وسقفه بالساج . وقيل : بل الذى صنع ذلك ولده الوليد وهو اثبت وكان ذلك سنة ثمان وثمانين هجرية .(١)

ويقول الامام النووى : اما المسجد الحرام، فكان فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه جدار يحيط به . وكانت الدور محدقة به . وبين الدور ابواب يدخل الناس من كل ناحية .

فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكثر الناس وسع المسجد واشترى دورا وهدمها وزاد فيه، واتخذ للمسجد جدارا قصيرا دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه . وكان عمر رضى الله عنه اول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام .

فلما استخلف عثمان رضى الله عنه ابتاع منازل ووسعه بها ايضا وبنى للمسجد الاروقة . وكان عثمان رضى الله عنه اول من اتخذ الاروقة .

ثم ان ابن الزبير زاد فى المسجد زيادة كثيرة واشترى دورا من جملتها بعض دار الازرق . ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكن رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة .

---

(١) فتح (٨ : ١٤٧) .

ثم ان الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل اليه اعمدة الحجارة والرخام .

وزاد فيه المهدى بعده مرتين احداهما بعد سنة ستين ومائة ، والثانية بعد سنة سبع وستين ومائة الى تسع وستين ومائة وفيها توفى المهدى ، واستقر على ذلك بناؤه الى وقتنا هذا[1].

اقول انما كان ذلك فى عصر المؤلف الامام النووى رحمه الله تعالى ، وانه زيد واتسع فيما بعد كما سيأتى بيان ذلك .

وقال السهيلى : واما المسجد الحرام فاول من بناه عمر بن الخطاب وذلك ان الناس ضيقوا على الكعبة والصقوا دورهم بها . فقال عمر : ان الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء وانكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم . فاشترى تلك الدور من اهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها .

ثم كان عثمان فاشترى دورا اخرى واغلى فى ثمنها وزاد فى سعة المسجد . فلما كان ابن الزبير زاد فى اتقانه لا فى سعته وجعل فيه عمدا من الرخام وزاد فى ابوابه وحسنها .

فلما كان عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد وحمل اليه السوارى فى البحر الى جدة .

ثم كان الوليد بن عبد الملك فزاد فى حليها وصرف فى ميزابها وسقفها ماكان فى مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة وكانت قد احتملت اليه من طليطلة من جزيرة الاندلس . وكانت لها اطواق من ياقوت

---

(١) الايضاح للنووى (ص ٢١٠) .

وزبرجد وكانت قد احتملت على بغل قوى فتفسخ تحتها فضرب منها الوليد حلية الكعبة .

فلما كان ابو جعفر المنصور وابنه محمد المهدى زاد ايضا فى اتقان المسجد وتحسين هيئته ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل الى الان[1] .

وهذه العبارة نفسها نقلها الزركشى فى كتابه " اعلام الساجد باحكام المساجد " ،فما قاله السهيلى من ان الزبير زاد فى اتقانه لا فى سعته . ينتقد عليه الفاسى يقول : وما ذكره السهيلى من ان ابن الزبير لم يوسع المسجد الحرام ،فيه نظر لمخالفته ماهو المشهور فى ذلك . ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

وما ذكره من ان ابن الزبير جعل فى المسجد عمدا من الرخام وان عبد الملك حمل اليه السوارى يخالف ايضاء ما ذكره الازرقى من ان الوليد بن عبد الملك اول[2] من نقل اليه الاساطين الرخام . لكن وقع للازرقى مايفهم خلاف ذلك لانه قال : حدثنى جدى ،قال حدثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن فروة عن ابيه قال : كنت على عمل المسجد فى زمن عبد الملك بن مروان قال : فجعلوا فى رؤوس الاساطين خمسين مثقالا من ذهب فى رأس كل اسطوانة . انتهى

ووجه مخالفة ذلك لما سبق ان عمل الذهب فى رؤوس الاساطين يقتضى وجودها حين عمل فيها ذلك . واذا كانت موجودة فهى ماعمله عبد الله ابن الزبير . واى الامرين كان فهو يخالف ما ذكره الازرقى من ان الوليد بن عبد الملك اول من حمل اليه (٢) والله اعلم بالصواب .

---

(١) الروض الانف (١ : ٢٩ (١٣٠٤) .

(٢) شفاء الغرام (١ : ٢٢٥ - ٢٢٦) .

صفة المسجد الحرام قبل الاسلام وفي صدر الاسلام .

كان المسجد الحرام - منذ بنى ابراهيم الخليل مع ابنه اسماعيل عليهم الصلاة والسلام الكعبة المعظمة الى ان آل امر مكة المكرمة الى قصي بن كلاب الجد الخامس لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم - عبارة عن فسحة واسعة حول الكعبة المعظمة . ولم يكن حول الكعبة المعظمة دور مشيدة او جدر محاطة بالمسجد الحرام ، حيث كانت القبائل التي قطنت مكة من عمالقة وجرهم وخزاعة وقريش وغيرهم يسكنون في شعاب مكة ويتركون حول الكعبة المعظمة احتراما لها وتعظيما لشأنها ، فلا تجترئ ان تبنى بجوار الكعبة المعظمة دارا ولا جدارا .

فلما آل الامر الى قصي واستولى على مكة وعلى مفتاح الكعبة المعظمة من خزاعة بعد ان دارت بينه وبينها حرب شعواء . . . جمع قصي قومه بطون قريش وامرهم ان يبنوا بمكة حول الكعبة المعظمة بيوتا من جهاتها الاربع حيث كانوا يقطنون ظاهر مكة وشعابها . وكانوا اذا ارادوا دخول مكة لا يدخلون على جنابة ولا يقيمون بها الا نهارا فاذا امسوا خرجوا الى الحل فقال لهم قصي : ان سكنتم حول البيت هابتكم الناس ، ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم . فبدأ هو اولا وبنى دار الندوة في الجانب الشمالي الذي هو الان فسحة باب الزيادة ، ثم قسم قصي باقي الجهات بين قبائل قريش .

فبنت قريش دورها حول الكعبة المعظمة وشرعت ابوابها الى نحو الكعبة المعظمة ، وتركوا للطائفين مقدار المطاف ، وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا شارعا فيه باب يسلك منه الى المطاف ، وجعلوا بناء الدور مدورة ، ولم

تكن مربعة . وجعلوا ارتفاع عموم تلك الدور اقل ارتفاعا من الكعبة المعظمة حيث لا يجرؤون على بناء دار اعلى من الكعبة احتراما وتعظيما لها . ولذلك كانت ترى الكعبة المعظمة من عموم انحاء مكة المكرمة لاجل انها كانت اعلى من عموم الدور التي بنيت حولها[1].

فلما جاء الاسلام كان المسلمون بمكة قليلون ولان معظمهم كانوا قد هاجروا الى الحبشة ، او الى المدينة المنورة . فلما فتحت مكة انقطعت الهجرة فمكثوا بمكة من حيث يسعهم فناء البيت لاقامة الصلاة .

يقول الشيخ حسين باسلامة : ولذلك لم يكن فى العصر النبوى ولا فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه احتياج الى توسعة المسجد الحرام لان سعة مدار المطاف كان كافيا لصلاة المسلمين المقيمين بمكة . ولم يقع فيه ضيق على المصلين يلجئهم الى توسيعه . ولهذه الاسباب المتقدم ذكرها لم يقع فى المسجد الحرام زيادة ولا سعة ولا تغيير ولا تبديل فى العصر النبوى وخلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه .

واطلق فى العصرين النبوى والصديقى على مدار المطاف المذكور " المسجد الحرام " وجاء ذكره فى القرآن المجيد بهذا الاسم فى قوله تعالى " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى " وقوله تعالى " قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام " .

فلما كان خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثر سكان

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٣٤) حسين باسلامة .

مكة وازدحم المسجد الحرام بالمصلين فامر بتوسيعه سنة ١٧ من الهجرة .

واما حدود مدار المطاف الذى كان يطلق عليه " المسجد الحرام " فى صدر العصر الاسلامى الذى هو عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر ابى بكر الصديق رضى اللهعنه فيحده من الجهة الشرقية بئر زمزم وباب بنى شيبة ويحده من الجهة الغربية حافة المدار الذى عليه الاساطين النحاس التى تعلق عليها القناديل اوالمصابيح الكهربائية الواقعة بين مدار المطاف ومقام المالكى ، ويحده من الجهة الشماليةكذلك حافة المدار الذى عليه الاساطين المعلقة عليها مصابيح الكهرباء الواقعة بين مدار المطاف ومقام الحنفى ، ويحده من الجهة الجنوبية ايضا الاساطين المذكورة الواقعة بين مدار المطاف ومقام الحنبلى . ومدار المطاف وهو المفروش بالحجر الرخام الابيض حول الكعبة المعظمة ويسمى فى العصر الحاضر " بالصحن " .

ومما يؤيد ماتقدم ماجاء فى كتاب " مسالك الابصار " لابن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ بقوله : اعلم ان المسجد الحرام يطلق ويراد به عين الكعبة كماقال تعالى " فول وجهك شطر المسجد الحرام " اذ لم يقل احد من المسلمين بالاكتفاء بالتوجه الى استقبال المسجد المحيط بالكعبة وهذا هو اصل حقيقة اللفظ ، وهو المعنى بقوله تعالى " ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة " وقوله صلى الله عليه وسلم لما سأله ابو ذر عن اول مسجد وضع اول قال المسجد الحرام . ثم قال : وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به المسجد المحيط بالكعبة وهو الغالب فى الاستعمال على وجه التغليب المجازى كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام . وقوله تعالى " سبحان الذى اسرى بعبده

ليلا من المسجد الحرام، على قول من روى انه كان نائما فى المسجد المحيط بالكعبة . ا.هـ

وجاء فى كتاب " تحصيل المرام" للشيخ الصباغ نقلا من الشبرخيتى على شرح الخليل قوله : قال بعضهم ان الاساطين التي حول المطاف هى حد الحرم الذى كان زمن النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى اللهعنه . وماورا ء ذلك فهو الزيادات . ا.هـ

والاساطين التى اشار اليها الشبرخيتى على شرح الخليل هى الاساطين النحاس المحاطة بمدار المطاف وعليها قناديل الزيت ومصابيح الكهرباء فى العصر الحاضر، وهى الفاصلة بين المقامات الاربعة وصحن المطاف . والله اعلم.(1)

واما تفصيل هذه البنيات فقال الشيخ حسين باسلامة فى كتابه " تاريخ عمارة المسجد الحرام" : انه فى سنة ١٧ هجرية وذلك فى خلافة اميرالمؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاء الى مكة سيل عظيم يعرف بسيل امنهشل من اعلى مكة فدخل المسجد الحرام من ناحية المدعى، وذلك غير السيل الذى ينحدر من وادى ابراهيم . فاقتلع مقام ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم من موضعه وذهب به الى اسفل مكة، فلما جف الماء وجد المقام باسفل مكة، فأتى به والصق بالكعبة وربط بها .

فلما بلغ ذلك امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يومئذ بالمدينة هاله ذلك الامر وركب من ساعته فزعا الى مكة فدخلها بعمرة فى شهر رمضان سنة ١٧ من الهجرة . فلما وصل مكة دخل المسجد الحرام

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٣٨، ٤٠) باختصار .

ووقف على حجر المقام ثم قال : انشد الله عبدا عنده علم فى هذا المقام
فقال عبدالمطلب ابن ابى وداعة السهمى رضى الله عنه : انا يا امير المؤمنين
عندى علم ذلك ، فقد كنت اخشى عليه مثل هذا الامر . فاخذت قدره من موضعه
الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بمقاط وهوعندى فى البيت .

فقال له عمر : اجلس عندى ، وارسل اليه من يأتى بها . فجلس عنده وارسل
اليه فاتى بها فقيس ووضع حجر المقام فى محله الذى كان فيه ، وهو الموضع
الذى هو فيه فى العصر الحاضر ، واحكم احكاما تاما . وقد مر ذكره .

فلما رأى اميرالمؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد ان انتهى من
وضع حجر المقام فى موضعه - كثرة الناس وازدحام المصلين فى المسجد الحرام
الذى هو عبارة عن مدار المطاف ، اشترى دورا من تلك الدور الملاصقة بالمسجد
الحرام وهدمها وادخل ارضهنا فى المسجد ، وبذلك توسع المسجد عما كان عليه
وكان قد امتنع بعض اصحاب تلك الدور من البيع وقبض الثمن ، فقومت الدور التى
امتنع اهلها من بيعها ، ووضع عمر رضى الله عنه اثمانها فى خزانة الكعبة
وقال لهم : انتم نزلتم بفناء الكعبة وبنيتم به دورا ولا تملكون فناء الكعبة
وما نزلت عليكم الكعبة فى سوحكم وفنائكم . فلما رأوا الحزم اخذوا الثمن فجعل
عمر رضى الله عنه حائطا على المسجد وكان ارتفاعه دون القامة ، وكانت المصابيح
توضع عليه . فكان اول من احاط المسجد الحرام بالجدار ، واول من وسعه
امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجعل له أبوابا كما كانت بين
الدور قبل ان تهدم على محاذاة تلك الابواب السابقة .

هذا حاصل ما رواه مؤرخو مكة من زيادة امير المؤمنين عمر رضى الله عنه
وتوسيعه للمسجد الحرام ولم يذكروا عدد الدور التى هدمها وادخل ارضها

بالمسجد ولا مساحتها ، والذى يظهر من عبارة المؤرخين انها لا تزيد من محاذاة المقامات الاربعة . والله اعلم .

هذا حاصل ماذكره الازرقى والتقى الفاسى ، وابن ظهيرة ، وقطب الدين فى كتابه " الاعلام " ونجم الدين بن فهد القرشى ، وابن فضل الله العمرى فى مسالك الابصار وغيرهم من مؤرخى مكة .

واما الزيادة الثانية ، وهى بناء عثمان رضى الله عنه .

فلما كانت خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ازداد سكان مكة المكرمة كثرة ، وظهر من ذلك ضيق المسجد الحرام على المصلين فاشترى عثمان رضى الله عنه دورا من تلك الدور التى حول المسجد الحرام وهدمها وادخل ارضها فى المسجد الحرام توسعة له .

وتفصيل ذلك انه لما كانت سنة ٢٦ اعتمر امير المؤمنين عثمان رضى الله عنه من المدينة فاتى مكة ليلا فدخل المسجد الحرام وطاف وسعى وامر بتوسيع المسجد الحرام . ووقع له مثل الذى وقع لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من امتناع بعض اصحاب الدور عن بيعها وقبض ثمنها ، فامر بهدم تلك الدور على اصحابها فصاحوا به فقال : جرأكم على حلمى عنكم ، وقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به احد ، ثم امر بهم الى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن اسيد ، فاخرجهم واخذوا قيمة دورهم .

وجعل امير المؤمنين عثمان رضى الله عنه للمسجد الحرام اروقة ، فكان هو اول من اتخذ الاروقة فيه حيث كان قبل ذلك عبارة عن متسع فسيح مثل

الحصوة ،وليس له رواق ولا سقف يظل المصلين[1] .

اما الزيادة الثالثة وهى زيادة عبدالله بن الزبير سنة ٦٥هـ .

لما كانت خلافة عبدالله بن الزبير رضى اللهعنهما عمر المسجد الحرام بعد ان انتهى من عمارة الكعبة المعظمة وزاد فيه زيادة كبيرة من الجهة الشرقية والجنوبية والشمالية . واشترى دورا من جملتها بعض دار الازرقى جد صاحب تاريخ اخبار مكة ببضع عشرة آلاف دينار ،وادخلها فى المسجد الحرام وكانت لاصقة به ،وبها شارع على باب بنى شيبة على يسار الداخل الى المسجد الحرام ،وسقف المسجد ايضا .

قال الازرقى : انه سمع من مشيخة مكة يذكرون أن عبدالله بن الزبير سقف المسجد ،غير انهم لا يدرون اكله سقف ام بعضه .

وقال العمرى فى " مسالك الابصار" : ان عبدالله بن الزبير زاد فى المسجد زيادة كثيرة وجعل فيها عمدا من رخام ولم يذكر احد من المؤرخين ان ابن الزبير جعل فى زيادته عمدا من رخام غيره . ورواية العمرى حجة لانه من ثقات المؤرخين . ومن روى عن الازرقى والفاكهى وغيرهما من مؤرخى مكة وكل واحد من المؤرخين يأتى فى تاريخه بجانب من القصة ،والاخر يأتى بالجانب الاخر ولذلك اضطررنا الى نقل كل ماورد فى هذا الباب وغيره لاجل ان نوصل القصة ببعضها ويتم للقارئ ما يرجوه من مطالعة التاريخ ،ولكل مجتهد نصيب .

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٤١) .

ثم روى الازرقي عن زاذان بن فروخ ان مساحة المسجد الحرام في زمان ابن الزبير تسعة اجربة وشيء . قال التقي الفاسي : ومقدار الجريب كما قاله الماوردي في "الاحكام السلطانية" والنووي ، والقلعي عشر قصبات في عشر قصبات ، والقصبة ستة اذرع . انتهى

وعليه فيكون مساحة الجريب الواحد ٣٦٠٠ ذراع مربع ، وبذلك يكون مساحة المسجد الحرام في زمان ابن الزبير اثنين وثلاثين الف ذراع واربعمائة ذراع مربع . وذلك حسب ماذكره الازرقي ، وبموجب ذلك صارت مساحة المسجد الحرام في عصر عبدالله بن الزبير نحو ربع مساحة المسجد الحرام التي هو عليها في العصر الحاضر او تزيد قليلا .

ولم يذكر احد من المؤرخين السنة التي عمر فيها ابن الزبير المسجد الحرام ومن حيث انها وقعت بعد عمارة الكعبة المعظمة وكانت عمارتها سنة ٦٤هـ ، فمن المحتم انها تكون في السنة التي بعدها وهي سنة ٦٥ هجرية لان المنجنيق قد هدم الكعبة والمسجد الحرام في آن واحد ، والله اعلم[1] .

عمارة عبدالملك بن مروان ٧٥هـ

فلما كانت خلافة عبدالملك بن مروان الاموي امر بعمارة المسجد الحرام ولم يزد فيه شيئا غير انه رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ، وجعل على رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب فكانت عمارته منحصرة في تجديد البناء ورفع الجدار وتسقيفه بالساج الذي هو افخر انواع الخشب وامتنه وزينه بالذهب الذي جعله على رؤوس الاسطوانات ، ولم يزد فيه شيئا عما كان عليه علاوة على زيادة عبدالله ابن الزبير .

هذا ماذكره مؤرخو مكة . وقال العمري في "مسالك الابصار" ان عبدالملك بن مروان جلب اليه السواري في البحر الى جدة وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة . ولم يذكر احد غيره ان عبدالملك جلب اليه السواري في البحر الى جدة ، كما انه لم

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٤٣ ، ٤٤) .

ينف ذلك احد ممن ذكر عمارة عبدالملك .

وسبب عمارة عبدالملك للمسجد الحرام انه قد تهدم بعضه من حجارة المنجنيق التى رماه بها الحجاج بن يوسف الثقفى حال حصاره لعبدالله بن الزبير حينمـــا استعصم بالمسجد الحرام، وكانت هذه العمارة بعد عمارة الحجاج للكعبة المعظمة بسنة، وذلك فى سنة ٧٥ هجرية التى توافق ٦٩٤ ميلادية، والله اعلم[1] .

الزيادة الرابعة : زيادة الوليد بن عبدالملك سنة ٩١هـ .

ولما كانت خلافة الوليد بن عبدالملك بن مروان الاموى امر بتوسيع المسجد الحرام ونقض عمل ابيه عبدالملك ، وعمره عمارة متينة محكمة . وهو اول من اتى بالاساطيـــن الرخام من مصر والشام ونقلها من هناك الى مكة على العجل حسب ماذكره اكثـــر المؤرخين ماعدا الصمرى، وسقفه بالخشب الساج المزخرف، وجعل على رؤوس الاساطين صفائح الذهب وازر داخل المسجد الحرام بالرخام وجعل له شرافات، وجعل فـــى حائطه الطيقان "العقود" وجعل فى وجوه الطيقان من اعلاها الفسيفساء، وهـــو اول من زين بها المسجد الحرام وجعل للمسجد سرادقات .

هذا حاصل ماذكره الازرقى والتقى الفاسى فى شفاء الغرام، والقاضى ابـــن ظهيرة المخزومى، وقطب الدين الحنفى فى الاعلام، والعمرى فى مسالك الابصـــار والظاهر من قولهم ان الوليد جعل للمسجد سرادقات بعد ان قالوا وسقفه بالســاج وانه جعل السرادقات على الحصوة ليستظل بها المصلون من حر الظهيرة . وقـــد جاء فى رواية الازرقى : وجعل للمسجد شرافات، وفى رواية الفاسى "سرادقات" وبين سرادقات وشرافات مشابهة فى التحرير . والذى يظهر لى ان الوليد عمل للمسجد الحرام شرافات لا سرادقات . وان الفاسى او من نقل عنه اشتبه عليه لفظ الشرافـــات فكتبها محرفة سرادقات . . وذلك لما بين الاسمين من المشابهة فى التحرير مـــع ان عمل السرادقات والشرافات فى المسجد الحرام ليس هو بالامر الذى يستحيـــل

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٤٥) .

وقوعه ،فعمل الاثنين مما جائز وقوعه لان السرادقات يحتاج اليها فى الموسم عند ازدحام الحجاج بالمسجد الحرام . وقد وقع ذلك فعلا فى العصر الحاضر وذلك لما ازدحم المصلون فى موسم حج ١٣٤٥ هـ واضطروا ان يصلوا فى رحبة المسجد الحرام امر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بوضع السرادقات فى رحبة المسجد الحرام وجعل منها فائدة عظيمة اذ وقت المصلين من حر الظهيرة ،ثم فى سنة ١٣٤٦ هـ امر بعمل مظلات قوية تنصب فى رحبة المسجد الحرام فى الموسم ،وقد عملت فعلا .

ويظهر الينا ان الاساطين الرخام التى جاء بها الوليد كانت على قدر زيادته فى توسيع المسجد الحرام . وكان رواقا واحدا دائرا على حافة المسجد الحرام حول الكعبة المعظمة .

وكانت زيادة الوليد من الجهة الشرقية كما يدل عليه سياق التاريخ ووقعت سنة ٩١ هـ ،والله اعلم[1] .

الزيادة الخامسة : زيادة ابى جعفر المنصور العباسى ١٣٧ هـ .

ولما كانت خلافة ابى جعفر المنصور العباسى امر عامله على مكة بزيادة توسيع المسجد الحرام وذلك فى المحرم سنة ١٣٧ هـ فى شقه الشمالى الذى يلى دار الندوة وزاد فى اسفله الى ان انتهى الى منارة باب العمرة ومنها على خط مستقيم من الجهة الغربية الى مايلى باب ابراهيم على حد الحصوة ولم يزد فى الجانب الجنوبى لاتصاله بمجرى سيل وادى ابراهيم ،واصعوبة البناء فيه ،كما انه لم يزد فى علو المسجد الحرام من الجهة الشرقية بل انه مشى فى زيادته من الجهة الشمالية على محاذاة زيادة الوليد من الجهة الشرقية . وكان تولى هذا الامر عامله على مكة وهو زياد بن عبيد الله الحارثى . وامر المنصور بعمل منارة فى تتمة زيادته فى الركن الغربى من الجانب الشمالى فعملت . واتصل عمله فى اعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك ،وكان عمل ابى جعفر المنصور طاقا اى رواقا واحدا

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٤٨ ،٤٩) .

باساطين الرخام دائرا على صحن المسجد ، وتقدر زيادته ضعف ماكان عليه المسجد قبل زيادته . وقد استمر العمل ثلاثة اعوام كانت بدايته في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة . وانتهى العمل في ذى الحجة سنة اربعين ومائة[1] .

الزيادة السادسة : زيادة محمد المهدى العباسى ١٦٠ - ١٦٤هـ .

كانت زيادة الخليفة محمد المهدى بن ابى جعفر المنصور العباسى تعادل عموم الزيادات التى زيدت بالمسجد الحرام من عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى نهاية زيادة ابى جعفر المنصور كما هو ظاهر على الخريطة .

واليك تفصيل ذلك : لما كانت خلافة المهدى حج سنة ١٦٠هـ واتى الحرم باموال عظيمة قدرها مؤرخو مكة بثلاثين الف الف درهم (ثلاثون مليونا) وخمسمائة الف دينار ، واستدعى قاضى مكة يومئذ محمد الاوقص ابن محمد بن عبدالرحمن المخزومى وامره ان يشترى دورا فى اعلى المسجد الحرام ويهدمها ويدخلها فى المسجد . واعد لذلك اموالا عظيمة ، فاشترى القاضى جميع ماكان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور . فما كانت من الصدقات (الاربطة) والاوقاف اشترى للمستحقين بدلها دورا فى فجاج مكة ، واشترى كل ذراع بكسر فى مثله اى ذراع مربع بـ ٢٥ دينارا .

هذا ماكان من الزيادة فى الجانب الشرقى من المسجد الحرام مما يلى شارع المسعى .

واما ماكان من الزيادة فى الجهة الغربية فقد اشترى دورا فى اسفل المسجد الى ان انتهى به الى باب بنى سهم الذى كان حدا فى توسعة والده المنصور هو باب العمرة الى باب الخياطين الذى هو باب ابراهيم . وكذلك زاد من الجانب الشمالى الى منتهاه وزاد فى الجانب الجنوبى الى قبة الشراب وتسمى قبة العباس ايضا الى حاصل الزيت . وكان فيه قبة الشراب وحاصل الزيت امام بئر زمزم من الجهة

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٥٠ - ٥١) .

الشرقية الجنوبية . وقد ازيلتا سنة ١٣٠١هـ وكان بين جدار الكعبة اليمانى وجدار المسجد الحرام الذى يلى الصفا تسعة واربعون ذراعا ونصف ذراع وكان ماوراءه سيل الوادى . هذا ماكان من امر التوسعة وما زيد فى المسجد الحرام للمرة الاولى من زيادة الخليفة المهدى .

ثم لما حج الخليفة محمد المهدى فى عام اربعة وستين ومائة شاهد الكعبة المعظمة فرآها بعد تلك السعة قد صارت الى الجهة الجنوبية حيث قد اتسع المسجد الحرام من الجهة الشرقية والشمالية والغربية وشيئا وجيزا من الجهة الجنوبية ولم يتسع المسجد الحرام من الجهة الجنوبية كما ينبغى ، وذلك لان الجهة الجنوبية من المسجد الحرام كانت يجرى سيل وادى ابراهيم صلى الله عليه وسلم (١) .

وكان خلف المجرى المذكور بيوت الناس، وكانوا اذا ارادوا الذهاب الى الصفا يسلكون من المسجد الحرام فى بطن الوادى ، ثم يسلكون زقاقا ضيقا ثم يصعدون الى الصفا . وصار لابد لهم اذا ارادوا توسعة المسجد الحرام من الجانب الجنوبى من تحويل مجرى سيل وادى ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى موضع البيوت التى على حافة الوادى من الجهة الجنوبية . فلذلك لم يكن فى مستطاعهم ان يربعوا المسجد الحرام . فلما رأى ذلك الخليفة المهدى دعا المهندسين وشاورهم فى ذلك فعارضوا هذا الرأى لصعوبة تنفيذ المشروع لاسباب عديدة . فقال امير المؤمنين المهدى : لابد ان ازيد هذه الزيادة ولو انفقت جميع بيوت الاموال . فلما رأوا شدة عزمه وقوة رغبته قام المهندسون باجراء اللازم ونصبوا الرماح على اسطحة الدور من اول الوادى الى آخره ، وربعوا المسجد فوق الاسطحة ، وطلع الى جبل ابى قبيس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة فى وسطه حسب رغبته . ورأى مايهدم من البيوت وما يجعل مجرى للسيل ، ومحلا للسعى وشخصوا لهذلك مرة بعد اخرى حتى رضى به . وكان مازيد فى المسجد الحرام من الجهة اليمانية تسعين ذراعا من مجرى الوادى ومن ارض الدور التى تليه . . .

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٥٣ ، ٥٥) باختصار

قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة ١٦٧ ما خلاصته : وفيها هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثانية للمهدي فهدموا اكثر دار محمد بن عباد وجعلوا المسعى والوادي فيها ، وهدموا ما بين الصفا والوادي من الدور وخرقوا الوادي في موضع الدور حتى اوصلوه الى مجرى الوادي القديم في الاجياد الكبير ، وهو الان الطريق الذي يمر منه وابتدأوا من باب بني هاشم من اعلى المسجد ويقال له الان باب علي رضي الله عنه . ووسع المسجد عنه الى اسفل المسجد وجعل في مقابلة هذا الباب باب في المسجد يعرف الان بباب حزورة (باب الوداع) لان السيل اذا زاد على مجرى الوادي ودخل المسجد خرج من هذا الباب الى اسفل مكة ، واذا طفح من ذلك خرج من باب الخياطين ويسمى الان باب ابراهيم ، فيمر السيل ولا يصل الى جدار الكعبة الشريفة من الجانب اليماني .

قال ابن فهد : وكان من جدار الكعبة الى الجدار اليماني من المسجد المتصل بالوادي تسعة واربعين ذراعا ونصف ذراع . فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من المسجد اولا الى الجدار الذي عمل آخرا وهو باق الى اليوم تسعون ذراعا .

وادخل في اسفل المسجد ما يلي الركن اليماني - دار ام هانيء بنت ابي طالب رضي الله عنها ، وكان عند دار ام هانيء بئر جاهلية حفرها قصي بن كلاب احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم فادخلت تلك البئر في المسجد الحرام وحفر المهدي عوضا عنها بئرا خارج الحزورة (بباب الوداع) واستمر البناة والمهندسون في بناء الزيادة الثانية ووضع الاعمدة وتسقيف المسجد بالخشب الساج المنقوش بالالوان نقرا في نفس الخشب في غاية الزخرفة والاحكام ، واستمر عملهم الى ان توفي المهدي لثمان بقين من المحرم ١٦٩ هـ قبل ان تتم عمارة المسجد على الوجه الذي اراده حيث قد عاجلته المنية ولم يكمل الا في خلافة ابنه موسى الهادي[1] .

---

(١) عمارة المسجد الحرام (ص ٥٥ ، ٥٧) .

قال العمرى فى مسالك الابصار : انه جعل للرواق سقفين احدهما فوق الاخر وبينهما فرجة قدر الذراعين او نحوهما . فاما الاعلى منهما فسطوحه فرش سقف بالدوم اليمانى ، واما الاسفل منهما فهو مسقوف بالساج مزخرف بالذهب .

وايد ذلك ابن عبد ربه الاندلسى فى العقد الفريد .

وكان اول شىء امر به الخليفة الهادى بن محمد المهدى بعد وفاة ابيه وتبوأه عرش الخلافة هو : اكمال عمارة المسجد الحرام الى ان يصل بعمارة ابيه المهدى . فبادر الموكلون بذلك ، وكان مما اكمله الهادى بعد المهدى هو بعض الجانب الجنوبى وبعض الغربى ، وبنوا بعض الاساطين من جانب باب ام هانى بالحجارة ثم طليت بالجص . وكان العمل فى خلافة الهادى دون العمل فى خلافة المهدى فى الاستحكام والاتقان والزخرفة .

وقد جاء فى رواية الحافظ نجم الدين عمر بن فهد : ان العمارة الثانية كانت سنة سبع وستين ومائة ووافقه ابن الاثير فى تاريخه .

واما التقى الفاسى فذكر ان المهدى امر بالتوسعة الثانية لما حج حجته الثانية سنة ١٦٤ هـ والعمارة صارت سنة ١٦٧ (فيمكن الجمع بانه امر بالتوسعة سنة ١٦٤ هـ وانما العمارة وقعت سنة ١٦٧ هـ فلا خلاف اذن حقيقة) .

وقد ذكرنا نقلا عن المؤرخين ان ابا جعفر المنصور قد عمر المنارة التى عند باب العمرة فى عمارته للمسجد الحرام . ثم ان محمد المهدى عمر ثلاث منائر احداها التى عند باب السلام والثانية التى تلى باب على ، والثالثة التى تلى باب الوداع .

يقول الشيخ حسين : انى لم اقف على قول احد من المؤرخين بخبر وجود منائر كانت بالمسجد الحرام قبل عهد المنصور وابنه المهدى . والله اعلم .

هذا اقصى مابلغه اتساع المسجد الحرام من عمل الخليفة محمد المهدى العباسى الى العصر الحاضر . غير ان زيادة رحبة باب الزيادة ورحبة باب ابراهيم كانتا لغير المهدى كما سيأتى تفصيله .[1]

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٥٣ ، ٥٩) .

عمارة المعتمد العباسى سنة ٢٧١هـ .

فى عصر الخليفة ابى احمد جعفر بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد الملقب بالمعتمد على الله ، وقع وهن فى بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربى قبل زيادة باب ابراهيم . وكان هناك باب فى نفس الجدار الغربى من المسجد الحرام يقال له باب الخياطين ، وذلك فى سنة ٢٧١هـ .

وسبب ذلك انه كان بجوار باب ابراهيم دار تسمى " دار زبيدة بنت جعفر بن المنصور " فسقطت تلك الدار على سطح المسجد الحرام ، فانكسرت اخشابه وانهدمت اسطوانتان من اساطين المسجد ، ومات تحت ذلك عشرة انفس من خيار الناس . وكان عامله على مكة يومئذ هارون بن محمد بن اسحاق ، وقاضيها يوسف بن يعقوب القاضى فلما رفع الامير الامر الى بغداد امر الموفق بالله اخو الخليفة عامله هارون المذكور بعمارة ما انهدم من المسجد الحرام ، وجهز اليه مالا فشرع فى عمارته وجدد له سقفا من الخشب الساج ونقشه بالالوان المزخرفة واقام الاسطوانتين الساقطتين وبنى عقودهما وركب السقف وتم ذلك فى سنة ٢٧٢هـ .

الزيادة السابعة : زيادة دار الندوة ٢٨١هـ .

قد زيد فى المسجد الحرام ، بعد عمارة الخليفة محمد المهدى العباسى التى تقدم ذكرها زيادتان خارجتان عن تربيع المسجد الحرام ، احداهما فى الجهة الشمالية وهى المعروفة فى العصر الحاضر بباب الزيادة ، بما فيه من الرحبة الاروقة المحاطة به ، والاخرى فى الجهة الغربية ، وهى المعروفة ايضا بباب ابراهيم بما احتوى من الاروقة المحاطة به .

اما موضع الزيادة الاولى التى فى الجهة الشمالية فقد اجمع المؤرخون على انها " دار الندوة " التى بناها قصى بن كلاب الجد الخامس للنبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم بيانه وجعلها دار الشورى ، وبقيت كذلك الى ان جاء الاسلام . وكان بابها مما يلى المسجد الحرام .

موضع دار الندوة .

يعلم من اقوال مؤرخي مكة ، فكلهم اجمعوا على ان موضع دار الندوة هو رحبة باب الزيادة مع باب الزيادة الحالي ، بما اشتمل عليه من الاروقة والحصوة ـ وهذا معقول .

(وتم ذلك في عهد خلافة المعتضد العباسي) .

مساحة دار الندوة ٧٢ ذراعا . وذراع الحديد ٥٦ ٪ سنتيم . (١)

الزيادة الثامنة : زيادة باب ابراهيم ٣٠٦هـ .

اما زيادة باب ابراهيم فقد ذكرها قطب الدين في الاعلام موضحة ، واليك ماقاله :

ومن جملة محاسن المقتدر بالله انه زاد في المسجد الحرام زيادة باب ابراهيم ، وكان قبل هذه الزيادة بابا متصلا باروقة المسجد الحرام بقرب باب الحزورة ويقال له باب الخياطين . وبقربه باب ثان يقال له باب بني جمح . وخارج هذين البابين مساحة بين دارين لزبيدة ام الامين بنيتا في سنة ثمان ومائتين ومابقي لتينك الدارين اثر الان . والذي يظهر ان داري زبيدة كانت احداهما في الجانب الشامي في مكان رباط الخوزي الان ، وكانت الاخرى تقابلها من الجانب اليماني من تلك الزيادة وهي رباط رامشت الذي يعرف الان برباط ناظر الخاص فادخلت هذه المساحة التي بين الدارين في المسجد الحرام ، وابطل البابان يعني باب الخياطين وباب بني جمح بحيث دخلا في المسجد الحرام وجعل عوض البابين باب كبير هو المسمى باب ابراهيم في غربي هذه الزيادة .

ثم قال قطب الدين : قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد رحمه الله تعالى في حوادث سنة ٣٠٦ في كتابه " اتحاف الورى باخبار ام القرى " ، وفيهما

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٧٠ ، ٧٢) باختصار

زاد قاضي مكة يومئذ محمد بن موسى في الجانب الغربي قطعة عند باب الخياطين وباب بني جمح وهي السوح التي كانت بين داري زبيدة ام الامين . وعمل ذلك مسجدا اوصله بالمسجد الكبير ، وطول هذه الزيادة من الاساطين التي في ازاء جدار المسجد الكبير الى العتبة التي عليها باب ابراهيم سبعة وخمسون ذراعا الا سدس ذراع . وعرض هذه الزيادة من جانبها الشمالي الى جانبها اليماني وذلك من رباط الخوزي الى جدار رباط رامشت اثنتان وخمسون ذراعا وربع ذراع . وفي هذه الزيادة في الجانب الشرقي المتصل بالمسجد الكبير صفان من الرواق على اساطين منحوتة من الحجارة . وكذلك في جانبها الشمالي ولم يكن في جانبها الغربي رواق ، وفي جانبها اليماني سبيل ماء وسط رواقيه . ا.هـ

ولم يذكر ابن فهد اسم الخليفة الذي عملت الزيادة في عصره ، وقد ذكر اسمه قطب الدين كما تقدم ، وذكره السنجاري بقوله : وفي سنة ٣٠٦هـ زاد المقتدر باب ابراهيم وكان المباشر لعمارتها القاضي محمد بن موسى . ا.هـ

هذا منتهى مابلغت اليه زيادة المسجد الحرام من يوم ابتداء بزيادته امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى زيادة المقتدر بالله العباسي التي تقدم ذكرها . وكل ماسيقع بعد ذلك في المسجد الحرام هو تعمير واصلاح وترميم وبناء المقامات الاربعة ، وانشاء المدارس من حول المسجد الحرام وانشاء منابر وماشابه ذلك كما سيأتي ان شاء الله تعالى ذكره مفصلا في محله . ولم يزد فيه شيء - لا في طوله ولا في عرضه من ذلك التاريخ الى العصر الحاضر الذي صدر فيه هذا الكتاب .

والى هنا قد انتهى عمل الخلفاء العباسيين في عمارة المسجد الحرام من زيادة وانشاء فجزاهم الله تعالى من حسن اعمالهم خير الجزاء[1] .

ولنكمل هذا القسم بما ذكره ابن عبدربه الاندلسي في كتابه " العقد الفريد " في وصف المسجد الحرام على ماكان عليه من العمارات المتقدمة ، لانه قد توفي

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٧٨ ، ٨٠) .

سنة ٤٢٣هـ ولم يدرك ماجرى من العمائر فى المسجد الحرام غير ماتقدم ذكره ، فقال صفة المسجد الحرام صحنه كبير واسع ذرعه طولا من باب بنى جمح الى باب بنى هاشم الذى يقابل دار العباس بن عبد المطلب ٤٠٤ ذراعا ، وذرعه عرضا من باب الصفا الى دار الندوة لاصقا بوجه الكعبة الشرقى ٣٠٤ ذراعا ، وله ثلاث بلاطات به محوقة من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض وهى داخلة فى الذرع الذى ذكرت فوقها سماواتها مذهبة وحافاتها على عمد رخام بيض عددها فى طوله من الشرق الى الغرب مع وجه الصحن خمسون عمودا وفى عرضه ثلاثون عمودا ، بين كل عمودين مثل عشرة اذرع .

وجملة عمد المسجد ٤٣٤ عمودا . طول كل عمود منها عشرة اذرع ، ودورته ثلاثة اذرع ، والمذهب من رؤوس العمد ٣٢٠ رأسا ، وسور المسجد كله من داخله مزخرف بالفسيفساء ، وابوابه على عمد رخام مابين الاربعة الى ثلاثة ، الى اثنين ، وهى ثلاثة وعشرون بابا ، لاغلق عليها ، يصعد عليها فى عدة من درج .

(قوله : ثلاث بلاطات : انها الاروقة الثلاثة المحاطة بجهات المسجد الحرام الاربعة) .

وذكر العمرى فى " مسالك الابصار " ارتفاع جدار المسجد الحرام ، ولم يذكره احد ممن وقفت على تواريخهم . واتماما للفائدة نذكرها ، فقال : وارتفاع جداره فى السماء بما يلى المسعى ثمانية عشر ذراعا ، ومما يلى الوادى والصفا اثنان وعشرون ذراعا ، ومما يلى باب بنى جمح اثنان وعشرون ذراعا ، ومما يلى دار الندوة سبعة عشر ذراعا ونصفا . انتهى

وهذا يدل على ان ارض المسجد الحرام لم تكن متساوية حيث انه ظهر من عبارته ان الجانب الشرقى والشمالى اعلى من الجانب الجنوبى والغربى ، وهو فى العصر الحاضر قريب من ذلك ، حيث انه شوهد عند دخول السيل المسجد الحرام يتكور فى الجهة الغربية اكثر من سائر الجهات الثلاثة . واما ارتفاع السقف فهو واحد فى عموم جهات المسجد الحرام الاربعة ، والله اعلم .[1]

---

(١) حسين باسلامة (ص ٨٠ ، ٨١) تاريخ عمارة المسجد الحرام

عمارة ملوك الجراكسة فى المسجد الحرام سنة ٨٠٢هـ .

مضى على عمارة الخليفة المهدى للمسجد الحرام ستمائة وثمان وثلاثون عاما وهو عروس زمانه ومفخرة للمسلمين ، يمثل عظمة العصر الذى شيد فيه ، وضخامة الدولة التى انشأته على تلك الصفة فى متانة بنيانه وبهجة مناظره ، وجمال رونقه ، وبديع زخرفه ، ولم يعتره خراب طيلة هذه المدة الا ماكان من حدوث شىء بسيط ناجم من انهيار دار زبيدة زوج الرشيد عليه ، فنتج من سقوطها سقوط عمودين من الجهة الغربية كما تقدم .

حتى كان ليلة السبت الثامن والعشرين من شهر شوال ٨٠٢هـ ظهرت نار من رباط رامشت الواقع بين باب ابراهيم ، وباب الوداع من الجهة الغربية من المسجد الحرام (ورامشت هو الشيخ ابو القاسم ابراهيم بن الحسين الفارسى قد وقف هذا الرباط على رجال الصوفية فى سنة ٥٢٩هـ) وسبب ذلك انه ترك بعض سكان الخلاوى سراجا موقدا فى خلوة وبرز عنها فسحبت الفارة الفويسقة فتيلة السراج منه الى خارجه فاحترقت الخلوة واشتعل اللهب فى سقف الخلوة ، وخرج من شباكها المشرف على المسجد الحرام ، واتصل بسقفه والتهب به ، وعجز الناس عن اطفائه لعلوه وعدم وصول اليد اليه فعم الحريق الجانب الغربى من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل من السقف وتسير ، ولم يتمكن الناس من اطفائها لعدم الوصول اليها بوجه من الوجوه الى ان وصل الحريق الى الجانب الشمالى واستمر يأكل من سقف الجانب الشمالى الى ان انتهى الى باب العجلة - باب باسطية ، وكان من لطف الله تعالى لاخماد تلك النار المؤججة ، انه كانت هناك اسطوانتان هدمهما السيل العظيم المهول الذى دخل المسجد الحرام فى اليوم الثامن من جمادى الاولى من تلك السنة بما عليها من عقود وسقوف عند باب العجلة فكان ذلك هو السبب الوحيد لوقوف الحريق عند ذلك الحد ، حيث ساعد ذلك السقوط على فصل النار من الاتصال بباقى سقف المسجد الحرام ، وبذلك سلم باب السقف ، فصار ما احترق من المسجد الحرام اكواما عظاما تمنع من ورائها من رؤية الكعبة الشريفة ، ومن الصلاة ايضا فى ذلك الجانب من المسجد الحرام - هذا حاصل ماذكره مؤرخو مكة من

حادثة الحريق المذكور .

وجاء في الاعلام نقلا عن دول الاسلام للحافظ السخاوي خلاصة ماتقدم ذكره وزاد عليه بقوله : واحترق من العمد الرخام مائة وثلاثون عمودا صارت كلها كلسا ولم يتفق فيما مضى مثله .

قال الفاسي : ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الامير بيسق الظاهري وكان قدومه الى مكة لذلك في موسم ٨٠٣هـ وكان هو امير الحاج المصري ، وتخلف بمكة بعد الحج لتعمير المسجد الحرام ، فلما رحل الحجاج من مكة شرع في تنظيف المسجد الشريف من تلك الاكوام من التراب ، وحفر الارض وكشف عن اساس المسجد الحرام ، وعن اساس الاسطوانات في الجانب الغربي من المسجد ، وبعض الجانب الشامي منه الى باب العجلة ، فظهر اساس الاسطوانات مثل تقطيع الصليب تحت كل اسطوانة ، فبناها احكم تلك الاساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الارض ، وبناها حتى رفعها الى وجه الارض على اشكال زوايا قديمة وقطع من جبل بالشبيكة على يمين الداخل الى مكة ـ وهذا الجبل يسمى في العصر الحاضر جبل الكعبة ، حيث كانت حارة الباب والشبيكة حارة واحدة قبل انفصالهما ـ احجارا صوانا صلبة منحوتة على شكل نصف دائرة يصير على آخر منحوت مثله دائرة تامة في سمك ثلثي ذراع وصففت على قاعدة مربعة منحوتة على محل التقاطع الصليبي على وجه الاساس المرتفع على الارض ، ووضع عليها دائرة اخرى مثل الاولى ، ووضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت له بين الحجرين المدورين وسبك على جميع ذلك بالرصاص الى ان انتهى طوله الى طول اساطين المسجد ، فيوضع عليه حجر منحوت من المرمر ، هو قاعدة ذينك العمودين من فوق طاق يعقد الى العمود الاخر ، وبنى مابين ذلك بالاجر والجص الى ان يصل الى السقف ، وصار على ذلك المنوال الى ان تم الجانب الغربي من المسجد الحرام على هذا الحكم وبقيت من عمد الرخام التي تحطمت من الحريق والهدم فاوصلوها بالصفائح من الحديد الى ان تم الجانب الشامي واتصل بالجانب الغربي ، وذلك لعدم القدرة على ايجاد الاعمدة الرخام فصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام

باعمدة الرخام ، والجانب الغربى وحده بالاعمدة المعمولة بالحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد الرخام ، وكملت عمارة هذه العمد فى اواخر شعبان ٨٠٤هـ ولم يبق غير عمل السقف فأخر عمله لعدم وجود خشب بمكة يصلح لذلك ، حيث لا يوجد غير خشب الدوم ، وخشب العرعر وليس لذلك الخشب طول ولا قوة ، ويحتاج الامر الى خشب الساج وهو لا يوجد الا بالهند او خشب الصنوبر ، وهو لا يوجد الا فى بلاد الروم ، فاضطر الامر الى تأخير السقف حتى يجلب الخشب اللازم لذلك من اى القطرين .

شكر الناس الامير بيسق على سرعة اتمام هذا القدر من العمل فى هذه المدة اليسيرة ، ومبادرته الى تنظيف المسجد الحرام وجعله صالحا للصلاة فيه ثم حج الامير بيسق فى ذلك العام وعاد الى مصر لتجهيز ما يحتاج اليه من الخشب لاكمال سقف المسجد الحرام فوصل الى مصر فى اوائل سنة ٨٠٥هـ ثم فى سنة ٨٠٧هـ قدم الى مكة الامير بيسق لعمارة سقف الجانب الغربى من المسجد الحرام مما تشعب من سقف المسجد الحرام من بقية الجوانب الاخرى ، فنهض الى هذه الخدمة الشريفة والمنقبة الكبيرة التى قلدها التاريخ له طيلة هذه القرون وذلك بعد ان احضر الاخشاب المناسبة لذلك ، وجابها من بلاد الروم ، وهيأها للسقف ، ونقشها بالالوان وزوقها ، واستعان ايضا بكثير من خشب العرعر الذى يؤتى به من جبال الطائف من جهة الحجاز لعدم كفاية الخشب الذى اتى به وبذل همته واجتهاده الى ان سقف جميع الجانب الغربى من المسجد الحرام على تلك الصورة . . . وعمر مع ذلك فى الجوانب الثلاثة مواضع كثيرة من سقفها كان قد انكسر اعوادها ، واتقن عملها . وعمر ما فى صحن المسجد من المقامات الاربعة على الهيئة القديمة ، وتم ذلك فى سنة ٨٠٧هـ فى ايام ناصر زين الدين ابى السعادات فرج برقوق ابن قانصوه الجركسى ثانى ملوك الجراكسة[(١)] .

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٨٥، ٨٨) .

عمارة السلطان قايتباى ٨٨٢هـ .

عمارة السلطان قايتباى انه امر وكيله سنقر الجمالى ان يشيد عمائر وان يبنى مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب الاربعة ودارا للايتام بجانب المسجد الحرام مشرفا عليه فبنى اثنين وسبعين خلوة ومجمعا كبيرا مشرفا على المسجد الحرام وعلى المسعى ومكتبا ومنارة وصارت المدرسة مسكنا للامراء فى ايام الحج وغيره ، وانه عمر بابا ومنارة فى المسجد الحرام .

وان هذا السلطان عمر مسجد خيف بمنى ، وكذلك مسجد نمرة بعرفة ، وكما انه عمر المسجد النبوى الشريف [1].

(اجد المؤرخين قد اثنوا عليه اكثر من اللازم لانه ماعمر فى المسجد الحرام اكثر من هذا العمل البسيط ، وغيره عمره عمارة احسن منه) .

عمارة السلطان سليمان آل عثمان .

كتب الشيخ حسين باسلامة بعنوان " عمارة سلاطين آل عثمان للمسجد الحرام " :

قال : كان السلطان سليمان اول من عمر من سلاطين آل عثمان بالمسجد الحرام عمائر ذات شأن منها عمارة تجديد سطح الكعبة المعظمة ، وتجديد فرش المطاف ، واصلاح بعض ابواب المسجد الحرام ، وفرشه جميعه بالجص ، وصفح باب الكعبة ، واصلح الميزاب . وصفحه بالفضة المموهة بالذهب ، وهو الذى اتى بالمنبر الرخام المرمر الذى لا نظير له وهو موجود الى العصر الحاضر ، وكان الذى قبل ذلك معمولا بالخشب .

وعمر المقام الحنفى وانشأ المدارس الاربعة ذات القباب الاربعة فى الجهة الشمالية بين باب السلام شرقا وبين دار الندوة غربا ، والمنارة العظيمة التى انشأها بين تلك المدارس التى هى اعلى منابر المسجد الحرام ، وعمر منارة باب على

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٩٠ ، ٩١) .

بعد ان سقطت وهى باقية على عمارته ، وانشأ رباطا خلف المدارس المذكورة ، وعين السلطان سليمان وظائف المدرسين والطلبة ، اى المرتبات من اوقافه من الشام .

وكان فى موضع تلك المدارس "البيمارستان" الذى هو وقف المستنصر بالله الخليفة العباسى . وكان قد بنى مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام ، ووقف فيها كتبا كثيرة فى سنة (٦٤١هـ ، ومن عمارته حاشية المطاف وكتب بذلك على حجر الصقه بالكعبة فى وسط مقام جبريل عليه السلام من الرخام الازرق الصافى منقوش فيه بالمنبت ماصورته :

" بسم الله الرحمن الرحيم - امر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا ومولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الامم ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين بلغه الله آماله وزين بالصالحات اعماله وذلك فى شهور سنة احدى وثلاثين وستمائة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم" .

قال : واما المدارس المذكورة فهى باقية على حكمها بناء وشكلا الى هذا العصر ، اى عصر المؤلف ، واما حالتها الحاضرة فصارت احدها مركزا لرئاسة القضاء واخرى مركزا للافتاء الشرعى ، واخرى دارالكتب الموقوفة لعموم القراء ، والرابعة بجناحيها تصرف فيها احمد باشا عامل محمد على باشا خديوى مصر منذ مائة سنة من صدور هذا المؤلف بالبيع واصبحت مملكة . . . فجزى الله السلطان سليمان على حسن عمله افضل الجزاء[1] .

عمارة السلطان سليم للمسجد الحرام جميعه ٩٨٤هـ .

دام المسجد الحرام على عمارة امير المؤمنين المهدى العباسى من عام ١٦٩ الى عام ٩٧٩هـ ثمانمائة وعشر سنين ، وهو على احكم زى عرف فى تلك العصور ، بل وفى هذه العصور ولم يعتره وهن فى بنائه او تغيير فى شكله او زعزعة فى اركانه غير ماتقدم من الحريق الذى وقع فى الجانب الغربى منه سنة ٨٠٢هـ ، وبعض

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٩٣ ، ٩٥) .

الاصلاحات والمرمات التي سيأتي تفصيلها ، دام هذا المسجد الحرام ثمانمائة وعشر سنين يكافح صدمات السيول العظيمة ويوقى المصلين من حرارة الشمس وهطول المطر، واشتداد العواصف حتى كانت سنة ٩٧٩هـ ظهر ان الرواق الشرقي مال الى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤوس خشب السقوف من محل تركيبها في جدار المسجد ، وذلك الجدار هو جدار مدرسة السلطان قايتباي وجدار مدرسة الافضيلية التي هي بين باب العباس وباب النبي صلى الله عليه وسلم من اوقاف ابن عباد الله في شرق المسجد الحرام ، وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه في الجدار المذكورة اكثر من ذراع ، ومال وجه الرواق الى صحن المسجد الحرام ميلا ظاهرا بينا ، وصار كل علاج لمرمته لا يجدى نفعا ، وغاية ما امكن نظار المسجد الحرام ان يعملوه في الرواق الذى ظهر ميله الى صحن المسجد انهم ترسوه باخشاب كبار تمسكه عن السقوط ورفعوا الامر الى السلطان سليم بن سليمان خان العثماني سنة ٩٧٩هـ .

فاذا نظرنا الى سبب الخراب المذكور وجدناه صادرا عن جدار مدرسة السلطان قايتباى ، ولم يكن من عمارة المهدى . وكان المنتظر ان الخراب يعترى الجانب الجنوبي لانه مضرب سيل وادى ابراهيم ، ولكن متانة عمارة المهدى جعلته فوق قوة مضارب السيول ، وعلى ذلك فصح ان الخراب وقع في غير عمارة امير المؤمنين المهدى ، وانما تعدى الخراب من جدار المدرسة المذكورة عليه ، ولولا ذلك لامست عمارة الخليفة المهدى للمسجد الحرام باقية على حكمها الى العصر الحاضر ومابعده.

فصدر امر السلطان سليم خان بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جميعه بغاية الاحكام والاتقان ، وان يجعل بدل السقف الخشبي قببا دائرة باروقة المسجد الحرام ، وذلك لانه كان للمسجد الحرام سقفان ، بين كل سقف نحو ذراعين بذراع العمل المعمارى ، وقد تآكل اطراف الخشب من الجانبين وصار مابين السقفين مأوى للحيات والطيور والحشرات ، ولم يكن وضع السقفين الا لاجل تبريد اروقة المسجد الحرام من شدة الحرارة في الصيف ، ولا شك ان استبدال الخشب بالقبب في سقف المسجد الحرام من اعظم الفوائد من ناحية التبريد ومن ناحية المتانة .

وكان امر السلطان سليم صدر على الوزير سنان باشا والى مصر بأن يعين الخدمة من امراء السناجق المستحفظين بمصر ممن يكون فى غاية الديانة، والامانة والمعرفة، والخير والصلاح فتقدم لهذه الخدمة الشريفة، احمد بك كتخداى من قبل المرحوم اسكندر باشا الجراكسى والى مصر سابقا، واضيف عمل بقية " دبل عين عرفات" من الابطح الى آخر المسفلة بمكة المشرفة، واسندت اليه ايضا ولاية جدة فتوجه من مصر عن طريق البحر الى بندر جدة، ثم وصل مكة فى اواخر سنة ٩٧٩هـ (١).

وكانت تصدر الاوامر على ناظر المسجد الحرام، ومدرس المدرسة السلطانية بدر الدين حسين الحسينى وهو يبلغها الى الامير احمد المشار اليه، وقد حصل الاتفاق والملائمة بينهما على التكاتف فى القيام بهذه الخدمة الشريفة الخالدة الذكر التى تخلد ذكرهما بسبب هذه الخدمة على صفحات التاريخ منذ قاما بهذا العمل الى اليوم - والى يوم الدين .

ثم فى اثناء ذلك وصل المهندس المعمارى محمد جاويش الديوان العالى وبوصوله شرع فى الهدم من جهة باب السلام فى منتصف ربيع الاول ٩٨٠هـ واخذت المعاول تعمل فى رأس شرفات المسجد الحرام التى هى من اعمال الخليفة محمد المهدى العباسى، وطبطاب سقفه الى ان كشف السقف فانزلوا الاخشاب وجمعوها فى صحن المسجد الشريف، ثم نظفوا الارض من الانقاض والاتربة ورموا ما لا يصلح فى اسفل مكة، وانزلت الاعمدة الرخام برفق الى الارض . واستمروا على ذلك الى ان نظفوا الجانب الشرقى من باب السلام الى باب على ، ثم كشفوا عن اساسه فوجدوه مختلا فاخرجوا الاساس جميعه، وكان جدارا عريضا نازلا فى الارض على هيئة بيوت رقعة الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قاعدة تركيب الاسطوانة على تلك القاعدة .

فشرعوا اولا فى وضع الاساس على وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام فى ٦ جمادى الاولى ٩٨٠هـ واجتمع الاشراف، والكبراء، والامراء، والفقراء، والمشائخ

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٩٧ ٩٦) .

والعلماء مشتركين فى هذا الخير العميم ، وذبحت الابقار ، والانعام والاغنام وتصدق بها على الفقراء والخدام ، ووضع حجر الاساس باعانة الله تعالى وكان يوما عظيما ميمونا مشهودا مباركا مسعودا . وكانت الاساطين موضوعة فيما سبق على نسق واحد فى جميع الاروقة ، فظهر لهم ان ذلك الوضع لا يتوافق مع تركيب القبب عليها مثل ماكان السقف الخشبى ، حيث ان نظم التعمير تختلف احكامها باختلاف الاوضاع ، فالتسقيف بالخشب له حكمه والتسقيف بالقبب له حكمه ، فالقبب يجب ان يكون لها دعائم اربع قوية تحملها من جوانبها الاربعة ، وبما ان الاساطين الرخام قد احترق منها قسم عظيم فى حريق ٨٠٢هـ وابدل عنها باعمدة منحوتة من حجر الصوان - رأوا ان يدخلوا بين اساطين الرخام الابيض دعامات اخر تبنى من الحجر الشميسى الاصفر يكون سمكها مقدار سمك اربع اسطوانات من الرخام ليكون من المتانة بحيث تقوى على تركيب القبب عليها من جهة ويكون بها سد ما احترق من الاساطين الرخام سنة ٨٠٢ من جهة اخرى ، ويكون كل صف من اساطين الاروقة الثلاثة فى غاية المتانة والحسن والزينة والاتقان .

فشرع القائمون بالعمل على هذا المنوال ، وانشأوا فى اول ركن من الرواق الاول دعامة قوية بنيت بالحجر الشميسى ، ثم اسطوانة من الرخام المرمر كذلك ، ثم دعامة من الحجر الشميسى الملون الى آخر هذا الصف من الرواق الاول مما يلى جدار المسجد الحرام من الجهة الشرقية . ثم شرعوا فى الصف الثانى من الرواق فجعلوا بين كل ثلاثة اسطوانات من الرخام المرمر دعامة من الحجر الشميسى الملون على شكل مثمن الاركان ثم الصف الثالث من الرواق الثالث والرابع ايضا على هذا المنوال ، ثم بنيت القباب على تلك الاسطوانات والدعائم فى سائر المسجد الحرام جميعه ، وساقوا تلك الصفوف على خط مستقيم وازالوا ماكان من ازورار واعوجاج - هذا ماقاله قطب الدين الحنفى ولا ادرى هل كان فى عمارة الخليفة ازورار واعوجاج ؟ او حدث ذلك بعد خراب السقف ؟ فلم يصرح بذلك قطب الدين ، والظاهر انه حدث بعد الخراب ، والله اعلم .

واما نوع الحجر الشميسى وشكله فهو حجر ذو الوان متعددة الحمرة والصفرة والسواد ولون الرماد والبياض وفيه رخاوة ولين من حجر الماء بحيث تعمل فيه آلـــة النحت بسرعة ، والشميسى نسبة الى الجبل الواقع بقرب بئر شمس عند الحديبيــــة وهى حد الحرم من الجهة الغربية بين مكة وجدة . وهناك جبيلات صفـــر تشبـــه الشمس فى صفرتها تكسر منها هذه الاحجار وتحمل الى مكة ، والمسافة التى بينهـــا وبين مكة نحو ثلاثة عشر ميلا .

ويوجد فى بعض جهات المسجد الحرام بين كل اسطوانتين من الرخام دعامة من الحجر الشميسى ، وبعضها يكون للصف كله من الدعائم المقامة بالحجر الشميسى وبعض الصفوف يوجد فيها الاسطوانات المنحوتة المعمولة من الحجر الصوان علـــى شكل مثمن . والظاهر انها من بقية الاساطين التى عملت بدل الاساطين الرخـــام التى احترقت سنة ٨٠٢هـ فكملوا بها النواقص من الاسطوانات [١] .

وهى واقعة فى الجهة الجنوبية من المسجد الحرام بين باب بنى تمـــــيم وباب البغلة ، واما الدعائم المربعة والمدرسة المبنية بالحجر الصوان والحجـــــر الشميسى الملون فاغلبها واقع فى الصف الرابع من الجهات الاربعة من رواق المسجد الحرام مما يلى جدار المسجد المحاطة به التى بها الابواب . واســا الثلاثـــــة الصفوف التى بعد هذا الصف الرابع فعمدها على نسق واحد بين كل ثلاث اسطوانات من الرخام دعامة من الحجر الشميسى مثمنة الاركان .

وقد عملوا العقود على رؤوس الاسطوانات والدعائم ، فجعلوا على رأس كـــــل اسطوانة طرف دوائر اربعة عقود وفوق كل اربعة عقود قبة او طاجن . واستمـــــرت العمارة بجد واجتهاد ونشاط تسير سيرها ، وذلك بهمة من لا يعرف الكســــل الامير احمد بك . فلما كمل عمل جانبين من المسجد الحرام وهما الجانب الشرقى والجانب الشمالى اى من باب على الى باب السلام من الجهة الشرقيـــة ، ومـــن باب الدريبة الى باب العمرة من الجهة الشمالية ــ توفى حضرة السلطان سليم خان

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٩٩) ٩٨ .

ابن السلطان سليمان خان رحمه الله تعالى واثابه على حسن عمله، فقد خلد لـــه بهذا العمل الجليل ذكرا خالدا ومجدا مؤيدا ومفخرة عظمى طيلة هذه العصـــور المنصرمة والى يوم البعث والنشور حيث ادرج فى سلك من عمر المسجد الحـــرام وقد قال تعالى " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر " وهذه الايـــة عامة لكل من عمر مسجدا لله تعالى . فما بالك بمن عمر المسجد الحرام وقام بعمـل جليل عظيم مثل هذا . فلا شك انه ان شاء الله تعالى من الناجين يوم الفـــزع الاكـــبر .(١)

عمارة السلطان مراد خان لتكملة المسجد الحرام سنة ٩٨٤هـ .

سبق آنفا ان السلطان سليم توفى اثناء عمارة المسجد الحرام، ثم لما تولـــى بعده الخلافة ابنه مراد خان صدر الامر باتمام مابدأه السلطان سليم من عمـــارة المسجد الحرام ووجه الامر الى احمد بك الذى كان يباشر هذه المهمة .

يقول الاستاذ حسين : ثم لما تولى السلطان مراد خان وتبوأ عرش اسلافـــه آل عثمان صدر امره الى امير العمارة الامير احمد بك بأن يبذل جده وجهـــده ويسرع فى انجاز عمله، وهو اكمال عمارة المسجد الحرام فقام الامير احمد بك فـــى اكمال عمارة المسجد الحرام على ماتقدم وصفه الى ان تم بناء الجانب الجنوبـــى الذى هو على مجرى سيل وادى ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم بغاية القـــوة والمتانة . واتم بناء الجانب الغربى كما اتم جميع شرفاته وابوابه ودرجه من داخـل المسجد الحرام وخارجه فى عصر السلطان مراد خان بن السلطان سليم خـــان وكان ذلك فى آخر سنة ٩٨٤هـ . وكان العمل قد استغرق بين الهدم والعمـــارة نحو اربع سنين .

ولا شك انه جرى بغاية السرعة كما عمر بغاية المتانة اذ ان مساحة المسجـــد الحرام واسعة عظيمة من ذلك يظهر عظمة المهمة التى بذلها احمد بك المعمـــار

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٩٦، ١٠٠) باختصار

فجزاه الله عن حسن عطه خير الجزاء .

وبهذه العمارة صار المسجد الحرام نزهة الناظرين ، ومفخرة فى الدنيا ومعزة للدين . وتسجيل لكل من عمل فيه من دول الاسلام - خلفاء كانوا او ملوكا او سلاطين وعمالهم - اجره عند الله تعالى .

ثم كتب على بعض ابواب المسجد الحرام ، وبعض صدور الا روقة آيات من القرآن الحكيم ، واسماء بعض الملوك والسلاطين الذين قاموا بعمارة المسجد الحرام بخط كنظم الدر على كل موضع مايناسبه من الا يات الشريفة .

وكتب تاريخ هذه العمارة الذى حرره وانشأه قاضى المدينة السيد حسين الحسينى بداخل المسجد الحرام . فكتب نصفه فى الوسط الاعلى من سور الرواق الشرقى المقابل لجهة الكعبة الشريفة التى بها الباب ، بخط بارز جميل ، نقرا على الجدار . وهذا نص ماكتب فى الجهة الشرقية : " باسمه سبحانه " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين " شرع فى عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من اختاره الله من خلفائه وعبيده ، المقدس المرحوم العبد المبرور ، المغفور له الشهيد سلطان الاسلام والمسلمين خاقان خواقين العالمين ، المستضىء بفضل الله ظلال دار النعيم حضرة الملك الاعظم السلطان سليم نور الله تعالى ضريحه وروح بروائح الجنان روحه . بناه واكمله واتقنه وحسنه وجمله وارث الملك الاعظم الامام الافخم والخليفة الاكبر المطمطم ، والملك الطاهر العرمرم ، من ملكه الله شرق البلاد وغربها ، وجعل طوع يده بلاد عجم الرعايا وعربها ، واطلعه سراجا منيرا فى المشارق والمغارب ، وملكا مرفوعا على هام الكواكب" .

وكذا عبارات اخرى فى الجهات المختلفة فى المسجد الحرام حتى قال وصار عنوان خلافته وبراعة استهلاله لمنشور سعادته فى اوائل سنة اربع وثمانين وتسعمائة هجرية . وكان الابتداء بذلك التجديد بامر والده المدرج الى مدارج الملك المجيد السلطان السعيد ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من اتى الله بقلب سليم . السلطان سليم بن السلطان سليمان بن السلطان سليم بن

السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد بن السلطان اورخان بن السلطان عثمان ، مكنهم الله على سرر فى دار الجنان وأثل اخلافهم فى مسند الخلافة الى انقراض الزمان . وكان الشروع فى الرابع عشر من ربيع الاول من شهور سنة ثمانين وتسعمائة .

قال : قال قطب الدين : واخبرنى الامير احمد بك ان الذى صرفه فى عمارة المسجد الحرام هدما وبناء وقطع ارض السيل من خاصة اموال السلطنة مائة الف دينار ذهب جديد سلطانى " جنيه عثمانى " . وذلك غير ثمن الاخشاب المحمولة من مصر الى مكة المشرفة ، وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحى والمجارب ، والمسامير ، والحديد المعدود رأسه بطول الرواقين وبين الاسطوانتين تحت كل عقد كيلا يجلس الحمام عليه ، وغير اهلة القبب التى عملت بمصر من النحاس وطليت بالذهب وجهزت الى الحرم وركبت على اعلى القبب.[1] اهـ

الزيادة التاسعة : وهى عمارة المسجد الحرام وتوسعته فى العصر السعودى .

ظلت مساحة المسجد الحرام على ماهى عليه منذ عهد المقتدر بالله العباسى وان كان البناء حوله لم يقف عند حد ، بل ظل يزحف اليه حتى اتصلت به المنازل ، وهكذا كانت الحال بالنسبة للمسعى . فقد فصلت المبانى الخاصة بينه وبين المسجد الحرام ، واصبح على مر العصور طريقا ضيقا تقوم على جانبيه الحوانيت تملؤها السلع المختلفة ، وترتفع فوقها المساكن طبقات .

وهذه المساحة التى كان المسجد الحرام محدودا فيها تتسع لبضع عشرات من الحجاج ايام لم تكن للسفر وسائل غير الحيوان وسفن الشراع . وبدأت تضيق بالوافدين من الحجاج والمعتمرين حين تغيرت هذه الوسائل الى بواخر سريعة وسيارات وطائرات النقل الحديثة ، وبدأ عدد الحجاج يزداد كل عام عن سابقه فكان يتمنى المسلمون لو قام احد بتوسعة المسجد الحرام ويدعون الله لذلك .

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ١٠٦) . ببعض الحذف .

فاستجابت المملكة العربية السعودية لرغبات المسلمين هذه ، فكانت البشارة بالشروع في التوسعة بعد انتهاء العمل الاساسي في توسعة المسجد النبوي الشريف الذي كان العمل فيه جاريا منذ سنة ١٣٧٠هـ .

ففي تلك المناسبة اذيع في يوم ٥ محرم عام ١٣٧٥هـ بلاغ رسمي جاء فيه انه قد صدر الامر بأن تنقل جميع الالات والمعدات التي استخدمت في مشروع المسجد النبوي الى مكة المكرمة للشروع فورا في مشروع توسعة المسجد الحرام .

وفي ٦ صفر عام ١٣٧٥هـ اذيع مرسوم ملكي بتشكيل لجنة عليا للاشراف على المشروع برئاسة صاحب السمو الملكي الامير فيصل ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء آنذاك . ثم شكلت لجنة ثانية تنفيذية اسندت اليها مراقبة تنفيذ المشروع ، ولجنة ثالثة لتقدير اثمان العقارات التي يقتضي تنفيذ المشروع نزع ملكيتها ، ووحدت اللجنتان الاولى والثانية اخيرا في لجنة واحدة باسم اللجنة التنفيذية العليا .

وفي ٤ ربيع الثاني ١٣٧٥هـ بوشرت اعمال التوسعة وتحويل الطريق في وقت واحد . وبدأت الاعمال في منطقتي اجياد والمسعى ، فأزيل ماكان بهما من كابلات الكهرباء والاسلاك ومواسير المياه والمجاري . ثم بدئ في هدم ماكان قائما في المنطقتين من البيوت والدكاكين اللازمة في المرحلة الاولى للتوسعة وتحويل الطريق . فتم ذلك بسرعة ، كما تم نقل الانقاض الى خارج مكة . ثم جاء دور الحفر فحفرت اساسات الجدار الخارجي للتوسعة التي تضم المسعى ، وبدئ بالناحية الشرقية من جانب الصفا ، فشملت القسم الاكبر من المسعى . ومن الناحية الجنوبية من جانب الصفا الغربي الى مايقابل باب ام هانئ في منطقة اجياد .

وشهد يوم الخميس ٢٣ شعبان ١٣٧٥هـ احتفالا اقيم امام باب ام هانئ من ابواب الحرم المكي الشريف لوضع الحجر الاساسي في توسعة المسجد الحرام حضره الملك سعود بن عبد العزيز وعدد من كبار رجال الدولة واعيان البلاد ووجهائها وكثير من مندوبي الدول الاسلامية . ووضع الحجر الاساسي وكان ذلك ايذانا بابتداء مراحل البناء والتوسعة . فشرع في صب قواعد الاسمنت التي اقيم عليها جدار التوسعة الخارجي في الناحيتين الشرقية والجنوبية بمنطقتي اجياد والمسعى .

ولم ينقض شهر ذى القعدة فى العام المذكور حتى تم تحويل القسم الاكبر من الطريق القديم الى شارع الملك الجديد من نقطة تقابل موضع الحجر الاساسى خارج حدود التوسعة ـ مارا خلف الصفا والقشاشية من سفح جبل ابى قبيس الى ان يلتقى بالطريق القديم عند سوق الليل بمنطقة غزة .

بذلك انقطع المرور من المسعى فتمكن الحجاج لاول مرة منذ مئات السنين من السعى بين الصفا والمروة فى موسم عام ١٣٧٥هـ وهم فى اطمئنان وخشوع لا يزعجهم او يضايقهم مرور السيارات او غيرها مما كان يحدث فى الماضى .

وانتهت مرحلة التمهيد بانتهاء عام ١٣٧٦هـ وبدأت فى اوائل عام ١٣٧٧هـ المرحلة الاولى مرحلة البناء والتأسيس لما يليها من مراحل . وفيها تم من الاعمال مايذكر فيما يلى :

(١) تم فتح القسم الباقى من الطريق الجديد (شارع الملك) الذى يبتدىء مما كان يعرف بزقاق البخارية من جهة اجياد وينتهى من السوق الصغيرة امام زقاق الجنائز بعد هدم المبانى اللازمة وقد حولت اليه حركة مرور السيارات .

(٢) ثم هدم مابقى بجانب المسعى من بيوت ودكاكين لبناء المسعى . كما تم هدم ماخلفها من الناحية الشرقية الى المروة من مساكن واسواق لشق الطريق الجديد الذى يبتدىء من جانب الصفا الى المروة . ثم يستمر فى مروره خلفها حتى يتصل بالقرارة وشارع الشامية .

(٣) تم فيما بين الصفا والمروة بناء المسعى بطابقيه ويبلغ طوله من الداخل ٣٩٤½ مترا وعرضه ٢٠ مترا ، وارتفاع الطبقة الاولى ١٢ مترا والثانية ٩ امتار وتؤدى فى طبقتيه باعتباره جزءا من المسجد الحرام ـ الصلوات مع الجماعة الكبرى وساعد هذا على تخفيف الزحام الذى يشتد فى المسجد الحرام ايام الحج .

(٤) تم فى وسط المسعى اقامة حاجز قليل الارتفاع يقسمه قسمين احدهما للذاهبين من الصفا الى المروة والاخر للعائدين منها الى الصفا حتى لا يتقابل ولا يتصادم ذاهب من الصفا مع عائد من المروة .

(٥) تم بناء درج دائرى للصفا وآخر للمروة روعى فى كل منهما ان يكون احد جانبيه للصعود والاخر للنزول .

(٦) جعل للطابق الاول من المسعى ثمانية ابواب على الواجهة الشرقية للشارع العام للدخول منها الى المسجد الحرام .

(٧) كما جعل للطبقة الثانية منه مدخلان من خارج الحرم . احدهما عند الصفا والاخر عند المروة ، وكل منهما واقع على مرتفع من الارض يساوى سطحها المخصص للصلاة كما جعل لها فى داخل المسجد مصعدان احدهما عند باب السلام والاخر عند باب الصفا .

(٨) تم فى الجانب الجنوبى من التوسعة الممتد من غربى الصفا الى مايقابل باب ام هانئ بناء وتسقيف القسم الاول من الطبقة الاولى للرواق الجديد الذى يكون القسم الجنوبى من التوسعة .

(٩) وكان قد تم تحت هذه الطبقة بناء طبقة من الاقبية " البدرومات" ارتفاعها ٣½ متر وسطحها فى مستوى ارض الحرم ، وستكون هذه الطبقة تحت التوسعة كلها ماعدا المسعى .

(١٠) كما تم فى منطقة المروة عند نهاية الميدان الذى بجانب المسعى وتلتقى فيه الشوارع المتجهة الى اعلى مكة ، بناء عمارات تتكون طبقاتها الارضية من دكاكين ومخازن وطبقاتها العليا من مساكن ومكاتب اعمال .

وقد كان الطريق القديم الذى كان يخترق المسعى ويمر من امام الحرم مجرى للسيل ايضا ، وكثيرا ماكانت المياه تقتحم ابواب المسجد الحرام فتغمر ارضه بالمياه والاتربة يحملها السيل . لذلك فقد كان مما عنى به مكتب المشروع تحويل مجرى السيل الى مجرى خاص يبتدئ من تحت رصيف الجانب الجنوبى من شارع القشاشية فيمر تحت منطقة الصفا ثم تحت رصيف الشارع الجديد .

وقد تم فى هذه المرحلة الاولى :

(١) بناء وتسقيف قسم منه يمتد فيما بين شارع القشاشية ومايقابل باب ام هانئ ويبلغ عرضه ٥ امتار وارتفاعه بين ٤ ، ٦ امتار .

(٢) تم فى منطقة اجياد هدم المبانى اللازمة لمشروع التوسعة فى مرحلته الثانية وهى المبانى الممتدة من جانب ماكان يعرف بزقاق البخارية الى حدود دورة المياه فى السوق الصغير ومايقابلها من المبانى التى كانت ملاصقة للحرم فيما بين باب الوداع وباب ابراهيم .

(٣) كما تم فى القشاشية لتوسيع الشارع هدم المبانى التى كانت تشغلها بعض دوائر وزارة المعارف ومدارسها والعمارة المقابلة لها كانت تشغلها ادارة البريد العامة .

(٤) تم فى منطقة الصفا وفى اول شارع القشاشية التوسع فى الارض الجبلية الواقعة بينه وبين الشارع الجديد (شارع الملك) بناء عمارة تتكون من ثلاث طبقات جعلت الطبقة الاولى منها دكاكين ، والثانية والثالثة تشغل اكثرها الان بعض الدوائر الحكومية ومكتب مشروع الحرم .

وقد ازيلت بعد ذلك لتوسعة الشوارع وحين كتابة هذه الرسالة لم يكن لهذه العمائر وجود .

وقد مهدت فى المرحلة الاولى المساحة اللازمة من الارض التى ستقام عليها مبانى هذه المرحلة فهدم ماكان قائما عليها من المبانى ، ونقلت انقاضها وسويت ارضها بمستوى ارض المسجد البناء القديم . ثم بدىء بالمرحلة الثانية من مراحل مشروع عمارة المسجد الحرام ، وذلك بحفر الاساسات لتقام عليها قواعد البناء فيما تبقى من الرواق الجنوبى الذى تم فى المرحلة الاولى مابين جانب الصفا الغربى وباب ام هانىء فاتصل العمل وتم منه مايأتى :

(١) تم بناء وتسقيف القسم الثانى من الرواق الجنوبى الجديد الذى يمتد مابين مايقابل باب ام هانى وباب ابراهيم بطابقيه الاول والثانى وطبقة البدرومات التى تحته . وبذلك تكامل بناء هذا الرواق الذى يكون الجانب الجنوبى من التوسعة . ثم بناؤه مكسوا بالمرمر والحجر الصناعى ـ جدرانه بالمرمر وعقوده وسقوفه بالحجر الصناعى ـ ويبلغ ارتفاع الطبقة الاولى ½ ١٠ امتار فى الرواق كله .

وقد جعل جانب من واجهة الطبقة الاولى من هذا الرواق - بجانب باب اجياد - سبيلا لسقيا الحجاج من ماء زمزم الذى يصله من البئر بواسطة المواسير وجعل مثل هذا السبيل فى الجهات الاخرى من التوسعة .

(٢) كما تم فى نهاية واجهة هذه الطبقة ايضا اقامة مدخل ضخم واسع مكون من ثلاثة ابواب كبيرة اطلق عليها اسم " باب الملك عبد العزيز " .

(٣) وقد اقيمت فوق الطبقة الثانية لهذا الرواق طبقة ثالثة تمتد بين مايقابل باب ام هانىء وباب ابراهيم .

(٤) كما تم فى هذا الجانب تأسيس ثلاث منارات - واحدة بجانب الصفا ارتفاعها ٥٠ مترا . واثنتان بجانبى باب الملك تقابل احداهما باب ام هانى والاخرى باب ابراهيم . وقد ارتفع البناء فى كل منهما ٨٠ مترا .

(٥) تم بناء وتسقيف ماتبقى من المجرى الذى بدىء بشقه فى المرحلة الاولى لتحويل مجرى السيل ، حيث بدىء بالعمل فيه من حيث توقف عندما يقابل باب ام هانى ، واستمر فى الطريق الجديد الى مايقابل زقاق الجنائز فى السوق الصغيرة . ثم وجه الى طريق المهجلة وهناك انتهى بفوهة يندفع منها فى ارض منخفضة الى المسفلة .

وبينما كانت هذه الاعمال تجرى فى هذا الجانب كانت تجرى اعمال تكميلية اخرى فى بعض جوانب التوسعة :

(١) فقد هدمت فى واجهتى باب السلام وباب اجياد من العمارة القديمة ١٨ خلوة كان الزمازمة يتخذونها مخزنا يحفظون فيها ماء زمزم لسقيا الحجاج فى المواسم .

(٢) وقد بوشر انشاء خلاوى لهم فى البدروم تحل محل الخلاوى المهدومة .

(٣) كما هدمت فى واجهة اجياد المدارس التى كانت ملتصقة بالحرم . وبهدم هذه المدارس والخلاوى صار فى امكان المصلين فى الطبقة الاولى من الرواق الجديد مشاهدة الكعبة المشرفة .

(٤) تم بناء ممر دائرى فوق الصفا فى مستوى سطح الطبقة الثانية فى كل من الرواق الجنوبى والمسعى ويوصل بينهما بحاوه سقف مستدير مقبب . وهذا

الممر هو طريق الداخلين من باب الصفا الجديد لاداء الصلاة فى احدى الطبقتين .

(٥) تم تركيب الشبابيك الحديدية فى نوافذ الجدار الشرقى للمسعى بطابقيه ولما قارب بناء القسم الثانى من رواق التوسعة الجنوبى ان يتم بدئ فى التمهيد لبناء رواق جديد آخر يكون فى الجانب الغربى من التوسعة يمتد من حيث انتهى الرواق الجنوبى عندما يقابل باب ابراهيم وينتهى عند باب العمرة .

(٦) وكانت الارض اللازمة لاقامة بناء القسم الاول من هذا الرواق قد ازيل ماعليها من المبانى وتم تمهيدها وتسويتها بمستوى ارض الحرم - البناء القديم فى اثناء المرحلة الاولى - فبدئ فى هذه المرحلة بحفر الاساسات واقامة القواعد فارتفع عليها بناء طبقة البدرومات التى قام عليها بناء القسم الاول من هذا الرواق الذى يمتد من نهاية الرواق الجنوبى الى باب الوداع وتم بطابقيه الاول والثانى مكسوا بالمرمر والحجر الصناعى (جدرانه بالمرمر وعقوده وسقوفه بالحجر الصناعى) .

(٧) وقد جعل جانب من واجهة هذا القسم الغربى سبيلا لسقيا الحجاج من ماء زمزم كما يصل السبيل الاول بواسطة المواسير .(١)

المرحلة الثالثة :

بدأت هذه المرحلة بدخول عام ١٣٨٢ هـ فتم فيها ماكان مشروعا فيه فى المرحلة الثانية . وقد قسمت المنطقة التى ستقام عليها مبانى هذه المرحلة الى ثلاثة اقسام :

(١) بدئ بهدم المبانى التى كانت قائمة على الارض اللازمة لبناء القسم الثانى من رواق الجانب الغربى للتوسعة الذى انتهى بناء القسم الاول منه عند باب الوداع . فحفرت الاساسات اولا فيما بين باب الوداع وباب العمرة

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ١٤٥ - ١٥٢) .

واقيمت القواعد فارتفع فوقها البناء وقد تم منه حتى الان بناء طبقة البدرومات وفوقها الطابق الاول لهذا القسم من الرواق الغربي . ويجرى العمل فى الطابق الثانى منه . وينتظر ان يتم تسقيفه قريبا باذن الله تعالى . (وقد تم كل ذلك فعلا) .

(٢) بينما كان العمل يجرى فى بناء هذا القسم الذى يتكامل به بناء رواق التوسعة الغربي ، بدأ الاعداد للشروع فى بناء رواق الجانب الشمالى للتوسعة الذى يمتد من باب العمرة الى باب السلام فتم هدم المبانى اللازمة ليقام على ارضها بناء القسم الاول من هذا الرواق الذى يمتد فيما بين باب العمرة وباب الباسطية وسويت ارضها ، فاقيمت القواعد وتم فوقها بناء طبقة البدرومات .

(٣) تمهيدا لمرحلة المشروع الاخيرة تم هدم المبانى التى فيما بين باب الباسطية وباب القطبى وباب الزيادة وباب السلام . سويت ارضها وحفرت فيهما الاساسات وتم صب القواعد وبوشر بناء البدرومات فيما بين باب الباسطية وباب الزيادة .

اما فيما بين باب الزيادة وباب السلام فالعمل جار فى التسوية وحفر الاساسات استعدادا لصب القواعد (١) .

وقد تمت هذه الاعمال كلها قبل كتابة هذه الرسالة بسنوات .

توسعة المطاف فى العهد السعودى .

اول من فكر فى توسيع المطاف هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله منه ، لانه لما رأى كثرة المسلمين وضيق المطاف آنذاك ، فكر فى توسعة المطاف والمسجد ، فهدم بيوت قريش المحدقة بالبيت بعد ما دفع ثمنها الى اصحابها فبدأ بتوسيع المسجد الحرام فاصبح المطاف واسعا من ذى قبل مع توسعة المسجد الحرام . وقد سبق مفصلا فى الباب الثانى .

---

(١) اخبار مكة (٢ : ٣٣٦ - ٣٣٧) .

ثم وسع المطاف عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فى عهده لما وسع المسجد الحرام . وقد تقدم ايضا فى محله . فصار المقدار الذى وسعه بن الخطاب للمسجد الحرام صار مطافا بعد توسعة ابن الزبير رضى الله عنه .

ثم استمر المطاف على حاله عدة قرون ، فقام خلال ذلك خلفاء بنى اميـــة وبنى عباس وسلاطين آل عثمان والجراكسة بترميمه والاصلاح عندما دعت الحاجـــة الى ذلك حتى وصل الامر الى عهد السعوديين ، فقاموا بتوسيع المطاف بعد ترميم بيت الله الحرام ، فاقلعوا قبة زمزم وهدموا عمارته ، فصار مقداره اربعة آلاف مـــتر مربـــع .

ثم آل الامر الى الملك المعظم خالد بن عبد العزيز - حفظه الله - وقـــد اصبح المطاف يتضايق على الطائفين طوال هذه السنوات لازدياد الحجـــاج والوافدين الى البلد الامين ، فصدرت الموافقة الكريمة من الديوان الملكى علـــى توسيع المطاف بالحرم المكى الشريف اثناء كتابة هذه الرسالة سنة ١٣٩٨هـ ليصـل الى حدود المسجد الحرام القديم ليصبح ٨٥٠٠ ثمانية آلاف وخمسمائة متر مربــع وليستوعب اكثر من ٢٨ الف طائف بعد ان كان يستوعب اربعة آلاف طائف فقـط ومساحته كانت اربعة آلاف متر مربع .

وكانت لجنة برئاسة معالى وزير الحج والاوقاف وعضوية كل من وكيـــل وزارة المالية والاقتصاد الوطنى للشئون الادارية ، ووكيل الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، ووكيل الرئيس العام للاشراف الدينى بالمسجدين المكى والنبوى الشريف قد قامت بدراسة المخططات المقدمة من شركـة هندسية استشارية بشأن توسعة المطاف ، واوصت بتنفيذها .

وتشمل التوسعة التى سيبدأ العمل فى تنفيذها فى اول شهر جمادى الاولى سنة ١٣٩٨هـ الحصاوى والمشايات ، ونقل المنبر ، ومكان التكبير ومدخل بئر زمـزم الى خارج المطاف الجديد مع تبليطه ببلاط ابيض من الرخام الممتاز . وتبلغ تكلفـة المشروع اكثر من ١٥٥ مليون ريال .(١) ا.هـ

---

(١) اخبار العالم الاسلامى الاسبوعية - العدد ٥٧٢ فى ٢٥ ربيع الثانى ٩٨هـ تصدر عن ادارة الصحافة والنشر برابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

وقد بدئ فعلا فى تنفيذ هذا المشروع فتم نقل المنبر من مكانه وهدم المظلة وراء مقام ابراهيم وبناء مكان الاذان والتكبير، ثم توقف العمل لدخول شهور الحج .

ثم بدأت المرحلة الثانية لتوسعة المطاف من اول سنة ١٣٩٩هـ، فسويت الحصاوى والجهات الاربع من المسجد الحرام لانها لم تكن متساوية قبل ذلك، فكان العمل جاريا ليل نهار، ولم يكن الوقت كافيا لاستكمال المشروع اذ دخل شهر رمضان المبارك فغطى المطاف ببلاطات ايطالية مؤقتا، وقد تم نقل سلالم بئر زمزم الى ناحية الصفا .

وبعد انقضاء اشهر الحج يبدأ العمل لاستكمال المشروع فى المرحلة الثالثة وسيتم ذلك ـ ان شاء الله ـ فى سنة ١٤٠٠هـ والان دخلت الحصاوى كلها فى المطاف فاصبح واسعا جدا كالبحر يستوعب اكثر عدد من افواج الحجاج والطائفين فيموج بهم موجا حول البيت العتيق .

مساحة المسجد الحرام .

قال تقى الفاسى نقلا عن الازرقى : ان عبدالله بن الزبير وسع المسجد من جانبه الشرقى وهو اعلاه مما يليه من جانبه الشامى ومن جانبه اليمانى، وكان مما وسع به فى الجانب الشرقى نصف دار الازرقى اشترى ذلك ببضعة عشر آلاف دينار .

ثم وسعه ابو جعفر المنصور ثانى الخلفاء من بنى العباس من جانبه الشامى ومن جانبه الغربى الى ان اوصله الى ماهو عليه اليوم الا انه بلغ فيما وسعه من الجانب الغربى الى باب بنى جمح الذى هو فيه الان فى محاذاته فيما احسب الزيادة المعروفة بزيادة باب ابراهيم . ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين الا رواقا واحدا، وكان ابتداء عمل ذلك فى المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة والفراغ منه فى ذى الحجة سنة ١٤٠هـ وكان الذى زاد فيه المنصور الضعف مما كان عليه قبل .

ثم وسعه المهدى بن ابى جعفر المنصور من اعلاه ومن الجانب اليمانى ومن الموضع الذى انتهى اليه ابوه فى الجانب الغربى حتى صار على ماهو عليه

الان خلا الزيادتين فانهما احدثتا بعده[1] .

اما مقدار المسجد الحرام فى زمن ابن الزبير فانه كان سبعة اجربة وشىء ومسجد كوفة كان تسعةاجربة . قال ابو الوليد حدثنى جدى وقال وذلك فى زمان ابن الزبير .

ثم ذكر الفاسى مقدار الجريب فقال : وقد ذكر ذلك الماوردى فى الاحكام السلطانية والنووى والقلمى وصاحب الوافى . فاما الماوردى فقال : انه عشر قصبات فى عشر قصبات ذرع . كل قصبة ستة اذرع .

قال ابن الرفعة بعد ذكره لكلام الماوردى : فاذا ضربت ذلك بالتكسير بلغ ثلاثة آلاف ذراع وستمائة . واما النووى والقلمى وصاحب الوافى فقالوا : انه ارض مربعة كل قائمة منها ستون ذراعا . قال ابن الرفعة بعد ذكره لذلك : وانت اذا ضربت ذلك فى مثله بلغ ثلاثة آلاف ذراع وستمائة ذراع .

وقال ابن يونس : الجريب ـ ستة آلاف ذراع واربعمائة ذراع . انتهى

وعلى ماذكره الماوردى ومن وافقه فى مقدار الجريب يكون المسجد الحرام فى زمان ابن الزبير خمسة وعشرين الف ذراع ومائتى ذراع لان ذلك مقدار سبعة اجربة ويزيد مقداره على ذلك بزيادة على السبعة الاجربة التى قيلت فى مقداره .

قال : واظن ان ماقيل من ان مسجد مكة سبعة اجربة وشىء فى زمان ابن الزبير يكون مقداره هذا بعد ان وسعه ابن الزبير . لاقيل ان يوسعه . والله اعلم[2] .

يقول الشيخ حسين باسلامة : ولذلك رأيت من الضرورى ان اذرع المسجد طولا وعرضا بالمتر لاجل ان ازيل عن القارىء شبهة الخلاف الواقع فى نقطة مبتدأ الذرع . ونقطة انواع الاذرع ـ هل هى ذراع اليد او ذراع الحديد ؟ والمتر المستعمل فى العصر الحاضر، واليك بيان ذلك :

---

(١) شفاء الغرام (١ : ٢٢٥) .
(٢) شفاء الغرام (١ : ٢٢٤ - ٢٣١) .

قياس المسجد الحرام من الشرق الى الغرب :

متر	سم	
١٧	٥٠	من جدار المسجد الحرام الشرقي الموالي لباب النبي الى حافة الرواق من جهة الحصوة .
٦٣	٤٠	من حافة الرواق على حد الحصوة الى باب بني شيبة .
٤٨	٨٠	طول صحن المطاف من باب بني شيبة الى حافة الصحن ما يلي مقـــام المالكـــي .
٥٢	٤٥	من حافة الصحن مايلي مقام المالكي الى نهاية الحصوة من الجهة الغربية .
١٤	٩	من حافة الرواق الغربي على حد الحصوة الى صدر جدار المسجد ممـــا يلي مدرسة الشريف غالب بالجهة الغربية .
١٩٦	٢٤	يكون طول المسجد الحرام من الشرق الى الغرب

قياس المسجد الحرام من الشمال الى الجنوب :

متر	سم	
١٥	١٠	من حد طرف دار الندوة الموازي لاستقامة جدار المسجد من باب الدريبة الى باب الباسطية الى منتهى عرض الرواق على حافة الحصوة .
٢٨	٦٥	من حافة الحصوة الشمالية على حد الرواق الى حافة صحن المطاف ممـــا يلي مقام الحنفي .
٤٧	٤٥	من حافة الصحن ما يلي مقام الحنفي الى منتهى الصحن ما يلي مقـــام الحنبلي - اعني عرض الصحن من الشمال الى الجنوب .
٣١	٤٠	من حافة الصحن ما يلي مقام الحنبلي الى منتهى الحصوة من الجهـــــة الجنوبية .
٢٠	٥	من منتهى الحصوة من الجهة الجنوبية الى جدار المسجد الحرام ما يلي باب اجياد الصغير .
١٤٢	٧٠	يكون عرض المسجد الحرام من الشمال الى الجنوب

مساحة الحصوة التى هى رحبة المسجد الحرام من داخله :

سم متر
١٦٤ ٦٥ من الشرق الى الغرب .
١٠٧ ٥٠ من الشمال الى الجنوب .

مساحة دار الندوة :

سم متر
٣٦ ١٠ من الشرق الى الغرب اى من جدار مدرسة السلطان سليمان خان التى هى الان مركز المحكمة الشرعية الى قلب الزاوية التى تلى جدار مدرسة القطبى من الجهة الغربية .
٣٧ ١٠ من الشمال من اول درج باب الزيادة الى منتهى دار الندوة مما يلى حد جدار المسجد الحرام على سمت جداره من باب الدريبة الى باب الباسطية .

مساحة باب ابراهيم مع رحبته :

سم متر
٢٤ ٦٥ من الشرق الى الغرب .اى من حد المسجد الحرام مما يسامت جدار رباط اليمنيين الشرقية الى جدار مدرسة الشريف ابى نمى الشرقية الى الباب غربا .
٢٩ ٠٠ من الشمال من جدار رباط اليمنيين الى جدار مدرسة الشريف ابى نمى .

مساحة بيت بئر زمزم :

سم متر
٨ ٣٠ من الشرق الى الغرب .
١٠ ٧٠ من الشمال الى الجنوب .

مساحة مقام الحنفى :

سم متر
٨ ٤٠ من الشرق الى الغرب .
٥ ٦٠ من الشمال الى الجنوب .

مساحة مقام المالكى :

سم متر
٣ ٩٠ من الشرق الى الغرب .
٣ ٩٠ من الشمال الى الجنوب .

مساحة مقام الحنبلى :

سم متر
٣ ٩٠ من الشرق الى الغرب .
٣ ٧٠ من الشمال الى الجنوب .

هذا ماكان من نتيجة ذرع المسجد الحرام بالمتر طولا وعرضا من الشرق الى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب ، وذرع دار الندوة ، وباب ابراهيم مع فسحته وذرع بيت زمزم ، والمقامات الثلاث ، ومن ذرع طول المسجد الحرام وعرضه بالمتر يظهر ان ذرع ابن فضل الله العمرى الذى تقدم ذكره ، وذرع التقى الفاسى على حسب تقدير ذراع اليد ٤٨ سنتيمترا ، يكون مطابقا لما ذكرناه من طول المسجد وعرضه بالمتر اذ ان الفرق بسيط جدا ، وهو انه وقع نقص من ذرعها فى الطول بضعة امتار . وزاد فى العرض مثله بضعة امتار .

واما ذرع الفاسى بذراع الحديد ، اذا كان اعتباره ذلك الذراع الحديد ٥٦½ سنتيمترا ، يكون طول المسجد الحرام وعرضه فى ذلك العصر ازيد مما عليه

الان بنحو خمسة امتار فى الطول ، وثمانية امتار فى العرض . لان قياسه كان على عمارة الخليفة محمد المهدى العباسى ، وقياسنا هو على العمارة الاخيرة التى وقعت سنة ٩٨٤هـ من قبل السلطان سليم خان وابنه السلطان مراد خان من سلاطين آل عثمان .

وعلى ذلك تكون مساحة المسجد الحرام فى عهد المهدى العباسى بموجب تقى الفاسى بذراع الحديد (٣٠٢٤٠) مترا مربعا و ٧٩ سنتيمترا . واما مساحته فى العصر الحاضر وذلك على عمارته الاخيرة التى جرت سنة ٩٨٤هـ فهى (٢٨٠٠٣) مترا مربعا بموجب ذرعنا الاخير له .

هذا ماكان من تحرير فى مساحة المسجد الحرام فى عمارة المهدى وسلاطين آل عثمان بذراع اليد ، وذراع الحديد ، والمتر ليظهر للقارئ مساحة المسجد فى عصر المهدى ومساحته الاخيرة (١) .

مساحة المسجد الحرام فى العهد السعودى .

كانت مساحة المسجد الحرام قبل التوسعة (٢٩١٢٧) مترا مسطحا .

سيزاد عليها :

(أ)	مساحة التوسعة الجديد ـ الطابق الاول والثانى من الاروقة	٣١٣٠٩
	فتصبح	٦٠٤٣٦
(ب)	مساحة المسعى بعد ان ضمت الى المسجد الحرام واصبحت جزءًا منه	١٠١٧٢
	مجموع مساحة المسجد الحرام ـ الدور الاول من الاروقة والمسعى	٧٠٦٠٨
(جـ)	مساحة الدور الثانى بما فيه المسعى ـ الطابق الثانى	٦٠٥٦٠
(د)	مساحة طبقة البدرومات التى تحت اروقة التوسعة كلها	٢٩٠٠٠
	مجموع مساحة المسجد بطابقيه وبدروماته بعد التوسعة	١٦٠١٦٨

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٦٥ ، ٦٧) .

وهى مساحة تتسع لاكثر من ٣٠٠ الف من المصلين فى وقت واحد يـؤدون صلاتهم فى سعة واطمئنان وفى امكانهم مشاهدة الكعبة المشرفة مهما بعـدت امكنتهم[1] .

(١) اخبار مكة (٢ : ٣٢٧ - ٣٢٨) .

الفصل الثانى
فى بيان ابواب المسجد الحرام

وتحدث الشيخ ابراهيم رفعت باشا فى هذا الموضوع

فقال : وللمسجد خمسة وعشرون بابا . منها بالشمال ثمانية ابواب، وبالشرق خمسة وبالجنوب سبعة، وبالغرب خمسة . من هذه ستة ابواب صغيرة خوخـــات والباقى ابواب كبيرة - منها ذو الفتحة والفتحتين والثلاث والخمس .

وفى المسجد سبع منارات فى كل زاوية منارة واثنتان فى الشمال وواحدة فـــى الشرق .(١)

وقال الشيخ حسين : كان للمسجد الحرام فى عصر الخليفة المهدى ١٩ بابا على ٣٨ نافذة احدث معظمها المهدى، علامة على الابواب التى احدثت فــــى عمارة من سبقه من الخلفاء . وكان من ضمن تلك الابواب بابان بثلاث نوافذ مشرعـــة على دار الندوة، ومنها متصلة بشارع سويقة . ثم لما زيد فى المسجد الحـــــرام بعد عمارة المهدى زيادة دار الندوة ابطل البابين المذكورين واحدث بدلهــــا فى زيادة دار الندوة بابين سمى احدهما بباب الزيادة، على ثلاث نوافذ، وسمــــى الثانى بباب القطبى، بنافذة واحدة .

ثم قال : يحتوى المسجد الحرام فى العصر الحاضر على ٢٦ بابا و٤٧ نافذة .(٢)

فى مرآة الحرمين : فى الشرق :

(١) باب السلام : ويعرف بباب بنى شيبة وباب بنى عبد شمس .

يقول الشيخ حسين : وباب السلام من الابواب التى احدثها الخليفـــة المهدى فى عمارته للمسجد الحرام حيث كان فى موضعه قبل التوسعة دور اهـــل مكة . ثم جددت عمارة هذا الباب بأمر السلطان سليمان خان العثمانى، وهـــو لا يزال على عمارته تلك الى العصر الحاضر حتى الان . ومكتوب عليه : امر بانشاء هذا الباب الشريف السلطان الملك المظفر سليمان خان . . . . وكتب ذلك فـــى

---

(١) مرآة الحرمين (ص ٢٢٠) .
(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ١٦٩) .

سنة ٩٣١هـ وهي منقوشة على الحجر الابيض . وهذا الباب يدخل منه الحجاج لاداء طواف القدوم .

(٢) باب قايتباي - وهو خوخة ، ولا سلم له . فتحه وعمره السلطان المذكور ، وهو نافذ من المسجد الحرام الى المسعى . واسم السلطان مكتوب على الباب .

(٣) باب الجنائز - وعرفه الازرقي بباب النبي ، لانه عليه السلام كان يخرج منه الى منزله دار خديجة رضي الله عنها . يقول الشيخ حسين : ان هذا الباب احدثه المهدي في عمارته ، ولم يكن قبل ذلك في موضعه باب ، بل كان في موضعه دور اهل مكة . والسبب في تسميته بباب النبي لكونه عليه السلام يدخل في المسجد ويخرج منه نحو تلك الجهة . ويقال له باب الحريريين وباب القفص .

(٤) باب العباس : سمي بذلك لانه يقابل داره بالمسعى . يقول ابراهيم رفعت باشا : كتب فوق ذلك . وقد وقع هذا الانشاء باشارة السلطان مراد خان سنة ٩٨٨هـ .

ويقول الشيخ حسين : وقد جددت عمارته سنة ٩٨٤هـ من قبل السلطان سليم خان .

(٥) الباب الخامس : باب علي - ويعرف بباب بني هاشم ، وباب البطحاء ، وجددت عمارته في عهد السلطان سليم خان سنة ٩٨٤هـ . وكتب فوق ذلك بالخط الثلث الدقيق : قد وقع هذا الانشاء الشريف باشارة السلطان الاعظم مراد خان سنة ٩٨٨هـ . هذا ماكان من الابواب التي بالجهة الشرقية من يوم احدثت الى العصر الحاضر .(١)

ابواب المسجد الحرام بالجهة الجنوبية .

(١) باب بازان - سمي بذلك لان مكة المعروفة ببازان قربه . ويقال : باب بني عائذ وباب النعوش .

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ١٧٤) .

(٢) باب البغلة : وعرفه الازرقى بباب بنى سفيان .

(٣) باب الصفا : سمى بذلك لانه يلى الصفا . وعرفه الفقهاء والازرقى باب بنى مخزوم لانهم كانوا ساكنين تلك الجهة . قاله القاضى ابن ظهيرة، ومكتوب فوقه قوله تعالى : " ان الصفا والمروة من شعائر الله . . . " .

(٤) باب اجياد الصغير : سماه الازرقى بباب بنى مخزوم، وسماه ابن جبير باب الخليفين .

(٥) باب المجاهدية : واطلق ذلك عليه لان عنده مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن . ويقال له : باب الرحمة . وعرفه الازرقى بباب بنى مخزوم لان هذه الابواب الثلاثة متجاورة اطلق عليها باب بنى مخزوم كانوا ساكنين بتلك الجهة .

(٦) باب مدرسة الشريف عجلان : سمى بذلك لانها بجانبه . وعرفه الفاسى بباب بنى تيم ويقال له باب التكية . احدثه المهدى فى عمارته سنة ١٦٤هـ .

(٧) باب ام هانىء : عرفه الفاسى انه باب الملاعبة، ويقال باب الفرج، وباب الحميدية، دار الحكومة التركية امامه . ونسبته الى ام هانىء هو الاشهر الى يومنا هذا ، وذلك لكونه واقعا عند دار ام هانىء رضى الله عنها وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر فى المسجد فى زيادة المهدى الثانية، وحفر المهدى عوضا بئرا عند باب الوداع[1] .

ابواب المسجد الحرام فى الجهة الغربية .

(١) باب الحزورة : قال الفاسى : والمصحف الان بباب عزورة . والحزورة اسم لسوق فى الجاهلية كانت فى هذا المكان ودخلت فى المسجد الحرام عند توسعته . ويسمى باب البقالية . قال الازرقى : ويقال له باب بنى حكيم بن حزام وبنى الزبير بن العوام . والغالب عليه باب الغزامية

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٧٨) ، مرآة الحرمين (ص ٢٣٢) .

ويقال له الان باب الوداع،لان الناس يخرجون منه عند سفرهم .وقد انشأه الخليفة المهدى فى عمارته الثانية التى اتمها ابنه موسى الهادى سنة ١٦٩هـ .

(٢) باب ابراهيم : قال الفاسى : وابراهيم المنسوب اليه هذا الباب كان خياطا يجلس عنده على ماقيل كما ذكره البكرى فى كتاب " المسالك والممالك" وان العوام نسبوه اليه . ووقع للحافظ ابى القاسم بن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء مايقتضى انه الخليل عليه السلام . وهو بعيد لا وجه له . وقد نقل القاضى ابن ظهيرة ماتقدم واقره على ماذكره الفاسى .

(٣) باب الخوزى : وفى مرآة الحرمين قال : باب صغير بمدرسة الشريف عبد المطلب . وهو نافذ من المسجد الحرام الى شارع السوق الصغير، وفى زيادة باب ابراهيم ثلاثة ابواب غير ما تقدم ذكره ـ لثلاث مدارس خاصة فى هذه الجهة .

(٤) باب مدرسة الشريف غالب : والباب الرابع عند مرآة الحرمين هو باب الداؤوية ،موصل الى شارع السوق الصغير ايضا .

(٥) باب مدرسة الداودية : وهو بمنفذ واحد منفذ الى السوق الصغير ايضا .

(٦) باب العمرة : سمى بذلك لان المعتمرين من التنعيم يخرجون ويدخلون منه فى الغالب . وسماه الازرقى باب بنى سهم . وذكره بهذا الاسم ابن جبير فى رحلته ،والمحب الطبرى فى كتابه القرى . وهو بمنفذ واحد ،انشأه ابو جعفر المنصور ،وجددت عمارته فى عهد السلطان سليم وابنه مراد خان .

ابواب المسجد الحرام فى الجهة الشمالية .

(١) باب السدة : سماه بذلك ابن جبير فى رحلته . وذكره الفاسى كذلك ،وقال القاضى ابن ظهيرة : سمى بذلك لانه سد ثم فتح . وعرفه الازرقى : باب عمرو بن العاص . وبهذا سماه صاحب مرآة الحرمين .

(٢) باب مدرسة الزمامية : وذكره صاحب مرآة الحرمين بدون ذكر المدرسة .

(٣) باب الباسطية : نسبة الى عبد الباسط ناظر الجيش فى دولة الملك الاشرف برسباى . وذكر صاحب مرآة الحرمين باب العجلة . ثم قال لا يدرى ماهذه العجلة ؟[1]

(٤) باب القطبى : وهو معروف فى العصر الحاضر بهذا الاسم لكونه بجوار مدرسة قطب الدين الحنفى . ويقال له : باب الزيادة لكونه غربى الزيادة اى زيادة دار الندوة .

(٥) باب الزيادة : وذكره صاحب مرآة الحرمين بباب سويقة . وهو مشهور فى عصرنا باسم باب الزيادة . قال الازرقى : هو باب دار بنى شيبة بن عثمان ، يسلك منه الى سويقة ، وهو فى صدر زيادة دار الندوة .

(٦) باب المحكمة : وقد اسسه الامير قاسم بك .

(٧) باب السليمانية : نسبة الى السلطان سليمان خان منشئ المدارس الاربعة والرباط . وذكره فى مرآة الحرمين : باب الكتبخانة ، ويقال له : باب المدرسة .

(٨) باب الدريبة : ويعرف بهذا الاسم قديما . وهو واقع فى ركن المسجد الحرام بالقرب من باب السلام .[2]

وفى وقتنا الحاضر بعد التوسعة السعودية للمسجد الحرام ، زاد عدد الابواب اقتضاء باتساع المسجد ولا بد من هذه الزيادة ، فعددها الان اثنان واربعون بابا ، خمسة منها نافذة الى المسجد الحرام على الجسر من ارض مرتفعة او جبل قريب منه .

وعدد المنابر سبعة كما كانت قبل التوسعة . احدها فوق جبل الصفا واثنتان منها على باب الدريبة ، واثنتان على باب العمرة ، وكذا اثنتان على باب الملك ، وهذه المنابر المرتفعة زادت المسجد جمالا رائعا ومنظرا بهيجا تدل على الذوق الرفيع للمسئولين وعلى قمة مستوى الفن المعمارى لدى المسلمين قديما وحديثا .

---

(١) مرآة الحرمين (ص ٢٣٤) ، تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ١٨٢) .
(٢) مرآة الحرمين (ص ٢٣٤) ، تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ١٨٥) .

وهذه اسماء ابواب المسجد الحرام بعد توسعة السعودية :

باب قريش

باب منى

باب عرفة

باب المحصب

باب مراد

باب عثمان (على الجسر)

باب المروة

باب المدعى

باب المحلاة

باب الحجون

باب بنى شيبة

باب ام هانى

باب الوداع

باب الهجرة

باب ابى بكر الصديق

باب ابراهيم عليه السلام

باب الشبيكة

باب بدر (على الجسر)

باب العمرة (فى الجهة الغربية)

باب عبد الله بن الزبير (على الجسر)

باب الحديبية

باب المدينة المنورة

(هذه الابواب على جانبى المسعى نحو المروة)

باب السلام

باب النبى صلى الله عليه وسلم

باب العباس

باب على

باب بنى هاشم

باب دار الارقم

باب ابى قبيس (على الجسر)

باب الصفا (فى الجهة الشرقية)

باب اسماعيل عليه السلام

باب حنين

باب بلال رضى الله عنه

باب اجياد

باب الملك عبد العزيز (فى الجهة الجنوبية)

باب القدس

باب الشامية

باب الندوة

باب عمر الفاروق

باب المهدى (على الجسر)

باب الفتح (فى الجهة الشمالية)

باب القرارة

الفصل الثالث

فى بيان منبر المسجد الحرام

كان الخلفاء وامراء مكة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبون فى ايام الجمع قياما على اقدامهم بمكة المكرمة فى وجه الكعبة المعظمة وفى حجر اسماعيل الى خلافة امير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه . وكان اول من احدث المنبر بالمسجد الحرام .

قال الازرقى فى تاريخ اخبار مكة : اول من خطب بمكة على المنبر امير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان . وهو منبر صغير على ثلاث درجات وقدم به من الشام لما حج . وهو اول من اتى به الى مكة . وكان الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعة قياما على اقدامهم فى وجه الكعبة وفى الحجر . ثم قال الازرقى : وذلك المنبر الذى جاء به معاوية ربما خرب فكان يعمر ولا يزاد فيه حتى حج هارون الرشيد فاهدى له منبر منقوش عظيم عال فى تسع درجات . اهداه له عامله على مصر موسى بن عيسى فكان منبر مكة وجعل المنبر القديم بعرفة . ثم امر الواثق العباسى بعمل منبر بمكة ومنبر بمنى ومنبر بعرفة .

قال : وان المنتصر بن المتوكل العباسى لما حج فى خلافة ابيه جعل له منبرا عظيما ، فخطب عليه بمكة ثم خرج وخلفه بها .

وقال نقلا عن الفاسى : وجعل بعد ذلك عدة منابر للمسجد الحرام ، منها منبر عمله وزير المقتدى العباسى ، وكان منبرا هائلا استقام بالف دينار . ولما وصل الى مكة احرق لانه كان بعث به ليخطب عليه للخليفة المقتدى ، فمنع من ذلك المصريون ، وخطبوا للمستنصر العبيدى صاحب مصر واحرقوا المنبر المشار اليه .

ومنها منبر عمل فى دولة الملك الاشرف شعبان صاحب مصر فى سنة ٧٦٦ هـ

ومنها منبر بعث به الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فى سنة ٧٩٧ هـ ، وهو باق يخطب عليه الخطباء الى تاريخه واصلح بعد وصوله الى مكة غير مرة . ومنها

منبر حسن انفذه الملك المؤيد صاحب مصر فى موسم سنة ٨١٨هـ .

قال : وفى سنة ارسل شيخو صاحب منبرا من خشب خطب عليه يوم التروية .

قال ابن فهد القرشى : وفى سنة ٨٦٦هـ وصل من القاهرة المحروســة الى مكة المكرمة ركب مقدم على الركب الاول المصرى وصحبته منبر لمكة المشرفة ارسلــه الملك الناصر خشقدم .

وفى سنة ٨٧٧هـ ارسل الملك الاشرف قايتباى الظاهرى منبرا من خشــب خطب عليه اول ذى الحجة .

وجاء فى تحصيل المرام انه فى ٢٥ ذى القعدة سنة ٨٧٩هـ وصل مكــة المشرفة منبر خشب للمسجد الحرام ، فركب فى جهة باب السلام وجر الى المطــاف وخطب عليه الخطيب فى اول ذى الحجة . ولم يبق للمنابر المذكورة اثر لوجــود المنبر الذى عمله السلطان سليمان خان . ا .هـ

فهذا المنبر كان آخر المنابر الخشبية التى وردت للمسجد الحرام .

واما المنبر الذى عمله السلطان سليمان بن السلطان سليم خان العثمانــى فهو المنبر الحالى الموجود الى هذا العصر الحاضر . واليك خبره :

فى سنة ٩٦٦هـ بعث السلطان سليمان بن سليم خان بهذا المنــبر المصنوع من الحجر الرخام المرمر البراق الناصع البياض . وهو القائم الان بفنــاء المسجد الحرام امام الكعبة المعظمة مما يلى الجهة الشرقية ويلى مقام ابراهــيم الخليل صلى الله عليه وسلم من الجهة الشمالية . يحتوى هذا المنبر الذى هو آيــة فى الجمال على ثلاث عشرة درجة وعلى علوه فوق المصطبة العليا اربع اسطوانات من المرمر وعلى علو الاسطوانات الاربع قبة مستطيلة عملت من الخشب القوى ، وصفحــت بالواح من الفضة مطلية بالذهب الوهاج ، يخيل للرائى انها صيغت من ذهــب وقد مضى على هذه القبة المربعة الشكل ثلاث مائة وثمان وثمانون سنة ولم يذهــب طلاؤها طيلة هذه العصور لكثرة ماطليت به من الذهب .

ويبلغ ارتفاع هذا المنبر من ارض صحن المطاف الى هلال القبة نحو عشريــن ذراعا بذراع اليد او اثنا عشر مترا على التقريب . ولهذا المنبر ميزة خاصــة

وهي ان الشمس لا تصل الى موضع الخطيب، لا شتاء ولا صيفا على اختلاف الفصول .

اما صناعته فهي من ابدع ما يكون . وتدل هذه الصناعة على براعة صانعه وحسن ذوقه، ودقة مهارته، كأنما صاغه من جوهر او نظمه من در . وقد كتب على هذا المنبر المشار اليه من الجهة الغربية التي تلي الكعبة المعظمة " الحمد لله رب العالمين . قد بنى سليمان منبر البلد الامين " . وكتب على باب المنبر من الجهة الشرقية " انه من سليمان وانه بسم الله صدق الله جل اسمه سنة ٩٦٦هـ "[١] .

واثناء كتابة هذه الرسالة رفع هذا المنبر من محله عند توسعة المطاف وسيوضع فيما بعد في محل مناسب ابعد مما كان عليه من الكعبة المعظمة لئلا يضيق على الطائفين بالبيت .

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٢٣٩) .

الفصل الرابــع

فى بيان المسعـــى

هذا الشارع العظيم الذى يمتد من الصفا الى المروة هو من شعائر اللــه تعالى ومن المشاعر العظام . وقد نص عليه القرآن المجيد بقوله : "ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم" .

وقد فرض الله تعالى على المسلمين السعى بين الصفا والمروة كما رواه الامام احمد بن حنبل بسنده عن صفية بنت شيبة عن حبيبة بنت ابى تجرأة قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم وهو يسعى حتى ارى ركبتيه من شدة السعى ، يدور به ازاره وهو يقول : اسعوا فان الله كتب عليكم السعى .

وصار بعد ذلك السعى بين الصفا والمروة ركنا من اركان الحج عند الامام الشافعى والامام احمد ورواية عن الامام مالك . وواجب عند ابى حنيفة ومن وافقه من الائمة .

وصار من سنة الحج لا يتم الا به ، كما صوبت به ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها خطأ عروة فى فهم معنى هذه الاية وقد تقدم .

يقول الشيخ حسين باسلامة :

ومن ذلك العهد الى العصر الحاضر لم يفكر احد من المسلمين فى رصفه او عمل مظلة عليه . فقد مضى عليه ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن التراب فرشه والسماء سقفه . غير انه فى خلافة ابى جعفر المنصور العباسى كان قد بنى عامله على مكة المكرمة عبد الصمد بن على درجا على الصفا اثنتا عشرة درجة ، وعلى المروة خمس عشرة درجة كحلت بعد ذلك بالنورة فى زمن مبارك الطبرى ، فى خلافة المأمون بن هارون الرشيد العباسى كما ذكره الازرقى فى كتابه اخبار مكة والسيوطى فى كتابه الاوائل .

روى ابن حجر الهيثمى المكى فى كتابه " شرح الايضاح فى مناسك الحج " للامام النووى عن الرضى بن خليل المالكى انه قال : كان على الصفا اثنتا عشرة درجة وعلى المروة خمس عشرة درجة ثم قال : وهذا قبل ان يعلو السوادى .

وقال المحب الطبرى المكى : والمروة فى وجهها عقد كبير مشرف وقد تواتر كونه حدا بنقل الخلف عن السلف وتطابق الناسكون عليه . ا.هـ

وقال العمرى فى مسالك الابصار، يصف الصفا والمروة : اما الصفا فحجر ازرق عظيم فى اصل جبل ابى قبيس، قد كسى بدرج الى آخر موضع الوقوف . واكثر ماينتهى الناس منها الى اثنتى عشرة درجة او نحوها .

واما المروة : فحجر عظيم الى اصل جبل متصل بجبل قعيقعان، كأنه قد انقسم على جزئين، وبقيت بينهما فرجة بين منها درج عليها الى آخر الوقوف .

شارع المسعى .

وقال ابن بطوطة فى رحلته يصف درج الصفا والمروة والعقد الكبير الذى على المروة - وللصفا اربع عشرة درجة علياهن كأنها مسطبة، وللمروة خمس عشرة درجة وهى ذات قوس واحد كبير . ا.هـ

وقال التقى الفاسى فى شفاء الغرام : والعقد الذى فى المروة جدد بعد سقوطه سنة ٨٠١هـ او التى بعدها . وعمارته هذه من جهة الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، واسمه مكتوب فى اعلى هذا العقد . ا.هـ

ولم اقف على السنة التى انشىء فيها هذا العقد، ولا اسم الذى انشأه فى كتب التاريخ، ثم راجعت كثيرا من كتب الفقه والمناسك والتاريخ العام والخاص بمكة، طمعا فى الوصول الى ذلك فلم اجد بها خبرا عن ذلك والذى يظهر لى ان عمارته كانت من ضمن عمارة ابى جعفر المنصور العباسى لبناء الدرج المتقدم ذكره .

فمن ذلك يتضح انه لم يفكر احد من الخلفاء او الملوك او السلاطين سواء فى ذلك امراء المؤمنين من الامويين او العباسيين او سلاطين الايوبيين

والجراكسة، والعثمانيين ممن اهتم منهم بعمارة المسجد الحرام وغيره من مساجد ومآثر اخرى مثل مسجد الخيف، ومسجد مزدلفة، ومسجد نمرة والمسجد الذى على جبل الرحمة بعرفة وما اشبه ذلك من المآثر والمشاعر العظام . بل لااحد من امراء مكة وولاتها بل ولا غيرهم من اغنياء المسلمين من اهل اليسار فى رصف شارع المسعى بين الصفا والمروة او عمل مظلة تقى المطوفين بهما من حر الظهيرة وضربة الشمس، مع انه لم يكن ذلك من الامور البعيدة عن التصور او المتعذرة الوقوع . وهذا مما يجعل كل مفكر فى استغراب عظيم .

ان واجب الانصاف يقضى علينا ان نؤدى لكل ذى حق حقه، وذلك ان اول من فكر فى عمل مظلة على شارع المسعى وعملها فعلا هو الملك الشريف الحسين بن على بن محمد بن عبد المعين بن عون وذلك انه فى سنة ١٣٣٩هـ امر الشريف الحسين بعمل مظلة على شارع المسعى وعهد بعملها الى الشيخ عبد الوهاب قزاز، فقام المذكور بعملها . فكانت قوائمها من اساطين الحديد وسقفها من الخشب على شكل جملون مصفح بالتوتوة وقد استفاد من ظلها عموم المطوفين بين الصفا والمروة، وكان ابتداؤها من باب العباس وانتهاؤها الى المروة . وهى لا تزال على عملها الاول الى الان غير انه قد جرى اصلاحها وتبديل قسم منها من قبل امانة العاصمة فى عهد رياسة الشيخ عباس قطان الحالى . وذلك بامر ملك المملكة السعودية الامام عبد العزيز المعظم حفظه الله تعالى . ولا تزال حكومة جلالته تفكر فى ابدالها بما هو امتن واجمل منها[1].

رصف شارع المسعى .

فلما كانت سنة ١٣٤٥هـ امر ملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود خلد الله ملكه بفرش شارع المسعى من الصفا الى

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ١٢٤ - ١٢٦) .

المروة فتشكلت لذلك هيئة بامانة العاصمة برياسة امين العاصمة السابق السيد عبد الوهاب بن احمد نائب الحرم الذى هو الان احد اعضاء مجلس الشورى ومعاونه السابق الشيخ سرور الصبان الذى هو الان مدير ادارة المالية . وتشكلت الهيئة من مندوب جلالة الملك المعظم الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية الحالى ، وبعض اعضاء مجلس الشورى وافراد من اعيان البلاد ممن لهم خبرة ودراية بالفن المعمارى ، وامين العاصمة ومعاونه وبعض اعضاء الامانة ومهندس الامانة ومعاونه ، وكنت (اى المؤلف) ممن حضر ذلك الاجتماع بصفتى احد اعضاء مجلس الشورى فى ذلك العام ايضا .

وتقرر فى ذلك الاجتماع بان يكون فرش شارع المسعى بالحجر الصوان المربع وان يبنى بالنورة ويكون الصرف ابتداء من صندوق امانة العاصمة مؤقتا ثم يسدد من المالية العمومية ، فابتدأ العمل اولا بهدم عموم الحوانيت التى على ضفتى شارع المسعى من مبتدأه الى منتهاه . فلما تم ازالة تلك الحوانيت ابتدأ العمل بالرصف من الصفا وعمل لذلك احتفال عظيم حضره صاحب السمو الملكى النائب العام الامير فيصل بن عبد العزيز المعظم حينذاك ، ووضع الحجر الاساس بيده الشريفة ، وتلا الدعاء الشيخ محمد عبد الظاهر ابو السمح خطيب وامام المسجد الحرام لحضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز المعظم بدوام النصر والظفر والتوفيق له .

ثم استمر العمل بهمة عالية ، وكان القائم بصرف اجر العمال معاون امين العاصمة الشيخ محمد سرور الصبان ، وكان انتهاء رصف شارع المسعى فى اواخر ذى القعدة من عام ١٣٤٥ هـ فصار بعد ذلك الشارع فى غاية الاستقامة وحسن المنظر ، وصار المطوفون بين الصفا والمروة يؤدون نسكهم بكمال الراحة والسلامة من وحل الشارع والغبار وما فى معنى ذلك .

فكان هذا الشارع هو اول شارع رصف بمكة المكرمة على الاطلاق واول مرة رصف فيها شارع المسعى من الصفا والى المروة منذ فرض الله تعالى على المسلمين الحج بل منذ سكن الحجاز . وكان الملك عبد العزيز اول ملك

اعتنى برصفه ولا شك ان هذا العمل من اجل الاعمال التى قام بها رجال الاصلاح فى مكة المكرمة واعظم مفخرة من مفاخر ملوك المسلمين . فجزى الله المحسنين على احسانهم خير الجزاء . ووفق الملك عبدالعزيز الى كثير من امثال هذه الاعمال التى فيها منافع لوفود بيت الله الحرام ، وسخر اغنياء المسلمين لان يقتدوا به فى اعمال الخير والبر والاحسان ، وخصوصا لراحة الوافدين والعاكفين ببلد الله الامين الذين يأتونه من كل فج عميق ، ولا شك ان كل عمل من امثال هذه الاعمال فيه خير الدنيا والاخرة .

وها انا ذا قد قمت بدورى إسجل فى هذا المؤلف عمل كل من احسن عملا فى العصر الحاضر ممن ادركتهم وشاهدت اعمالهم الحسنة من الملوك العظام والسلاطين الفخام ، والامراء الكرام والوزراء المحترمين الذين خصهم الله بالهمم العالية . وقد وصفت اعمالهم بايجاز حسبما اقتضى الحال خشية الاطالة ، واسندت كل عمل الى عامله سواء كان جليلا او حقيرا .

والذين ادركتهم وشاهدت اعمالهم - السلطان عبدالحميد خان والسلطان محمد رشاد خان من سلاطين آل عثمان ، والملك الشريف الحسين ابن على ، وملك المملكة العربية السعودية عبدالعزيز آل سعود . فقد قاموا بدورهم كل بحسب ماوفق اليه من العمل الجزيل او بحسب مستطاعه مقتديا بمن سلف ممن احسن عملا من الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين والملوك والسلاطين . اولئك الذين قد صرفوا من عنايتهم فى عمارة المسجد الحرام والمشاعر العظام ماجعلهم قدوة لكل من يريد ان يعمل خيرا من اغنياء المسلمين ، والله تعالى لا يضيع عمل عامل من ذكر او انثى[1] .

ذرع شارع المسعى .

قد اعتنى بذرع شارع المسعى كثير من العلماء فى كتب شتى من مناسك وتاريخ وما اشبه ذلك بالذراع والخطوة فى الازمنة القديمة ، وبالمتر فى

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص١٣٦ - ١٣٨) .

العصر الحاضر، ونتج من ذلك خلاف سببه اختلاف المقاييس، واليك ماجاء في ذلك :

قال ابوالوليد الازرقي في كتابه اخبارمكة : ذرع مابين الركن الاسود الى الصفا مائتا ذراع واثنان وستون ذراعا وثمانية عشر اصبعا . وذرع مابين باب المسجد الذي يخرج منه الى الصفا الى وسط الصفا مائة ذراع واثنا عشر ذراعا ونصف . وعلى الصفا اثنتا عشرة درجة من حجارة . ومن وسط الصفا الى علم المسعى الذي في حد المنارة مائة ذراع واثنان واربعون ذراعا ونصف .

والعلم اسطوانة طولها ثلاثة اذرع وهي مبنية في حد المنارة وهي من الارض على اربعة اذرع . وهي ملبسة بفسيفساء وفوقها لوح طوله ذراع وثمانية عشر اصبعا . وعرضه ذراع مكتوب فيه بالذهب وفوقه طاق ساج وذرع مابين العلم الذي في حد المنارة الى العلم الاخضر الذي على باب المسجد وهو المسعى مائة ذراع واثنا عشر ذراعا والسعي بين العلمين وطول العلم الذي على باب المسجد عشرة اذرع واربعة عشر اصبعا ، فيه اسطوانة مبيضة ستة اذرع ، وفوقها اسطوانة طولها ذراعان وعشرون اصبعا وهي ملبسة فسيفساء اخضر ، وفوقها لوح طوله ذراع وثمانية عشر اصبعا واللوح مكتوب فيه بالذهب . وذرع مابين العلم الذي على باب المسجد الى المروة خمسمائة ذراع ونصف ذراع ، وعلى المروة خمس عشرة درجة .

وذرع مابين الصفا والمروة سبعمائة ذراع وستة وستون ذراعا ونصف وذرع مابين العلم الذي على باب المسجد الى العلم الذي بحذائه على باب دار العباس بن عبدالمطلب ، وبينهما عرض المسعى ستة وثلاثون ذراعا ونصف . ومن العلم الذي على باب دار العباس الى العلم الذي عند دار ابن عباد الذي بحذاء العلم الذي في حد المنارة وبينهما الوادي مائة ذراع وواحد وعشرون ذراعا .

ثم قال ابو الوليد الازرقي : وحدثني جدي احمد بن محمد قال كان الصفا والمروة يستبت فيهما من سعى بينهما ولم يكن فيهما بناء ولا درج حتى

كان عبدالصمد بن على فى خلافة ابى جعفر المنصور فبنى درجهما التى هى اليوم درجهما . فكان اول من احدث بناءها ،ثم كمل بعد ذلك بالنورة مبارك الطبرى فى خلافة المأمون . ا.هـ

فتحصل من ذرع الازرقى ان مابين الصفا والمروة ٧٦٦½ ذراعا . وانه من الصفا الى العلم الذى عند المنارة ١٤٢½ ذراعا . ومن العلم الذى عند المنارة الى العلم الذى عند باب العباس ١١٢ ذراعا . ومن العلم الذى عند باب العباس الى المروة ٥٠٠½ ذراع . فيكون مجموع ذلك ٧٥٥ ذراعا وهذا اقل باحد عشر ذراعا ونصف عما ذكره اجمالا . والظاهر انه اعتبر الذرع الاول من علو الدرج . وهذا الاخير من ابتداء الدرج .

وقد ذكر ذرع شارع المسعى ابن فضل الله العمرى فى كتابه " مسالك الابصار" فقال : وذرع مابين الصفا والمروة وهو المسعى سبعمائة ذراع وثمانون ذراعا (٧٨٠) ومن الصفا الى الميل الاخضر الماثل فى ركن المسجد على الوادى مائة وثمانون ذراعا (١٨٠) ومن الميل الاخضر الى الميل الاخضر الذى بازاء دار العباس وهو موضع الهرولة مائة وخمس وعشرون (١٢٥)ذراعا ومن الميل الثانى الى المروة اربعمائة وخمس وسبعون (٤٧٥) ذراعا . فجميع مابين الصفا والمروة (٧٨٠) ذراعا .

فظهر من ذرع العمرى بذراع اليد ان ذرعه أكثر من ذرع الازرقى باربعة عشر ذراعا . فاذا اعتبرنا ذراع اليد ٤٨ سنتيمترا ، فيكون ذرع الازرقى ٣٦٧ مترا و ٦٨ سنتى . ويكون ذرع العمرى ٣٧٤ مترا و ٤٠ سنتى فالفرق بينهما نحو سبعة امتار فى طول شارع المسعى بين الصفا والمروة .

قال : رأيت من الواجب ان اذرع شارع المسعى بالمتر لاظهار الحقيقة فذرعته واليك تفصيله :

الصفا فى حالته الحاضرة بعد رصف الملك عبدالعزيز شارع المسعى طول شارع المسعى من ابتداء درج الصفا الى ابتداء درج المروة ٣٧٤ مترا ومن صدر الجدار الذى فى منتهى علو الصفا الى صدر الجدار الواقع فى

منتهى علو المروة ٣٩٤ مترا و ٣٥ سنتى .

وعلى ذلك يكون ذرع المصرى منطبق تمام الانطباق على ماذرعناه من ابتداء درج الصفا الى ابتداء درج المروة . واما ذرع الازرقى فربما يكون من اول درج الصفا قبل ان يعلو شارع المسعى حينما كان درج الصفا ١٢ درجة الى اول درج المروة حينما كانت درجها ١٥ درجة .

واما ذرع ابراهيم رفعت باشا شارع المسعى الذى هو ٤٠٥ امتار، فهذا لا ينطبق لا من علوه ولا من ابتداء الدرج .

ولاجل التحقق فى الامر ذرع المسعى الشيخ حسين مرة ثانية فكان كما ذرعه اولا [١] .

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ١٣٩ - ١٤٢) .

الفصل الخامس

فى بيان زمزم (نشأة زمـــــزم)

حال مكة فى عهد الخليل عليه السلام .

كانت مكة بلد الله الامين فى عصر الخليل بل من قبله ليس بها مـــــاء ولا زرع . لانه موقوف على وجود الماء ،نجد هذا الوصف بانه واد غير ذى زرع وقد جاء ذكره فى قوله تعالى حكاية عن دعاء خليله : " ربنا انى اسكنت مـــن ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم " . دعا بهذه الدعوة حين كـــــان منطلقا نحو الشام وقد ترك زوجه هاجر وابنه الوحيد اسماعيل عند المسجـــد تحت دومة فوق الزمزم . ويأتى تفصيل ذلك فى قصة نزول هاجر بمكة .

وقد جاء هذا الوصف فى حديث صحيح البخارى فى قصة مجئ الخليل بهاجر وابنها اسماعيل الى مكة بقوله : وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء .

نزول هاجر بمكة .

هذه هى مكة التى تقدم وصفها لم يكن بمقدور الانسان ان يعيش بهـــا فى بقعة ليس بها ماء ولا زرع وثمار . وهذان العنصران الهامان وهما المـــاء والزرع على الاقل لابد من وجودهما حتى يعيش الانسان ،وحين جاء الخليـــل بهاجر وبابنه اسماعيل الى مكة ليتركهما فى هذا الوادى المخيف لم يكـــن فيها ماء ولا زرع ولا احد من جنس البشر . تركهما الخليل واخذ ينطلق الـــى الشام من حيث جاء ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ،وقد نفد ماكـــان فى السقاء والجراب فى ايام معدودة . وهذه القصة المدهشة رواها الامـــام البخارى فى صحيحه . ويأتى قريبا .

جبريل يخرج ماء زمزم .

قد مر آنفا ان الماء والتمر نفدا في عدة ايام وعطش اسماعيل وامه هاجر وهو يومئذ طفل رضيع حتى اذا كانا على وشك الهلاك والفناء بعث الله جبريل ليظهر لهما هذا النبع المعين نصرة وغوثا لآل خليله ابراهيم وعونا لعباده المخلصين . فان نصر الله يأتي اخيرا .

فلنسمع هذا الحادث من الامام البخاري رواه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ذكر بتمامه في بناء الخليل ابراهيم بيت الله تعالى ، قال :

اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل ، اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة . ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل ، وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق الزمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفى ابراهيم منطلقا ، فتبعته ام اسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم ، اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آلله الذي امرك بهذا ؟ قال : نعم قالت : اذن لا يضيعنا . ثم رجعت . فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال : ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع - حتى بلغ - يشكرون .

وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى ، او قال يتلبط ، فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا ؟ فلم تر احدا ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي . ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا ؟ فلم تر احدا . ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : فذلك سعي الناس بينهما . فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا

فقالت : صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا ، فقالت : قد اسمعت ان كان عندك غواث ؟ فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ماتغرف .

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يرحم الله ام اسماعيل لو تركت او قال لو لم تغرف من زمزم لكانت زمزم عينا معينا . قال : فشربت وارضعت ولدها . فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة . الحديث[(١)]

قول ابن عباس رضي الله عنهما : قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما .

وقوله : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يرحم الله ام اسماعيل .. الخ صريح بان الحديث مرفوع . قال الحافظ ابن حجر : وفيه اشعار بأن جميع الحديث مرفوع[(٢)] .

وقال تقي الفاسي : ذكر الفاكهي خبرا يقتضي أن الخليل عليه السلام حفر بئر زمزم[(٣)] .

اقول : ماجاء في الصحيح فهو المعتمد .

اندراس زمزم عدة قرون .

يقول تقي الفاسي : ولم يزل ماء زمزم ظاهرا ينتفع به سكان مكة الى ان استخفت جرهم بحرمة الكعبة والحرم فدرس موضعه ومرت عليه السنون عصرا بعد عصر الى ان صار لا يعرف . وقيل : ان جرهما دفنتها حين نفت من مكة ذكره الزبير بن بكار .

وقال الازرقي : كانت جرهم تشرب من ماء زمزم فمكثت بذلك ماشاء الله ان تمكث . فلما استخفت جرهم بالحرم وتهاونت بحرمة البيت واكلوا مال الكعبة

---

(١) فتح (٧ : ٢٠٧ - ٢١٠) .
(٢) فتح (٧ : ٢١٠) .
(٣) شفاء الغرام (١ : ٢٤٧) .

الذى يهدى لها سرا وعلانية وارتكبوا مع ذلك امورا عظاما نضب ماء زمزم وانقطع فلم يزل موضعه يدرس ويتقادم وتمر عليه السيول عصرا بعد عصر حتى غبى مكانه.(١)

عبد المطلب يعثر على موضع زمزم ويحفره .

قد مر آنفا ان زمزم نضب ماؤها لمعاصى جرهم وغبى مكانه عدة قرون حتى كان عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم وقد ارى مكانها فحفرها حتى وجدها كما رأى .

وقد خصه الله تعالى من بين سائر القريش وذكر هذه القصة الازرقى وابن اسحاق وغيرهما .

يقول الازرقى : فاتى عبد المطلب فى المنام ، فقيل له : احفر زمزم خبيئة الشيخ الاعظم فاستيقظ ، فقال : اللهم بين لى ، فاتى فى المنام مرة اخرى فقيل له : احفر زمزم بين الفرث الدم عند نقرة الغراب فى قرية النمل مستقبلة الانصاب الحمر . فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس فى المسجد الحرام ينظر ما سمى له من الايات . فنحرت بقرة بالحزورة فانفلتت من جازرها بحشاشة نفسها حتى غلبها الموت فى المسجد فى موضع زمزم فجزرت تلك البقرة فى مكانها حتى احتمل لحمها فاقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث . فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هنالك . . . حتى انبط الماء فى القرار ثم بحرها حتى لا ينزف ثم بنى عليها حوضا ، فطفق هو وابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب به الحاج .(٢)

موقف قريش من عبد المطلب حين يحفر زمزم .

لما رأى عبد المطلب فى المنام موضع زمزم واخذ ان يحفره منعته قريش قومه عن ذلك وخاصمته اشد الخصام وكادوا ان يقاتلونه . فلما رأت قريش انه

---

(١) اخبار مكة (٢ : ٤١) .

(٢) اخبار مكة (٢ : ٤٣) ، وانظر سيرة ابن هشام (١ : ١٤٢ - ١٤٧) .

ادرك مناه يسألونه حقهم فيها . فابى عليهم حتى استقسموا على ذلك بالازلام فخابوا اذ لم يخرج لهم القداح . وفى رواية انهم تحاكموا فيها كاهنة الى مشارف الشام ، فلما فقدوا الماء فى الطريق انفجرت عين من تحت راحلة عبد المطلب فعلموا ان الماء ماء عبد المطلب فى كلا الموضعين فرجعوا الى اهليهم راشدين .

وفى هذه القصة يقول الازرقى : لما استبان لعبد المطلب موضع زمزم فقام وحفر هنالك فجاءته قريش فقالت له : ماهذا الصنيع ؟ انا لم نكن نزنك بالجهل لم تحفر فى مسجدنا ؟

وفى رواية لابن اسحاق عن على رضى الله عنه فى هذه القصة ان عبد المطلب وجد الغراب ينقر بين الوثنين - اساف ونائلة ، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث امر ، فقامت اليه قريش حين رأوا جده فقالت : والله لا ندعك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما .

قال : فلما بدا لعبد المطلب الطى كبر فعرفت قريش انه قد ادرك حاجته فقاموا اليه . فقالوا : ياعبد المطلب انها بئر اسماعيل ، وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فيها . فقال عبد المطلب : ما انا بفاعل ، ان هذا الامر خصصت به دونكم واعطيته من بينكم . قالوا : فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نحاكمك فيها قال : فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم احاكمكم اليه . قالوا : كاهنة بنى سعد ابن هذيم . قال : نعم . وكانت باشراف الشام . فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف ، وركب من كل قبيلة قريش نفر .

قال : والارض اذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب واصحابه فظمأوا حتى ايقنوا بالهلكة واستسقوا ممن معهم من قبائل قريش فابوا عليهم وقالوا : انا فى مفازة نخشى فيها على انفسنا مثل ما اصابكم . فلما رأى عبد المطلب ماصنع القوم وما يتخوف على نفسه واصحابه قال : ماذا ترون ؟ قالوا : مارأينا الا تبع لرأيك فامرنا بما شئت . قال : فانى ارى ان يحفر كل رجل منكم لنفسه بما بكم الان من القوة فكلما مات رجل دفعه اصحابه فى حفرته ثم واروه حتى يكون آخركم

رجلا واحدا . فضيعة رجل واحد ايسر من ضيعة ركب جميعا . قالوا سمعنا ما أردت . فقام كل رجل منهم يحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا .

ثم ان عبد المطلب قال لاصحابه : والله ان القاءنا بايدينا لعجز لا نبتغى لانفسنا حيلة ؟ فعسى الله ان يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ارتحلوا فارتحلوا حتى اذا فرغوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم وماهم فاعلون تقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها . فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب . فكبر عبد المطلب وكبر اصحابه ، ثم نزل فشرب وشربوا واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم .

ثم دعا القبائل التى معه من قريش فقال : هلم الى الماء فقد سقانا الله عز وجل فاشربوا واستقوا فشربوا واستقوا . فقالت القبائل التى نازعته قد والله قضى الله عز وجل لك علينا ياعبد المطلب ، والله لا نخاصمك فى زمزم ابدا الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة ، هو الذى سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا . فرجع ورجعوا معه ولم يمضوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم .

وفى رواية لابن اسحاق عن على رضى الله عنه انه وجد غزالين من ذهب ـ وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم حين خرجت من مكة ـ ووجد فيها اسيافا قلعية وادراعا وسلاحا فقالت له قريش : أن لنا معك فى هذا شركا وحقا . قال : لا . ولكن هلم الى امر نصف بينى وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : اجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ، ولكم قدحين . قالوا : انصفت ، فجعل قدحين اصفرين للكعبة ، وقدحين اسودين لعبد المطلب ، وقدحين ابيضين لقريش . ثم قال : اعطوها من يضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب ، فقال :

لا هم انت الملك المحمود	ربى وانت المبدىء المعيد
من عندك الطارف والتليد	فاخرج لنا الغداة ماتريد

فضرب بالقداح فخرج الاصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الاسودان على الاسياف والدروع لعبد المطلب . وتخلف قدح قريش .

ماذا صنع عبد المطلب بهذا الكنز المفقود ؟

قال : فضرب عبد المطلب الاسياف على باب الكعبة وضرب فوقه احد الغزالين من الذهب فكان ذلك اول ذهب حليته الكعبة . وجعل الغزال الاخر في بطن الكعبة في الجب الذى كان فيها يجعل فيه مايهدى الى الكعبة (١) .

عبد المطلب يوفى بنذره .

قد سبق ان قريشا منعت عبد المطلب من حفر زمزم ولم يكن له اذ ذاك الا ابنه الحارث ، فتأثر شعوره لفعل قريش اشد التأثير حيث لم يستطع ان يدفعهم ولو كان له عشرة من البنين لما تجرأت عليه قريش فنذر لله عز وجل ان يذبح احد ابنائه اذا تم له ذلك . في هذه القصة يقول الازرقى :

حتى اذا امكن الحفر واشتد عليه الاذى نذر ان وفى له عشرة من الولد ان ينحر احدهم .

وفي رواية : وكان عبد المطلب قد نذر لله عز وجل عليه حين امر بحفر زمزم لئن حفرها وتم له امرها وتتم له من الولد عشرة ذكور ، ليذبحن احدهم لله عز وجل .

قال : ثم تزوج عبد المطلب النساء فولد له عشرة رهط فقال : اللهم انى كنت نذرت لك نحر احدهم ، وانى اقرع بينهم فاصب بذلك من شئت . فاقرع بينهم فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب وكان احب ولده اليه ، فقال عبد المطلب : اللهم اهو احب اليك ام مائة من الابل ، ثم اقرع بينه وبين المائة من الابل . فكانت القرعة على المائة من الابل فنحرها عبد المطلب .

---

(١) اخبار مكة (٢ : ٤٥ - ٤٧) .

وفى رواية قال : فلما تتام له عشرة من الولد، وعظم شرفه وحفر زمزم وتم له سقياها اقرع بين ولده ايهم يذبح فخرجت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه ليذبحه فقامت له اخواله بنو مخزوم وعظماء قريش واهل الرأى منهم وقالوا : والله لا تذبحه فانك ان تفعل تكن سنة علينا فى اولادنا وسنة علينا فى الحروب وقام بنوه مع قريش فى ذلك . فقالت له قريش : ان بالحجاز عرافة لها تابع فسلها ثم انت على رأس امرك ، ان امرتك بذبحه ذبحته . وان امرتك بامر لك فيه خرج قبلته .

قال : فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوا المرأة فيها يقال لها تخيير ، فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره ، فقالت : ارجعوا اليوم عنى حتى يأتينى تابعى فاسأله . فرجعوا عنها حتى كان الغد ثم غدوا عليها فقالت : نعم قد جاءنى الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الابل . قال وكانت كذلك . قالت : فارجعوا الى بلادكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها بالقداح وعلى صاحبكم . فان خرجت على الابل فانحروها وان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل عشرا ثم اضربوا بالقداح عليها وعلى صاحبكم حتى يرضى ربكم . فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم .

قال : فرجعوا الى مكة فاقرع عبد المطلب على عبد الله وعلى عشر من الابل فخرجت القرعة على عبد الله ، فقالت قريش : ياعبد المطلب زد ربك حتى يرضى . فلم يزل يزيد عشرا عشرا وتخرج القرعة على عبد الله ، وتقول قريش زد ربك حتى يرضى ففعل حتى بلغ مائة من الابل ، فخرجت القداح على الابل . فقالت قريش لعبد المطلب : انحرها فقد رضى ربك .

فقال : لم انصف اذا ربى حتى تخرج القرعة على الابل ثلاثا ، فاقرع عبد المطلب على ابنه عبد الله وعلى المائة من الابل ثلاثا كل ذلك تخرج القرعة على الابل فلما خرجت ثلاث مرات نحر الابل فى بطون الاودية والشعاب وعلى رؤوس الجبال لم يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع . ولم يأكل منها هو ولا احد من ولده شيئا فجلبت لها الاعراب من حول مكة ، واغارت السباع على

بقايا بقيت منها فكان ذلك اول ماكانت الدية مائة من الابل .
ثم جاء الله بالاسلام فثبتت الدية عليه[١] .

بعض الاصلاحات فى بئر زمزم .

اول عملية اصلاح فى بئر زمزم قام بها عبدالمطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ،بل اخرجها ثانيا حين اندرس مكانها وخفى اثرها . فقد رأى فى المنام موضعها فجعل يحفر مع ابنه الوحيد حتى وجد طى البئر كبر وفرح وبشر فكان يحفر حتى انبط الماء فى القرار ثم بحرها حتى لا ينزف ثم بنى عليها حوضا . فطفق هو وابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج واهل مكة . وقد تقدم ذكر ذلك .

ثم لم تزل عمليات الاصلاح جارية عند اللازم .

قال تقى الفاسى : وذكر علاج زمزم فى الاسلام .

قال نقلا عن الازرقى : ثم كان قد قل ماؤها جدا حتى كانت تجم فى سنة ٢٢٣ قال : وضرب فيها تسعة اذرع سحا فى الارض فى تقرير جوانبها ،ثم قال : وقد كان سالم بن الجراح قد ضرب فيها فى خلافة الرشيد اذرعا .وكان قد ضرب فيها فى خلافة المهدى ايضا . وكان عمر بن ماهان وهو على البريد والصوافى فى خلافة الامين محمد بن الرشيد قد ضرب فيها وكان ماؤها قد قل حتى كان رجل يقال له محمد بن مشير من اهل الطائف يعمل فيها قال : وانا صليت فى قعرها[٢] . ا.هـ

قال الشيخ حسين : وقال السهيلى : كانت زمزم سقيا اسماعيل بن ابراهيم فجرها له روح القدس بعقبه .وفى ذلك اشارة الى انها لعقب اسماعيل وراثة وهو محمد صلى الله عليه وسلم وامته[٣] .

اقول : بل هذا المعنى مستفاد من قول هاجر ام اسماعيل لقوم جرهم

---

(١) اخبار مكة (٢ : ٤٣ - ٤٩) .
(٢) شفاء الغرام (١ : ٢٤٨) .
(٣) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٢١٥) .

لما نزلوا عليها قالوا : اتأذنين لنا ان ننزل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكن لا حق لكم فى الماء[1].

فهى لها ولابنها ولبنيه الى يوم القيامة ، ولا حق فيها لغير بنى اسماعيل عليه السلام .

صفة بئر زمزم .

قال الشيخ حسين باسلامة : وروى ياقوت الحموى فى " معجم البلدان " عن محمد بن احمد الهمذانى قال : وكان ذرع زمزم من اعلاها الى اسفلها ستين ذراعا وفى قعرها ثلاث عيون ، عين حذاء الركن الاسود ، واخرى حذاء ابى قبيس والصفا واخرى حذاء المروة ، وفى سنة ٢٢٣ ، ٢٢٤ قل ماؤها فحفرها محمد بن الضحاك وكان خليفة عمر بن فرج الرجحى على بريد مكة واعمالها حفر فيها تسعة اذرع فزاد ماؤها ، وذرعها من رأسها الى الجبل المنقور فيه احد عشر ذراعا وهو مطوى والباقى فهو منقور فى الحجر ، وهو تسعة وعشرون ذراعا . وذرع تدويرها احد عشر ذراعا ، وسعة فمها ثلاثة اذرع وثلثا ذراع[2]. ا . هـ

قال : ومما يدل على وجود العيون الثلاثة التى ذكرها الازرقى فى قعر زمزم ، هو ما رواه الدارقطنى فى سننه عن ابن سيرين : ان زنجيا وقع فى بئر زمزم فمات . فامر به ابن عباس فاخرج وامر بها أن تنزح فغلبتهم عين جاءت من الركن ، فامر بها فسدت بالقباطى والمطارف ونحوها حتى نزحوها فلما نزحوها انفجرت عليهم .

قال : واخرج الطحاوى فى " شرح معانى الاثار " ، وابن ابى شيبة باسناد صحيح من عطاء ان حبشيا وقع فى زمزم فمات . فامر عبدالله بن الزبير بنزح ماءها ، فجعل الماء لا ينقطع ، فنظر ، فاذا عين تجرى من قبل الحجر

---

(١) فتح (٧ : ٢١١) .

(٢) معجم البلدان (٣ : ١٤٨) .

الاسود . فقال ابن الزبير : حسبكم .

قال : وقال العمرى فى مسالك الابصار ، وقد وقع فيها حبشى فنزحت من اجله . فوجدوا ماؤها يثور من ثلاث اعين ، اقواها ماء عين من ناحية الحجر الاسود . رواه الدار قطنى .

وقال التقى الفاسى : وقد اعتبر بعض اصحابنا بحضورى ارتفاع فم زمزم عن الارض وسعته وتدويره . فكان ارتفاع فمها فى السماء ذراعين الا ربعا وسعته اربعة اذرع ونصف ، وتدويره خمسة عشر ذراعا الا قيراطين . كل ذلك بذراع الحديد المشار اليه .

قال : وهنا يظهر للقارى فى ذرع زمزم وجود فرق بين الازرقى والهمذانى والتقى الفاسى ، وسبب ذلك لامرين :

الاول : اختلاف الاذرع التى قاسوا بها البئر .

والثانى : بعد المسافة وطول الزمن الذى بينهم وهو عدة قرون وقد وقع فى خلال تلك السنين حوادث وطوارئ على البئر من طم ، وحفر وعمارة واصلاح وتغيير وتبديل وزيادة ونقصان . فلذلك يقع الخلاف فى ذرع زمزم حتما . والله اعلم.[١]

موضع زمزم من البيت .

قال الشيخ حسين : قال ابن عبد ربه الاندلسى فى كتابه العقد الفريد يصف بئر زمزم : وزمزم بشرق الركن الاسود ، بينهما مثل الثلاثين ذراعا.[٢]

وقال نقلا عن المسعودى : وهى واقعة شرق الكعبة محاذية للملتزم ، وبينها وبين الكعبة نحو اربعين ذراعا بذراع اليد.[٣]

وبئر زمزم يصفه ابراهيم رفعت باشا ـ قال : هذه البئر تقع جنوبى مقام ابراهيم بحيث ان الزاوية الشمالية الغربية من البناء القائم عليها محاذية

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٢١٦ ، ٢١٧) .
(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٢١٨) .
(٣) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٢١٦) .

للحجر الاسود على بعد ١٨ مترا منه وماؤها طعمه قيسوتي . والبناء القائم عليها مربع من الداخل طول ضلعه ٢٥ر٠ امتار وهو مفروش بالرخام . وهذا البناء طبقتان ، في الاولى منهما خدمة البئر، وفي الثانية خدمة من الاغوات ويصعد اليه من يريد الاستحمام على سلم من الخشب .[1]

اعتناء اولى الامر بزمزم .

قال الشيخ حسين : قال السيوطي في كتابه "الاوائل" : اول من عمل على زمزم شيباكا ابو جعفر المنصور وهو الذي عمل الرخام على زمزم والشباك وفرش ارضها بالرخام . ا.هـ

وقال ياقوت الحموى في معجمه : اول من عمل الرخام عليها وفرش ارضها بالرخام المنصور، ثم قال : وعلى زمزم قبة مبنية في وسط الحرم عند باب المطاف تجاه باب الكعبة . ا.هـ

بدأ الاعتناء ببئر زمزم من عهد المنصور الى الملك عبد العزيز، فلم يخلو بئر زمزم من قبة او باب او شبابيك من خشب او حديد كي يزداد حسنا وقوة، اهتموا بها خلفاء العباسيين اكثر لانه من شرف جدهم العباس وهو السقاية . ومن سلاطين العثمانيين وغيرهم . حتى وصف قبة زمزم الرحالة ابن جبير وابن بطوطة . وكان رئيس المؤذنين يجلس على بيت زمزم ينقل صلاة الامام ويبلغها دهرا طويلا . والتفصيل في كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام .[2]

وان الملك عبد العزيز امر في عهده ان يعمل من حسابه الخاص سبيلان ، احدهما بالجهة الشرقية مما يلي باب قبة زمزم على الجناح الجنوبي .

والثاني : بجوار حجرة الاغوات من الجهة الجنوبية لبيت زمزم بجانب السبيل القديم المعمول في زمن سلاطين آل عثمان . وامر ان تجدد عمارة السبيل القديم . وقام بهذا العمل الشيخ عبيد الله الدهلوي . وقد كتب في

---

(١) مرآة الحرمين (١ : ٢٥٥) .
(٢) (ص ٢١٨ - ٢٢٤) .

احدهما هذا السبيل انشأه الامام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود .

وصارت هذه السبل سقاية لمن يريد شرب ماء زمزم من الحجاج والمواطنين آناء الليل واطراف النهار . وقد صرف على انشائها مايربو على ثلاثمائة جنيه ذهبا . وتم انشائهما سنة ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ هـ .(١)

فضل ماء زمزم .

كفى بماء زمزم فضلا انه غوث من الله تعالى لآل خليله ابراهيم عليه السلام ، اخرجها امين الوحي جبريل عليه السلام بعقبه . وقد تقدم ذكره .

وكفى به بركة حين غسل به صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة عرج به الى السموات .

فقد روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن الزهري : قال انس بن مالك رضي الله عنه : كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فرج سقفي وانا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم . ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فافرغها في صدري ، ثم اطبقه . ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء الدنيا . الحديث

لاجل ذلك قال الحافظ العراقي : ان حكمة غسل صدر النبي صلى الله عليه وسلم بماء زمزم ليقوى به صلى الله عليه وسلم على رؤية ملكوت السموات والارض والجنة والنار ، لان من خواص ماء زمزم انه يقوي القلب ويسكن الروح .

وقد شربه صلى الله عليه وسلم وهو قائم . فقد روى ايضا عن الشعبي ان ابن عباس رضي الله عنهما حدثه قال : سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم .(٢)

وقد رواه النسائي ايضا بهذا السند تماما .(٣)

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٢١٨ - ٢٢٤) مختصرا .
(٢) فتح (٤ : ٢٣٩) .
(٣) (٥ : ٢٣٧) . النسائي

وهذه الاحاديث اوردها الامام البخاري تحت باب ماجاء في زمزم .

يقول الحافظ ابن حجر : كأنه لم يثبت عنده في فضلها حديث على شرطه صريحا . وقد وقع في مسلم من حديث ابي ذر : انها طعام طعم زاد الطيالسي من الوجه الذي اخرجه مسلم ، وشفاء سقم ، وفي المستدرك من حديث ابن عباس مرفوعا : ماء زمزم لما شرب له ، رجاله موثوقون الا انه اختلف في ارساله ووصله ، وارساله اصح .

قال : وله شاهد من حديث جابر ، وهو اشهر منه . اخرجه الشافعي وابن ماجه ورجاله ثقات الا عبدالله بن المؤمل المكي ، فذكر العقيلي انه تفرد به لكن ورد من روايةغيره عند البيهقي من طريق ابراهيم بن طهمان ومن طريق حمزة الزيات ـ كلاهما عن ابي الزبير بن سعيد بن جابر .

قال : ووقع في فوائد ابن المقرى من طريق سويدابن سعيد عن ابن المبارك عن ابن ابي الموالي عن ابن المنكدر عن جابر . وزعم الدمياطي انه على رسم الصحيح وهو كما قال من حيث الرجال الا ان سويد وان اخرج له مسلم فانه خلط وطعنوا فيه . وقد شذ باسناده . والمحفوظ عن ابن المبارك عن ابن المؤمل (١) .

وقال الحافظ ابن القيم : ماء زمزم سيد المياه واشرفها ، واجلها قدرا واحبها الى النفوس ، واغلاها ثمنا ، وانفسها عند الناس . وهو همزة جبرائيل وسقيا اسماعيل . وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ذر وقد اقام بين الكعبة واستارها اربعين مابين يوم وليلة وليس له طعام غيره ـ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انها طعام طعم ، وزاد غير مسلم باسناده ، وشفاء سقم . وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ماء زمزم لما شرب له ، وقد ضعف هذا الحديث طائفة بعبدالله بن المؤمل راويه عن محمد بن المنكدر . وقد روينا عن عبدالله بن المبارك انه لما حج اتى زمزم ، فقال : اللهم ان ابن ابي المؤمل حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن نبيك صلى الله عليه وسلم انه

---

(١) فتح (٤ : ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

قال : ماء زمزم لما شرب له ، فانى اشربه لظمأ يوم القيامة . وابن ابى الموالى ثقة ، فالحديث اذن حسن . وقد صححه بعضهم ، وجعله بعضهم موضوعا وكلا القولين فيه مجازفة .

وقال : وقد جربت انا وغيرى من الا ستشفاء بماء زمزم امورا عجيبة واستشفيت به من عدة امراض، فبرأت باذن الله . وشاهدت من يتغذى به الايام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر او اكثر ولا يجد جوعا ، ويطوف مع الناس كأحدهم . واخبرنى انه ربما بقى عليه اربعين يوما[1] . ا.هـ

ولزمزم جملة اسماء ذكرها ياقوت فى معجمه قال : وهى زمزم ، وزمم ، ركضة جبريل وهزمته ، هزمة الملك ، الهزمة والركضة بمعنى . سقيا اسماعيل ، الشباعة شباعة برة مضنونة ، تكتم ، شفاء سقم ، طعام طعم ، شراب الابرار ، طيبة[2] .

وجه تسميته .

قال تقى الفاسى : وقد اختلف فى تسمية زمزم بزمزم ، فقيل لكثرة ماءها .

قال ابن هشام : الزمزمة عند العرب الكثرة ، والاجتماع ، وقيل : انها سميت زمزم لانها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا . ولو تركت لساحت على الارض حتى تملأ كل شيء . وهذا يروى عن ابن عباس فيما ذكر البرقى .

وقيل : سميت زمزم لزمزمة الماء ، وهو صوته . قاله الحربى . وقيل : سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها فى الزمن الاول فزمزمت عليها . قاله المسعودى . والزمزمة صوت يخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء . وقد كتب عمر رضى الله عنه الى عماله بان انهوا الفرس من الزمزمة ، وانشد المسعودى :

زمزمت الفرس على زمزم   وذلك فى سالفها الاقدم

وقيل : انها غير مشتقة . والله اعلم[3] .

---

(١) زاد المعاد (٣ : ٤٠٥ ، ٤٠٦) .
(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام (ص ٢٢٧) .
(٣) شفاء الغرام (١ : ٢٥٢) .

سقاية العباس رضى الله عنه .

عقد الامام البخارى بابا فى صحيحه بقوله : باب سقاية الحاج ، ثم روى بسنده عن عبدالله عمر رضى الله عنهما قال : استأذن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيت بمكة ليالى منى ، من اجل سقايته ، فاذن له .

وروى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستقى . فقال العباس : يافضل اذهب الى امك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها . فقال : اسقنى قال يارسول الله انهم يجعلون ايديهم فيه . قال : اسقنى فشرب منه . ثم اتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها . فقال : اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال : لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعنى عاتقه ، واشار الى عاتقه (١) .

وقد روى الامام مسلم فى صحيحه عن بكر بن عبدالله المزنى قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابى فقال : مالى ارى بنى عمكم يسقون العسل واللبن وانتم تسقون النبيذ . امن حاجة بكم ام من بخل ؟ فقال ابن عباس : الحمد لله مابنا من حاجة ولا بخل . قدم النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة ، فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة ، وقال : احسنتم واجملتم ، كذا فاصنعوا . فلا نريد تغيير ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

السقاية وتاريخها .

لقد ورث عباس رضى الله عنه السقاية عن سلفه كما ورث آخرون السدانة وغيرها . وكان رضى الله عنه يفخر بها وحين جاء الاسلام وهى بيده

---

(١) فتح (٤ : ٢٣٧ ، ٢٣٨) .
(٢) مسلم (٩ : ٦٣) .

وقد اقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه واثنى على هذا العمل النبيل بقوله : اعملوا فانكم على عمل صالح . كما ذكر آنفا فى حديث البخارى .

وقد اذن له ان يبيت بمكة ليالى منى لاجل السقاية ،كما تقدم .

يقول الحافظ ابن حجر : وقال الازرقى : كان عبد مناف يحمل الماء فى الروايا والقرب الى مكة ويسكبه فى حياض من ادم بفناء الكعبة للحجاج ، ثم فعله ابنه هاشم بعده ثم عبد المطلب . فلما حفر زمزم كان يشترى الزبيب فينبذه فى ماء زمزم ويسقى الناس .

قال : قال ابن اسحاق : لما ولى قصى بن كلاب امر الكعبة كان اليه الحجابة والسقاية واللواء والرفادة ودار الندوة . ثم صالح بنوه على ان لعبد مناف السقاية والرفادة . والبقية للاخرين . ثم ذكر نحو ما تقدم وزاد - ثم ولى السقاية من بعد عبد المطلب ولده العباس، وهو يومئذ من احدث اخوته سنا . فلم تزل بيده حتى قام الاسلام وهى بيده فاقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فهى اليوم الى بنى العباس.(١)

اهم العناصر فى ماء زمزم .

قامت بهذا الاختبار لجنة مصرية زارت الحجاز عام ١٣٣٥ هـ، وكذلك مختبر وزارة الزراعة والمياه بالرياض فى عام ١٣٩١ هـ وتتلخص مناقشة النتائج فى عدة نقاط هى :

تدل الدراسات على ان هناك تغيرا فى نسبة الاملاح فى ماء زمزم فى الاعوام المختلفة . ويوضح ذلك الجدول الاتى :

تاريخ الدراسة	١٣٥٤	١٣٩١/٤	١٣٩١/٩	١٣٩٣/١٠
نسبة الاملاح	٤٥٠٠	٢٢٧٨	١٨٤٥	٢٥٠٠

(جزء فى المليون)

---

(١) فتح (٤ : ٢٣٧) .

والعناصر الاخرى ونسبتها كالاتى :

(٢)	الكبريت	٢٩٠ جزء فى المليون
(٣)	الكلوريدات	١٨٠ " " "
(٤)	الكربونات	٣٢٠ " " "
(٥)	الملح	٢٥٠٠ " " "
(٦)	الهيدروجين	٧ر٠ الرقم الهيدروجينى

ويقول البحث : وقد تختلف هذه النسبة من حين لاخر، ومع ذلك فانه لا يخرج عن كونه صالحا للشرب ومفيدا للجسم الانسانى ، وكيف لا يكون ذلك فانه غوث من الله لآل خليله ابراهيم ومن اتبع ملة ابراهيم الحنفية من بعدهم الى يوم الدين . فهو طعام طعم وشفاء سقم.(١)

---

(١) ملخص بحث بعنوان " دراسة اهم العناصر الموجودة فى ماء زمزم" من مجلة جامعة الملك عبدالعزيز - السنة الاولى - العدد الاول جمادى الثانية ١٣٩٥هـ - (ص ٤٦) وما بعدها .

الفصل السادس

فى بيان خصائص واحكام تختص بالمسجد الحرام

(١) استحباب دخول المسجد الحرام من باب السلام .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : اذا جاء مكة جاز ان يدخل مكة والمسجد من جميع الجوانب لكن الافضل ان يأتى من وجه الكعبة اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فانه دخلها من وجهها من الناحية العليا التى فيها اليوم بـاب المعلاة . ثم قال : ودخل (اى النبى صلى الله عليه وسلم) المسجد من باب الاعظم الذى يقال له : باب بنى شيبة .[1] ا.هـ

واطلق عليه فيما بعد باب السلام .

(٢) استحباب التواضع عند دخوله .

استحب السلف التواضع عند دخول المسجد الحرام استحضارا لهيبة المكان واجلالا لبيت الله تعالى وهو امامه .

يقول الحافظ ابن القيم : فلا يدخلون الا متواضعين متخشعين ومتذللين .[2] ا.هـ

(٣) تحية المسجد الحرام الطواف وان الصلاة تحية المساجد لكن الطواف هو تحية المسجد الحرام .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : لكن النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان دخل المسجد ابتدأ بالطواف ولم يصل قبل ذلك تحية المسجد ، ولا غير ذلك . بل تحية المسجد الحرام هو الطواف بالبيت .[3]

قال : الطواف لانه يختص بالمسجد الحرام . . . من خصائص الطواف انه مشروع بنفسه منفردا او فى ضمن العمرة وفى ضمن الحج . وليس فى اعمال المناسك ما يشرع منفردا عن حج او عمرة الا الطواف .

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (٢٦ : ١١٩) .
(٢) زاد المعاد (١ : ١١) .
(٣) فتاوى شيخ الاسلام (٢٦ : ١٢٠) .

قال : ويستحب في جميع الحول عموما . . اذ الطواف بالبيت مازال مشروعا من اول مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، بل ولم يزل من زمن ابراهيم بل ومن قبل ابراهيم ايضا .(١)

(٤) ومن خصائص الطواف الرمل على الحاج والمعتمر في الاشواط الثلاثة الاولى . وليس هو عبادة منفردا . ولا يوجد محله الا في المسجد الحرام .

فقد عقد الامام البخاري بابا في صحيحه بقوله : باب الرمل في الحج والعمرة . ثم روى بسنده من طريق فليح عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال : سعى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة اشواط ومشى اربعة في الحج والعمرة .(٢)

وقد روى الامام مسلم من طريق ابي بكر بن ابي شيبة عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف بالبيت الطواف الاول خب ثلاثا ومشى اربعا وكان يسعى ببطن المسيل اذا طاف بين الصفا والمروة . وكان ابن عمر يفعل ذلك .(٣)

(٥) تخصيصه بالمسعى بين الصفا والمروة بعد أن ضم بالمسجد الحرام عند عمارته في عهد آل السعود .

ذكر الزركشي بعض هذه الخصائص والاحكام في كتابه " اعلام الساجد باحكام المساجد " وهاهي بعض هذه الاحكام .

(١) ان تقدم المأموم على امامه في الموقف في غير المسجد الحرام مبطل للصلاة على اظهر القولين . واما في المسجد الحرام فلو تقدم على الامام الى الكعبة من غير جهة الامام تصح الصلاة .

(٢) ان من صلى في بناء منفصل عن المسجد مقتديا بامام المسجد لم يصح اقتداؤه، لعدم اتصال الصفوف . واما في المسجد الحرام، فلو صلى على جبل الصفا او المروة او ابي قبيس مقتديا بصلاة الامام في

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (٢٦ : ٢٥١ - ٢٥٦) .
(٢) فتح (٤ : ٢١٦) .
(٣) مسلم (٩ : ٦) .

المسجد الحرام . قال الشافعي رضي الله عنه : يجوز،لان كل ذلك متصل ، وهو في حكم العرف غير منقطع .

(٣) ان المأموم والامام اذا كانا في بنائين كصحن وصفة او بيت،فان حال بينهما جدار بطلت الصلاة هذا كله في غير المسجد الحرام . اما الشباك في رباط المسجد الحرام او المدينة او بيت المقدس فتصح الصلاة اذا وقف المأموم في نفس الجدار . لان جدار المسجد من المسجد ـ كما صرحوا به والحيلولة في المسجد بين الامام والمأموم لا تضر .

(٤) قال البغوي وتبعه الرافعي والنووي : يستحب للامام اذا صلى في المسجد الحرام ان يقف خلف المقام ويقف الناس مستدبرين الى الكعبة. والاستدارة جاءت زمن عبد الملك بن مروان حين كان والي مكة خالد بن عبد الله القسري .

(٥) ان صلاة النفل في البيت افضل من فعله في المسجد ،لما فيه من الخلوص والبعد عن الرياء . لكن هل يتأتى ذلك في المسجد الحرام ؟ الظاهر،نعم ،اذا قلنا : ان حرم مكة كمسجدها في مضاعفة الاجر،كما جزم به الماوردي والنووي .

(٦) ان الصلاة يحرم فعلها في اوقات الكراهة الخمسة،لما في الصحيح من النهي عن ذلك . ويستثنى حرم مكة ففي السنن الاربعة من حديث جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يابني عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت،وصلى اية ساعة شاء من ليل او نهار . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وفي رواية لا صلاة بعد الصبح الا بمكة،والمراد جميع الحرم . والمعنى زيادة الفضل في تلك الاماكن فلا يحرم المقيم هناك من استكثارها .

وروى ابو الحسن علي بن الجعد عن سفيان بن سعيد عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة انه صلى الله عليه وسلم طاف بعد العصر،فصلى ركعتين هذا هو الصحيح .

وفى وجه : ان مكة كغيرها من البلاد لعموم الاخبار، والاستثناء فى الحديث انما هو لركعتى الطواف والحديثان اذا كان كل منهما اعم من الاخر من وجه، لا تقدم خصوص احدهما على عموم الاخر الا بمرجح .
ومال اليه البيهقى . وحمل الحديث على ركعتى الطواف، قال : وهو الاشبه بالاثار .

وفى وجه : يختص بالمسجد الحرام . وفى وجه : يباح فى البلد فقط دون باقى الحرم خارجه .

(٧) تخصيصه بمقام ابراهيم عليه السلام . قال تعالى : فيه آيات بينات مقام ابراهيم . وهو الحجر المعروف الان ـ وتقدم تاريخه .

(٨) لو نذر اتيان المسجد الحرام، لزمه لحديث : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد، كما هو فى الصحيحين واصح الطريقين ـ انه ينعقد نذره بحج او عمرة .

(٩) لو نذر اتيان بيت الله، ولم يقل الحرام . فوجهان : اصحهما ونقله البندنجى عن نصه فى الام : انه لا ينعقد نذره الا ان ينوى البيت الحرام . لان جميع المساجد بيت الله . وعن المزنى : لزومه .

(١٠) لو نذر الصلاة بمكان لم يتعين الا المسجد الحرام . اذ لا يقوم غيره مقامه، لعظم فضله وتعلق النسك به . ولو عين حرم المدينة او المسجد الاقصى للصلاة فالاظهر فى التحرير عدم التعيين . والراجح عند الاكثرين وصححه النووى تعيينهما بدليل : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة . . اضيف الى هذا ماقاله الشوكانى فى نفس المسألة، قال : قوله لا تشد الرحال . . الخ فيه دليل على انه يتعين مكان النذر اذا كان احد الثلاثة المذكورة . وقد ذهب الى ذلك مالك والشافعى، وقال ابوحنيفة لا يلزم وله ان يصلى فى اى محل شاء . وانما يجب عنده المشى الى المسجد الحرام اذا كان بحج او عمرة .

وماعدا الامكنة الثلاثة فلا يتعين مكانا للنذر ولا يجب الوفاء عند الجمهور.[1]

(١١) لا خلاف ان من عليه خمسمائة صلاة منذورة،فصلى فى احد المساجد الثلاثة صلاة،انها لا تسقط العدد الملتزم بالنذر . ولا خلاف ان من نذر الصلاة فى مسجد مفضول من الثلاثة،فصلى فى افضل منه انه يجزئه عن نذره،وان لم يكن الذى عينه . والحاصل : ان الاعلى يجزئ عن الادنى ولا عكس .

(١٢) ذكر الاصحاب ان السنة ان يصلى صلاة الاستسقاء فى الصحراء . وعبارة الشافعى فى المختصر واكثر الاصحاب : مصلى العيد . وقد استثنى صاحب الخصال ابو بكر الخفاف ما اذا كانوا بمكة او بيت المقدس فقال ويخرجون الى الجبانة الا بمكة اوبيت المقدس . انتهى

وهو حسن وعليه عمل السلف والخلف لفضل البقعة وسعتها .

(١٣) اطلق اصحابنا ان ماكثر جمعه من المساجد افضل مما قل جمعه،وقضيته انه لو اقيمت جماعة كثيرة بمكة او المدينة او بيت المقدس فى مسجد بهما سوى المساجد الثلاثة ان يكون الذهاب اليه افضل وفيه نظر . وقد اطلق المتولى ان الجماعة فيها افضل من الجماعة فى سائر المساجد على ترتيبها فى الفضل . قال : ليس تختص الفضيلة بالجماعة فيها بل الانفراد فيها افضل من غيرها من المساجد اى مع الانفراد ايضا .

(١٤) ان التضعيف لا يختص بالصلاة بل وسائر انواع الطاعات كذلك،قياسا على ماثبت فى الصلاة والنظر الى الكعبة فالحق به ما فى معناه من اعمال البر .

قال الحسن البصرى : صوم يوم بمكة بمائة الف،وصدقة درهم بمائة الف،وكل حسنة بمائة الف . وكذا روى عن ابن عباس فى ابن ماجة وابن عمر فى البزار،وابن عباس فى الحاكم فى الحج من مكة .

(١٥) مذهب احمد انه لا يكره المرور بين يدى المصلى فى المسجد الحرام وان الصلاة لا يقطعها بمكة شئ ولو كان المار امرأة،بخلاف غيرها حكاه القاضى ابو يعلى فى الاحكام السلطانية. ونقل ذلك عن مالك

---

(١) نيل الاوطار (٨ : ٢٦٣) .

وعبد الرزاق .

واحتج عليه عبد الرزاق فى كتاب الصلاة تأليفه بما رواه عن عمر بن قيس اخبرنى كثير بن كثير بن المطلب بن ابى وداعة عن ابيه عن جده قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى المسجد الحرام والناس يطوفون بالبيت، بينه وبين القبلة بين يديه، ليس بينه وبينهم سترة . وفى رواية اخرى : رأيته يصلى فيما يلى باب بنى سهم . ويقول شيخ الاسلام ولو صلى المصلى فى المسجد والناس يطوفون امامه لم يكره . سواء مر امامه رجل او امرأة . وهذا من خصائص مكة (١) . ا.هـ

(١٦) يستحب لاهل مكة ان يصلوا العيد فى المسجد الحرام، لا فى الصحراء لفضل البقعة، ومشاهدة الكعبة ولحصول المضاعفة لهم فى الصلاة والحق الصيدلانى به بيت المقدس . واما غيرهما من البلدان ففيهما خلاف والصحيح ان فعلها فى المسجد افضل .

وقال القاضى ابن كج فى كتاب التجريد : قال الشافعى فى الام : تصلى فى المصلى فى سائر البلدان الا فى مكة، فانه تصلى فى مسجدها، لانه خير بقاع الارض . وقال : ان كان لو وسعهم مسجد ذلك البلد احببت ان يصلوا فيه، انتهى لفظ الشافعى .

(١٧) تورع بعضهم من قضاء الحاجة بمكة، وكان يتأول : انها مسجد، وهذا التأويل مردود بالاجماع والنص وقد فعله صلى الله عليه وسلم واصحابه والسلف .

نعم، روى الحافظ ابو على ابن السكن فى سننه الصحاح من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة كان اذا اراد حاجة الانسان خرج الى المغمس - وهو على ثلاثة فراسخ منها .

ورواه ابو جعفر الطحاوى فى تهذيب الاثار، وقال : على ميلين من

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (٢٦ : ١٢٢) .

مكة . ورواه الطبراني في الاوسط من حديث نافع بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب بحاجته الى المغمس . قال نافع : نحو ميلين من مكة . وقال : لم يروه من عمرو الا نافع بن عمر تفرد به سعيد بن ابي مريم .

(١٨) ان التلبية تستحب للمحرم في مساجد النسك كالمسجد الحرام ومسجد الخيف بمنى ومسجد ابراهيم بعرفة . واما غيرها فقولان : القديم انه لا يسن فيها حذرا من التشويش على المتعبدين . بخلاف المساجد الثلاثة السابقة، فانها معهودة فيها ، والجديد : نعم، لعموم الاخبار .

(١٩) استحب السلف للقادم الى مكة، الا يخرج منها حتى يختم القرآن جميعه لا سيما في الطواف . وروى استحباب ذلك في المساجد الثلاثة التي تشد الرحال اليها .

قال ابراهيم النخعي : كان يعجبهم اذا قدموا مكة، الا يرجعوا حتى يختموا القرآن . رواه سعيد بن منصور .

(٢٠) يستحب ان ينوى الاعتكاف كلما دخل المسجد، فانه يحتسب له، ويثاب عليه، ولو في لحظة، وينبغي ان يهتم بهذا، ولا يتغافل عنه لتحصل له فضيلة العاكفين فيه، اذ لا تحصل الا بالنية، لان الله تعالى امر خليله ان يطهر بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود (١) .

---

(١) اعلام الساجد باحكام المساجد (ص ٤٨٤، ٢٩٤) .

الفصل السابع

فى بيان استحباب شد الرحال اليه

روى الشيخان وغيرهما ، واللفظ لمسلم عن ابى هريرة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد - مسجدى هذا ومسجد الحرام ، ومسجد الاقصى .

وفى رواية له عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما يسافر الى ثلاثة مساجد - مسجد الكعبة ومسجدى ، ومسجد ايلياء [١] .

وروى هذا الحديث الامام البخارى عنه قال : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد الاقصى [٢] . وايضا عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه بلفظ : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجدى ، ومسجد الاقصى [٣] .

اختلاف العلماء فى معناه .

يقول الامام النووى : واختلف العلماء فى شد الرحال واعمال المطى الى غير المساجد الثلاثة كالذهاب الى قبور الصالحين والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك . فقال الشيخ ابو محمد الجوينى من اصحابنا : هو حرام وهو الذى اشار القاضى عياض الى اختياره .

والصحيح عند اصحابنا ، وهو الذى اختاره امام الحرمين والمحققون انه لا يحرم ولا يكره ، قالوا والمراد ان الفضيلة التامة انما هى فى شد الرحال الى هذه الثلاثة خاصة ، والله اعلم [٤] .

---

(١) مسلم (٩ : ١٦٧ - ١٦٨) .
(٢) فتح (٣ : ٣٠٦) .
(٣) فتح (٤ : ٢٥٠) .
(٤) مسلم (٩ : ١٦٨) .

وقال الحافظ ابن حجر : قوله " لا تشد الرحال" بضم اوله بلفظ النفي والمراد النهي عن السفر الى غيرها . قال : قال الطيبي : هو ابلغ من صريح النهي . كأنه قال : لا يستقيم ان يقصد بالزيارة الا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به .

قال : والاستثناء مفرغ . والتقدير : لا تشد الرحال الى موضع، ولازمه منع السفر الى كل موضع غيرها ، لان المستثنى منه في المفرغ مقدر باعم العام لكن يمكن ان يكون المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد .

قال : وفي هذا الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الانبياء .

ولان الاول : قبلة الناس واليه حجهم .

والثاني : كان قبلة الامم السالفة .

والثالث : اسس على التقوى .(١)

اقول : ان الفضيلة في كل من هذه الثلاثة، على هذا الترتيب كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم اولا فأولاً كما في رواية البخاري .

وقال الحافظ : واختلف في شد الرحال الى غيرها كالذهاب الى زيارة الصالحين احياء وامواتا ، والى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها . فقال الشيخ ابو محمد الجويني : يحرم شد الرحال الى غيرها عملا بظاهر هذا الحديث . واشار القاضي حسين الى اختياره ، وبه قال عياض وطائفة .

ويدل عليه ما رواه اصحاب السنن من انكار بصرة الغفاري على ابي هريرة خروجه الى الطور، وقال له : لو ادركتك قبل ان تخرج ما خرجت . واستدل بهذا الحديث فدل على انه يرى حمل الحديث على عمومه ، ووافقه ابو هريرة .

والصحيح عند امام الحرمين وغيره من الشافعية : انه لا يحرم واجابوا عن

---

(١) فتح (٣ : ٣٠٦، ٣٠٧) .

الحديث باجوبة منها :

(١) ان المراد ان الفضيلة التامة انما هى فى شد الرحال الى هذه المساجد ، بخلاف غيرها فانه جائز . وقد وقع فى رواية لاحمد سيأتى ذكرها بلفظ " لا ينبغى للمطى ان تعمل " وهو لفظ ظاهر فى غير التحريم .

(٢) ومنها : ان النهى مخصوص بمن نذر على نفسه الصلاة فى مسجد من سائر المساجد غير الثلاثة فانه لا يجب الوفاء به ، قاله ابن بطال . وقال الخطابى : اللفظ لفظ الخبر ومعناه الايجاب فيما ينذره الانسان من الصلاة فى البقاع التى يتبرك بها اى لا يلزم الوفاء بشىء من ذلك غير هذه المساجد الثلاثة .

(٣) ومنها : ان المراد حكم المساجد فقط وانه لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد للصلاة فيه غير هذه الثلاثة . واما قصد غير المساجد لزيارة صالح او قريب او صاحب او طلب علم او تجارة او نزهة فلا يدخل فى النهى . ويؤيده ما روى احمد من طريق شهر بن حوشب قال : سمعت ابا سعيد وذكرت عنده الصلاة فى الطور فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغى للمصلى ان يشد رحاله الى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى . وشهر حسن الحديث وان كان فيه بعض الضعف .

(٤) ومنها : ان المراد قصدها بالاعتكاف ، فيما حكاه الخطابى عن بعض السلف انه قال : " لا يعتكف فى غيرها " وهو اخص من الذى قبله ولم ار عليه دليلا .

وقال : قال بعض المحققين : قوله " الا الى ثلاثة مساجد " المستثنى منه محذوف . فاما ان يقدر عاما فيصير لا تشد الرحال الى مكان فى اى امر كان الا الى ثلاثة ، او اخص من ذلك . لا سبيل الى الاول لافضائه الى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها ، فتعين الثانى . والاولى ان يقدر ما هو اكثر مناسبة وهو لا تشد الرحال الى مسجد للصلاة فيه الا الى الثلاثة

فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال الى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين . والله اعلم .

وقال السبكي الكبير : ليس في الارض بقعة لها فضل لذاتها حتى تشد الرحال اليها غير البلاد الثلاثة . وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم ان شد الرحال الى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع وهو خطأ لان الاستثناء انما يكون من جنس المستثنى منه . فمعنى الحديث : لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد او الى مكان من الامكنة لاجل ذلك المكان الا الى الثلاثة المذكورة . وشد الرحال الى زيارة او طلب علم ليس الى المكان بل الى من في ذلك المكان . والله اعلم .(١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : في قوله عليه الصلاة والسلام لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد .

يقول : فان هذا استثناء مفرغ ، والتقدير فيه أحد امرين : اما ان يقال : لا تشد الرحال الى مسجد الا المساجد الثلاثة ، فيكون نهيا عنها باللفظ ، ونهيا عن سائر البقاع التى يعتقد فضيلتها بالتنبيه والفحوى وطريق الاولى . فان المساجد والعبادة فيها احب الى الله من العبادة في تلك البقاع بالنص والاجماع . فاذا كان السفر الى البقاع الفاضلة قد نهى عنه فالسفر الى المفضولة اولى واحرى .

وكذلك من جعل معنى الحديث : لا يستحب السفر الا الى الثلاثة ان جعل معناه : لا يجب الا الى الثلاثة واراد به الوجوب بالنذر ، كما ذكر ذلك طائفة ، فهؤلاء يقولون : ما سوى الثلاثة لا يستحب السفر اليه ، ولا يجب بالنذر .

ومن حمل معنى الحديث على نفي الاستحباب او نفي الوجوب بالنذر فقولهما واحد في المعنى فاذا لم يجب بالنذر الا هذه الثلاثة فقد وجب

---

(١) فتح البارى ، المصدر السابق (٣٠٧:٢ ، ٣٠٨) .

بالنذر السفر الى المسجدين وليس واجبا بالشرع، فعلم ان وجوبه لكونه مستحبا بالشرع . فاذا لم يوجب الا هذان مما ليس واجبا بالشرع علم انه ليس مستحبا الا هذان .

واما ان يقال : التقدير : لا تسافروا الى بقعة ومكان غير الثلاثة . ويكون المعنى : لا يستحب الى مكان غير الثلاثة، وهو معنى كل من قال : لا يجب بالنذر الى غير الثلاثة اى لا تسافروا لقصد ذلك المكان والبقعة بعينه بحيث يكون المقصود والعبادة فى نفس تلك البقعة، كالسفر الى المساجد الثلاثة بخلاف السفر الى الثغور فان المقصود السفر الى مكان الرباط .

فالمسافر الى الثغور او طلب العلم او التجارة او زيارة قريبة ليس مقصوده مكانا معينا الا بالعرض اذا عرف ان مقصوده فيه، ولو كان مقصوده فى غيره لذهب اليه . فالسفر الى مثل هذا لم يدخل فى الحديث باتفاق العلماء .

وانما دخل فيه من يسافر لمكان معين لفضيلة ذلك بعينه . كالذى يسافر الى المساجد وآثار الانبياء، كالطور الذى كلم الله عليه موسى، وغار حراء الذى نزل فيه الوحى ابتداء على الرسول صلى الله عليه وسلم وغار ثور المذكور فى القرآن فى قوله : " اذ هما فى الغار " وماهو دون ذلك من المغارات والجبال كالسفر الى جبل لبنان ومغارة الدم ونحو ذلك . فان كثيرا من الناس يسافر الى مايعتقد فضله من الجبال والغيران فاذا كان الطور الذى كلم الله عليه موسى وسماه البقعة المباركة والوادى المقدس - لا يستحب السفر اليه فغير ذلك من الجبال اولى ان لا يسافر اليه . فان الصحابة كابن عمر وابى سعيد وابى بصرة وغيرهم فهموا من قول النبى صلى الله عليه وسلم : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ان الطور الذى كلم الله عليه موسى وسماه " الوادى المقدس" و" البقعة المباركة" داخل فى النهى . ونهوا الناس عن السفر اليه . ولم يخصوا النهى بالمساجد . ولهذا لم يوجب احد ذلك بالنذر . وماعلمت فى هذا نزاعا قديما، ولا رأيت احدا صرح بخلاف ذلك، الا ابن حزم الظاهرى فانه يحرم السفر الى مسجد غير الثلاثة اذا نذره كقول الجمهور . واذا نذر السفر

الى اثر من آثار الانبياء اوجب الوفاء به . لانه لا يقول بفحوى الخطاب وتنبيهه وهذا هو احدى الروايتين عن داود . فلا يجعل قوله : " فلا تقل لهما اف " دليلا على النهي عن السب والشتم والضرب، ولا نهيه عن ان يبال في الماء الدائم ثم يغتسل فيه نهيا عن صب البول ثم الاغتسال فيه . وجمهور العلماء يرون ان مثل هذا من نقص العقل والفهم، وانه من " باب السفسطة" في جحد مراد المتكلم، كما هو مبسوط في موضع آخر .

واضاف يقول رحمه الله : والمقصود هنا : ان السفر الى غير المساجد الثلاثة من قبر، واثر نبي ومسجد وغير ذلك ليس بواجب ولا مستحب بالنص والاجماع . وهو مراد العلماء الذين قالوا : تستحب زيارة قبره بالاجماع فهذا هو الذى اجمع عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم من المجتهدين ولله الحمد .(١)

وقال بدر الدين العيني عند شرح هذا الحديث : وقال شيخنا زين الدين : من احسن محامل هذا الحديث، ان المراد منه حكم المساجد فقط وانه لا يشد الرحال الى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة . فاما قصد غير المساجد من الرحلة في طلب العلم وفي التجارة والتنزه وزيارة الصالحين والمشاهد وزيارة الاخوان ونحو ذلك فليس داخلا في النهي . وقد جاء ذلك مصرحا به في طرف الحديث في مسند احمد حدثنا هاشم حدثنا عبدالحميد حدثني شهر : سمعت ابا سعيد الخدري رضي الله عنه ـ وذكر عنده صلاة في الطور ـ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي للمطي ان يشد رحاله الى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا . واسناده حسن، وشهر بن حوشب وثقه جماعة .(٢)

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (٢٧ : ٢٤٧ - ٢٥٣) .
(٢) العيني (٧ : ٢٥٤) .

الفصل الثامن

في بيان فضل الصلاة فيه

الصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة الف صلاة فيما سواه من المساجد . والدليل على ذلك مارواه الامام البخاري بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه ،ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام[١] .

قال الحافظ ابن حجر : قوله : الا المسجد الحرام . قال ابن بطال يجوز في هذا الاستثناء ان يكون المراد فانه مساو لمسجد المدينة او فاضلا او مفضولا . والاول ارجح لانه لو كان فاضلا او مفضولا لم يعلم مقدار ذلك الا بدليل بخلاف المساواة . انتهى

قال : وكأنه لم يقف على دليل الثاني . وقد اخرجه الامام احمد وصححه ابن حبان من طريق عطاء عن عبدالله بن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ،وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في هذا .

وفي رواية ابن حبان : وصلاة في ذلك افضل من مائة صلاة في مسجد المدينة . قال ابن عبدالبر : اختلف على ابن الزبير في رفعه ووقفه ،ومن رفعه احفظ واثبت . ومثله لا يقال بالرأي . وفي ابن ماجه من حديث جابر مرفوعا : صلاة في مسجدي افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة الف صلاة فيما سواه . وفي بعض النسخ : من مائة صلاة فيما سواه . فعلى الاول معناه : فيما سواه الا مسجد المدينة . وعلى الثاني : معناه من مائة صلاة في مسجد المدينة . ورجال

---

(١) فتح (٣ : ٣٠٩) .

اسناده ثقات، لكنه من رواية عطاء في ذلك عنه، قال ابن عبد البر : جائز ان يكون عند عطاء في ذلك عنهما . وعلى ذلك يحمله اهل العلم بالحديث ويؤيده ان عطاء امام واسع الرواية، معروف بالرواية عن جابر وابن الزبير .

وروى البزار والطبراني من حديث ابي الدرداء، رفعه : الصلاة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة، والصلاة في مسجدي بالف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة . قال البزار : اسناده حسن فوضح بذلك ان المراد بالاستثناء تفضيل المسجد الحرام . وهو يرد على تأويل عبد الله بن نافع وغيره .

وروى ابن عبد البر من طريق يحيى بن يحيى الليثي انه سأل عبد الله ابن نافع عن تأويل هذا الحديث، وقال معناه - فان الصلاة في مسجدي افضل من الصلاة فيه بدون الف صلاة، قال ابن عبد البر : لفظ دون يشمل الواحد فيلزم ان تكون الصلاة في مسجد المدينة افضل من الصلاة في مسجد مكة بتسعمائة وتسع وتسعين صلاة . قال : وحسبك بقول يؤول الى هذا ضعفا قال : وزعم بعض اصحابنا ان الصلاة في مسجد المدينة افضل من الصلاة في مسجد مكة بمائة صلاة . واحتج برواية سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر قال : صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه . وتعقب بأن المحفوظ بهذا الاسناد بلفظ : صلاة في المسجد الحرام افضل من الف صلاة فيما سواه الا مسجد الرسول . فانما فضله عليه بمائة صلاة .

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال : اخبرني سليمان بن عتيق، وعطاء عن ابن الزبير انهما سمعاه يقول : صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيه . ويشير الى مسجد المدينة . وللنسائي من رواية موسى الجهني عن نافع عن ابن عمر ما يؤيد هذا ولفظه كلفظ ابي هريرة، وفي آخره : الا المسجد الحرام . فانه افضل منه بمائة صلاة .

قال : واستدل به على تضعيف الصلاة مطلقا في المسجدين، وقد تقدم النقل عن الطحاوي وغيره ان ذلك مختص بالفرائض لقوله صلى الله عليه وسلم

افضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة . ويمكن ان يقال : لا مانع من ابقاء الحديث على عمومه فتكون صلاة النافلة فى بيت المدينة او مكة تضاعف على صلاتها فى البيت بغيرهما . وكذا فى المسجدين ، وان كانت فى البيوت افضل مطلقا[1] .

روى الامام مسلم رحمه الله فى صحيحه بسنده من ابى هريرة رضى الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فى غيره من المساجد ، الا المسجد الحرام .

وروى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام .

وعن ام المؤمنين ميمونة رضى الله عنها قالت : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : صلاة فيه افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد ، الا مسجد الكعبة .

وهذا المقدار من الفضل تفسره احاديث نقلها الشوكانى ومنها حديث جابر رفعه رواه احمد : صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة الف صلاة فيما سواه ، قال : قال الحافظ : واسناده صحيح الا انه اختلف فيه على عطاء .

وحديث عبد الله بن الزبير اخرجه ايضا ابن حبان والبيهقى ولفظه صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد ، الا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة صلاة فى مسجدى .

ولفظ احمد : وصلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة صلاة فى هذا .

قال : وفى الباب عن جابر ايضا عند ابن عدى بلفظ : الصلاة فى المسجد الحرام بمائة الف صلاة ، والصلاة فى مسجدى بالف صلاة ، والصلاة فى

---

(١) فتح (٣ : ٣٠٩ ، ٣١٠) .

بيت المقدس بخمسمائة صلاة، واسناده ضعيف، لانه من حديث يحيى بن ابى حية عن عثمان بن الاسود عن مجاهد عن جابر .

وفى الباب ايضا من حديث ابى الدرداء مرفوعا عند الطبرانى فى الكبير : الصلاة فى المسجد الحرام بمائة الف صلاة والصلاة فى مسجدى بالف صلاة، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة[(١)] .

اقول : وحديث عبد الله بن الزبير رواه الهيثمى عن احمد وعن البزار ولفظه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام فانه يزيد عليه مائة .

ثم يقول الهيثمى : والطبرانى بنحو البزار . ورجال احمد والبزار رجال الصحيح[(٢)] .

وقال الامام النووى عند شرح حديث مسلم بعد مانقل رواية ابن الزبير قال : حديث حسن رواه احمد بن حنبل والبيهقى وغيرهما باسناد حسن .

وقال : ان مذهبنا انه لا يختص هذا التفضيل بالصلاة فى هذين المسجدين بالفريضة بل يعم الفرض والنفل جميعا . وبه قال مطرف من اصحاب مالك، وقال الطحاوى : يختص بالفرض، وهذا مخالف اطلاق هذه الاحاديث الصحيحة، والله اعلم[(٣)] .

وقال الشوكانى : وقوله : الا المسجد الحرام، هذا فيه دليل على افضلية الصلاة فى مسجده صلى الله عليه وسلم على غيره من المساجد، الا المسجد الحرام فانه استثناه فاقتضى ذلك انه ليس بمفضول بالنسبة الى مسجده صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يكون مساويا او افضل . وسائر الاحاديث دلت على انه افضل باعتبار الصلاة فيه بذلك المقدار[(٤)] .

---

(١) نيل الاوطار (٨ : ٢٦٢) .
(٢) مجمع الزوائد (٤ : ٤) .
(٣) مسلم (٩ : ١٦٣، ١٦٧) .
(٤) نيل الاوطار (٨ : ٢٦٣) .

وقال الحافظ ابن القيم : وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الصلاة فى المسجد الحرام بمائة الف صلاة ، ففى سنن النسائى والمسند باسناد صحيح عن عبدالله بن الزبير عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه ، الا المسجد الحرام . وصلاة فى المسجد الحرام افضل من صلاة مسجدى هذا بمائة صلاة . ورواه ابن حبان فى صحيحه (١) .

فظهر من اقوال العلماء بان حديث ابن الزبير فى مضاعفة الصلاة فى المسجد الحرام صحيح ، وانه يفسر ماسبق فى الصحيحين من هذا الباب بوضوح .

تحقيق ايلياء : لقد سبق فى اول الباب قوله عليه السلام : ومسجد ايلياء . قال النووى عند شرحه : واما ايلياء فهو بيت المقدس . وفيه ثلاث لغات ـ افصحهن واشهرهن هذه الواقعة هنا ايلياء بكسر الهمزة واللام وبالمد . والثانية : كذلك الا انه مقصور . والثالثة : الياء بحذف الياء وبالمد وسمى الاقصى لبعده من المسجد الحرام (٢) .

---

(١) زاد المعاد (١ : ١٢) .
(٢) مسلم (٩ : ١٦٨) .

الفصل التاسع

فى بيان ذكر المسجد الحرام فى كتاب الله تعالــــــى

(١) الاية الاولى :

وهى قوله تعالى :" قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلــــة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام . وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره"[1].

يقول الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الاية : اى الى الكعبة الـــــى الميزاب[2] يؤم به جبريل عليه السلام . روى الحاكم فى مستدركه من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء عن يحيى بن قطة قال : رأيت عبدالله بن عمرو جالســـا فى المسجد الحرام بازاء الميزاب فتلا هذه الاية :"فلنولينك قبلة ترضاها". قال نحو ميزاب الكعبة . ثم قال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

ورواه ابن ابى حاتم عن الحسن بن عرفة عن هشام عن يعلى بن عطـــاء به . وهكذا قال غيره وهو احد قولى الشافعى رضى الله عنه : ان الفـــرض اصابة عين الكعبة . والقول الاخر وعليه الاكثرون ان المراد المواجهة . كمـــا رواه الحاكم من حديث محمد بن اسحاق عن عمير بن زياد الكندى عن على بـن ابى طالب رضى الله عنه : فول وجهك شطر المسجد الحرام . قال : شطـــره قبله . ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وهذا قول ابى العالية ومجاهـــد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والربيع بن يونس وغيرهم . وكما تقدم فـــــى الحديث الاخر : مابين المشرق والمغرب قبلة .

قال على بن ابى طلحة عن ابن عباس : كان اول مانسخ من القـــرآن

---

(١) سورة البقرة : ١٤٤ .

(٢) وهذا القول بناء على ان اهل المدينة يصلون الى الكعبة من ناحيـــة الميزاب وان المدينة تقع من هذه الجهة .

القبلة . وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان اكثر اهلها اليهود فامره الله ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا ، وكان يحب قبلة ابراهيم ، فكان يدعو الى الله وينظر الى السماء فانزل الله : قد نرى تقلب وجهك في السماء الى قوله فولوا وجوهكم شطره . صلاته عليه السلام نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر امر معروف .

مسألة : وقد استدل المالكية بهذه الاية على ان المصلى ينظر امامه لا الى موضع سجوده كما ذهب اليه الشافعي واحمد وابو حنيفة . قال المالكية بقوله : فول وجهك شطر المسجد الحرام . فلو نظر الى موضع سجوده لاحتاج ان يتكلف ذلك بنوع من الانحناء وهو ينافي كمال القيام . وقال بعضهم : ينظر المصلى في قيامه الى صدره . وقال شريك القاضي : ينظر في حال قيامه الى موضع سجوده كما قال جمهور الجماعة ، لانه ابلغ في الخضوع واكد في الخشوع ، وقد ورد به الحديث . واما في حال ركوعه فالى موضع قدميه وفي حال سجوده الى موضع انفه وفي حال قعوده الى حجره [١].

(٢) الاية الثانية :

قوله تعالى : " ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك " . وما الله بغافل عما تعملون " [٢].

(٣) الاية الثالثة :

قوله تعالى : " ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره " [٣].

وكلتا الايتين وردتا في محل واحد . يقول الحافظ ابن كثير :

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٩٢ ، ١٩٣) .
(٢) سورة البقرة : ١٤٩ .
(٣) سورة البقرة : ١٥٠ .

هذا امر ثالث من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع اقطار الارض، وقد اختلفوا فى حكمة هذا التكرار ثلاث مرات فقيل : تأكيد لانه اول ناسخ وقع فى الاسلام على مانص عليه ابن عباس وغيره . وقيل : بل هو منزل على الاحوال - فالامر الاول لمن هو مشاهد الكعبة . والثانى لمن هو فى مكتها غائبا عنها . والثالث لمن هو فى بقية البلدان . هكذا وجهه فخر الرازى .

وقال القرطبى : الاول لمن هو بمكة . والثانى لمن هو فى بقية الامصار والثالث لمن خرج فى الاسفار . ورجح هذا الجواب القرطبى[1] .

(٤) الاية الرابعة :

قوله تعالى : " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين "[2] .

يقول الحافظ ابن كثير كما جاء فى الصحيحين ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة . ولم يحل الا ساعة من نهار وانها ساعتى هذه حرام بحرمة الله الى يوم القيامة - لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه . فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم . يعنى بذلك صلوات الله وسلامه عليه قتاله اهله يوم فتح مكة .

يقول تعالى : " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الا ان يبدأوكم بالقتال فيه فلكم حينئذ قتالهم وقتلهم دفعا للصائل . كما بايع النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة على القتال لما تألبت عليه بطون قريش ووالاهم من احياء ثقيف والاحابيش عامئذ ثم كف الله عنهم[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٩٤) ومابعدها .
(٢) سورة البقرة : ١٩١ .
(٣) تفسير ابن كثير (١ : ٢٢٦) .

(٥) الاية الخامسة :

قوله تعالى : " ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام "[1].

يقول الحافظ ابن كثير : قال ابن جرير : واختلف اهل التأويل فيمن عنى بقوله : لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام، بعد اجماع جميعهم على ان اهل الحرم معنيون به وانه لا متعة لهم . فقال بعضهم : عنى بذلك اهل الحرم خاصة دون غيرهم .

حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان هو الثورى قال قال ابن عباس : هم اهل الحرم . وكذا روى ابن المبارك عن الثورى وزاد الجماعة عليه .

وقال قتادة : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول يا اهل مكة لا متعة لكم احلت لاهل الافاق وحرمت عليكم . انما يقطع احدكم واديا او قال : يجعل بينه وبين الحرم واديا ثم يهل بعمرة . وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال : المتعة للناس، لا لاهل مكة من لم يكن اهله من الحرم .

وقال آخرون : هم اهل الحرم ومن بينه وبين المواقيت . كما قال عبد الرزاق : اخبرنا معمر عن عطاء قال : من كان اهله دون المواقيت فهو كأهل مكة لا يتمتع .

وقال عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن زيد عن جابر عن مكحول فى قوله : ذلك لمن يكن اهله حاضرى المسجد الحرام قال : من كان دون الميقات .

وقال ابن جريج عن عطاء : ذلك لمن يكن اهله حاضرى المسجد الحرام قال : عرفة ومزدلفة وعرنة والرجيع .

وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر سمعت الزهرى يقول : من كان اهله على يوم او نحوه تمتع . وفى رواية عنه : اليوم واليومين .

ثم قال : واختار ابن جرير فى ذلك مذهب الشافعى انهم اهل الحرم

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦ .

ومن كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلاة . لان من كان كذلك يعد حاضرا لا مسافرا . والله اعلم[1].

وقد عقد الامام البخارى بابا بقوله : باب قول الله تعالى : ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام . ثم قال الحافظ ابن حجر: واختلف السلف فى المراد بحاضرى المسجد . فقال نافع والاعرج : هم اهل مكة بعينها . وهو قول مالك واختاره الطحاوى ورجحه . وقال طاوس وطائفة هم اهل الحرم، وهو الظاهر . وقال مكحول : من كان منزله دون المواقيت وهو قول الشافعى فى القديم، وقال فى الجديد : من كان من مكة على دون مسافة القصر . ووافقه احمد . وقال مالك : اهل مكة ومن حولها سوى اهل المناهل كعسفان، وسوى اهل منى وعرفة[2]. ا.هـ

(٦) الاية السادسة :

قوله تعالى : " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله"[3].

قال الحافظ ابن كثير : قال ابن ابى حاتم : حدثنا ابى حدثنا محمد بن ابى بكر المقدمى حدثنا المعتمر بن سليمان عن ابيه حدثنى الحضرمى عن ابى السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم ابا عبيدة بن الجراح فلما ذهب ينطلق بكى صبابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسه . فبعث عليهم مكانه عبد الله ابن جحش وكتب له كتابا وامر الا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا (اى بطن نخلة) وقال : لا تكرهن احدا على السير معك من اصحابك .

فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : سمعا وطاعة لله ولرسوله . فخبرهم

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ٢٣٤) وما بعدها .

(٢) فتح (٤ : ١٧٨) .

(٣) سورة البقرة : ٢١٧ .

الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع رجلان وبقى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمى فقتلوه ولم يدروا ان ذلك اليوم من رجب او من جمادى . فقال المشركون للمسلمين قتلتم فى الشهر الحرام فانزل الله : " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير " الاية ، اى ان كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام واخراجكم منه وانتم اهله (اكبر عند الله) من قتل من قتلتم منهم .

قال : قال ابن هشام : وهى اول غنيمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحضرمى اول من قتل المسلمون وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان اول من اسر المسلمون .[1]

(٧) الاية السابعة :

قوله تعالى : " ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا "[2] .

يقول الحافظ ابن كثير : اى لا يحملنكم بغض قوم قد كانوا صدوكم عن الوصول الى المسجد الحرام وذلك عام الحديبية على ان تعتدوا حكم الله فيهم فتقتصوا منهم ظلما وعدوانا بل احكموا بما امركم الله به من العدل فى حق كل احد .

قال : وقال ابن ابى حاتم : حدثنا ابى حدثنا سهل بن عفان حدثنا عبدالله بن جعفر عن زيد بن اسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية واصحابه حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم اناس من المشركين من اهل المشرق يريدون العمرة . فقال اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نصد هؤلاء كما صدنا اصحابهم فانزل الله هذه الاية .

والشنآن هو البغض . قاله ابن عباس وغيره[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ٢٥٢ - ١٥٤) .
(٢) سورة المائدة : ١٢ .
(٣) تفسير ابن كثير (٢ : ٦،٢) .

(٨) الاية الثامنة :

قوله تعالى : " ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وماكانوا اولياؤه . ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون "[1].

يقول الحافظ ابن كثير : يخبر تعالى انهم اهل لان يعذبهم ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم . ولهذا لما خرج من بين اظهرهم اوقع الله بهم بأسه يوم بدر فقتل صناديدهم واسر سراتهم .

قال : وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اى الذى بمكة يصدون المؤمنين الذين هم اهله عن الصلاة فيه ، والطواف به . ولهذا قال وماكانوا اولياءه ان اولياءه الا المتقون . اى هم ليسوا اهل المسجد الحرام وانما اهله النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه كما قال تعالى " ماكان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر . اولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين " .

وقال تعالى : " وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله " .

قال : وقال الحافظ ابو بكر بن مردويه فى تفسير هذه الاية : حدثنا سليمان بن احمد هو الطبرانى حدثنا جعفر بن اليان بن صدقة المصرى حدثنا نعيم بن حماد حدثنا نوح بن ابى مريم عن يحيى بن سعيد الانصارى عن انس ابن مالك رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اولياؤك؟ قال : كل تقى ، وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولياؤه الا المتقون .

وقال عروة والسدى ومحمد بن اسحاق فى قوله تعالى " ان اولياؤه الا المتقون " قال هم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم . وقال مجاهد : هم المجاهدون من كانوا وحيث كانوا[2].

---

(١) سورة الانفال : ٣٤ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ : ٣٠٥ ، ٣٠٦) .

(٩) الاية التاسعة :

وهى قوله تعالى : " كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم . ان الله يحب المتقين "(١) .

قال الحافظ ابن كثير : يبين تعالى حكمته فى البرأة من المشركين ونظرته اياهم اربعة اشهر، ثم بعد ذلك السيف المرهف اين ثقفوا . فقال تعالى كيف يكون للمشركين . اى امان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله . الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام . يعنى يوم الحديبية كما قال تعالى : " هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله " . الاية

" فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم " اى مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين . وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والمسلمون . استمر العقد والهدنة مع اهل مكة من ذى القعدة فى سنة ست الى ان نقضت قريش العهد ومالوا حلفائهم وهم بنو بكر على خزاعة احلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم معهم فى الحرم ايضا . فعند ذلك غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة ثمان . ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من نواصيهم ولله الحمد والمنة، فاطلق من اسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء . وكانوا قريبا من الفين . ومن استمر على كفره وفر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليه بالامان والتسيير فى الارض اربعة اشهر يذهب حيث شاء ومنهم صفوان بن امية وعكرمة بن ابى جهل وغيرهما . ثم هداهم الله بعد ذلك الى الاسلام التام والله المحمود على جميع مايقدر ويفعل(٢) .

---

(١) التوبة : ٧ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ : ٣٣٧) .

(١٠) الاية العاشرة :

قوله تعالى : "اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر"[1] .

قال الحافظ ابن كثير : قال العوفى فى تفسيره عن ابن عباس فى تفسير هذه الاية : ان المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير من آمن وجاهد . وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من اجل انهم اهله وعماره . فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال لاهل الحرم من المشركين : قد كانت آيتى تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون . يعنى انهم كانوا يستكبرون بالحرم . قال : به سامرا كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم . فخير الله الايمان والجهاد مع النبى صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية . ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به . وان كانوا يعمرون بيته ويحرمون به . قال الله تعالى : "لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين" يعنى الذين زعموا انهم اهل العمارة فسماهم الله الظالمين بشركهم . فلم تغن عنهم العمارة شيئا .

وقال ابن ابى طلحة عن ابن عباس فى هذه الاية : قال قد نزلت فى العباس بن عبد المطلب حين اسر ببدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى ونفك العانى . فانزل الله : "اجعلتم سقاية الحاج ... الاية" .

وقال ابن جرير : حدثنى يونس اخبرنا ابن وهب اخبرنى ابن لهيعة عن ابى صخرة قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : افتخر طلحة بن شيبة من بنى عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلى بن ابى طالب . فقال طلحة انا صاحب البيت معى مفتاحه ولو اشاء بت فيه . وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها ولو اشاء بت فى المسجد . فقال على رضى الله عنه : ما ادرى

---

(١) التوبة : ١٩ .

ماتقولان ؟ لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس . وانا صاحب الجهاد فانزل الله عز وجل : اجعلتم سقاية الحاج . . . الاية

وقد ورد فيها حديث مرفوع ذكره الحافظ ابن كثير فقال :

قال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن يحيى بن ابى كثير عن النعمان بن بشير رضى الله عنه ان رجلا قال : ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا أن اسقى الحاج . وقال آخر : ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد فى سبيل الله افضل مما قلتم . فزجرهم عمر رضى الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة . ولكن اذا صلينا الجمعة دخلنا على النبى صلى الله عليه وسلم فسألناه . فنزلت :اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ـ الى قوله ـ لا يستوون عند الله .

طريق اخرى : قال الوليد بن مسلم حدثنى معاوية بن سلام عن جده ابى سلام الاسود عن النعمان بن بشير الانصارى قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من اصحابه ،فقال رجل منهم : ما ابالى ان لا اعمل لله عملا بعد الاسلام الا ان اسقى الحاج . وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام . وقال آخر : بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال : لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه . قال : ففعل فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ـ الى قوله ـ والله لا يهدى القوم الظالمين .

قال : ورواه مسلم فى صحيحه وابو داود وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه وابن ابى حاتم فى تفاسيرهم وابن حبان فى صحيحه .(١)

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ : ٣٤١-٣٤٢) .

(١١) الاية الحادية عشرة :

قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا "[1].

يقول الحافظ ابن كثير : امر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين دينا وذاتا بنفي المشركين الذين هم نجس دينا عن المسجد الحرام وان لا يقربوه بعد نزول هذه الاية . وكان نزولها في سنة تسع ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا صحبة أبي بكر رضي الله عنهما عامئذ وامره ان ينادي في المشركين - ان لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . فاتم الله ذلك وحكم به شرعا وقدرا .

وقال عطاء : الحرم كله مسجد لقوله تعالى : فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا . ودلت هذه الاية الكريمة على نجاسة المشرك كما ورد في الصحيح : المؤمن لا ينجس . واما نجاسة بدنه فالجمهور على انه ليس بنجس البدن والذات، لان الله تعالى احل طعام اهل الكتاب . وذهب بعض الظاهرية الى نجاسة ابدانهم . وقال اشعث من الحسن من صافحهم فليتوضأ . رواه ابن جرير[2] .

ونجاسة المشرك يدل عليها احاديث كثيرة، منها : ان ابا سفيان لما جاء الى المدينة ليجدد صلح الحديبية، ودخل على ابنته ام المؤمنين ام حبيبة واراد ان يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته فورا .

يقول الحافظ ابن القيم : ثم خرج ابو سفيان حتى قدم المدينة، فدخل على ابنته ام حبيبة . فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه . فقال : يابنية، ما ادري ؟ ارغبت بي عن هذا الفراش، ام رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت مشرك نجس[3] . ا . هـ

---

(١) التوبة : ٢٨ .
(٢) تفسير ابن كثير (٢ : ٣٤٦) .
(٣) زاد المعاد (٢ : ٣٨٦) .

وقد عقد الامام البخاری فی صحیحه بابا بقوله : باب لا یطوف بالبیت عریان ولا یحج مشرك . ثم روی بسنده فقال : حدثنا یحیی بن بکیر قال : حدثنا اللیث قال یونس قال ابن شهاب : حدثنی حمید بن عبدالرحمن ان ابا هریرة اخبره ان ابا بکر الصدیق رضی الله عنه بعثه فی الحجة التی امره علیها رسول الله صلی الله علیه وسلم قبل حجة الوداع یوم النحر فی رهط یؤذن فی الناس ان لا یحج بعد العام مشرك ولا یطوف بالبیت عریان .

هذا الحدیث وغیره مما یتعلق بهذا الباب روی فی تفسیر سورة البراءة وكان من المؤذنین مع ابی هریرة سعد بن ابی وقاص وجابر رضی الله عنهم . وكان قد صحل صوت ابی هریرة رضی الله عنه وتعب علی رضی الله عنه لطول الاعلان انظر التفصیل[1] .

یقول الحافظ ابن حجر : وذكر ابن اسحاق فی سبب هذا الحدیث ان قریشا ابتدعت قبل الفیل او بعده ان لا یطوف بالبیت احد ممن یقدم علیهم من غیرهم اول ما یطوف الا فی ثیاب احدهم . فان لم یجد طاف عریانا . فان خالف وطاف بثیابه القاها اذا فرغ ثم لم ینتفع بها . فجاء الاسلام فهدم ذلك كله[2] .

وهذه الایة لها علاقة بقوله تعالی :" واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا علیها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا یأمر بالفحشاء اتقولون علی الله مالا تعلمون " .

یقول الحافظ ابن كثیر : قال مجاهد : كان المشركون یطوفون بالبیت عراة یقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا وربما كانت امرأة فتطوف عریانة فتجعل علی فرجها شیئا لتستره بعض الستر فتقول :

اليوم يبدو بعضه او كله ‏ ‏ ‏ وما بدا منه فلا احله

واكثر ما كان النساء یطفن عراة باللیل وكان هذا شیئا قد ابتدعوه من تلقاء انفسهم واتبعوا فیه آباءهم ویعتقدون ان فعل اباءهم مستند الی امر من

---

(١) فتح (٩ : ٣٨٧ - ٣٩٢) .
(٢) فتح (٤ : ٢٢٩) .

الله وشرع فانكر الله تعالى عليهم ذلك بقوله : قل ان الله لا يأمر بالفحشاء .

ولها صلة بقوله تعالى : "يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد . .الاية" .

قال الحافظ ابن كثير : هذه الاية الكريمة رد على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عراة كما رواه مسلم والنسائى وابن جرير واللفظ له من شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء . الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانت المرأة تقول البيت المذكور آنفا . فقال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد .

قال : وهكذا قال مجاهد وعطاء وابراهيم النخعى وسعيد بن جبير وقتادة والسدى والضحاك ومالك عن الزهرى وغير واحد من ائمة السلف فى تفسيرها انها نزلت فى طوائف المشركين بالبيت عراة[1] .

(١٢) الاية الثانية عشرة :

قوله تعالى : " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى"[2] .

يقول الحافظ ابن كثير : يمجد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه لقدرته على مالا يقدر عليه احد سواه فلا اله غيره ، ولا رب سواه . الذى اسرى بعبده . يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ليلا) اى فى جنح الليل (من المسجد الحرام) وهو مسجد مكة (الى المسجد الاقصى) وهو بيت المقدس الذى با يلياء معدن الانبياء من لدن ابراهيم الخليل عليه السلام . ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم فى محلتهم ودارهم فدل على انه هو الامام الاعظم والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين[3] .

واحاديث الاسراء كثيرة وطويلة ومستفيضة ، استيعابها يحتاج الى

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ : ٢٠٨ - ٢١٠) .
(٢) الاسراء : ١ .
(٣) تفسير ابن كثير (٣ : ٢) .

جزء مستقل .

وقد عقد الامام البخارى بابا بقوله باب قوله ساسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام .

ثم روى بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به بايلياء بقدحين من خمر ولبن . فنظر اليهما فأخذ اللبن . قال جبريل : الحمد لله الذى هداك للفطرة . لو اخذت الخمر غوت امتك .

وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن آياته وانا انظر اليه[1] .

(١٣) الاية الثالثة عشرة :

قوله تعالى : " ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد . ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم "[2] .

يقول الحافظ ابن كثير فى هذه الاية : يقول تعالى منكرا على الكفار فى صدهم المؤمنين عن اتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه ، ودعواهم انهم اولياؤه " وماكانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون " .

وقوله : سواء العاكف فيه والبادى . اى يمنعون الناس عن الوصول الى المسجد الحرام وقد جعله الله شرعا سواء لا فرق فيه بين المقيم فيه والنائى عنه البعيد الدار منه ، قال : ومن ذلك استواء الناس فى رباع مكة وسكناها . كما قال على بن ابى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى : سواء العاكف فيه والباد . قال ينزل اهل مكة وغيرهم فى المسجد الحرام .

---

(١) فتح (٦ : ١٠) .
(٢) الحج : ٢٥ .

وقال مجاهد فى هذه الاية : اهل مكة وغيرهم فيه سواء فى المنازل ، وكذا قال ابو صالح وعبدالرحمن بن سابط وعبدالرحمن بن زيد بن اسلم.[١]

(١٤) الاية الرابعة عشرة :

قوله تعالى : " هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله".[٢]

يقول الحافظ ابن كثير : يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركى العرب من قريش ومن مالأهم على نصرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم (هم الذين كفروا) اى هم الكفار دون غيرهم . " وصدوكم عن المسجد الحرام" اى وانتم احق به وانتم اهله فى نفس الامر . " والهدى معكوفا ان يبلغ محله" اى وصدوا الهدى ان يصل الى محله وهذا من بغيهم وعنادهم وكان الهدى سبعين بدنة.[٣]

ونتيجة لهذا الصد وقع صلح الحديبية المشهور فى سنة ست من الهجرة وقد عقد البخارى بابا فى صحيحه بقوله : باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب وكتابة الشروط .

ثم روى بسنده عن المسور بن مخرمة ومروان حديث صلح الحديبية مطولا.[٤]

(١٥) الاية الخامسة عشرة :

قوله تعالى : " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا".[٥]

يقول الحافظ ابن كثير : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى فى

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٢١٣) .
(٢) الفتح : ٢٥ .
(٣) تفسير ابن كثير (٤ : ١٩٣) .
(٤) فتح (٦ : ٢٥٧) .
(٥) الفتح : ٢٧ .

المنام انه دخل مكة وطاف بالبيت فاخبر اصحابه بذلك وهو بالمدينة . فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم ان هذه الرؤيا تتفسر هذا العام . فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على ان يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضى الله عنهم من ذلك شئ حتى سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك فقال له فيما قال : افلم تكن تخبرنا انا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى . أفأخبرتك انك تأتيه عامك هذا ؟ قال : لا ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : فانك آتيه ومطوف به . وبهذا اجاب الصديق رضى الله عنه ايضا حذو القزة بالقزة .

ولهذا قال تبارك وتعالى : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله . هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء فى شئ . وقوله عز وجل : آمنين . اى فى حال دخولكم وقوله : محلقين رؤوسكم ومقصرين . حال مقدرة . لانهم فى حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين وانما كان هذا فى ثانى الحال . وقوله سبحانه وتعالى لا تخافون . حال مؤكدة فى المعنى . فأثبت لهم الامن حال الدخول ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم فى البلد لا يخافون من احد [1] .

وهذا كان فى عمرة القضاء فى ذى القعدة سنة سبع ـ حسب شروط صلح الحديبية فمكث صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة ايام ثم عاد الى المدينة المنورة وقوله تعالى : " فجعل من دون ذلك فتحا قريبا " اى فتح مكة اى الفتح الاعظم بعد عمرة القضاء . وقد وقع ذلك سنة ثمان من الهجرة وقد دخلها صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فاتحين ومنتصين كما بشر بذلك تبارك وتعالى من قبل .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ : ٢٠١) .

الباب الثالث

في الكلام عن الحرم

وتحته فصول :

الفصل الاول

في بيان فضل الحرم المكي

لقد ثبت فضل عظيم للحرم المكي ولهذه البقعة المباركة بالكتاب والسنة الصحيحة .

فقوله تعالى : " ومن دخله كان آمنا " وقوله : " انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة التي حرمها " ومثلها كثير .

وبما جاء في الصحيحين قوله عليه الصلاة والسلام : فان هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والارض . فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والاحاديث في هذا الباب كثيرة . وقد خصه الله تعالى من بين سائر الارض باحكام وخصائص ويأتي بيان ذلك مفصلا .

تعريف الحرم .

هو ما احاط بمكة واطاف بها من جوانبها . جعل الله تعالى له حكمها تشريفا لها . وسمى حرما لتحريم الله تعالى فيه كثيرا مما ليس بمحرم في غيره من المواضع .(١)

فقد عقد الامام البخاري في صحيحه بابا بقوله : باب فضل الحرم وقوله تعالى : انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة التي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين . وقوله عز ذكره : اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون .(٢)

---

(١) قسطلاني (٣ : ١٥٠) .

(٢) القصص :

اضيف الى هذا قوله تعالى : " اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم . افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون "[(١)] . وقوله تعالى " ومن دخله كان آمنا " .

ثم روى بسنده من طريق على بن عبدالله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : ان هذا البلد حرمه الله ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته الا من عرفها [(٢)] .

وروى بسنده فى باب - لا يحل القتال بمكة من طريق عثمان بن ابى شيبة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم افتتح مكة : لا هجرة ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا . فان هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والارض . وهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة . الحديث[(٣)]

يقول الحافظ ابن حجر : وجه تعلقها بالترجمة من جهة اضافة الربوبية الى البلدة فانه على سبيل التشريف لها وهى اصل الحرم . وقوله : اولم نمكن لهم حرما آمنا - الاية ، روى النسائى فى التفسير : ان الحارث بن عامر بن نوفل قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فانزل الله عز وجل ردا عليه - اولم نمكن لهم حرما آمنا . . الاية ، اى ان الله جعلهم فى بلد امين وهم منه فى امان فى حال كفرهم . فكيف لا يكون امنا لهم بعد ان اسلموا وتابعوا الحق ؟ ا . هـ

اقول : واصل فضل الحرم يرجع الى عظمة فاعل التحريم وهو الله جل شأنه كما هو ظاهر فى الاية بقوله : الذى حرمها ، ويوضح ذلك الحديث بقوله ان هذا البلد حرمه الله ، ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فان هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والارض . وهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فمن تأمل الى قوة هذه الكلمات الدالة على معانيها يخاف ويرجف فؤاده

---

(١) العنكبوت : ٦٧ .
(٢) فتح (٤ : ١٩٤) .
(٣) فتح (٤ : ٤١٨) .

اذا تخطى اول خطوة وهو داخل ارض الحرم .

قال الحافظ ابن حجر : وقال القرطبى : معناه ان الله حرم مكة ابتداء من غير سبب ينسب لاحد ، ولا لاحد فيه مدخل ، قال : ولاجل هذا اكد المعنى بقوله : ولم يحرمها الناس . والمراد بقوله : ولم يحرمها الناس : ان تحريمها ثابت بالشرع ، لا مدخل للعقل فيه . او المراد - انها من محرمات الله فيجب امتثال ذلك وليس من محرمات الناس يعنى فى الجاهلية كما حرموا اشياء من عند انفسهم فلا يسوغ الاجتهاد فى تركه .

وقيل معناه : ان حرمتها مستمرة من اول الخلق وليس مما اختصت به شريعة النبى صلى الله عليه وسلم .[1]

---

(١) فتح (٤ : ٤١) .

الفصل الثانى

فى بيان حدوده وانصابه

(١) فحده من طريق المدينة : دون التنعيم عند بيوت بنى نضار على ثلاثة اميال من مكة .

ذكره الازرقى والماوردى وتبعه النووى . الا ان الازرقى قال : عند بيوت غفار ، وكذا ذكره القسطلانى ، الا انه قال : وقيل اربعة .

وذكر الفاسى فيه اربعة اقوال :

١ - ثلاثة اميال على ماذكره الازرقى ، وابن خرداذبه ، والماوردى والنووى .

٢ - نحو اربعة اميال - ذكره ابن ابى زيد فى النوادر عن غير واحد من المالكية .

٣ - اربعة اميال - على ماقاله الفاكهى .

٤ - خمسة اميال - على ماذكره ابو الوليد الباجى . ثم رجح قول الازرقى وهو ثلاثة اميال .

(٢) ومن طريق اليمن : طرف اضاة لبن فى ثنية لبن على سبعة اميال . ذكره الازرقى والنووى . ولم يذكره الماوردى . وقال القسطلانى : ستة اميال وقيل : سبعة .

وقال الفاسى : سبعة اميال على ماذكره الازرقى ، وابن ابى زيد وسليمان ابن خليل . او ستة اميال على ماوجدت بخط محب الطبرى . ومن هذه الجهة علامة حد الحرم مبنية .

(٣) ومن طريق العراق على ثنية جبل بالمقطع على سبعة اميال . وكذا ذكره الازرقى ، والنووى والماوردى ، والقسطلانى نقلا عن الرافعى .

وذكر الفاسى فيه اربعة اقوال :

١ - سبعة اميال - على ماذكره الازرقى .

٢ - ثمانية اميال - على ماذكره ابن ابى زيد المالكى فى النوادر .
٣ - عشرة اميال - على ماذكره سليمان بن خليل .
٤ - ستة اميال - على ماذكره ابو القاسم بن خرداذبه .

قال : وذكر الازرقى ان الحد فى هذه الجهة على بنية الخل بالمقطع .

(٤) ومن طريق الجعرانة : فى شعب آل عبدالله بن خالد بن اسيد - على تسعة اميال . ذكره الازرقى والماوردى ، والنووى ، والقسطلانى .

وذكر الفاسى فيها قولين :

١ - تسعة اميال - على ماذكره الازرقى .
٢ - اثنا عشر ميلا - على ماذكره ابن خليل .

(٥) ومن طريق الطائف ، على طريق عرفة من بطن عرنة - على سبعة اميال على ماقاله الماوردى ، والنووى ، وقال القسطلانى : وقيل ثمانية . وقال الازرقى : هو على احد عشر ميلا .

وذكر الفاسى فيه اربعة اقوال :

١ - نحو ثمانية عشر ميلا - على ماذكره القاضى ابو الوليد الباجى .
٢ - احد عشر ميلا - على ماذكره الازرقى والفاكهى ، وابو القاسم عبيدالله ابن عبدالله ابن خرداذبه الخراسانى فى كتاب " المسالك والممالك " والمحب الطبرى نقلا عن الازرقى وسليمان بن خليل الا انه ذكره بصيغة التمريض .
٣ - تسعة اميال - على ماذكره شيخ المذهب ابو محمد عبدالله بن ابى زيد القيروانى فى كتاب النوادر . وسليمان بن خليل ، والمحب الطبرى بعد ان حكى ماذكره الازرقى .
٤ - سبعة اميال - على ماذكره الماوردى فى كتاب " الاحكام السلطانية " له . والشيخ ابو اسحاق الشيرازى فى " مهذبه " والنووى فى " ايضاحه " و " تهذيب الاسماء واللغات " له .

قال : وفى ماقالوه نظر قوى يقتضى بعد استقامة قولهم . وذكر النووى فى التهذيب ان الازرقى تفرد بما قاله فى حد الحرم من طريق الطائف

وقال : ان الجمهور قالوا : ستة . انتهى بالمعنى .

(٦) ومن طريق جدة ، منقطع الاعشاش، وقال الماوردى : منقطع العشائر على عشرة اميال . كذا قاله الازرقى ، والماوردى ، والنووى ، والقسطلانى والفاسى الا انه قال : ثمانية عشر ميلا - على ماذكره الباجى فى مقدار المسافة بين مكة والحديبية .

وقال القسطلانى : وقد نظم ذلك بعضهم فقال :

وللحرم التحديد من ارض طيبة ... ثلاثة اميال اذا رمت اتقانه
وسبعة اميال عراق وطائف ... وجدة عشر ثم تسع جعرانة

وزاد ابو الفضل النويرى هنا بيتين ، فقال :

ومن يمن سبع بتقديم سينها ... فسل ربك الوهاب يرزقك غفرانه
وقد زيد فى حد الطائف اربع ... ولم يرض جمهور لذا القول رجحانه

قدر مساحة الحرم .

قال : وقال ابن سراقة فى كتابه الاعداد : والحرم فى الارض موضع واحد وهو مكة وما حولها . ومسافة ذلك ستة عشر ميلا فى مثلها . وذلك بريد واحد وثلث فى بريد واحد ، وثلث على الترتيب.[1]

اول من نصب انصاب الحرم .

اول من نصب حدود الحرم ابراهيم عليه السلام ، ثم ان قريشا قلعوها فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام فقال : اشتد عليك يامحمد ؟ قال : نعم قال : اما انهم سيعيدونها ، فرأى رجل منهم فى المنام قائلا يقول : حرم اعزكم الله تعالى به فنزعتم انصابه ، الأن تتخطفكم العرب ، فاصبحوا يتحدثون بذلك فى مجالسهم ، فاعادوها فجاء جبريل عليه السلام فقال : يامحمد ، قد اعادوها ، قال : افأصابوا ياجبريل ؟ قال : ماوضعوا منها نصبا الا بيد ملك .

(١) انظر اخبار مكة (٢ : ١٣٠) ، القسطلانى (٣ : ١٥٠-١٥١) ، الاحكام السلطانية (ص ١٦٤) ، شفاء الغرام (١ : ٥٧) ، الايضاح (ص٢٠٢) .

ومن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : نصب ابراهيم انصاب الحرم يريه جبريل عليه السلام ، ثم لم تحرك حتى كان قصي فجددها ، ثم لم تحرك حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عام الفتح تميم بن اسيد الخزاعي ، فجددها ، ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب ، فبعث اربعة من قريش فجددوها وهم مخرمة بن نوفل ، وسعيد بن يربوع ، وحويطب بن عبد العزى ، وازهر بن عبد عوف ، ثم جددها معاوية ، ثم امر عبد الملك بتجديدها[1].

والى هذا القدر ذكره الازرقي والنووي ، والبيهقي والقسطلاني .

وزاد في حاشية اخبار مكة انه جددها المقتدر بالله العباسي ، وان العلمين اللذين امر بعمارتهما المظفر من جهة عرفة جددهما السلطان احمد الاول العثماني عام ١٠٢٣ .

وزاد الفاسي بقوله : وقيل نصبها اسماعيل عليه السلام بعد ابيه الخليل . قال : وهذا يروى عن ابن عباس ذكره عنه الفاكهي وغيره . قال وقيل ان عدنان بن اد اول من وضع انصاب الحرم حين خاف ان يدرس الحرم ذكره الزبير بن بكار .

قال : ثم نصبها المهدي العباسي بعد عبد الملك بن مروان . ثم امر الراضي العباسي بعمارة العلمين الكبيرين اللذين بالتنعيم في سنة ٣٢٥هـ واسمه عليهما مكتوب . ثم امر المظفر صاحب اربل بعمارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة في سنة ٦٢٦ ثم الملك المظفر صاحب اليمن في سنة ٦٨٣ .

قال : ولم يذكر الازرقي القول بتنصيب اسماعيل عليه السلام انصاب الحرم ، ولا نصب عدنان ولا نصب المهدي لهما . ولا تاريخ السنة التي امر فيها عمر بذلك . وكان عمر امر عثمان بنصب ذلك في سنة ١٧هـ وامر عثمان بذلك في سنة ٢٦ على ما ذكره ابن الاثير فيها[2].

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٦٠٢) .
(٢) شفاء الغرام (١ : ٥٥) .

ذكر البيهقي في دلائل النبوة من طريق الزبير بن بكار عن ابن عباس ان اسماعيل عليه السلام جدد انصاب الحرم [1].

وقد ذكر في سبب تحديد الحرم واختلاف حدوده اربعة اوجه على ما قاله المحب الطبري :

احدها - ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما هبط آدم عليه السلام خر ساجدا معتذرا فارسل الله عز وجل اليه جبريل بعد اربعين سنة فقال : ارفع رأسك فقد قبلت توبتك . فقال يارب : انما اتلهف على ما فاتني من الطواف بعرشك مع ملائكتك ، فاوحى الله عز وجل اليه ، اني سأنزل اليك بيتا اجعله قبلة فاهبط الله تعالى البيت المعمور ، وكان ياقوته حمراء تلتهب التهابا وله بابان - شرقي وغربي ، قد نظمت حيطانه بكواكب بيض من ياقوت الجنة ، فلما استقر البيت في الارض اضاء نوره ما بين الشرق والغرب ، فنفرت لذلك الجن والشياطين وفزعوا ، فرقوا في الجو ينظرون من اين ذلك النور ، فلما رأوه من مكة اقبلوا يريدون الاقتراب اليه فارسل الله تعالى ملائكة ، فقاموا حوالى الحرم في مكان الاعلام اليوم ، فمنعتهم ، فمن ثم ابتدأ اسم الحرم . ذكره القسطلاني ايضا .

والوجه الثاني : ما رواه وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما نزل الى الارض اشتد بكاؤه ، فوضع الله له خيمة بمكة موضع الكعبة ، وكانت الخيمة ياقوتة حمراء من الجنة ، وفيها ثلاثة قناديل ، فيها نور يلتهب من الجنة ، وكان ضوء النور ينتهي الى مواضع الحرم ، وحرس الله تعالى تلك الخيمة بملائكة فكانوا يقفون على مواضع انصاب الحرم ، يحرسونه ويذودون عنه سكان الارض من الجن فلما قبض الله تعالى آدم رفعها اليه .

الثالث : روى ان ابراهيم عليه السلام لما بنى البيت قال لاسماعيل ابغني حجرا اجعله للناس آية فذهب اسماعيل ورجع ولم يأته بشيء ، ووجد الركن عنده ، فقال : من اين لك هذا ؟ فقال : جاء به من لم يكلني الى حجرك

---

(١) دلائل النبوة (١ : ٣٣٥) .

جاء به جبريل . فوضعه ابراهيم فى موضعه هذا . فانار شرقا وغربا ويمنا وشاما فحرم الله الحرم حيث انتهى اليه نور الركن واشراقه من كل جانب . وذكره القسطلانى والازرقى ايضا[1].

الرابع : ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض خاف على نفسه من الشياطين ، فاستعاذ بالله ، فارسل الله تعالى ملائكة حفوا بمكة من كل جانب ووقفوا حواليها ، فحرم الله تعالى الحرم حيث وقفت الملائكة - ذكره الفاسى والازرقى ايضا .

قال عبدالله بن عمر: والحرم حرام الى السماء السابعة .

وقال عطاء : كانوا يرون ان العرش على الحرم .

وزاد الفاسي سببا آخر فيقول : وقيل لان الله سبحانه وتعالى حين قال للسموات والارض : ائتيا طوعا او كرها ، قالتا آتينا طائعين ، لم يجبه بهذه المقالة من الارض الا ارض الحرم ، ولذلك حرمها . وقال : ذكر هذا القول السهيلى[2].

وهذه اقوال العلماء فى سبب تحريم الحرم ، ليس لها دليل يعتمد عليه .

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٦٠٣-٦٠٤) .
(٢) شفاء الغرام للفاسى (١: ٥٤ - ٥٥) ، اخبار مكة للازرقى (٢: ١٢٧) .

الفصل الثالث

في بيان بدء تأمين الحرم

متى صار الحرم آمنا ؟

اختلف اهل العلم في حرم مكة متى صار حرما آمنا . فذهب طائفة منهم الى انه صار حرما آمنا بسؤال ابراهيم الخليل عليه السلام وكان حلالا قبل ذلك ، وذلك بحديث عبدالله بن زيد بن عاصم . رواه الامام مسلم في صحيحه بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان ابراهيم حرم مكة ودعا لاهلها . الحديث . وبما رواه عن جابر رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة مابين لابتيها . الحديث

وذهبت طائفة الى انه مازال حرما آمنا منذ خلق الله السموات والارض ، بما رواه الامام البخاري عن ابن عباس : ان هذا بلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض . . الحديث

ويقول الامام النووي : وبه قال الاكثرون واجابوا عن الحديث الاول بأن تحريمها كان ثابتا من يوم خلق السموات والارض ثم خفي تحريمها واستمر خفاؤه الى زمن ابراهيم فاظهره واشاعه ، لا انه ابتدأه .[1]

وقال القاضي الماوردي فيها : انها لم تزل حرما آمنا بسؤال ابراهيم عليه السلام من الجبابرة والمسلطين ومن الخوف والزلازل وانما سأل ابراهيم عليه السلام ربه سبحانه وتعالى ان يجعله حرما آمنا من الجدب والقحط وان يرزق اهله من الثمرات .[2]

وقال الحافظ ابن حجر : لان المعنى ان ابراهيم حرم مكة بامر الله تعالى لا باجتهاده . او ان الله قضى يوم خلق السموات والارض ان ابراهيم

---

(١) مسلم (٩ : ١٢٤ - ١٣٤) .
(٢) الاحكام السلطانية (ص ١٦٥) .

سيحرم مكة . اوالمعنى ان ابراهيم اول من اظهر تحريمها بين الناس وكانت قبل ذلك حراما عند الله . او اول من اظهره بعد الطوفان .

قال : وقال القرطبي : معناه ان الله حرم مكة ابتداء من غير سبب ينسب لاحد ،ولا لاحد فيه مدخل .

اوالمراد : انها من محرمات الله فيجب امتثال ذلك وليس من محرمات الناس يعني في الجاهلية كما حرموا اشياء من عند انفسهم فلا يسوغ الاجتهاد في تركه[1] .

قال الزركشي : وقال الطحاوي : انه الصواب، وبه تجتمع الاحاديث وقد حصن الله بيته من اصحاب الفيل فلم يجدوا اليه سبيلا .

اقول : ولاجل هذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول بين الناس: قل انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء .وامرت ان اكون من المسلمين . (النمل) . وهذه الاية تشير الى انها كانت حرما آمنا من يوم خلق السموات والارض كما هو واضح في حديث ابن عباس وابي شريح العدوي . وسيأتي فيما بعد .

---

(١) فتح (٤:٤١٤) .

الفصل الرابع

في بيان احكام الحرم وخصائصه

هناك احكام وخصوصيات تتعلق بالحرم وارضه تبرز عند التأمل في الايات والاحاديث المتعلقة به . يقول القاضي الماوردي : والذي يختص به الحرم من الاحكام التي تباين بها سائر البلاد خمسة أحكام :

احدها : ان الحرم لا يدخله محل .

الثاني : ان لا يحارب أهلها .

الثالث : تحريم صيده على المحرمين والمحلين من أهل الحرم .

الرابع : يحرم قطع شجره الذي انبته الله تعالى .

الخامس: منع دخوله لجميع من خالف دين الاسلام من ذمي او معاهد.(١)

وتوجد اكثر من هذا العدد الذي ذكره الماوردي .

وان الاحاديث التي وردت في هذه الخصوصية رواها الامام البخاري عن ابن عباس وابي شريح الخزاعي وكذلك الامام مسلم عنهما وعن ابي هريرة رضي الله عنهم .

فقال الامام البخاري تحت باب لا يعضد شجر الحرم : حدثنا قتيبة : حدثنا الليث عن سعيد بن ابي سعيد المقبري ، عن ابي شريح العدوي انه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة : ائذن لي ايها الامير احدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح ، فسمعته اذناي ، ووعاه قلبي ، وابصرته عيناي حين تكلم به . انه حمد الله واثنى عليه ثم قال : ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة . فان احد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له : ان الله اذن لرسوله صلى الله عليه

---

(١) الاحكام السلطانية (ص ١٦٦) .

وسلم ولم يأذن لكم . وانما اذن لى ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس . وليبلغ الشاهد الغائب . الحديث

ثم روى بسنده تحت باب لا ينفر صيد الحرم . من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله حرم مكة فلم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى . وانما احلت لى ساعة من نهار لا يختلى خلاها ، ولا يعضد شجرها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها الا لمعرف . الحديث

ثم قال تحت باب : لا يحل القتال بمكة . وكان حق هذا الباب ان يقدم كما قدمه النبى صلى الله عليه وسلم فى الذكر كما مر آنفا فى حديث ابى شريح العدوى قال : وقال ابو شريح رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : لا يسفك بها دم .

ثم روى بسنده عن طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم افتتح مكة : لا هجرة ولكن جهاد ونية . واذا استنفرتم فانفروا . فان هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والارض ، وهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة . وانه لا يحل القتال فيه لاحد قبلى ، ولم يحل لى الا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمته الى يوم القيامة . الحديث[1]

وروى الامام مسلم بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : لما فتح الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قام فى الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لن تحل لاحد كان قبلى وانها احلت لى ساعة من نهار وانها لن تحل لاحد بعدى . فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد الحديث[2] .

---

(١) فتح (٤ : ٤١٣ - ٤٢٠) .

(٢) مسلم (٩ : ١٢٨) .

فأول حكم يخص به الحرم هو وجوب الاحرام كما قال القاضي الماوردي :

ان الحرم لا يدخله محل قدم اليه حتى يحرم لدخوله اما بحج او بعمرة يتحلل بها من احرامه . وقال ابو حنيفة يجوز ان يدخلها المحل اذا لم يرد حجا او عمرة (لعله خلاف المذهب) وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة عام الفتح حلالا : احلت لي ساعة من نهار، ولم تحل لاحد بعدى . مما يدل على وجوب الاحرام على داخلها . الا ان يكون ممن يكثر الدخول اليها لمنافع اهلها كالحطابين والسقايين الذين يخرجون منها غدوة ويعودون اليها عشية . فيجوز لهم دخولها محلين لدخول المشقة عليهم في الاحرام كلما دخلوا . فان علماء مكة اقروهم على دخولها محلين فخالفوا حكم من عداهم .(١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في هذه المسألة : وليس لاحد ان يجاوز الميقات اذا اراد الحج او العمرة الا باحرام . وان قصد مكة للتجارة او الزيارة فينبغي له ان يحرم . وفي الوجوب نزاع .(٢)

وقال الحافظ ابن القيم في هذا الموضوع :

وفيها جواز دخول مكة للقتال المباح بغير احرام، كما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون . وهذا لا خلاف فيه . ولا خلاف انه لا يدخلها من اراد الحج او العمرة الا باحرام .

واختلف فيما سوى ذلك اذا لم يكن الدخول لحاجة متكررة - كالحشاش والحطاب - على ثلاثة اقوال :

احدها : لا يجوز دخولها الا باحرام - وهذا مذهب ابن عباس واحمد في ظاهر مذهبه والشافعي في احد اقواله .

والثاني : انه كالحشاش والحطاب، فيدخلها بغير احرام . وهذا هو القول الاخر للشافعي ، ورواية عن احمد .

---

(١) الاحكام السلطانية (ص ١٦٦) .

(٢) فتاوى شيخ الاسلام (٢٦ : ١٠٠) .

والثالث : انه ان كان داخل المواقيت، جاز دخوله بغير احرام . وان كان خارج المواقيت لم يدخل الا باحرام . وهذا مذهب ابى حنيفة .[١]

وقال الزركشى : من قصد مكة لغير النسك، وكذلك من قصد الحرم - كما قاله النووى، ونقل اتفاق الاصحاب عليه فان كان لا يتكرر دخوله كالتاجر والرسول والمكى العائد من سفره، ففى وجوب احرامه بنسك قولان :

احدهما عند المسعودى وغيره وجوبه للاطباق على فعله . وبه قال ابن عباس، وصححه النووى فى نكت التنبيه . وقال فى البيان انه الاشهر .

وللعلماء فى هذه المسألة ثلاثة اقوال : النفى والاثبات . والتفصيل بين من هو داخل المواقيت ومن هو قبلها . فمن كان قبلها لا يجاوزها الا باحرام . ومن هو داخلها فله حكم اهل مكة - وهذا قول ابى حنيفة والقولان الاولان للشافعى واحمد .

وبالمناسبة اضيف الى هذا ماقاله الحافظ ابن حجر فى الموضوع ذاته عندما شرح باب دخول الحرم ومكة بغير احرام، ودخل ابن عمر، واما امر النبى صلى الله عليه وسلم بالاهلال لمن اراد الحج والعمرة، ولم يذكر الحطابين وغيرهم .

قال : وقد اختلف العلماء فى هذا . فالمشهور من مذهب الشافعى عدم الوجوب مطلقا، وفى قول : يجب مطلقا . وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب . واولى بعدم الوجوب . والمشهور من الائمة الثلاثة : الوجوب . وفى رواية عن كل منهم لا يجب . وهو قول ابن عمر والزهرى والحسن واهل الظاهر .

وجزم الحنابلة باستثناء ذوى الحاجات المتكررة . واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات . وزعم ابن عبد البر ان اكثر الصحابة على القول بالوجوب .[٢]

وقال عندما تكلم على حديث ابن عباس فى تحريم مكة الى يوم القيامة واستدل به على اشتراط الاحرام على من دخل الحرم قال : قال القرطبى

---

(١) زاد المعاد (٢ : ٤٠٩) .
(٢) فتح (٤ : ٤٣٠) .

معنى قوله : حرمه الله ،اى يحرم على غير المحرم دخوله حتى يحرم . ويجرى هذا مجرى قوله تعالى " حرمت عليكم امهاتكم " اى وطؤهن . وحرمت عليكم الميتة - اى اكلها . فعرف الاستعمال يدل على تعيين المحذوف . قال وقد دل على صحة هذا المعنى اعتذاره صلى الله عليه وسلم عن دخوله مكة غير محرم مقاتلا بقوله : لم تحل لى الا ساعة من نهار ،الحديث . قال : وبهذا اخذ مالك والشافعى فى احد قوليهما ومن تبعهما فى ذلك فقالوا : لا يجوز لاحد أن يدخل مكة الا محرما الا اذا كان من يكثر التكرار[1].

وقال ابن حزم : دخول مكة بلا احرام جائز . لان النبى صلى الله عليه وسلم انما جعل المواقيت لمن مر بهن يريد حجا اوعمرة . ولم يجعلها لمن لم يرد حجا او عمرة ، فلم يأمر الله تعالى قط ولا رسوله عليه السلام بان لا يدخل مكة الا باحرام . فهو الزام مالم يأت فى الشرع الزامه .

قال : وروينا عن ابن عباس : لا يدخل احد مكة الا محرما ،وعن ابن عمر انه رجع من بعض الطريق ،فدخل مكة غير محرم . وعن ابن شهاب : لا بأس بدخول مكة بغير احرام .

وقال ابو حنيفة : اما من كان منزله بحيث يكون الميقات بينه وبينها فلا يدخلها الا باحرام بعمرة او حجة واما من كان منزله بين الميقات ومكة او كان من اهل الميقات فله دخول مكة بلا احرام .

وقال مالك : لا يدخل مكة احد الا باحرام ،الا من اختلف من الطائف وعسفان بالحطب والفاكهة فله دخولها بلا احرام . والا العبيد فلهم دخولها بلااحرام . والا من خرج منها ثم رجع من قرب فله دخولها بلا احرام .

وقال الشافعى : لا يدخلها احد الا باحرام[2].

والحكم الثانى كما ذكره الماوردى : يحرم القتال بمكة لقوله عليه

---

(١) فتح (٤ : ٤١٩) .

(٢) محلى (٧ : ٢٦٦ - ٢٦٧) .

الصلاة والسلام : أنها لم تحل لى الا ساعة من نهار، (ورواية البخارى كما مر آنفا ؛ ولم يحل لى - اى الحرم) . ان الكفار والبغاة لو تحصنوا بغيرها جاز قتالهم على اى وجه وبكل شئ . ولو تحصنوا بها لم يجز قتالهم بما يعم كالمنجنيق وغيره . وقد نص الشافعى فى الام كما سيأتى .

وذهب جماعة من العلماء الى تحريم قتال البغاة فيه ، بل يضيق عليهم ان يخرجوا او يفيئوا . وقال الماوردى فى الاحكام السلطانية : من خصائص الحرم الا يحارب اهله وان بغوا على اهل العدل . فقال بعض الفقهاء يحرم قتالهم ، بل يضيق عليهم حتى يرجعوا الى الطاعة ويدخلوا فى احكام اهل العدل . قال : وقال جمهور الفقهاء : يقاتلون على بغيهم اذا لم يمكن ردهم عن البغى الا بالقتال . لان قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى لا يجوز اضاعتها ، فحفظها فى الحرم اولى من اضاعتها . انتهى[1]

وما نقله عن الجمهور نص عليه الشافعى فى كتاب اختلاف الحديث . وفى سير الواقدى من الام واجاب عن الاحاديث الواردة فى تحريم القتال : بأن معناها تحريم نصب القتال عليهم وقتالهم بما يعم كالمنجنيق . وقال الشيخ ابو الفتح القشيرى : ان الاحاديث الواردة فى التحريم انما لاظهار حرمة البقعة .

الثالث : يحرم قطع شجره . وقد جعله الماوردى فى الرابع . وقدمته لانه ورد فى الحديث النبوى اولا اى قبل ذكر تحريم الصيد فى الحرم .

فقوله عليه الصلاة والسلام : لا يعضد شوكه . وفى رواية : لا يعضد بها شجرة . وفى رواية : لا يختلى شوكها . وفى رواية : لا يخبط شوكها . قال النووى : قال اهل اللغة : العضد : القطع . ويختلى : يؤخذ ويقطع ويخبط يضرب بالعصا ونحوها ليسقط ورقه .

قال : واتفق العلماء على تحريم قطع اشجارها التى لا يستنبتها

---

(١) الاحكام السلطانية (ص ١٦٦) .

الادميون فى العادة وعلى تحريم قطع خلاها واختلفوا فيما ينبته الادميون واختلفوا فى ضمان الشجر اذا قطعه . فقال مالك يأثم ولا فدية عليه . وقال الشافعى وابو حنيفة عليه الفدية . واختلفا فيها فقال الشافعى فى الشجرة الكبيرة بقرة وفى الصغيرة شاة وكذا جاء من ابن عباس وابن الزبير وبه قال احمد . وقال ابو حنيفة : الواجب فى الجميع القيمة[1].

وقال القاضى الماوردى : ولا يحرم قطع ماغرسه الادميون كما لا يحرم فيه ذبح الانيس من الحيوان .

قال : والغصن الذى يسقطه من ضمان اصله . ولا يكون ما استخلف بعد قطع الاصل مسقطا لضمان الاصل[2].

ويقول الحافظ ابن القيم : لا خلاف بينهم : ان الشجر البرى الذى لم ينبته الادمى على اختلاف انواعه مراد من هذا اللفظ . واختلفوا فيما انبته الادمى من الشجر فى الحرم على ثلاثة اقوال وهى فى مذهب احمد .

احدها : ان له قلعه ، ولا ضمان عليه . وهذا اختيار ابن عقيل وابى الخطاب وغيرهما .

والثانى : انه ليس له قلعه . وان فعل ففيه الجزاء بكل حال . وهو قول الشافعى . وهو الذى ذكره ابن البناء فى خصاله .

والثالث : الفرق بين ما انبته فى الحل ثم غرسه فى الحرم ، وبين ما انبته فى الحرم اولا . فالاول : لا جزاء فيه . والثانى : لا يقلع ، وفيه الجزاء بكل حال . وهذا قول القاضى .

وفيه قول رابع : وهو الفرق بين ما ينبت الادمى جنسه كاللوز والجوز والنخل ونحوه ، وما لا ينبت الادمى جنسه كالدوح والسلم وغيره . فالاول : يجوز قلعه ، ولا جزاء فيه . والثانى : لا يجوز ، وفيه الجزاء .

قال : وقال صاحب المغنى : والاولى الاخذ بعموم الحديث فى تحريم

---

(١) مسلم (٩ : ١٢٥) .
(٢) الاحكام السلطانية (ص ١٦٧) .

الشجر كله . الا ما انبته الادمي من جنس شجرهم بالقياس على ما انبتوه من الزرع، والاهلي من الحيوان . فاننا انما اخرجنا من الصيد ماكان اهله انسيا دون ما يأنس من الوحشي كذا ههنا .

وهذا تصريح منه باختيار هذا القول الرابع . فصار في مذهب احمد اربعة اقوال . والحديث ظاهر جدا في تحريم قطع الشوك والعوسج .

وقال الشافعي : لا يحرم قطعه، لانه يؤذي الناس بطبعه، فاشبه السباع وهذا اختيار ابي الخطاب وابن عقيل وهو مروي عن عطاء ومجاهد وغيرهما وقوله عليه السلام : لا يعضد شوكها، وفي اللفظ الاخر : لا يختلى شوكها صريح في المنع . ولا يصح قياسه على السباع العادية . فان تلك تقصد بطبعها الاذى، وهذا لا يؤذي من لم يدن منه .

قال : وقوله في اللفظ الاخر : ولا يخبط شوكها صريح او كالصريح في تحريم قطع الورق . وهذا مذهب احمد وقال الشافعي : له اخذه . ويروى عن عطاء . والاول اصح لظاهر النص والقياس . فان منزلته من الشجرة منزلة ريش الطائر منه . وايضا : فان اخذ الورق ذريعة الى يبس الاغصان، فانه لباسها ووقايتها[1].

الرابع : تحريم صيد الحرم : من قوله عليه الصلاة والسلام : " ولا ينفر صيده" .

يقول الامام النووي : واما صيد الحرم، فحرام بالاجماع على الحلال والمحرم . فان قتله فعليه الجزاء عند العلماء كافة الا داود الظاهري، فقال يأثم ولا جزاء عليه . ولو دخل صيد من الحل الى الحرم فله ذبحه واكله وسائر انواع التصرف فيه - هذا مذهبنا ومذهب مالك وداود . وقال ابو حنيفة واحمد لا يجوز ذبحه ولا التصرف فيه، بل يلزمه ارساله . قالا : فان ادخله مذبوحا جاز اكله وقاسوه على المحرم[2].

---

(١) زاد المعاد (٢ : ٤٢٥ وما بعدها) .
(٢) مسلم (٩ : ١٢٥) .

وقال القاضي الماوردي : فان تلف في بيده ضمنه بالجزاء كالمحرم وهكذا لو رمى من الحرم صيدا في الحل ضمنه لانه قاتل في الحرم . وهكذا لو رمى من الحل صيدا في الحرم ضمنه لانه مقتول في الحرم . ولو صيد في الحل ثم ادخل الحرم كان حلالا له عند الشافعي رحمه الله . وحراما عليه عند ابي حنيفة . ولا يحرم قتل ماكان مؤذيا من السباع وحشرات الارض.[١]

وقال الحافظ ابن القيم : وقوله صلى الله عليه وسلم : لا ينفر صيدها صريح في تحريم التسبب الى قتل الصيد واصطياده بكل سبب، حتى انه لا ينفر عن مكانه، لانه حيوان محترم في هذا المكان، قد سبق الى مكان، فهو احق به، ففي هذا ان الحيوان المحترم اذا سبق الى مكان لم يزعج عنه[٢] . ا.هـ

وقال النووي : قوله صلى الله عليه وسلم : ولا ينفر صيده . تصريح بتحريم التنفير، وهو الازعاج وتنحيته من موضعه . فان نفره عصى، سواء تلف ام لا . لكن ان تلف في نفاره قبل سكون نفاره ضمنه المنفر، والا فلا ضمان .

قال العلماء : نبه صلى الله عليه وسلم بالتنفير على الاتلاف ونحوه لانه اذا حرم التنفير فالاتلاف اولى[٣] . ا.هـ

تأكيد النهي كقوله تعالى : " لا تقربوا مال اليتيم " وقوله " فلا تقل لهما اف " . بفحوى الخطاب . اى اذا كان الشيء الحقير منهيا عنه فما هو اكبر منه واخطر يكون منهيا عنه بطريق اولى .

الخامس : كما ذكره الماوردي : انه ليس لجميع من خالف دين الاسلام من ذمي او معاهد ان يدخل الحرم، لا مقيما فيه ولا مارا به . وهذا مذهب الشافعي رحمه الله واكثر الفقهاء . وجوز ابو حنيفة دخولهم اليه اذا لم يستوطنوه .

وفي قوله تعالى " انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد

---

(١) الاحكام السلطانية (ص ١٦٧) .
(٢) زاد المعاد (٢ : ٤٢٨) .
(٣) مسلم (٩ : ١٢٦) .

عامهم هذا" . نص يمنع ماعداه . فان دخله مشرك عزر، ان دخله بغير اذن ولم يستبح قتله . وان دخله باذن لم يعزر وانكر على الآذن له ، وعزر ان اقتضت حاله التعزير واخرج منه المشرك آمنا .

واذا اراد مشرك دخول الحرم ليسلم فيه منع منه حتى يسلم قبل دخوله واذا مات مشرك فى الحرم حرم دفنه فيه ودفن فى الحل ، فان دفن فى الحرم نقل الى الحل الا ان يكون قد بلى فيترك فيه كما تركت اموات الجاهلية . واما سائر المساجد فيجوز ان يؤذن لهم فى دخولها مالم يقصد بالدخول استبذالها باكل او نوم فيمنعوا . وقال مالك : لا يجوز ان يؤذن لهم فى دخولها بحال(1) . ا.هـ

السادس : تحريم لقطته لقوله عليه الصلاة والسلام : ولا تلتقط لقطتها الا لمعرف . وفى رواية : الا لمنشد .

يقول النووى : ومعنى الحديث : لا تحل لقطتها لمن يريد ان يعرفها سنة ثم يتملكها كما فى باقى البلاد بل لا تحل الا لمن يعرفها ابدا ولا يتملكها وبهذا قال الشافعى وعبدالرحمن بن مهدى وابو عبيد وغيرهم . وقال مالك يجوز تملكها بعد تعرفها سنة كما فى سائر البلاد . وبه قال بعض اصحاب الشافعى . ويتأولون الحديث تأويلات ضعيفة . ا.هـ

يقول الحافظ ابن القيم فى هذه المسألة : فيه دليل على ان لقطة الحرم لا تملك بحال . وانها لا تلتقط الا للتعريف، لا للتمليك والا لم يكن لتخصيص مكة بذلك فائدة اصلا .

وقد اختلف فى ذلك ـ فقال مالك وابو حنيفة : لقطة الحل والحرم سواء وهذا احدى الروايتين عن احمد ، واحد قولى الشافعى . ويروى عن ابن عمر وابن عباس وعائشة .

وقال احمد فى الرواية الاخرى ، والشافعى فى القول الاخر : لا يجوز التقاطها للتمليك ، وانما يجوز لحفظها لصاحبها فان التقطها عرفها ابدا

---

(1) الاحكام السلطانية (ص ١٦٧) .

حتى يأتي صاحبها . وهذا قول عبدالرحمن بن مهدى وابى عبيد - وهذا هو الصحيح والحديث صريح فيه .

وقد روى ابو داود فى سننه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن لقطة الحاج . وقال ابن وهب : يعنى يتركها حتى يجدها صاحبها . قال شيخنا : وهذا من خصائص مكة، والفرق بينها وبين سائر الافاق فى ذلك ان الناس يتفرقون عنها الى الاقطار المختلفة، فلا يتمكن صاحب الضالة من طلبها والسؤال عنها بخلاف غيرها من البلاد[1].

التحقيق : المنشد هو المعرف . واما طالبها فيقال له : ناشد، واصل النشد والانشاد رفع الصوت . واللقطة : بفتح القاف على اللغة المشهورة وقيل باسكانها وهى الملقوط[2].

السابع : تحريم قطع العشب لقوله عليه السلام : " ولا يختلى خلاها " .

قال الامام النووى : الخلا : بفتح الخاء المعجمة، مقصور هو الرطب من الكلأ . قالوا : الخلا والعشب اسم للرطب منه . والحشيش والهشيم اسم لليابس منه، والكلأ مهموز يقع على الرطب واليابس . وعد ابن مكى وغيره من لحن العوام اطلاقهم اسم الحشيش على الرطب . بل هو مختص باليابس[3].

يقول الحافظ ابن القيم : لا خلاف ان المراد من ذلك ماينبت بنفسه دون ماانبته الادميون . ولا يدخل اليابس فى الحديث . بل هو الرطب خاصة فان الخلا بالقصر : الحشيش الرطب مادام رطبا، فاذا يبس فهو حشيش واخلت الارض : كثر خلاها واختلاء الخلا قطعه . ومنه الحديث : كان ابن عمر يختلى لفرسه . ومنه : سميت المخلاة وهى وعاء الخلا . والاذخر مستثنى بالنص . وفى تخصيصه بالاستثناء دليل على ارادة العموم فيما سواه .

فان قيل : فهل يتناول الحديث الرعى، ام لا ؟

---

(١) زاد المعاد (٢ : ٤٢٨ - ٤٢٩) .
(٢) مسلم (٩ : ١٢٦ - ١٢٧) .
(٣) مسلم (٩ : ١٢٥) .

قيل : هذا فيه قولان ـ احدهما : لا يتناوله ،فيجوز الرعى . وهذا قول الشافعى . والثانى : يتناوله بمعناه ،وان لم يتناوله بلفظه . فلا يجوز الرعى . وهو مذهب ابى حنيفة والقولان لاصحاب احمد[١].

الثامن : لا يضرب الخراج على مزارع مكة .

يقول الحافظ ابن القيم : فاذا كانت مكة قد فتحت عنوة ،فهل يضرب الخراج على مزارعها كسائر ارض العنوة ؟ وهل يجوز لكم ان تفعلوا ذلك ،ام لا ؟

قيل : فى هذه المسألة قولان لاصحاب العنوة .

احدهما المنصوص المنصور الذى لا يجوز القول بغيره ـ انه لا خراج على مزارعها ،وان فتحت عنوة فانها اجل واعظم من ان يضرب عليها الخراج . لا سيما والخراج هو جزية الارض ،وهو على الارض كالجزية على الرؤوس . وحرم الرب تعالى اجل قدرا ،واكبر من ان تضرب عليه جزية ،ومكة بفتحها عادت الى ما وضعها الله عليه من كونها " حرما آمنا " يشترك فيه اهل الاسلام ،اذ هو موضع مناسكهم ومتعبدهم وقبلة اهل الارض .

والثانى : وهو قول بعض اصحاب احمد ان على مزارعها الخراج ،كما هو على مزارع غيرها من ارض العنوة . وهذا فاسد مخالف لنص احمد ومذهبه ولفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده . فلا التفات اليه . والله اعلم[٢].

قال : من صلى بالاجتهاد فاخطأ الى الحرم جاز . لان النبى صلى الله عليه وسلم قال : البيت قبلة لاهل المسجد ،والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل الارض ـ رواه البيهقى ،وقال : تفرد به عمر بن حفص وهو ضعيف ،لا يحتج به والحمل فيه عليه .

---

(١) زاد المعاد (٢ : ٤٢٧) .
(٢) زاد المعاد (٢ : ٤١٧ ومابعدها) .

قال اصحابنا : من توجه الى البيت وهو بعيد عنه بالاجتهاد فاخطأ الى الحرم جاز .

(١٠)* ان الدعاء فى حرم مكة مستجاب ، ففى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود : لما دعا النبى صلى الله عليه وسلم على قريش شق عليهم ، وكانوا يرون ان الدعوة فى تلك البلدة مستجابة .

وقال الحسن البصرى : الدعاء هناك مستجاب فى خمسة عشر موضعا فى الطواف ، وعند الملتزم ، وتحت الميزاب ، وفى عرفات ، والمزدلفة وعند الجمرات .

وقال الفاسى فى شفاء الغرام : عند الركن اليمانى ، وبين الصفا والمروة وبين الركن والمقام وفى جوف الكعبة .

وقال المحب الطبرى : عند الحجر الاسود ، وثبير الذى يلحقه منارة الفتح ، ومسجد الكبش ، ومسجد الخيف ، ومسجد النمرة وبطن منى .

ابن الجوزى : مسجد البيعة بمنى وغار المرسلات ، ومغارة الفتح .

(١١)* يستحب الغسل لدخول الحرم ، قاله ابو بكر الخفاف من قدماء اصحابنا فى كتاب الخصال .

(١٢)* العقاب على الهم فيه بالسيئات وان لم يفعلها . قال تعالى : (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) سورة الحج آية ٢٥ .

لهذا عدى فعل الارادة بالباء . ولا يقال : اردت بكذا لما ضمنه معنى يهم فانه يقال : هممت بكذا . وهذا مستثنى من قاعدة الهم بالسيئة وعدم فعلها . كل ذلك تعظيما لحرمته . وكذلك فعل الله باصحاب الفيل ، اهلكهم قبل الوصول الى بيته .

وقال احمد بن حنبل : لو ان رجلا هم ان يقتل فى الحرم اذاقه الله من العذاب الاليم ، ثم قرأ الاية المذكورة .

وقال ابن مسعود : مامن بلد يؤاخذ العبد فيه بالهم قبل الفعل الا مكة ، وتلا هذه الاية المذكورة .

اضيف الى هذا ماقاله الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الاية :

يقول بعد ذكر هذه الاية الكريمة : وهذا من خصوصية الحرم انه يعاقب البادى فيه الشر اذا كان عازما عليه وان لم يوقعه كما قال ابن ابى حاتم فى تفسيره حدثنا احمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون انبأنا شعبة عن السدى انه سمع مرة يحدث عن عبدالله يعنى ابن مسعود فى قوله : ومن يرد فيه بالحاد بظلم . قال : لو ان رجلا اراد فيه بالحاد بظلم وهو بعدن ابين لاذاقه الله من العذاب الاليم . قال شعبة هو رفعه لنا . وانا لا ارفعه لكم . قال يزيد : هو قد رفعه . ورواه احمد عن يزيد بن هارون به . قلت هذا الاسناد صحيح على شرط البخارى، ووقفه اشبه من رفعه . ولهذا صمم شعبة على وقفه من كلام ابن مسعود .

وكذلك رواه اسباط وسفيان الثورى عن السدى عن مرة عن ابن مسعود موقوفا . والله اعلم .

وقال الثورى عن السدى عن مرة عن عبدالله قال : ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه، ولو ان رجلا بعدن ابين هم ان يقتل رجلا بهذا البيت لاذاقه الله من العذاب الاليم . وكذا قال الضحاك بن مزاحم . وقال سفيان الثورى عن منصور عن مجاهد : الحاد فيه لا والله وبلى والله، وروى عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو مثله .

وقال سعيد بن جبير : شتم الخادم ظلم فما فوقه . وقال سفيان الثورى عن عبدالله بن عطاء عن ميمون بن مهران عن ابن عباس فى قوله : ومن يرد فيه بالحاد بظلم . قال : المحتكر بمكة، وكذا قال غير واحد .

وقال ابن ابى حاتم : حدثنا ابى حدثنا عبدالله بن اسحاق الجوهرى انبأنا ابو عاصم عن جعفر بن يحيى عن عمه عمارة بن ثوبان حدثنى موسى بن باذان عن يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احتكار الطعام بمكة الحاد .

وقال ابن ابى حاتم : حدثنا ابو زرعة حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا عطاء بن دينار حدثنى سعيد بن جبير قال : قال

ابن عباس فى قوله تعالى : ومن يرد فيه بالحاد بظلم . قال : نزلت فى عبدالله ابن انيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه مع رجلين احدهما مهاجر والاخر من الانصار فافتخرا فى الانساب فغضب عبدالله بن انيس فقتل الانصارى ثم ارتد عن الاسلام ثم هرب الى مكة فنزلت فيه : ومن يرد فيه بالحاد بظلم يعنى من لجأ الى الحرم بالحاد يعنى بميل عن الاسلام .

قال : وهذه الاثار وان دلت على ان هذه الاشياء من الالحاد ولكن هو اعم من ذلك بل فيها تنبيه على ما هو اغلظ منها . ولهذا لما هم اصحاب الفيل على تخريب البيت ارسل الله عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول . اى دمرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من اراده بسوء ولذلك ثبت فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يغزو هذا البيت جيش حتى اذا كانوا ببيداء من الارض خسف باولهم وآخرهم . الحديث

وقال الامام احمد حدثنا محمد كناسة حدثنا اسحاق بن سعيد عن ابيه قال : اتى عبدالله بن عمر عبدالله بن الزبير فقال : يا ابن الزبير، اياك والالحاد فى حرم الله ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انه سيلحد فيه رجل من قريش، لو توزن ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت . فانظر لا تكن هو .

وقال ايضا فى سند عبدالله بن عمرو بن العاص حدثنا هاشم حدثنا اسحاق بن سعيد حدثنا سعيد بن عمرو قال : اتى عبدالله بن عمر، عبدالله ابن الزبير وهو جالس فى الحجر فقال : يا ابن الزبير، اياك والالحاد فى الحرم فانى اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : يحلها ويحل به رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها ، قال : فانظر لا تكن هو .

قال : لم يخرجه احد من اصحاب الكتب من هذين الوجهين.[1]

(١٣) * يحرم نقل تراب الحرم واحجاره عنه ، وسواء فى ذلك تراب نفس مكة وما حواليها من جميع الحرم . هذا هو الاصح فى شرح المهذب للنووى . واورده

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٢١٤ - ٢١٥) .

الرافعي في باب محرمات الاحرام ، كراهية .

وعند الحنفية : انه لا بأس باخراج الاحجار وترابه . ونقله الشافعي في الام عن ابي حنيفة وهو المنقول عن عمرو ابن عباس ، لكنهما كرهاه . وقال احمد اذا اردت ان تستشفي بتراب الحرم فلا تأخذه ، لكن الصق عليه طينا من غير طين الحرم .

(١٤) * ان الشخص اذا مات واريد نقله الى بلد آخر قبل دفنه فانه يحرم على الاصح ، لا سيما اذا كان بمكة او المدينة او بيت المقدس ، لما فيه من تأخير دفنه وتعريضه لهتك حرمته ، بخلاف ما لو كان بقرب مكة او المدينة او بيت المقدس ، فان الماوردي حكى في الحاوي عن نص الشافعي : انه يختار نقله اليها لفضل الدفن بها .

فقد روى ابن عباس وانس : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : من مات في احد الحرمين بعث من الامنين يوم القيامة . وفي حاشية الكتاب اخرجه في مجمع الزوائد عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من مات في احد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الامنين . وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الغفور بن سعيد وهو متروك .

(١٥) * بيع اشجار الحرم حرام باطل . قال القفال : الا ان يقطع شيئا يسيرا للدواء فيجوز بيعه حينئذ . قال في الروضة : وفيما قاله نظر ، وينبغي الا يجوز كالطعام الذي ابيح له اكله ، لا يجوز له بيعه .

قال صاحب التلخيص : وحكم شجر النقيع حكم شجر الحرم في امتناع بيعه (النقيع : موضع تلقاء المدينة بينها وبين مكة على ثلاث مراحل من مكة) .

(١٦) * من حفر بئرا في الحرم في موضع يملكه فسقط فيها العبد ضمنه . نص عليه الشافعي في الام . كما نقله المرعشي في ترتيب الاقسام قال : وليس على من حفر بئرا في ملكه فسقط فيها ساقط ضمان ، الا في هذه المسألة .

(١٧) * حكى الماوردي وجهين في جواز الاستنجاء بحجارة الحرم ، وقال ظاهر المذهب سقوط الفرض بذلك مع تأثيمه .

(١٨) قال اصحابنا : لا يمكن الكافر من دخول مكة، سواء مساجدها وغيرها حتى لو جاء فى رسالة، لا يدخل بل يخرج اليه من يقضى الامر المتعلق به هذا هو المشهور .

قال الشافعى فى الام : ليس للامام ان يدع مشركا يطأ الحرم بحال من الحالات، طبيبا كان اوصانعا او بنيانا اوغيره . انتهى

وقال الخراسانيون : يجوز دخول الرسول الكافر لاداء الرسالة . قال العراقيون : لا يجوز .

قال الماوردى فى الحاوى : الكافر ان شرط عليه فى عقد جزيته الا يدخل مساجدنا فليس له دخولها . وان لم يشترط عليه ذلك، ففيه ثلاثة مذاهب :

احدها : وهو مذهب الشافعى انه يجوز لهم دخول مساجدنا باذننا الا الحرم ومساجده، فلا يجوزلهم دخوله .

الثانى : وهو قول ابى حنيفة : انه يجوز لهم دخول المساجد كلها فى الحرم وغيره .

الثالث : وهو قول مالك : انه يجوز لهم دخول الحرم ومساجده، الا المسجد الحرام خاصة .

ذكرها الزركشى فى كتابه اعلام الساجد باحكام المساجد، وبعضها زائد عما ذكره، وذكرت مصدرها .

(١٩) * تغليظ الدية على من قتل فى حرم مكة (ذكره النووى ايضا) وهو الذى لا يجوز دخوله بغير احرام، لقوله تعالى " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه " ولانه لما تغلظ بتحريم الصيد كان اولى ان تغلظ فيه نفوس الادميين . لان للحرم تأثيرا فى اثبات الامن .

واختلفوا فى قدر التغليظ فقال ابن المنذر : روينا عن عمر بن الخطاب انه قال : من قتل فى الحرم او فى الاشهر الحرم، فعليه الدية وثلث الدية وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء بن ابى رباح، وسليمان بن يسار، واحمد ابن حنبل وغيرهم .

وقال طائفة : التغليظ جاء في اسنان الابل ،لا الزيادة في العدد ،وبه قال طاؤس والشافعي ،قال : وممن كان لا يرى التغليظ الحسن البصري والشعبي والنخعي ،وبه نقول : وليس يثبت ماروى عن عمروعثمان وابن عباس في هذا الباب.

اما حرم المدينة ،فالاصح انه يتغلظ بالقتل فيه .

(٢٠) * يختص ذبح دماء الحيوانات في الحج والهدايا به . ويجب تفريقه على مساكن الحرم ،سواء الغرباء والقاطنون اولى . ولو ذبح في الحل لم يجزئه على الاظهر . وسواء في هذا كله دم التمتع والقرآن او دم الجنايات في الاحرام . وافضل الحرم للذبح في حق الحاج منى . وفي حق المعتمر المروة . لانهما محل تحللهما . وكذا حكم مايسوقانه من الهدى .[1]

---

(١) موزعة بين (ص ٨٤ - ٤١٠) اعلام الساجد باحكام المساجد .

الفصل الخامس

في بيان حكم استيفاء الحدود والقصاص في الحـــــرم

في هذا الموضوع اورد الشوكاني خمسة احاديث وهي :

عن انس : ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاءه رجل فقال : ابن خطل متعلق باستار الكعبة، فقال اقتلوه . رواه البخاري في باب دخول الحرم ومكة بغير احرام (١) .

وعن ابي هريرة قال : لما فتح الله على رسوله مكة قام في الناس فحمد الله واثنى عليه، ثم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمسلمين، وانها لم تحل لاحد قبلي، وانما احلت لي ساعة من نهار، وانها لا تحل لاحد بعدي . رواه مسلم

وعن ابي شريح الخزاعي انه قال لعمرو بن سعيد - وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لي ايها الامير احدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته اذناى ووعاه قلبي، وابصرته عيناي حين تكلم به : حمد الله واثنى عليه ثم قال : ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقولوا له : ان الله قد اذن لرسوله ولم يأذن لكم، وانما اذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس . فليبلغ الشاهد الغائب .

فقيل لابي شريح : ماذا قال لك عمرو ؟ قال : قال انا اعلم بذاك منك يا ابا شريح، ان الحرم لا يعيذ عاصيا، ولا فارا بدم، ولا فارا بخربة . رواه البخاري في باب لا يعضد شجر الحرم (٢) .

---

(١) فتح (٤ : ٤٣) .

(٢) فتح (٤ : ٤١) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والارض . فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ، ولم يحل لى الا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة . رواه البخارى فى باب لا يحل القتال بمكة[1] .

وعن عبد الله بن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان اعدى الناس على الله عز وجل من قتل فى الحرم ، او قتل غير قاتله ، او قتل بذحول الجاهلية . رواه احمد

وله من حديث ابى شريح الخزاعى نحوه . وقال ابن عمر : لو وجدت قاتل عمر فى الحرم ماهجته . وقال ابن عباس فى الذى يصيب حدا ثم يلجأ الى الحرم يقام عليه الحد اذا خرج من الحرم . حكاهما احمد فى رواية الاثرم .

ثم بدأ الشوكانى يشرحها فقال : استدل بحديث انس المذكور على ان الحرم لا يعصم من اقامة واجب ، ولا يؤخر لاجله عن وقته كذا قال الخطابى وقد ذهب الى ذلك مالك والشافعى ، وهو اختيار ابن المنذر . ويؤيد ذلك عموم الادلة القاضية باستيفاء الحدود فى كل زمان ومكان .

وذهب الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، والحنفية وسائر اهل العراق ، واحمد ومن وافقه من اهل الحديث ، والعترة الى انه لا يحل لاحد ان يسفك بالحرم دما ، ولا يقيم به حدا حتى يخرج عنه من لجأ اليه .

واستدلوا على ذلك بعموم حديث ابى هريرة وابى شريح وابن عباس وعبد الله بن عمر وعموم قوله تعالى " ومن دخله كان آمنا " وهو الحكم الثابت قبل الاسلام وبعده . فان الجاهلية كان يرى احدهم قاتل ابنه فلا يهيجه . وكذلك فى الاسلام - كما قال ابن عمر فى الاثر المذكور . وكما روى الامام احمد عن عمر بن الخطاب انه قال : لو وجدت فيه قاتل الخطاب ، ما مسسته حتى يخرج منه

---

(١) فتح (٤ : ٨ ٤) .

وهكذا روى عن ابن عباس انه قال : لو وجدت قاتل ابى فى الحرم ماهجته .

واما الاستدلال بحديث انس المذكور فوهم ، لان النبى صلى الله عليه وسلم امر بقتل ابن خطل فى الساعة التى احل الله له فيها القتال بمكة وقد اخبرنا بانها لم تحل لاحد قبله ، ولا لاحد بعده ، واخبرنا : ان حرمتها قد عادت بعد تلك الساعة ، كما كانت .

قال : واما الاستدلال بعموم الادلة القاضية باستيفاء الحدود - فيجاب اولا بمنع عمومها لكل مكان وكل زمان لعدم التصريح بهما . وعلى تسليم العموم فهو مخصص باحاديث الباب لانها قاضية بمنع ذلك فى مكان خاص ، وهى متأخرة فانها فى حجة الوداع بعد شرعية الحدود ، هذا اذا ارتكب مايوجب حدا او قصاصا فى خارج الحرم ثم لجأ اليه .

واما اذا ارتكب مايوجب حدا او قصاصا فى الحرم ، فذهب بعض العترة الى انه يخرج من الحرم ويقام عليه الحد . وروى احمد عن ابن عباس انه قال : من سرق او قتل فى الحرم اقيم عليه فى الحرم ، ويؤيد ذلك قوله تعالى " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم " ويؤيده ايضا ان الجانى فى الحرم هاتك لحرمته بخلاف الملتجىء اليه ، وايضا لو ترك الحد والقصاص على من فعل مايوجبه فى الحرم لعظم الفساد فى الحرم .

قال : وظاهر احاديث الباب المنع مطلقا من غير فرق بين اللاجىء الى الحرم والمرتكب لما يوجب حدا او قصاصا فى داخله ، وبين قتل النفس او قطع العضو . والاية التى فيها الاذن بمقاتلة من قاتل عند المسجد الحرام لا تدل الا على جواز المدافعة لمن قاتل حال المقاتلة كما يدل على ذلك التقييد بالشرط.(1)

وقال الحافظ ابن حجر عند شرح حديث ابن عباس فى حرمة مكة الى يوم القيامة فى باب : لا يحل القتال بمكة . يقول : واستدل به على تحريم القتل والقتال بالحرم ، فاما القتل فنقل بعضهم الاتفاق على جواز اقامة حد

---

(1) نيل الاوطار (٧ : ٤٥ - ٤٦) .

القتل فيها على من اوقعه فيها . وخص الخلاف بمن قتل فى الحل ثم لجأ الى الحرم ،وممن نقل الاجماع على ذلك ابن الجوزى واحتج بعضهم بقتل ابن خطل بها ،ولا حجة فيه ،لان ذلك كان فى الوقت الذى احلت فيه للنبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم .

وزعم ابن حزم ان مقتضى قول ابن عمر وابن عباس وغيرهما انه لا يجوز القتل فيها مطلقا . ونقل التفصيل عن مجاهد وعطاء . وقال ابوحنيفة: لا يقتل فى الحرم حتى يخرج الى الحل باختياره ،ولكن لا يجالس ولا يكلم ويوعظ ويذكر حتى يخرج . وقال ابو يوسف : يخرج مضطرا الى الحل ،وفعله ابن الزبير وروى ابن ابى شيبة من طريق طاوس عن ابن عباس : من اصاب حدا ثم دخل الحرم لم يجالس ولم يبايع .

وعن مالك والشافعى : يجوز اقامة الحد مطلقا فيها لان العاصى هتك حرمة نفسه ،فابطل ماجعل الله له من الامن .

قال الطبرى : من اتى حدا فى الحل واستجار بالحرم فللامام الجاؤه الى الخروج منه . وليس للامام ان ينصب عليه الحرب ،بل يحاصره ويضيق عليه حتى يذعن للطاعة لقوله صلى الله عليه وسلم : وانما احلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس . فعلم انها لا تحل لاحد بعده بالمعنى الذى احلت له به وهو محاربة اهلها والقتل فيها . ومال ابن العربى الى هذا .

وقال ابن المنير : قد اكد النبى صلى الله عليه وسلم التحريم بقوله حرمه الله ،ثم قال : فهو حرام بحرمة الله . ثم قال : ولم تحل لى الا ساعة من نهار ،وكان اذا اراد التأكيد ذكر الشىء ثلاثا . قال : فهذا نص لا يحتمل التأويل .

وقال القرطبى : ظاهر الحديث يقتضى تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالقتال عما ابيح له من ذلك مع ان اهل مكة كانوا اذ ذاك مستحقين للقتال والقتل لصدهم عن المسجد الحرام واخراجهم اهله منه ،وكفرهم . وهذا الذى فهمه ابو شريح كما تقدم .. وقال به غير واحد من اهل العلم .

وقال ابن دقيق العيد : يتأكد القول بالتحريم، بان الحديث دال على ان المأذون للنبي صلى الله عليه وسلم فيه لم يؤذن لغيره فيه . والذى وقع له انما هو مطلق القتال، لا القتال الخاص بما يعم كالمنجنيق، فكيف يسوغ التأويل المذكور وايضا فسياق الحديث يدل على أن التحريم لاظهار حرمة البقعة بتحريم سفك الدماء فيها وذلك لا يختص بما يستأصل.[1]

وقال النووى : اختلف العلماء فى اقامة الحدود واستيفاء القصاص فى الحرم . فقال الشافعى وآخرون : حكم الحرم فى هذا حكم غيره، فتقام فيه الحدود ويستوفى فيه القصاص سواء كانت الجناية فى الحرم او كانت فى الحل ثم التجأ الى الحرم .

وقال ابو حنيفة وآخرون : ان كانت الجناية فى الحرم استوفيت العقوبة فيه . وان كانت الجناية فى الحل ثم التجأ الى الحرم لم يستوف منه فيه ويلجأ الى الخروج منه، فاذا خرج اقيمت.[2] وقال المحب الطبرى :

وفى حديث ابى شريح حجة لمن قال : الحرم لا يعيذ عاصيا وان الحدود تقام فيه وهو قول مالك والشافعى . ويؤيده قول النبى صلى الله عليه وسلم فى ابن خطل : اقتلوه وكان قتله بعد دخول المسجد، وبعد قوله : من دخل المسجد فهو آمن، لانه كان ممن ارتد عن الاسلام وقتل مسلما كان يخدمه .

ويتأيد ايضا بامره صلى الله عليه وسلم لقتل الحية والعقرب واخواتهما ووجه الدلالة : انه اذا ابيح قتل هذا الحيوان مع ضعف اذاه، واستحقاقه القتل، فالقاتل عمدا عدوانا اولى .

وقال ابو حنيفة واصحابه بالفرق بين من اجترحها فيه، او خارجا منه فمن اجترحها فيه اقيم عليه . ومن اجترحها خارجا من الحرم وجب فيه اتلاف نفسه، ثم عاذ بالحرم، لا يقام عليه الحد، بل يضيق عليه فلا يخالط ولا يكلم ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج منه فيقام . وروى عن ابن عباس وعطاء نحوه

---

(١) فتح (٤ : ٤١٨ - ٤١٩) .
(٢) الايضاح (ص ٢٠٧) .

الا انهم لم يفرقوا بين النفس وغيرها .

ثم تكلم عن خصوصية تحليله له . فقال في الوجه الرابع - وهو اقواها واسلمها من الاعتراض - ان يريد تحريم القتل بها وكان مستحقا، حتى لو دخل كافر بغير امان او زان محصن او من قتل انسانا عمدا عدوانا لم يقتل بها بل يضيق عليه حتى يخرج . وهذا مذهب ابي حنيفة واحدى الروايتين عن احمد وقول بعض اصحاب مالك .

وكذلك القتال لا يكون بقتل، بل بالحصر والتضييق والمدافعة حتى يخرجوا منها ، ولا كذلك سائر البلاد - واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم . اى قتله ابن خطل وغيره . وقد عاذوا بالحرم . فيقال لهم : ان الله عز وجل اذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم فمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ان يقتدوا به في هذه الرخصة، وان يعد سببها تحقيقا لاختصاصه صلى الله عليه وسلم بهذه الرخصة . وما يحتج به المخالف مما تضمنه الحديث: ان الحرم لا يعيذ عاصيا . . الخ فذلك ليس من قوله صلى الله عليه وسلم انما هو من قول عمرو بن سعيد .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بان يتبع واحق . والله اعلم .

وقال : حجة من قال : لا يقام عليه الحد في الحرم . عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : من اصاب حدا، وفي رواية : من احدث حدثا في غير الحرم ثم دخل الحرم، فانه لا يجالس ولا يبايع ولا يؤوى ويأتيه الذى يطلبه فيقول : اى فلان اتق الله في دم فلان اخرج من الحرم . فاذا خرج منه اقيم عليه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال : لو وجدت قاتل عمر في الحرم ماهجته . وعن الحسن وعطاء قالا : اذا اصاب المحرم حدا اقيم عليه الا القتل فانه ينتظر به حتى يفرغ من حجه، ثم يقتل . اخرج الجميع سعيد بن منصور [1] .

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٥٩٠ - ٥٩٧) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

واما قوله تعالى : " ومن دخله كان آمنا " فهذا من باب البيت، كما قال : اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم.

فكانوا فى الجاهلية يقتل بعضهم بعضا خارج الحرم . فاذا دخلوا الحرم اولقى الرجل قاتل ابيه لم يهجه . وكان هذا من الايات التى جعلها فيه . كما قال : فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، والاسلام زاد حرمته .

فمذهب اكثر الفقهاء ان من اصاب حدا خارج الحرم ، ثم لجأ الى الحرم لم يقم عليه الحد حتى يخرج منه كما قال ابن عمر وابن عباس . وهو مذهب ابى حنيفة واحمد وغيرهما .

كما ثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما ، ويعضد بها شجرا وانها لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار ثم قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس .

وقال فى (ص ٢٠١ جزء ١٤) ان الله جعل الحرم بلدا آمنا قدرا وشرعا وهو مذهب ابى حنيفة واحمد وغيرهما واستدلوا بهذه الاية وبقول النبى صلى الله عليه وسلم .

ومعلوم ان الرسول انما ابيح له فيها دم من كان مباحا فى الحل . وقد بين ان ذلك ابيح له دون غيره .

والمراد بقوله : ومن دخله كان آمنا ، الحرم كله[(١)] .

وقال ابن حزم فى هذه المسألة :

ولا يحل ان يسفك فى حرم مكة دم بقصاص اصلا ، ولا ان يقام فيها حد ولا يسجن فيها احد ، فمن وجب عليه شىء من ذلك اخرج من الحرم واقيم عليه

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (١٤ : ٢٠٢) ، (١٨ : ٣٤٣) .

الحد لما ذكرنا من نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسفك بهـــــا دم . ولقول الله تعالى : مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا .

وهذا عموم لا يجوز ان يخص منه شيء . واما اخراج العاصى منه فلقـــول الله تعالى :أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . فتطهـــيره من العصاة واجب،وليس هذا فى حرم المدينة،لانه لم يأت بذلك نص . ولا يسمى ذبح الحيوان المتملك،ولا الحجامة ولا فتح العرق سفك دم .

روينا من طريق ابن عيينة : ارنا ابراهيم بن ميسرة ـ وكان ثقة مأمونـــا قال سمعت طاوسا يقول : سمعت ابن عباس يقول : من اصاب حدا ،ثم دخـل الحرم لم يجالس،ولم يبايع ـ وذكر كلها ـ وفيه فاذا خرج اقيم عليه الحد ،وهـو قول سعيد بن جبير والحكم بن عتيبة وهو قول عمر بن الخطاب . ومن طريـــق ابن جريج قال ابو الزبير : قال ابن عمر : لو وجدت فيه قاتل عمر ماندهتـــه يعنى حرم مكة . وقال ابن عباس : لو وجدت قاتل ابى فى الحرم ماعرضت له .

قال ابو محمد : فلم يخصوا من اصاب حدا فى الحرم ممن اصابــــه خارج الحرم،ثم لجأ الى الحرم .

وفرق عطاء ومجاهد بينهما . وروينا من طريق ابن الزبير انـــــه اخرج قوما من الحرم الى الحل فصلبهم . ومن طريق شعبة عن حماد بن ابـى سليمان فيمن قتل ثم لجأ الى الحرم قال : يخرج منه فيقتل .

وقال ابو حنيفة : تقام الحدود فى الحرم الا القتل وحده ،فانه لا يقـام فيه حد قتل ولا قود حتى يخرج باختياره . وقال ابو يوسف : يخرج فيقام عليـه حد القتــل .

قال على : تقسيم ابى حنيفة فاسد ،ومانعلم لمن اباح القتل فى الحـرم حجة اصلا ولا سلفا الا الحسن بن نمير ومن بعثه والحجاج ومن بعثه .(١)

وقال الزركشى فى خصوصية الحرم :

من وجب عليه حد او قتل بقصاص او رجم بالزنا وغيره فالتجأ الى الحــرم

---

(١) المحلى (٧ : ٢٦٢) .

ففيه للعلماء ثلاثة اقوال :

احدها : انه آمن مادام فى الحرم ،لقوله تعالى : " ومن دخله كان آمنا ".
ولقوله عليه الصلاة والسلام : لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما . ولكن يضيق عليه ،ولا يكلم ،ولا يطعم ،ولا يعامل حتى يخرج فيقتل او يستوفى منه قصاص الطرف او الحد الا ان يفشى القتل فيه . ونقل عن ابى حنيفة وروى عن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير والحكم بن عتبة واسحاق ابن راهويه والظاهرية . وهى رواية عن احمد . وعن ابى الزبير المكى قال لو وجدت فى الحرم قاتل ابى ما كلمته .

الثانى : ان كان قاتلا لم يقتل حتى يخرج من الحرم . وان كانت الجناية فيما دون النفس اقيم عليه الحد . وهى رواية عن احمد وابى حنيفة .

الثالث : ان الحدود تقام فيه ،ويستوفى القصاص ،وهو قول مالك والشافعى ،لقوله تعالى : " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه" قال ابن المنذر : واحتج مالك بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ابن خطل لما وجد متعلقا بأستار الكعبة . وكذا امره عليه السلام بقتل الفواسق الخمس فى الحل والحرم . وحديث ابى شريح المتقدم ذكره : ان الحرم لا يعيذ قاتلا ولا فارا بدم .

واما قوله عليه السلام : لا يسفك بها دما : اى بغير حق . وكذا قوله تعالى : ومن دخله كان آمنا . معناه الخبر عن تعظيم حرمته فى الجاهلية نعمة من الله على اهل مكة ،كقوله : جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس (الطالب) بل قوله تعالى : اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم . ادل فى المعنى . . اما حرم المدينة فيجوز القصاص فيه اجماعا . ولا خلاف فى ان من جنى جناية بحرم مكة ـ لا امان له ،قال ابن الجوزى وغيره : انعقد الاجماع على ذلك . فانه اجترأ على الله انتهاك حرمة بيته والحاد فيه . قال تعالى : ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم .

وتكلم الحافظ ابن القيم فى هذه المسألة كلاما شافيا وافيا ، وهو يستنبط الفقه من خطبته عليه السلام ثانى يوم الفتح . وفيما يلى نص ماتحدث عنه :

ومنها : قوله عليه الصلاة والسلام : فلا يحل لاحد ان يسفك بها دما .

هذا التحريم لسفك الدم المختص بها . وهو الذى يباح فى غيرها ويحرم فيها ، لكونها حرما ، كما ان تحريم عضد الشجر بها . واختلاء خلاها والتقاط لقطتها هو امر مختص بها . وهو مباح فى غيرها . اذ الجميع فى كلام واحد ، ونظام واحد والا بطلت فائدة التخصيص . وهذا انواع :

احدها : وهو الذى ساقه ابو شريح العدوى لاجله - ان الطائفة الممتنعة بها من مبايعة الامام لا تقاتل لا سيما اذا كان لها تأويل . . كما امتنع اهل مكة من مبايعة يزيد وبايعوا ابن الزبير . فلم يكن قتالهم ، ونصب المنجنيق عليهم . واحلال حرم الله جائزا بالنص والاجماع . وانما خالف فى ذلك عمرو بن سعيد الفاسق وشيعته . وعارض نص رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه وهواه فقال : ان الحرم لا يعيذ عاصيا . فيقال له : هو لا يعيذ عاصيا من عذاب الله ، ولو لم يعذه من سفك دمه - لم يكن حرما بالنسبة الى الادميين ، وكان حرما بالنسبة الى الطير والحيوان البهيم . وهو لم يزل يعيذ العصاة من عهد ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه وقام الاسلام على ذلك .

وانما لم يعذ مقيس بن صبابة وابن خطل ومن سمى معهما ، لانه فى تلك الساعة لم يكن حرما ، بل حلا فلما انقضت ساعة الحرب عاد الى ماوضع عليه يوم خلق السموات والارض .

وكانت العرب فى جاهليتها يرى احدهم قاتل ابيه اوابنه فى الحرم فلا يهيجه . وكان ذلك بينهم خاصية الحرم التى صار بها حرما . ثم جاء الاسلام فاكد ذلك وقواه . وعلم النبى صلى الله عليه وسلم ان من الامة من يتأسى به فى احلاله بالقتال والقتل ، فقطع الالحاق وقال لاصحابه : فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا : ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم .

وعلى هذا فمن اتى حدا ،او قصاصا خارج الحرم يوجب القتل ،ثم لجــأ اليه لم تجز اقامته عليه فيه .

وذكر الامام احمد عن عمر بن الخطاب انه قال : لو وجدت فيه قاتــل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه . وذكر عن عبدالله بن عمر انه قال : لــو وجدت فيه قاتل عمر مابدهته . وعن ابن عباس انه قال : لو لقيت قاتل ابى فــى الحرم ماهجته حتى يخرج منه . وهذا قول جمهور التابعين ومن بعدهم بــل لا يحفظ عن تابعى ولا صحابى خلافه . واليه ذهب ابو حنيفة ومن وافقه من اهـل العراق . والامام احمد ومن وافقه من اهل الحديث .

وذهب مالك والشافعى الى انه يستوفى منه فى الحرم ،كما يستوفى منــه فى الحل . وهو اختيار ابن المنذر واحتج لهذا القول بعموم النصوص الدالــة على استيفاء الحدود والقصاص فى كل مكان وزمان . وبأن النبى صلى الله عليــه وسلم قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة . وبما يروى عن النبى صلى اللــه عليه وسلم انه قال : ان الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا خربة . وبأنــــه لو كانت الحدود والقصاص فيما دون النفس لم يعذه الحرم ،ولم يمنعه من اقامتــه عليه . فكذلك اذا اتاه خارجه ثم لجأ اليه . اذ كونه حرما بالنسبة الى عصمتــه لا يختلف بين الامرين . وبانه حيوان أبيح قتله لفساده ، فلم يفترق الحـــال بين قتله لاجئا الى الحرم ،وبين كونه قد اوجب ما ابيح قتله فيه كالحية والحدأة والكلب العقور . ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال : خمس فواسق يقتلــن فى الحل والحرم . . فنبه بقتلهن فى الحل والحرم على العلة وهى فسقهــن ولم يجعل التجائهن الى الحرم مانعا من قتلهن . وكذلك فاسق بنى آدم الذى قد استوجب القتل .

قال الاولون : (جمهور التابعين وابو حنيفة) ليس فى هذا مايعـــارض ماذكرناه من الادلة ،ولا سيما قوله تعالى : ومن دخله كان آمنا . وهذا امــا خبر بمعنى الامر ،لاستحالة الخلف فى خبره تعالى ،واما خبر عن شرعه ودينــه الذى شرعه فى حرمه ،واما اخبار عن الامر المعهود المستمر فى حرمه فــى الجاهلية والاسلام .

كما قال تعالى : اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقوله تعالى : وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا . وماعدا هذا من الاقوال الباطلة فلا يلتفت اليه ، كقول بعضهم : ومن دخله كان آمنا من النار . وقول بعضهم كان آمنا من الموت على غير الاسلام ، ونحو ذلك . فكم ممن دخله وهو فى قعر الجحيم .

واما العمومات الدالة على استيفاء الحدود والقصاص فيه فى كل زمان ومكان ، فيقال : اولا ، لا تعرض فى تلك العمومات لزمان الاستيفاء ولا لمكانه . كما لا تعرض فيها لشروطه ، وعدم موانعه . فان اللفظ لا يدل عليها بوضعه ولا بتضمنه فهو مطلق بالنسبة اليها . ولهذا اذا كان للحكم شرط او مانع لم يقل ان توقف الحكم عليه تخصيص لذلك العام . فلا يقول محصل ، ان قوله تعالى واحل لكم ماوراء ذلكم . مخصوص بالمنكوحة فى عدتها ، او بغير اذن وليها او بغير شهود . فهكذا النصوص العامة فى استيفاء الحدود والقصاص ، لا تعرض فيها لزمنه ولا لمكانه ، ولا شرطه ولا مانعه . ولو قدر تناول اللفظ لذلك لوجب تخصيصه بالادلة الدالة على المنع ، لئلا يبطل موجبها ، ولوجب تخصيصه الحل بقتل الكلب العقور ، والحية والحدأة . لحاجة اهل الحل سواء فلو اعاذها الحرم لعظم الضرر عليهم بها ، حملا للفظ العام على ماعداها كسائر نظائره . واذا خصصتم تلك العمومات بالحامل والمرضع والمريض الذى يرجى برؤه ، والحال المحرمة للاستيفاء ، كشدة المرض او البرد او الحر . فما المانع من تخصيصها بهذه الادلة ؟ وان قلتم ليس ذلك تخصيصا بل تقييد لمطلقها ، كلنا لكم بهذا الصاع سواء بسواء .

واما قتل ابن خطل ـ فقد تقدم انه كان فى وقت الحل . والنبى صلى الله عليه وسلم قطع الالحاق . ونص على ان ذلك من خصائصه . وقوله صلى الله عليه وسلم : وانما احلت لى ساعة من نهار . صريح فى انه انما احل له سفك دم حلال فى غير الحرم فى تلك الساعة خاصة ، اذ لو كان حلالا فى كل وقت لم يختص بتلك الساعة . وهذا صريح فى ان الدم الحلال فى غيرها

حرام فيها فيما عدا تلك الساعة .

واما قوله : الحرم لا يعيذ عاصيا ،فهو من كلام الفاسق عمرو بن سعيد الاشدق . يرويه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين روى له ابو شريح الكعبى هذا الحديث،كما جاء مبينا فى الصحيح . فكيف يقدم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واما قولكم : لو كان الحد والقصاص فيما دون النفس لم يعذه الحرم منه . فهذه المسألة فيها قولان للعلماء وهما روايتان منصوصتان عن الامام احمد . فمن منع الاستيفاء نظر الى عموم الادلة العاصمة بالنسبة الى النفس وما دونها . ومن فرق قال : سفك الدم انما ينصرف الى القتل . ولا يلزم من تحريمه فى الحرم تحريم ما دونه لان حرمة النفس اعظم . والانتهاك بالقتل اشد . قالوا : ولان الحد بالجلد او القطع يجرى مجرى التأديب،فلم يمنع منه كتأديب السيد عبده . وظاهر هذا المذهب : انه لا فرق بين النفس وما دونها فى ذلك .

قال ابو بكر : هذه مسألة وجدتها لحنبل عن عمه : ان الحدود كلها تقام فى الحرم الا القتل . قال : والعمل على ان كل جان دخل الحرم لم يقم عليه الحد حتى يخرج منه .

قالوا : وحينئذ فنجيبكم بالجواب المركب، وهو : انه ان كان بين النفس وما دونها فى ذلك فرق مؤثر بطل الالزام . وان لم يكن بينهما فرق مؤثر سوينا بينهما فى الحكم . وبطل الاعتراض، فتحقق بطلانه على التقديرين .

قالوا : واما قولكم : ان الحرم لا يعيذ من هتك فيه الحرمة، اذ اتى فيه ما يوجب الحد . فكذلك اللاجىء اليه . فهو جمع بين ما فرق الله ورسوله والصحابة بينهما . فروى الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق : حدثنا معمر عن ابن طاؤس عن ابيه عن ابن عباس قال : من سرق او قتل فى الحل ،ثم دخل الحرم ،فانه لا يجالس، ولا يكلم ولا يؤوى ،حتى يخرج فيؤخذ فيقام عليه الحد . وان سرق او قتل فى الحرم اقيم عليه فى الحرم .

وذكر الاثرم عن ابن عباس ايضا : من احدث حدثا فى الحرم اقيم عليه ما احدث فيه من شيء .

وقد امر الله سبحانه بقتل من قاتل فى الحرم، فقال : ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فان قاتلوكم فاقتلوهم . والفرق بين اللاجئ والمنتهك فيه من وجوه :

احدها : ان الجانى فيه هاتك لحرمته باقدامه على الجناية فيه . بخلاف من فى خارجه ثم لجأ اليه . فانه معظم لحرمته، مستشعر بها بالتجائه اليه فقياس احدهما على الاخر باطل .

الثانى : ان الجانى فيه بمنزلة المفسد الجانى على بساط الملك فى داره وحرمه . ومن خارجه ثم لجأ اليه . فانه بمنزلة من جنى خارج بساط الملك وحرمه، ثم دخل الى حرمه مستجيرا .

الثالث : ان الجانى فى الحرم قد هتك حرمة الله سبحانه وحرمة بيته فهو هاتك لحرمتين بخلاف غيره .

الرابع : انه لو لم يقم الحد على الجناة فى الحرم، لعم الفساد، وعظم الشر فى حرم الله . فان اهل الحرم كغيرهم فى الحاجة الى صيانة نفوسهم واموالهم واعراضهم ولو لم يشرع الحد فى حق من ارتكب الجرائم فى الحرم لتعطلت حدود الله، ولعم الضرر للحرم واهله .

الخامس : ان اللاجئ الى الحرم بمنزلة التائب المتنصل، اللاجئ الى بيت الرب تعالى، المتعلق باستاره فلا يناسب حاله، ولا حال بيته وحرمه ان يهاج . بخلاف المقدم على انتهاك حرمته .

فظهر سر الفرق، وتبين ان ماقاله ابن عباس : هو محض الفقه .

واما قولكم : انه حيوان مفسد، فابيح قتله فى الحل والحرم كالكلب العقور . فلا يصح القياس فان الكلب العقور طبعه الاذى . فلم يحرمه الحرم ليدفع اذاه من اهله . واما الادمى : فالاصل فيه الحرمة، وحرمته عظيمة . فانما ابيح لعارض، فاشبه الصائل من الحيوانات المباحة من المأكولات فان الحرم يعصمها .

وايضا : فان حاجة اهل الحرم الى قتل الكلب العقور، والحية والحدأة كحاجة اهل الحل سواء، فلو اعاذها الحرم لعظم عليهم الضرر بها[1] . ا.هـ

---

(١) زاد المعاد (٢ : ٤٢٠ - ٤٢٥) (بلفظه) .

الفصل السادس

فى بيان " فضل الصلاة فى الحرم "

يقول الزركشى : ان حرم مكة كالمسجد الحرام فى المضاعفة، جزم به الماوردى وتبعه النووى فى مناسكه . وهو بناء على ان المسجد الحرام فى الخبر اى صلاة فى المسجد الحرام بمائة الف صلاة فيما سواه من المساجد والمراد به جميع الحرم .

وذهب الى مضاعفة الحسنة فى الحرم - فقد ورد عن ابن عباس: ان حسنات الحرم كلها ، الحسنة بمائة الف . وذهب اليه عطاء والرويانى : انه جميع الحرم . وعرفة قاله ابن حزم والشريف الثانى ، وصاحب البيان ابو الخير العمرانى (١) .

وقال الحافظ ابن حجر لما شرح الحديث : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجد الحرام . . الحديث

قال : والمراد به جميع الحرم . وقيل : يختص بالموضع الذى يصلى فيه دون البيوت وغيرها من اجزاء الحرم . قال الطبرى : ويتأيد بقوله " مسجدى هذا " لان الاشارة فيه الى مسجد الجماعة . فينبغى ان يكون المستثنى كذلك وقيل : المراد به الكعبة - حكاه المحب الطبرى . وذكر انه يتأيد بما رواه النسائى بلفظ " الا الكعبة" وفيه نظر، لان الذى عند النسائى " الا مسجد الكعبة" حتى ولو سقطت لفظة " مسجد " لكانت مرادة .

قال : ويؤيد الاول (اى جميع الحرم) ما رواه الطيالسى من طريق عطاء انه قيل له : هذا الفضل فى المسجد وحده او فى الحرم ؟ قال : بل فى الحرم لانه كله مسجد (٢) .

وقال القسطلانى فى هذا الباب : والمراد هنا بالمسجد الحرام ، ارض

---

(١) اعلام الساجد (ص ١٢٠ - ١٢١) باختصار .
(٢) فتح (٣ : ٣٠٦) تحت باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة .

الحرم كلهـــا(١) .

ويقول المحب الطبري : ماجاء في اطلاق المسجد الحرام على الحـــرم كله . عن ابن عباس قال : الحرم كله هو المسجد الحرام . اخرجه سعيد بـــن منصور، وابو ذر .

قال : وهو قول بعض اهل العلم . ويتأيد بقوله تعالى : والمسجـــــد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد . ومن يرد فيه بالحـــا د بظلم نذقه من عذاب اليم . وقوله تعالى : سبحان الذى اسرى بعبده ليـــلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . وكان ذلك من بيت ام هانىء .

قال : وقال بعضهم : المسجد الحرام : مسجد الجماعة . ويتأيد بمـــا تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم : صلاة في مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد ، الا المسجد الحرام . والاشارة بمسجده الى مسجـــد الجماعة . فينبغى ان يكون المستثنى كذلك .

قال : وقال بعضهم : المسجد الحرام هو الكعبة خاصة . واختـــاره بعض المتأخرين من اصحابنا . واستدل بقوله تعالى : فول وجهك شطـــر المسجد الحرام . وقال هذا القائل : لو نذر الاعتكاف في المسجد الحرام لزمـــه في البيت ، او فيما هو في الحجر منه .

اقول : المراد في الاية بالمسجد الحرام الكعبة صحيح ، ولكن الغرض منه بيان القبلة في الصلاة . وليس الغرض منه بيان موضع الصلاة او الاعتكاف . ولـــم يرو لنا حديث انه عليه الصلاة والسلام او احد من اصحابه اعتكف داخل الكعبـــة او في الحجر .

قال : ويتأيد هذا القول بحديث ميمونة : سمعت رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم يقول : صلاة في مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما ســـــواه الا مسجد الكعبة . اقول : مسجد الكعبة هو المسجد الحرام . فلم يـــتم الاستدلال كما قال الحافظ ابن حجر آنفا .

---

(١) القسطلاني (٢ : ٣٨٩) .

قال : وبحديث ابى هريرة : صلاة فى مسجدى هذا افضل من الــــف صلاة فيما سواه من المساجد الا الكعبة . اخرجهما النسائى[(١)] .

اقول : حديث ابى هريرة رضى الله عنه اخرجه النسائى فى باب " فضـــل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم والصلاة فيه " . وفيه ان ابا هريرة يقـــــول صلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من الف صلاة فيما ســواه من المساجد الا المسجد الحرام . وليس كما يقول المحب الطبرى ـ الا الكعبـــة فلم يقم الدليل على ماذهب اليه . والله اعلم .

وقد جاء عن محب الطبرى خلاف ذلك . وقال : ان التضعيف يعـــم جميع الحرم وتعم جميع الحسنات فهو دليل اطرادى الحاقا بالصلاة والصوم .

فقال تحت عنوان " فضل الصوم فى الحرم " عن ابن عباس رضى اللـــــه عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ادرك شهر رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر له ، كتب له مائة الف شهر رمضان فيما سواه ، وكتب الله لــه بكل يوم وليلة عتق رقبة ، وبكل يوم حملان فرس فى سبيل الله ، وفى كل يوم حسنـــة وفى كل ليلة حسنة . . رواه ابن ماجه .

وعن الحسن البصرى قال : صوم يوم بمكة بمائة الف ، وصدقة درهـــــم بمائة الف ، وكل حسنة بمائة الف . اخرجه صاحب مثير الغرام .

وقال تحت عنوان : ماجاء فى تضعيف حسنات الحرم . عن زاذان قـــال مرض ابن عباس رضى الله عنهما مرضا شديدا ، فدعا ولده فجمعهم ، فقــــال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من خرج من مكة ماشيا حــــتى يرجع الى مكة ـ يعنى فى الحج ـ كتب الله له بكل خطوة سبع مائة حسنة ، كـــل حسنة مثل حسنات الحرم . قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال : بكل حسنـــــة مائة الف حسنة . اخرجه ابو ذر ، والازرقى .

قال : وفيما تقدم من احاديث من مضاعفة الصلاة والصوم ، دليل اطــراد

---

(١) حديث ميمونة (٢ : ٣٣) ، وحديث ابى هريرة (٢ : ٣٥) النسائى ، القرى لقاصد ام القرى (ص ٦٠٨) .

التضعيف في جميع الحسنات الحاقا بهما . ويؤيد ذلك قول الحسن المتقدم في الفصل قبله . ولم يقله الا وله مستند في ذلك .

وهذا الحديث يدل على ان المراد بالمسجد الحرام في فضل تضعيف الصلاة في الحرم جميعه ، لانه عمم التضعيف في جميع الحرم وكذلك حديث تضعيف الصوم عمه في جميع مكة .[١]

وقال في حاشية ابن العابدين : واختلف في المراد بالمسجد الحرام قيل : مسجد الجماعة وايده المحب الطبري . وقيل الحرم كله . وقيل الكعبة خاصة . وجاءت احاديث تدل على تضعيف ثواب الصوم وغيره من القربات بمكة الا انها في الثبوت ليست كأحاديث الصلاة فيها .

قال : وذكر البيري في شرح الاشباه في احكام المسجد - ان المشهور عند اصحابنا ان التضعيف يعم جميع مكة ، بل جميع حرم مكة الذي يحرم صيده كما صححه النووي .[٢]

يقول الامام النووي : ان الصلوات يتضاعف الاجر فيها في مكة وكذا سائر انواع الطاعات . وقال الحسن البصري : صوم يوم بمكة بمائة الف .[٣] الخ

واعلم ان الكعبة ، البيت الحرام ، والمسجد الحرام ، ومكة والحرم وحدة لا يمكن التفريق بين هذه المسميات في الحكم . وهو كونها متصفة بالامن خاصة .

فالكعبة البيت الحرام آمن اطلق واريد به الحرم في قوله تعالى : ومن دخله كان آمنا . وفي قوله تعالى : هديا بالغ الكعبة . والهدى لا يذبح في البيت وانما يذبح في الحرم اتفاقا .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : والمراد بقوله : ومن دخله كان آمنا الحرم كله .[٤]

واطلق المسجد الحرام واريد به الكعبة قبلة المسلمين في قوله تعالى

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٦٠٨ - ٦٠٩) .
(٢) حاشية ابن العابدين (٢ : ٥٢٥) .
(٣) الايضاح (ص ٢١٢) .
(٤) فتاوى شيخ الاسلام (١٤ : ٢٠٢) .

" فول وجهك شطر المسجد الحرام" . واطلق واريد به الحرم فى قوله تعالى " ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم" . وفى قوله تعالى " انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا" . وفى قوله تعالى : " ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام" . ومكة البلد أمين فى قوله تعالى " وهذا البلد الامين" .

والحرم آمن فى قوله تعالى : اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى الموضوع : ولفظ الكعبة، هو فى الاصل اسم لنفس البنية . ثم فى القرآن قد استعمل فيما حولها كقوله تعالى " هديا بالغ الكعبة" وكذلك لفظ المسجد الحرام يعبر عن المسجد وعما حوله من الحرم . . . . قال : فهذا كثير غالب فى اسماء البقاع (١) .

ويقول الامام النووى : واعلم ان المسجد الحرام يطلق ويراد به هذا المسجد، وهذا هو الغالب وقد يراد به الحرم، وقد يراد به مكة . وقيل هذان الامران فى قول الله تعالى " ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام" (٢) .

ويقول الحافظ ابن القيم : قال تعالى : " ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم" . والمسجد الحرام هنا المراد به الحرم كله . لقوله تعالى " انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا" . فهذا المراد به الحرم كله . وقوله سبحانه : " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى" . وفى الصحيح : انه اسرى به من بيت ام هانئ . وقال تعالى : ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام . وليس المراد به : حضور نفس موضع الصلاة اتفاقا، وانما هو حضور الحرم، والقرب منه . وسياق آية الحج تدل على ذلك . فانه قال : ومن

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (١٩ : ٢٤٧) .
(٢) الايضاح (ص ٢١٠) .

يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم . وهذا لا يختص بمقام الصلاة قطعا بل المراد به : الحرم كله .

فالذى جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ، هو الذى توعد من صد عنه ومن اراد الالحاد بالظلم فيه . فالحرم ومشاعره كالصفا والمروة والمسعى ، ومنى وعرفة ومزدلفة لا يختص بها احد دون احد ، بل هى مشتركة بين الناس ، اذ هى محل نسكهم وتعبدهم ، فهى مسجد من الله وقفه ووضعه لخلقه . ولهذا امتنع النبى صلى الله عليه وسلم ان يبنى له بيت بمنى يظله من الحر ، وقال : منى مناخ من سبق (١) .

ويقول فخر الرازى : اما البيت فانه يريد البيت الحرام . واكتفى بذكر البيت مطلقا لدخول الالف واللام عليه اذ كانتا تدخلان لتعريف المعهود او الجنس . وقد علم المخاطبون انه لم يرد به الجنس فانصرف الى المعهود عندهم وهو الكعبة . ثم نقول : ليس المراد نفس الكعبة لانه تعالى وصفه بكونه آمنا ، وهذا صفة جميع الحرم ، لا صفة الكعبة فقط .

والدليل على انه يجوز اطلاق البيت والمراد منه كل الحرم ، قوله تعالى " هديا بالغ الكعبة " والمراد الحرم كله ، لا الكعبة نفسها ، لانه لا يذبح فى الكعبة ، ولا فى المسجد الحرام . وكذلك قوله : فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا . والمراد - والله اعلم - منعهم من الحج حضور مواضع النسك .

وقال فى آية اخرى : اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا . وقال الله تعالى فى آية اخرى مخبرا عن ابراهيم : " رب اجعل هذا البلد آمنا " . فدل هذا على انه وصف البيت بالامن فاقتضى جميع الحرم . والسبب فى انه تعالى اطلق لفظ البيت وعنى به الحرم كله . لان حرمة الحرم لما كانت متعلقة بالبيت جاز ان يعبر عنه باسم البيت (٢) .

---

(١) زاد المعاد (٢ : ٤١٤) .

(٢) التفسير الكبير للامام فخر الرازى (٤ : ٤٥ - ٤٦) - الناشر دار الكتب العلمية - طهران .

وبهذا اندفع قول القرطبي - وسيأتي - ان الحرم لا يقع عليها اسم البيت حقيقة . فهو يستدل بذلك على جواز اقامة الحدود والقصاص في الحرم . وانما قلت له : ان الحرم يقع عليه اسم البيت حكما . فالحرمة بدأت من البيت الحرام فانتشرت حتى وصلت الى حدود الحرم . فهو كالحمى له .

ولما يؤاخذ الانسان على الهم بالسيآت في الحرم يفهم منه ان الحسنات ايضا تتضاعف فيه . تلك بتلك . والله اعلم بالصواب .

الفصل السابع

فى بيان ذكر الحرم فى كتاب الله تعالى

(١) الاية الاولى :

وهى قوله تعالى : " ومن دخله كان آمنا " . (آل عمران : ٩٧)

يقول الحافظ ابن كثير فيها : يعنى حرم مكة ، اذا دخله الخائف يأمن من كل سوء . وكذلك كان الامر فى حال الجاهلية كما قال الحسن البصرى وغيره كان الرجل يقتل فيضع فى عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج .

وقال ابن ابى حاتم : حدثنا ابو سعيد الاشج : حدثنا ابو يحيى التميمى عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى " ومن دخله كان آمنا " . قال : من عاذ بالبيت اعاذه البيت ، ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى فاذا خرج اخذ بذنبه .

قال : انه من جملة تحريمها حرمة اصطياد صيدها وتنفيره عن اوكاره وحرمة قطع شجرها وخلاها . كما ثبتت الاحاديث والاثار فى ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا . وقد سبق ذكرها فى احكام الحرم وخصائصه .

وهذا الامن يؤكده قوله عليه الصلاة والسلام كما ذكره الحافظ ابن كثير : فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل لى الا ساعة من نهار . الحديث

وقوله عليه السلام يوم فتح مكة : ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما . او يعضد بها شجرة فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له ان الله اذن لنبيه ولم يأذن لكم . وانما اذن لى فيها ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس . . الحديث . وقد مر سابقا .[1]

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ٣٨٤) .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : والمراد بقوله : ومن دخله كان آمنا . الحرم كله .[1]

وبالمناسبة اضيف الى هذا ماقاله القرطبى فى تفسير قوله تعالى " واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا " . يقول : المسألة الثانية : قوله تعالى " وامنا " . استدل به ابو حنيفة وجماعة من فقهاء الامصار على ترك اقامة الحد فى الحرم على المحصن والسارق اذا لجأ اليه . وعضوا ذلك بقوله تعالى " ومن دخله كان آمنا " . كأنه قال : آمنوا من دخل البيت .

قال : والصحيح اقامة الحدود فى الحرم . وان ذلك من المنسوخ ، لان الاتفاق حاصل انه لا يقتل فى البيت ، ويقتل خارج البيت . وانما الخلاف هل يقتل فى الحرم ام لا ؟ والحرم لا يقع عليه اسم البيت حقيقة .[2]

وماقاله القرطبى هنا فيه نظر . لان العلماء لم يقولوا بانه منسوخ الا هو كأنه انفرد برأيه . وماذا يقول فى قوله تعالى " هديا بالغ الكعبة " . هل يقول انه لا يجوز نحر الهدى الا داخل الكعبة ؟ وان الادلة من الكتاب والسنة فى هذه المسألة متفقة على ان الحرم تقع عليه احكام البيت وتشمله وان اهل الجاهلية يعرفونه كابرا عن كابر توارثا . فالحرم يقع عليه اسم البيت حكما لان البيت والمسجد الحرام والحرم مشتركة فى الحكم ، كما سبق .

ولان قوله تعالى : ومن دخله كان آمنا . . والضمير راجع الى البيت ومع ذلك اتفق اهل العلم على ان الداخل فى ارض الحرم آمن كما هو آمن داخل الكعبة الشريفة ، وكما مر آنفا قول شيخ الاسلام : ومن دخله كان آمنا الحرم كله .

ولان ماوصف به البيت وهو الامن يسع الحرم كله اتفاقا فهو كالحمى للبيت الحرام . والله اعلم .

يقول الحافظ ابن حجر عند شرح حديث ابى شريح العدوى يقول : قوله

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (٤ (٢ : ٢٠٢) .
(٢) تفسير القرطبى (٢ : ١١١) .

ان الله حرم مكة . اى حكم بتحريمها وقضاه . وظاهره ان حكم الله تعالى فى مكة ان لا يقاتل اهلها ويؤمن من استجار بها ولا يتعرض له . وهو احد اقوال المفسرين فى قوله تعالى : "ومن دخله كان آمنا"[1].

(٢) الاية الثانية :

قوله تعالى : "اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا" . (القصص : ٥٧)

لما اعتذر الكفار بقولهم كما حكاه القرآن وقالوا : ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا . قال الله تعالى مجيبا لهم : "اولم نمكن لهم حرما آمنا" . يعنى هذا الذى اعتذروا به كذب وباطل لان الله تعالى جعلهم فى بلد امين وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم فى حال كفرهم وشركهم ولا يكون آمنا لهم وقد اسلموا وتابعوا الحق[2] ؟

وقد جلب لهم الرزق من سائر الافاق والاقطار وهذا جلى بين فى العصر الحاضر .

قال الحافظ ابن حجر : روى النسائى فى التفسير : ان الحارث بن عامر بن نوفل قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا . فانزل الله عز وجل ردا عليه - اولم نمكن لهم حرما آمنا .. الاية[3].

(٣) الاية الثالثة :

وهى قوله تعالى : "اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم" .. (العنكبوت : ٦٧)

يقول فيها الحافظ ابن كثير : يقول تعالى ممتنا على قريش فيما احلهم

---

(١) فتح (٤ : ٤١٤) .
(٢) تفسير ابن كثير (٣ : ٣٩٥) .
(٣) فتح (٤ : ١٩٤) .

من حرمه الذى جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ومن دخله كان آمنا . فهم في امن عظيم والاعراب حوله ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا . كما قال تعالى " لايلاف قريش . . . الى آخر السورة .

وقوله : افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون . اى افكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة ان اشركوا به وعبد وامعه غيره من الاصنام والانداد ، فكفروا بنبى الله وعبده ورسوله . فكان اللائق بهم اخلاص العبادة لله وان لا يشركوا به وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره فكذبوه ، فقاتلوه ، فاخرجوه من بين اظهرهم ولهذا سلبهم الله تعالى ماكان انعم به عليهم وقتل من قتل منهم ببدر . ثم صارت الدولة لله ولرسوله وللمؤمنين ففتح الله على رسوله مكة وارغم انافهم واذل رقابهم[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٤٢١) .

الفصل الثامن

فى بيان مكة وموقعها الجغرافـــى

يقول احمد ابراهيم : فى منتصف الطريق المعبد للقوافل بين اليمـــن والشام، تقوم مكة فى واد منبسط من اودية جبال سراة، تحيط به الجبال الجرداء من كل جانب وتكاد تحجبه الا من ثلاثة منافذ، يصله احدها بطريق اليمـــن ويصله الثانى بطريق قريب من البحر الاحمر عند مرفأ جدة ويصله الثالث بالطريق المؤدى الى فلسطين .

ومكة مدينة قديمة ورد اسمها فى المصادر اليونانية والرومانية القديمـــة فذكرها بطليموس الاسكندرى باسم " ماكورابا

(وهى كلمة الجنوب من مك يعنى بيت رب . يعنى بيت الرب . فلعـــل هذه الكلمة اخذها بطليموس من الاراميين . وليست كلمة سريانية كما زعم) .

ويرتاب بسرويليم موير   فى قصة ذهاب ابراهـــيم واسماعيل الى الحجاز ويرى انها من صنع اليهود ابتدعوها قبل الاسلام باجيال ليربطوا بينهم وبين العرب برابطة قرابة توجب على العرب حسن معاملـــة اليهود النازلين بينهم، وتيسر التجارة لليهود فى شبه الجزيرة . ويستند الـــى انه لاصلة بين اوضاع العبادة فى بلاد العرب وبين دين ابراهيم، لانها وثنيـــة مغرقة فى الوثنية وقد كان ابراهيم حنيفا مسلما .(1)

يقول صاحب " تاريخ التعليم فى مكة المكرمة " : تقع على خط طول ٣٩ وخط عرض ٢١ وتقع بوادى ابراهيم عليه السلام، وتحيط بها الجبال من كـــل جانب . وقد ادى انتشار الحركة العمرانية الى انتشار الابنية على الجبـــال نفسها بل تجاوزت ابنيتها تلك الجبال . وبما ان جبالها متفاوتـــة فـــى الارتفاع فمن الخطأ اذن ان نعطى رقما واحدا ليدل على ارتفاعها من سطح البحر.

---

(١) مكة والمدينة (ص ٩٥ - ٩٨) باختصار .

واليك ارتفاعات بعض الاماكن من سطح البحر :

ارتفاع المعابدة : ٣١١ مترا

ارتفاع جرول : ٢٧٨ مترا

ارتفاع جبل ابى قبيس : ٤٢٠ مترا

ارتفاع قعيقعان (جبل هندى) : ٤٣٠ مترا

احياء مكة :

كانت مكة تتكون حتى بداية العهد السعودى من خمسة عشر حيا هى :

(١) سوق الليل
(٢) شعب على
(٣) شعب عامر
(٤) السليمانية
(٥) المعابدة
(٦) جرول
(٧) النقا
(٨) الفلق
(٩) القرارة
(١٠) الشامية
(١١) اجياد
(١٢) القشاشية
(١٣) الشبيكة
(١٤) حارة الباب
(١٥) المسفلة

وقد نشأت الاحياء التالية بعد توسع الحركة العمرانية فى العهد السعودى :

(١٦) العتيبية
(١٧) الهنداوية
(١٨) حى العزيزية
(١٩) الشيشة
(٢٠) الروضة
(٢١) الخنساء
(٢٢) الزاهر
(٢٣) حارة الطنبداوى وفيها شارع المنصور
(٢٤) محلة الوصيفة
(٢٥) المشعلية
(٢٦) النزهة .(١)

---

(١) تاريخ التعليم فى مكة المكرمة - ترجمة عبدالرحمن صالح عبدالله ١٣٩٢هـ (ص ٢١، ٢٢) .

الفصل التاسع

فى بيان مكة ومركزها السياسى والاجتماعى

يقول جرجى زيدان : فاصبح اهل الحجاز بعد ذلك الاختلاط فئتين : اهل البادية الباقين على الفطرة وهم العرب الرحل . واهل المدن المقيمين فى مكة والطائف والمدينة - وهم الحضر .

وكانت مكة اشهر مدن الحجاز لاتخاذها محجا يؤمه الناس من اقاصى البلاد لزيارة الكعبة فاصبحت بتوالى الاجيال مركزا للتجارة لمن يتوافد اليها من الحجاج فى المواسم كل عام . وكانت فى اوائل ازمانها فى حوزة الحجازيين بنى اسماعيل وهم سدنة الكعبة اى حجابها . ثم نزح اليها بنو خزاعة من اليمن بعد سيل العرم نحو القرن الثانى للميلاد وتسلطوا عليها ، وغلبوا الحجازيين عليها بما تعودوه من السيادة فى عهد دولتهم باليمن . وكان الاسماعيليون او العدنانيون يومئذ ضعافا لا يقوون عليهم ، ولكن ناموس الاجتماع قضى عليهم كما قضى على سواهم فدارت الدائرة بعد عدة اجيال على بنى خزاعة وضعف امرهم وقوى امر العدنانية ، فتفرع منهم كنانة وتشعب من كنانة قريش .(١)

قال : وكانت قريش كما قدمنا حضرا اهل تجارة وتجارتهم قائم اكثرها على الحجاج الذين يردون مكة فى المواسم ، فكان من مقتضيات مصلحتهم تسهيل طرق القدوم وترغيب الناس فى الحج .

وكان رجال قريش يرحلون للتجارة رحلتين فى العام : رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى بصرى فى حوران بضواحى الشام . فكانت مكة واسطة عقد التجارة بين اليمن والشام . وكانت طرق التجارة خطرة الا عليهم لحفظ العرب حرمتهم لانهم ولاة الكعبة وكانوا كثيرا مايسافرون الى بلاد فارس او الى الشام فيأتون من الشام من الانسجة والاطعمة ، ويحملون من فارس السكر

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى - جرجى زيدان (١ : ٢٦) .

والشمع وغيرهمـــا .

فالكعبة كانت مصدر رزق اهل مكة، ولولاها لما استطاعوا المقام فـــى ذلك الوادى وهو غير ذى زرع . على ان اسفارهم ومخالطتهم العالم المتمدن فى اطراف العراق والشام جعلتهم اوسع العرب علما واكثرهم خبرة ودرايـــة ونظرا لعلاقة الكعبة، باسباب معائشهم بذلوا العناية فى القيام على شئونهـــا فانشأوا اماكن للسقاية واخرى للطعام (وجعلوها مناصب قسموها فيما بـــين بطون قريش)[1] .

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى (١: ٢٥ - ٢٩) .

الفصل العاشر

فى بيان مكانتها الدينيـة

ان مكة بلد الله الامين وقد اقسم الله تعالى بها فى موضعين من كتابه ،فقال : " لااقسم بهذا البلد" . وقال :" وهذا البلد الامين" . يقول القاضى الماوردى :

وقد ذكرها الله تعالى باسمين فى كتابه ـ مكة وبكة . فذكر مكة فى قوله عز وجل :" وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم". ومكة مأخوذ من قولهم تمككت المخ من العظم تمككا : اذا استخرجته منه ،لانها تمك الفاجر عنها وتخرجه منها على ماحكاه الاصمعى ،وانشد قول الراجز فى تلبيته :

ياءكة الفاجر مكى مكـا ولا تمكى مذحجا وعكـا

وذكر بكة فى قوله عز وجل : ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا .

قال الاصمعى : وسميت بكة لان الناس يبك بعضهم بعضا فيها اى يدفع وانشد من الرجز :

اذا الشريب اخذته اكـه فخله حتى يبك بكـا

واختلف الناس فى هذين الاسمين ،فقال قوم : هما لغتان والمسمى بهما واحد . لان العرب تبدل الميم بالبا" فتقول : ضربة لازم وضربة لازب ... لقرب المخرجين . وهذا قول مجاهد .

وقال آخرون : بل هما اسمان والمسمى بهما شيئان ،لان اختلاف الاسما" موضوع لاختلاف المسمى . ومن قال بهذا اختلف فى المسمى بهما على قولين :

احدهما : ان مكة اسم البلد كله . وبكة اسم البيت . وهذا قول ابراهيم النخعى ويحيى بن ايوب .

والثانى : ان مكة الحرم كله . وبكة المسجد . وهذا قول الزهـرى

وزيد بن اسلم .(١)

وقال الزمخشرى : قوله تعالى " للذى ببكة " البيت الذى ببكة . وهى علم للبلد الحرام ، ومكة وبكة لغتان فيه . نحو قولهم : النبيط والنميط ، فى اسم موضع بالدهناء . ونحوه بالاعتقاب : امر راتب وراتم . وحمى مغمطة ومغبطة وقيل : مكة : البلد وبكة موضع المسجد . وقيل : اشتقاقها من بكة اذا زحمه لا زدحام الناس فيها .

وعن قتادة : يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء ، يصلى بعضهم بين يدى بعض ، لا يصلح ذلك الا بمكة كأنها سميت ببكة وهى الزحمة . وقيل تبك اعناق الجبابرة اى تدقها . لم يقصدها جبار الا قصمه الله تعالى .(٢)

والذى قاله قتادة كذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ومقاتل بن حيان . ذكره الحافظ ابن كثير وقال : وذكر حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مكة من الفج الى التنعيم . وبكة من البيت الى البطحاء . وقال شعبة عن المغيرة عن ابراهيم : بكة البيت والمسجد . وكذا قال الزهرى ، وقال عكرمة فى رواية وميمون بن مهران : البيت وما حوله بكة ، وما وراء ذلك مكة . وقال ابو مالك وابو صالح وابراهيم النخعى وعطية العوفى ومقاتل بن حيان - بكة موضع البيت ، وما سوى ذلك مكة .

لمكة اسماء كثيرة :

منها : مكة ، وبكة ، والبيت العتيق ، والبيت الحرام ، والبلد الامين ، والمأمون وام رحم ، وام القرى ، وصلاح ، والعرش على وزن بدر ، والقادس ، لانها تطهر من الذنوب ، والمقدسة والناسة والباسة ، والحاطمة ، والرأس ، وكوثاء ، والبلدة ، والبنية والكعبة . ذكرها ابن كثير فى تفسيره .(٣)

---

(١) الاحكام السلطانية (ص ١٥٧) ومابعدها .
(٢) الكشاف (١ : ٣٨٧) .
(٣) تفسير ابن كثير (١ : ٣٨٣) .

مكة ـ اول من عمرها هو خليل الله حيث ترك ابنه الوحيد فيها .

مكة بلد الله الامين محدقة بالجبال الراسيات وهى واد غير ذى زرع ليس فيها ماء ولا انيس . والحال هذه جاء ابراهيم بابنه الرضيع اسماعيل وزوجته هاجر ويتركهما بهذا الميدان المتوحش . فلنسمع الامام البخارى لانه روى هذه القصة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة . ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق الزمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد . وليس بها ماء . فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء . ثم قفى ابراهيم منطلقا ، فتبعته ام اسماعيل فقالت : يا ابراهيم ، اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شىء ؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها . فقالت له : آلله الذى امرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : اذن لا يضيعنا ، ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، ورفع يديه فقال : ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون . الحديث وتقدم مرارا [1] .

ومن ذلك الحين لم تكن مكة خالية عن السكان بها ، ولم يدلنا التاريخ على ذلك ، بل ظلت عامرة متأهلة ولا تزال ـ ان شاء الله ـ عامرة الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

الخليل يدعو لاهل مكة بالامن ورغد العيش .

وهذا الدعاء حكاه القرآن حيث يقول : " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات " . (البقرة)

وفى سورة ابراهيم قال : " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا " .

---

(١) فتح (٧ : ٢٠٧) .

الفرق بين قوله هذا بلدا ، وبين قوله وهذا البلد . يقول الزمخشري فان قلت: اى فرق بين قوله : اجعل هذا بلدا آمنا ، وبين قوله : اجعل هذا البلد آمنا . قلت : قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون . وفي الثاني : ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن . كأنه قال : هو بلد مخوف فاجعله آمنا[1] .

وقال الحافظ ابن كثير : وقوله تعالى اخبارا عن الخليل انه قال رب اجعل هذا بلدا آمنا . اى من الخوف ، اى لا يرعب اهله . وقد فعل الله ذلك شرعا وقدرا . كقوله تعالى : " ومن دخله كان آمنا " . وقوله : " اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم " ، الى غير ذلك من الايات .

وقال في هذه السورة : رب اجعل هذا بلدا آمنا . اى اجعل هذه البقعة بلدا آمنا ـ وناسب هذا لانه قبل بناء الكعبة . وقال تعالى في سورة ابراهيم : واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا . وناسب هذا هناك لانه ـ والله اعلم ـ كأنه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار اهله به وبعد مولد اسحاق الذي هو اصغر سنا من اسماعيل بثلاث عشرة سنة . ولهذا قال في آخر الدعاء : الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ، ان ربي لسميع الدعاء[2] .

ويقول فخر الرازي :

المسألة الخامسة : انما قال في هذه السورة : بلدا آمنا على التنكير وقال في سورة ابراهيم : هذا البلد آمنا على التعريف ، لوجهين :

الاول : ان الدعوة الاولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلدا ، كأنه قال : اجعل هذا الوادي بلدا آمنا ، لانه تعالى حكى عنه انه قال : ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع فقال ههنا : اجعل هذا الوادي بلدا آمنا والدعوة الثانية وقعت وجعل بلدا فكأنه قال : اجعل هذا المكان الذي صيرته

---

(١) الكشاف (٢ : ٥٥٧) .
(٢) تفسير ابن كثير (١ : ١٧٤) .

بلدا ذا امن وسلامة،كقولك : جعلت هذا الرجل آمنا .

الثانى : ان تكون الدعوتان وقعتا بعد ماصار المكان بلدا . كقولك كان اليوم يوما حارا . وهذا انما تذكره للمبالغة فى وصفه بالحرارة، لان التنكير يدل على المبالغة . فقوله :اجعل هذا البلد بلدا آمنا ،معناه اجعله من البلدان الكاملة فى الامن .

واما قوله : رب اجعل هذا البلد آمنا . فليس فيه الا طلب الامن لاطلب المبالغة .[1]

اختلاف الاراء فى معنى الامن والامن المسئول فى الاية .

يقول القاضى الماوردى : واما امنه فى الاسلام،ففى قوله سبحانو وتعالى ومن دخله كان آمنا . تأويلان احدهما : آمنا من النار . وهذا قول يحيى بن جعدة. والثانى : آمنا من القتل . لان الله تعالى اوجب الاحرام على داخله وحظر عليه ان يدخله محلا . وقال ايضا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة عام الفتح حلالا : احلت لى ساعة من نهار،ولم تحل لاحد من قبلى ولا تحل لاحد من بعدى .[2]

وقال فخر الرازى : المسألة الثانية قوله : بلدا آمنا : يحتمل وجهين احدهما : مأمون فيه . كقوله تعالى : فى عيشة راضية،اى مرضية . والثانى ان يكون المراد اهل البلد . كقوله : واسأل القرية،اى اهلها ، وهو مجاز لان الامن والخوف لا يلحقان البلد .

والمسألة الثالثة : اختلفوا فى الامن المسئول فى هذه الاية على وجوه :

احدها : سأله الامن من القحط،لانه اسكن اهله بواد غير ذى زرع ولا ضرع.

ثانيها : سأله الامن من الخسف والمسخ .

ثالثها : سأله الامن من القتل . وهو قول ابى بكر الرازى .[3]

---

(١) التفسير الكبير (١ : ٧٢٤) .

(٢) الاحكام السلطانية (ص ١٥٩) .

(٣) التفسير الكبير (١ : ٧٢٣) .

اقول : هذه المعاني تستفاد من قوله تعالى : " اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم" . ومن قوله : " فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" . ومن دعاء الخليل قوله تعالى " رب اجعل هذا البلد آمنا" . . " وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" .

فاهل مكة لا يلحق بهم القحط فلا يموتون من المجاعة ، ولا يلحق بهم الخوف فلا يسلط عليهم عدو من الخارج . ببركة دعاء الخليل عليه السلام لهم فهم فى امان دائم . فالخسف والمسخ والغرق والقتل والزلازل وتسلط الجبابرة وغير ذلك داخلة فى قوله تعالى " وآمنهم من خوف" وفى قوله تعالى " ومن دخله كان آمنا" . فهذا الامن كان واقعيا مستمرا طيلة القرون الماضية حتى ان اهل الجاهلية كانوا يتعاملون بموجب ذلك الامن . والله اعلم .

مكة ذكرت فى كتاب الله باسم البلدة المحرمة .

وان الله تعالى امر نبيه ان يعبده وحده وان يخلص له العبادة لانه هو رب هذه البلدة التى حرمها وله كل شيء ملكا وخلقا .

فقال تعالى : " انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء"[1] .

يقول الحافظ ابن كثير فيها : يقول تعالى مخبرا رسوله وآمرا له ان يقول انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء . كما قال تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم .

قال : واضافة الربوبية الى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها كما قال تعالى : " فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" . وقوله تعالى : الذى حرمها ـ اى الذى انما صارت حراما شرعا وقدرا بتحريمه لها كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) سورة النمل : ٩١ .

عليه وسلم يوم فتح مكة : ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ،الحديث بتمامه[1] .

ويقول الزمخشرى : والبلدة : مكة حرسها الله تعالى ،اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها . لانها احب بلاده اليه . واكرمها عليه واعظمها عنده . وهكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج فى مهاجره ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها ،فاجزل بذلك قسمها فى الشرف والعلو . ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه .

وقوله تعالى : " وله كل شئ " : قال محقق الكشاف : قال ذلك قطعا لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار اليها ،وتثبيتها على ان الاضافة الاولى انما قصد بها التشريف ،لا لانها ملك الله تعالى خاصة[2] .

مكة ولد فيها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الحافظ ابن القيم : لا خلاف فى انه ولد صلى الله عليه وسلم بجوف مكة ،وان مولده كان عام الفيل . وكان امر الفيل تقدمة قدمها الله لنبيه وبيته . والا فاصحاب الفيل كانوا نصارى اهل الكتاب وكان دينهم خيرا من دين اهل مكة اذ ذاك ،لانهم كانوا عباد اوثان ،فنصرهم الله على اهل الكتاب نصرا لا صنع للبشرية فيه ،ارهاصا وتقدمة للنبى صلى الله عليه وسلم الذى خرج من مكة ،وتعظيما للبيت الحرام[3] .

وكان الخليل عليه السلام قد دعا ربه ان يبعث من ذريته هذا الرسول خاتم النبيين وامام المرسلين ،وقد حكا ذلك القرآن اذ يقول : " ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم " .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٣٧٨) .
(٢) الكشاف (٣ : ٣٨٨) .
(٣) زاد المعاد (١ : ٣٢) .

يقول الحافظ ابن كثير : يقول تعالى : اخبارا من تمام دعوة ابراهيم لاهل الحرم ان يبعث الله فيهم رسولا منهم اى من ذرية ابراهيم، وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق فى تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا فى الاميين اليهم والى سائر الاعجميين من الانس والجن .

كما قال الامام احمد : اخبرنا عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبى عن عبد الاعلى بن هلال السلمى عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم باول ذلك ، دعوة ابى ابراهيم ، وبشارة عيسى بى ، ورؤياى امى التى رأت ، وكذلك امهات النبيين يرين .

قال وكذلك رواه ابن وهب والليث وكاتبه عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح . وتابعه ابو بكر بن ابى مريم عن سعيد بن سويد به . وقال الامام احمد ايضا : اخبرنا ابو النصر : اخبرنا الفرج اخبرنا لقمان بن عامر قال سمعت ابا امامة قال : قلت يارسول الله ماكان اول بدء امرك ؟ قال : دعوة ابى ابراهيم ، بشرى عيسى بى ، ورأت امى انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام (1) .

وان نسبه صلى الله عليه وسلم الى عدنان فمتفق عليه وما فوق عدنان مختلف فيه . ولا خلاف بين النسابين ان عدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهم السلام .

فمكث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الرسالة ثلاث عشرة سنة ثم تركها وهاجر الى المدينة لما اشتد اذى قومه نحو المسلمين حتى ارادوا هتك حرمته . وكان بالمدينة عشر سنين فاتم الرسالة والدعوة الى الله تعالى .

روى الامام البخارى بسنده من طريق احمد بن ابى رجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، ثم امر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٨٤) .

عشر سنين . ثم توفى صلى الله عليه وسلم .[1]

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا منتصرا سنة ثمان من الهجرة لما نقضت قريش العهد وهو صلح الحديبية وهم منهزمون ما تجرأوا على مقاومة رسول الله وجنده من المهاجرين والانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين .

روى الامام مسلم بسنده من طريق الاوزاعى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : لما فتح الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قام فى الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين . . . الحديث .[2]

---

(١) فتح (١٦٤:٨) .
(٢) مسلم (١٢٨:٩) .

الفصل الحادي عشر

في بيان أن مكة فتحت عنـــوة

يقول الحافظ ابن القيم : وفيها ـ أي قصة الفتح ـ البيان الصريح بـــأن مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه جمهور اهل العلم ، ولا يعرف في ذلك خلاف الا عن الشافعي واحمد في احد قوليه (١) .

ويقول الامام النووي حين يشرح قوله عليه الصلاة والسلام : " ولم يحـــل لي الا ساعة من نهار" . قال : هذا مما يحتج به من يقول : ان مكة فتحت عنـوة وهو مذهب ابي حنيفة وكثيرين او الاكثرين . وقال الشافعي وغيره : فتحـــت صلحا وتأولوا هذا الحديث على ان القتال كان جائزا له صلى الله عليه وسلـــم في مكة ولو احتاج اليه لفعله ، ولكن ما احتاج اليه . والله اعلـــم (٢) .

ويقول ابن القيم : والذي يدل على ان مكة فتحت عنوة ، وجوه :

احدها : انه لم ينقل احد قط ان النبي صلى الله عليه وسلم صالح اهلها زمن الفتح . ولا جاءه احد منهم صالحه على البلد ، وانما جاءه ابو سفيـــان فاعطاه الامان لمن دخل داره ، او اغلق بابه ، او دخل المسجد ، او القى سلاحه ولو كانت قد فتحت صلحا لم يقل : من دخل داره ، او اغلق بابه ، او دخـــل المسجد فهو آمن . فان الصلح يقتضي الامان العام .

اقول : قوله عليه السلام : من دخل دار ابي سفيان فهو آمن . وهو بين يديه . هذا القول من آلات الحرب النفسية ، او التكنيك الحربي . يلقـــي بذلك الرعب في قلوب الخصم ، ويكسر به قواتهم المعنوية وشوكتهم ، ويضعف بـــه شجاعتهم وكبرهم وانفهم . وليس من الصلح بشيء .

الثاني : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله حبس عن مكـــة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وانه اذن لي ساعة من نهار . وفي لفـــظ

---

(١) زاد المعاد (٢ : ٤٠٩) .
(٢) مسلم (٩ : ١٢٦) .

انها لا تحل لاحد قبلى ،ولا تحل لاحد بعدى ،وانما احلت لي ساعة من نهار.
وفى لفظ : فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا :ان الله اذن لرسوله ،ولم يأذن لكم،وانما اذن لى ساعة من نهار،وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس . . وهذا صريح فى انها فتحت عنوة .

وايضا فانه ثبت فى الصحيح انه يوم الفتح ، جعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى ،وجعل الزبير على المجنبة اليسرى ،وجعل ابا عبيدة على الحسر،فاخذوا بطن الوادى ،ثم قال : يا ابا هريرة،اهتف لي الانصار فجاءوا يهرولون ،فقال : يامعشر الانصار،هل ترون الى اوباش قريش ؟ قالوا نعم . قال : انظروا ،اذا لقيتموهم غدا ان تحصدوهم حصدا ،واخفى بيده ووضع يمينه على شماله ،وقال : موعدكم الصفا . وجاءت الانصار فاطافوا بالصفا قال : فما اشرف يومئذ لهم احد الا اناموه . وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجاءت الانصار،فاطافوا بالصفا ،فجاء ابو سفيان ،فقال : يارسول الله ،ابيدت خضراء قريش،لا قريش بعد اليوم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ،ومن القى السلاح فهو آمن ،ومن اغلق بابه فهو آمن .

وايضا فان ام هانى اجارت رجلا فاراد على بن ابى طالب قتله ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد اجارنا من اجرت يا ام هانى . وفى لفظ عنها : لما كان يوم فتح مكة اجرت رجلين من احمائى ،فادخلتهما بيتا واغلقت عليهما بابا ،فجاء ابن امى على فتفلت عليهما بالسيف . فذكرت حديث الامان وقول النبى صلى الله عليه وسلم : قد اجرنا من اجرت يا ام هانئ ،وذلك ضحى بجوف مكة بعد الفتح ،فاجارتها له ،وارادة على رضى الله عنه قتله وامضاء النبى صلى الله عليه وسلم اجارتها ـ صريح فى انها فتحت عنوة .

قال : وايضا فانه امر بقتل مقيس بن صبابة،وابن خطل ،وجاريتين ،ولو كانت فتحت صلحا لم يأمر بقتل احد من اهلها ،ولكان ذكر هؤلاء مستثنى من عقد الصلح .

وايضا ،ففي السنن باسناد صحيح :ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يوم فتح مكة قال : امنوا الناس،الا امرأتين ،واربعة نفر،اقتلوهم وان وجد تموهم متعلقين باستار الكعبة[1] .

ان مكة فتحت عنوة ـ قال به شيخ الاسلام ابن تيمية ،وابن القيم ،والسهيلي وابن كثير وجمهور العلماء المتقدمين الا الشافعي رحمه الله تعالى ،والنووي اقتداء بــه .

---

(١) زاد المعاد (٢ : ١٨١ - ١٨٢) .

الفصل الثاني عشر

في بيان توريث دور مكة وكسراء بيوتها

يقول الزركشي :

مذهب الحنفية ان بيع دور مكة وكرائها لا يجوز ، وهو رواية عن احمد ، وهو احد قولي مالك والمشهور منه . وذهب عطاء والحسن وابراهيم ومجاهد الى ماذهب اليه ابو حنيفة . قال الروياني : لا يكره بيع شيء من الارض الا اراضي مكة ، فيكره بيعها للخلاف وكذا اجارتها . قال النووي : انه خلاف الاولى .

اضيف الى هذا ماعقد عليه البخاري بابا بعنوان باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها . وان الناس في المسجد الحرام سواء خاصة لقوله تعالى " ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم " . . . . البادي : الطاري ، معكوفا : محبوسا .

ثم روى بسنده فقال : حدثنا اصبغ قال : اخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان ، عن اسامة بن زيد رضي الله عنه انه قال : يارسول الله ، اين تنزل؟ في دارك بمكة ؟ فقال : وهل ترك عقيل بن رباع او دور ؟ وكان عقيل ورث ابا طالب هو وطالب ، ولم يرثه جعفر ولا علي رضي الله عنهما شيئا لانهما كانا مسلمين . وكان عقيل وطالب كافرين . فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : لا يرث المؤمن الكافر الحديث . .

ورواه مسلم ايضا ولم يختلف معه الا قوله : اتنزل ، مكان اين تنزل ، وهل ترك لنا عقيل مكان . هل ترك عقيل .

قال الحافظ ابن حجر في شرحه : اشار بهذه الترجمة الى تضعيف حديث علقمة بن نضلة قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر

وماتدعى رباع مكة الا السوائب،من احتاج سكن.[1] وزاد فيه الشوكانى : ومن استغنى اسكن . رواه ابن ماجة . وقال : رجال اسناده ثقات،فان ابن ماجه قال : حدثنا ابوبكر بن ابى شيبة : حدثنا عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن ابى حسين عن عثمان بن ابى سليمان عن علقمة بن نضلة . فذكره وعمر بن سعيد وعثمان بن ابى سليمان ثقتان . واما ابو بكر وعيسى فمن رجال الصحيح .[2]

ثم يقول الحافظ : حديث ابن ماجه وفى اسناده انقطاع وارسال .وقال بظاهره ابن عمر ومجاهد وعطاء . قال عبدالرزاق عن ابن جريج : كان عطاء ينهى عن الكراء فى الحرم،فاخبرنى ان عمر نهى ان تبوب دور مكة،لانها ينزل الحاج فى عرصاتها . فكان اول من بوب داره سهيل بن عمرو واعتذر عن ذلك لعمر .

وروى الطحاوى من طريق ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد انه قال : مكة مباح لا يحل بيع رباعها ولا اجارة بيوتها . وروى عبدالرزاق بن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر : لا يحل بيع بيوت مكة ولا اجارتها .

اضيف الى هذا ماروا ه الحاكم عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مكة مناخ لا تباع رباعها ولا تواجر بيوتها . وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ،ولم يخرجاه . الذهبى : صحيح ،قلت اسماعيل ضعفوه .

حدثنا ابو حنيفة عن عبيدالله بن ابى زياد عن ابن ابى نجيح عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة حرام وحرام بيع رباعها وحرام اجر بيوتها . الذهبى قلت : عبيدالله لين .[3]

ثم قال الحافظ : وبه قال الثورى وابو حنيفة وخالفه صاحبه ابو يوسف

---

(١) فتح (٤ : ١٩٥) .
(٢) نيل الاوطار (٨ : ٢٥) .
(٣) المستدرك (٢ : ٥٣) .

واختلف عن محمد . وبالجواز قال الجمهور واختاره الطحاوى . ويجاب عن حديث علقمة على تقدير صحته بحمله على ما سيجمع به ما اختلف عن عمر فى ذلك.

واحتج الشافعى بحديث اسامة الذى اورده البخارى فى هذا الباب قال الشافعى : فاضاف الملك اليه والى من ابتاعها منه . وبقوله صلى الله عليه وسلم عام الفتح : من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ، فاضاف الدار اليه .

واحتج ابن خزيمة بقوله تعالى : " للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم" ، فنسب الله الديار اليهم كما نسب الاموال اليهم . ولو كانت الديار ليست بملك لهم لما كانوا مظلومين فى الاخراج من دور ليست بملك لهم . قال : ولو كانت الدور التى باعها عقيل لا تملك لكان جعفر وعلى اولى بها اذ كانا مسلمين دونه . وسيأتى فى البيوع اثر عمر انه اشترى دارا للسجن بمكة . ولا يعارض ما جاء عن نافع عن ابن عمر عن عمر : انه كان ينهى ان تغلق دور مكة فى زمن الحاج .اخرجه عبد بن حميد . وقال عبد الرزاق عن معمر عن منصور عن مجاهد : ان عمر قال : يا اهل مكة لا تتخذوا لدوركم ابوابا لينزل البادى حيث شاء . وقد تقدم من وجه آخر عن عمر ، فيجمع بينهما بكراهة الكراء رفقا بالوفود ، ولا يلزم من ذلك منع البيع والشراء والى هذا احتج الامام احمد وآخرون . واختلف عن مالك فى ذلك . قال القاضى اسماعيل : ظاهر القرآن يدل على ان المراد به المسجد الذى يكون فيه النسك والصلاة ، لا سائر دور مكة . وقال الابهرى : لم يختلف قول مالك واصحابه فى ان مكة فتحت عنوة . واختلفوا هل من بها على اهلها لعظم حرمتها او اقرت للمسلمين ؟ ومن ثم جاء الاختلاف فى بيع دورها والكراء .

والراجح عند من قال : انها فتحت عنوة ، ان النبى صلى الله عليه وسلم من بها على اهلها ، فخالفت حكم غيرها من البلاد فى ذلك ، ذكره السهيلى وغيره . وليس الاختلاف فى ذلك ناشئا من هذه المسألة ، فقد اختلف اهل التأويل فى المراد بقوله هنا : المسجد الحرام . هل هو الحرم كله او مكان الصلاة فقط ؟ واختلفوا ايضا : هل المراد بقوله : سواء فى الامن والاحترام او فيما هو اعم من ذلك ؟ وبواسطة ذلك نشأ الاختلاف المذكور ايضا .

قال ابن خزيمة : لو كان المراد بقوله تعالى : سواء العاكف فيه والباد ، جميع الحرم وان اسم المسجد الحرام واقع على جميع الحرم ـ لما جاز حفر بئر ولا قبر ولا التغوط ولا البول ولا القاء الجيف والنتن . قال : ولا نعلم عالما منع من ذلك ولا كره لحائض ولا جنب دخول الحرم ولا الجماع فيه . ولو كان كذلك لجاز الاعتكاف فى دور مكة وحوانيتها ولا يقول بذلك احد . والله اعلم .

ويجيب الحافظ ابن خزيمة على اشكاله ، فقال : قلت : والقول بأن المراد بالمسجد الحرام الحرم كله ورد عن ابن عباس ، وعطاء ومجاهد . اخرجه ابن ابى حاتم وغيره عنهم (١) .

يقول الامام النووى عند شرح حديث اسامة المذكور : وقوله صلى الله عليه وسلم : وهل ترك لنا عقيل من دار ؟ فيه دلالة لمذهب الشافعى وموافقيه ان مكة فتحت صلحا ، وان دورها مملوكة لاهلها ، لها حكم سائر البلدان فى ذلك فتورث عنهم ويجوز لهم بيعها ورهنها واجارتها وهبتها والوصية بها وسائر التصرفات .

وقال مالك وابو حنيفة والاوزاعى وآخرون : فتحت عنوة ، ولا يجوز شىء من هذه التصرفات (٢) .

وقال فى المجموع : مذهبنا انه يجوز بيع دور مكة واجارتها وسائر المعاملات عليها ، وكذا سائر الحرم ، كما يجوز فى غيرها (٣) .

وقال السهيلى فى هذه المسألة : فقد اختلف ، هل فتحها النبى صلى الله عليه وسلم عنوة اوصلحا ليبنى على ذلك الحكم ، هل ارضها ملك لاهلها ام لا ؟ وذلك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع ابواب دور مكة اذا قدم الحاج .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله بمكة : ان ينهى اهلها عن كراء دورها اذا جاء الحاج ، فان ذلك لا يحل لهم .

---

(١) فتح (٤ : ١٩٥ - ١٩٦) .
(٢) مسلم (٩ : ١٢٥) .
(٣) المجموع (٧ : ٤٣٦) .

وقال مالك رحمه الله : ان كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة لا ينهاهم احد . وروى ان دور مكة تدعى السوائب . وقال : وهذا كله منتزع من اصلين :

احدهما : قوله تبارك وتعالى : "والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادى" .

والاصل الثانى : ان النبى صلى الله عليه وسلم دخلها عنوة ، غير انه من على اهلها بانفسهم واموالهم ، ولا يقاس عليها غيرها من البلاد ، كما ظن بعض الفقهاء . فانها مخالفة لغيرها من وجهين :

احدهما : ما خص الله به نبيه ، فانه قال : قل الانفال لله والرسول .

والثانى : ما خص الله تعالى به مكة ، فانه جاء : لا تحل غنائمها ، ولا تلتقط لقطتها ، وهى حرم الله تعالى وامنه فكيف تكون ارضها ارض خراج . فليس لاحد افتتح بلدا ان يسلك به سبيل مكة ، فارضها اذا ودورها لاهلها ولكن اوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج اذا قدموها ، ولا يأخذوا منهم كراء فى ساكنها ، فهذا حكمها . فلا عليك بعد هذا فتحت عنوة او صلحا . وان كانت ظواهر الحديث انها فتحت عنوة[1] .

وقال ابن حزم : وملك دور مكة وبيعها واجارتها جائز . وقد روينا عن عبدالله بن عمرو بن العاص انه قال : لا يحل بيع دورها ، ولا اجارتها . ومنع عمر بن عبدالعزيز من كرائها . وروينا عن عمر المنع من التبويب على دورها وروينا فى ذلك خبرين مرسلين ، لا يصحان ، وهو قول اسحاق بن راهويه .

قال على : قد ملك الصحابة بها دورهم بعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمنع من ذلك . وكل من ملك ربعا فقد قال الله تعالى : واحل الله البيع وحرم الربا . وامر بالمؤاجرة رسوله عليه السلام . فكل ذلك مباح فيها[2] .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى هذا الموضوع :

---

(١) الروض الانف (٢ : ٢٨٢ - ٢٨٣) .
(٢) المحلى (٧ : ٢٦٣) .

ومكة اقرها النبى صلى الله عليه وسلم بيد اهلها على ماكانت عليه مساكنها ومزارعها ولم يقسمها ولم يضرب عليها خراجا . ولهذا قال من قال انها فتحت صلحا . ولا ريب انها فتحت عنوة كما تدل عليه الاحاديث الصحيحة المتواترة . لكن النبى صلى الله عليه وسلم اطلق اهلها جميعهم فلم يقتل الا من قاتله . ولم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم مالا . ولهذا سموا الطلقاء .

واحمد وغيره من السلف انما عللوا ذلك بكونها فتحت عنوة مع كونها مشتركة بين المسلمين كما قال تعالى " والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد " . وهذه هى العلة التى اختصت بها مكة دون سائر الامصار . فان الله اوجب حجها على جميع الناس وشرع اعتمارها دائما فجعلها مشتركة بين جميع عباده . كما قال : سواء العاكف فيه والباد .

ولهذا كانت منى وغيرها من المشاعر من سبق الى مكان فهو احق به حتى ينقل عنه . كالمساجد ومكة نفسها من سبق الى مكان فهو احق به والانسان احق بمسكنه مادام محتاجا اليه وما استغنى عنه من المنافع فعليه بذله بلا عوض لغيره من الحجيج وغيرهم .

ولهذا كانت الاقوال فى اجارة دورها وبيع رباعها ثلاثة :

(١) قيل : لا يجوز، لا هذا ولا هذا .

(٢) وقيل : يجوز الامران . والصحيح انه يجوز بيع رباعها ولا يجوز اجارتها وعلى هذا تدل الاثار المنقولة فى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة رضى الله عنهم .

فان الصحابة كانوا يتبايعون دورها . والدور تورث وتوهب . واذا كانت تورث وتوهب جاز ان تباع بخلاف الوقف فانه لا يباع ولا يورث ولا يوهب .(١)

نقل الحافظ ابن كثير فى تفسيره قصة طريفة وهى انه جرى بحث فى هذه المسألة بين الامام الشافعى واسحاق بن راهويه فى مسجد الخيف بمنى

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (١٧ : ٤٩٠ - ٤٩١) .

وكان الامام احمد حاضرا فى هذا المجلس .

قال : وهذه المسألة هى التى اختلف فيها الشافعى واسحاق بن راهويه بمسجد الخيف واحمد بن حنبل حاضر ايضا . فذهب الشافعى رحمه الله الى ان رباع مكة تملك وتورث وتؤجر . واحتج بحديث الزهرى عن على بن الحسن عن عمرو بن عثمان عن اسامة بن زيد قال : قلت يارسول الله ، اتنزل غدا فى دارك بمكة ؟ فقال : وهل ترك لنا عقيل من رباع . ثم قال : لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين . وبما ثبت ان عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن امية دارا بمكة فجعلها سجنا باربعة آلاف درهم . وبه قال طاوس وعمرو بن دينار .

وذهب اسحاق بن راهويه الى انها لا تورث ولا تؤجر . وهو مذهب طائفة من السلف ونص عليه مجاهد وعطاء . واحتج اسحاق بن راهويه بما رواه ابن ماجه عن ابى بكر بن ابى شيبة عن عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن ابى حيوة عن عثمان بن ابى سليمان عن علقمة بن نضلة ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وما تدعى رباع مكة الا السوائب ، من احتاج سكن ومن استغنى اسكن .

وقال عبد الرزاق بن مجاهد عن ابيه عن عبد الله بن عمرو انه قال : لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها . وقال ايضا عن ابن جريج كان عطاء ينهى عن الكراء فى الحرم واخبرنى ان عمر بن الخطاب كان ينهى عن تبويب دور مكة ، لان ينزل الحاج فى عرصاتها . فكان اول من بوب داره سهيل بن عمرو ، فارسل اليه عمر بن الخطاب فى ذلك فقال : انظرنى يا امير المؤمنين ، انى كنت امرأ تاجرا فاردت ان اتخذ بابين يحبسان لى ظهرى ، قال : فلك ذلك اذا .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن منصور عن مجاهد : ان عمر بن الخطاب قال : يا اهل مكة ، لا تتخذوا لدوركم ابوابا ، لينزل البادى حيث يشاء . قال واخبرنا معمر عمن سمع عطاء يقول : سواء العاكف فيه والباد . قال : ينزلون حيث شاءوا .

وروى الدارقطني من حديث ابن ابي نجيح عن عبدالله بن عمرو موقوفا من اكل كراء بيوت مكة اكل نارا .

وتوسط الامام احمد فقال : تملك وتورث ولا تؤجر، جمعا بين الادلة والله اعلم .(1)

وما استدل مجوزو بيع دور مكة وكراء بيوتها بقوله عليه الصلاة والسلام من دخل دار ابي سفيان فهو آمن . وباضافة الديار اليهم . قد يقال انه حكاية القصة والحال وان هذه الاضافة كانت قبل الفتح . وانما نشأ الخلاف في هذه المسألة بعد الفتح .

والحافظ ابن القيم بحث في هذه المسألة بحثا دقيقا وقيما . يقول :

ولهذا ذهب جمهور الائمة من السلف والخلف الى انه لا يجوز بيع اراضي مكة، ولا اجارة بيوتها . وهذا هو مذهب مجاهد وعطاء في اهل مكة، ومالك في اهل المدينة، وابي حنيفة في اهل العراق، وسفيان الثوري والامام احمد بن حنبل واسحاق بن راهوية .

وروى الامام احمد عن علقمة بن نضلة قال : كانت رباع مكة تدعى السوائب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر، من احتاج سكن، ومن استغنى اسكن .

وروى ايضا عن عبدالله بن عمر : من اجل اجور بيوت مكة فانما يأكل في بطنه نار جهنم . رواه الدارقطني موفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه ان الله حرم مكة فحرام بيع رباعها واكل ثمنها .

وقال الامام احمد : حدثنا معمر عن ليث عن عطاء ومجاهد وطاوس انهم قالوا : يكره ان تباع رباع مكة او تكرى بيوتها . وذكر الامام احمد عن القاسم بن عبدالرحمن قال : من اكل من كراء بيوت مكة، فانما يأكل في بطنه نارا . وقال احمد : حدثنا هشيم حدثنا حجاج عن مجاهد عن عبدالله بن عمر قال : نهي عن اجارة بيوت مكة، وعن بيع رباعها . وذكر عن عطاء وقال

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٢١٤) .

نهى عن اجارة بيوت مكة .

وقال احمد : حدثنا اسحاق بن يوسف قال : حدثنا عبد الملك قال كتب عمر بن عبد العزيز الى امير مكة ، ينهاهم عن اجارة بيوت مكة ، وقال : انه حرام . وحكى احمد عن عمر انه نهى ان يتخذ اهل مكة للدور ابوابا ، ليـنزل البادى حيث شاء . وحكى عن عبد الله بن عمر عن ابيه : انه نهى ان تغلق ابواب دور مكة ، فنهى من لا باب لداره ان يتخذ لها بابا ، ومن لداره باب ان يغلقه وهذا فى موسم الحج .

قال : قال المجوزون للبيع والاجارة : الدليل على جواز ذلك ـ كتاب الله وسنة رسوله وعمل اصحابه وخلفائه الراشدين . قال الله تعالى : للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم . وقال : فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم . وقال : انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم . واضاف الدور اليهم ، وهذه اضافة تمليك .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : وقد قيل له : اين تنزل غدا بدارك بمكة ؟ فقال : وهل ترك لنا عقيل من رباع ؟ ولم يقل : انه لا دار لى بل اقرهم على الاضافة ، واخبر ان عقيلا استولى عليها ولم ينزعها من يده واضافة دورهم اليهم فى الاحاديث اكثر من ان تذكر . كدار ام هانىء ودار خديجة ، ودار ابى احمد بن جحش وغيرها . فكانوا يتوارثونها ، كما يتوارثون المنقول . ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : وهل ترك لنا عقيل من منزل ؟ وكان عقيل بن ابى طالب هو ورث دور ابى طالب ، فانه كان كافرا . ولم يرثه على لاختلاف الدين بينهما . فاستولى عقيل على الدور ، ولم يزالوا قبل الهجرة وبعدها ، بل قبل البعث وبعده : من مات ورث ورثته داره الى الان . وقد باع صفوان بن امية دارا لعمر بن الخطاب باربعة آلاف درهم فاتخذها سجنا . واذا جاز البيع والميراث فالاجارة اجوز واجوز .

قال : فهذا موقف اقدام الفريقين كما ترى ، وحججهم فى القوة والظهور لا تدفع وحجج الله وبيناته لا يبطل بعضها بعضا ، بل يصدق بعضها بعضا ويجب العمل بموجبها كلها ، والواجب اتباع الحق اين كان .

قال : فالصواب القول بموجب الادلة من الجانبين ـ ان الدور تملك وتوهب وتورث وتباع . ويكون نقل الملك فى البناء ، لا فى الارض والعرصة . فلو زال بناؤه لم يكن له ان يبيع الارض ، وله ان يبنيها ويعيدها كما كانت ، وهو احق بها يسكنها ويسكن فيها من شاء ، وليس له ان يعاوض منفعة السكنى بعقد الاجارة ، فان هذه المنفعة انما يستحق ان يتقدم فيها على غيره ويختص بها لسبقه وحاجته . فاذا استغنى عنها لم يكن له ان يعاوض عليها كالجلوس فى الرحاب والطرق الواسعة ، والاقامة على المعادن وغيرها من المنافع والاعيان المشتركة .[1] التى من سبق اليها فهو احق بها ، ما دام ينتفع ، فاذا استغنى لم يكن له ان يعاوض .

وقد صرح ارباب هذا القول بان البيع ونقل الملك فى رباعها انما يقع على البناء ، لا على الارض ، ذكره اصحاب ابى حنيفة .

فان قيل : فقد منعتم الاجارة ، وجوزتم البيع ، فهل لهذا نظير فى الشريعة ، والمعهود فى الشريعة ان الاجارة اوسع من البيع . فقد يمتنع البيع وتجوز الاجارة . كالوقف والحر . فاما العكس فلا عهد لنا به .

قيل : كل واحد من البيع والاجارة عقد مستقل ، غير مستلزم للاخر فى جوازه وامتناعه ، ومورد هما مختلف ، واحكامهما مختلفة . وانما جاز البيع لانه وارد على المحل الذى كان البائع اخص به من غيره ، وهو البناء . واما الاجارة فانما ترد على المنفعة وهى مشتركة . وللسابق اخص به من غيره واليه حق التقديم دون المعاوضة ، فلهذا اجزنا البيع دون الاجارة . فان ابيتم الا النظير قيل هذا المكاتب يجوز لسيده بيعه ، ويصير مكاتبا عند مشتريه ، ولا يجوز له اجارته ، اذ فيها ابطال منافعه واكسابه التى ملكها بعقد الكتابة . والله اعلم . على انه لا يمنع البيع وان كانت منافع ارضها ورباعها مشتركة بين المسلمين ، فانها تكون عند المشترى كذلك مشتركة المنفعة ـ ان احتاج سكن وان استغنى اسكن . كما كانت عند البائع . فليس فى بيعها ابطال اشتراك

---

(١) زاد المعاد (٢ : ٤١٦) .

المسلمين في هذه المنفعة . كما انه ليس في بيع المكاتب ابطال ملكه لمنافعه التي ملكها بعقد المكاتبة .

قال : ونظير هذا - جواز بيع ارض الخراج التي وقفها عمر على الصحيح الذي استقر الحال عليه من عمل الامة قديما وحديثا ، فانها تنتقل الى المشترى خراجية كما كانت عند البائع . وحق المقاتلة انما هو في خراجها وهو لا يبطل بالبيع . وقد اتفقت الامة على انها تورث . فان كان بطلان بيعها لكونها وقفا فكذلك ينبغي ان تكون وقفيتها مبطلة لميراثها ، وقد نص احمد على جواز جعلها صداقا في النكاح . فاذا جاز نقل الملك فيها بالصداق والميراث والهبة جاز البيع فيها قياسا وعملا وفقها . والله اعلم .[1]

هذا هو موقف العلماء من الادلة في كراء بيوت مكة . وقد اصبح تجارة موروثة لا تخسر ابدا وان صار الحجاج ضيوف الرحمن بعد ادائه فقراء لا يبالى ولا يرقب معظم هؤلاء التجار فيهم إلاً ولا ذمة .

---

(١) زاد المعاد (٢ : ٤١٤ - ٤١٧) .

الفصل الثالث عشر

فى بيان احكام تخص مكة وآداب دخول مكة

(١) يسن الغسل قبل الدخول فى مكة . فقد عقد الامام البخارى فى صحيحه بابا بقوله : باب الاغتسال عند دخول مكة .

ثم روى بسنده فقال : حدثنى يعقوب بن ابراهيم، حدثنا علية : اخبرنا ايوب عن نافع قال : كان ابن عمر رضى الله عنهما اذا دخل ادنى الحرم امسك من التلبية ثم يبيت بذى طوى ثم يصلى به الصبح ويغتسل . ويحدث ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك .

وهذا الحديث فقد رواه الامام مسلم بطريق اخرى فقال : حدثنا ابو الربيع الزهرانى حدثنا حماد حدثنا ايوب عن نافع ان ابن عمر كان لا يقدم مكة الا بات بذى طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهارا، ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه فعله[١] .

وهذا الغسل سنة . قاله النووى .

وقال الحافظ ابن حجر : قال ابن المنذر : الاغتسال عند دخول مكة مستحب عند جميع العلماء وليس فى تركه عندهم فدية . وقال اكثرهم : يجزى منه الوضوء . وقال الشافعية : ان عجز عن الغسل يتيمم . وقال ابن التين لم يذكر اصحابنا الغسل لدخول مكة، وانما ذكروه للطواف . والغسل لدخول مكة هو فى الحقيقة للطواف[٢] . وقال الزركشى :

(٢) قال القاضى ابو القاسم بن كج فى كتاب التجريد : اذا نذر الاستسقاء بمكة لزمه ذلك بها قولا واحدا وفى المدينة وبيت المقدس على قولين . وقال الدارمى : لو نذر الاستسقاء بمكة لزمه ذلك، ولا يدخلها الا محرما بحج او عمرة وان نذره بالمدينة او بيت المقدس فعلى وجهين او ببلد آخر لم يلزمه قولا

---

(١) مسلم (٥ : ٩) .

(٢) فتح (٤ : ١٨٠) .

واحدا . انتهى . وهذه المسألة غريبة ليست فى الكتب المشهورة .

(٣) ان من انكر مكة او البيت او المسجد الحرام، او صفة الحج او انه ليس على هذه الهيئة المعروفة او قال : لا ادرى ان هذه المسماة بمكة هى مكة او غيرها، لا شك فى تكفير قائله . قال النووى فى زوائد الروضة، ناقلا له عن القاضى عياض وغيره .

(٤) ان الدجال لا يدخلها . لما فى الصحيحين من حديث انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة، ليس نقب من انقابها الا عليه الملائكة، حافين يحرسونها .

(٥) روى ابو القاسم الطبرانى فى معجمه الاوسط من طريق عبد الله بن المؤمل ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن محيصن عن عطاء بن ابى رباح عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احتكار الطعام بمكة الحاد . وقال : لم يروه عن عطاء الا ابن محيصن، تفرد به عبد الله بن المؤمل .

قلت (الزركشى) : ولى قضاء مكة، وروى عنه الشافعى . قال ابو حاتم ليس بالقوى . وقال ابو داود : منكر الحديث .

نقل محب الطبرى عن يعلى بن امية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احتكار الطعام بمكة الحاد فيها . اخرجه ابو داود[1] .

(٦) روى الحافظ ابو القاسم الاصفهانى فى كتاب الترغيب بسنده الى سفيان ابن وكيع : ثنا موسى بن عيسى الليثى عن زائدة عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسكن مكة سافك دم، ولا مشانيهم . (فى الحاشية : لعله مشاء نميم) .

قال : وهذا الحديث بهذا الاسناد رواه غير واحد عن سفيان بن وكيع .[2]

(٧) المحافظة على الموت بها . فروى الدارقطنى عن احمد بن محمد بن ابى شيبة : حدثنا محمد بن هشام المروزى ثنا محمد بن الحسين الهمدانى

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٥٩٨) .
(٢) اعلام الساجد (ص ١٢٩) .

ثنا عائذ المكتب عن عطاء بن ابى رباح عن عائشة مرفوعا : من مات فى هـــذا الوجه من حاج او معتمر لم يعرض ولم يحاسب، وقيل له : ادخل الجنة .

وروى ايضا من حديث حاطب : من مات باحد الحرمين ، بعث من الامنين يوم القيامة .

٨ — اختلف السلف ايما افضل البدأة بمكة او المدينة ؟ وهى مسألة عزيـــزة ومن نص عليها وحكى الخلاف فيها ابن ابى شيبة فى مصنفه ، والامام احمد فــى كتاب المناسك الكبير له . رواها ابن ناصر باسناده الى عبد الله بن احمد عــن ابيه ، قال فى هذه المناسك سئل عمر عمن يبدأ بالمدينة ، قبل مكة ؟ فذكــــر باسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد قالوا : اذا اردت مكة فـــلا تبدأ بالمدينة وابدأ بمكة ، فاذا قضيت حجك فامرر بالمدينة ان شئت . وباسناده عن ابراهيم النخعى ومجاهد : اذا اردت مكة فاجعل كل شىء لها تبعا .

وذكر باسناده عن عدى بن ثابت ان نفرا من اصحاب رسول الله صلـــى الله عليه وسلم كانوا يبدأون بالمدينة اذا حجوا ، يقولون : نهل من حيث احــرم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وذهب احمد وابو حنيفة الى ان يبدأ بمكة ولا يتشاغل بغيره .

٩ — ان اهلها يقال لهم : اهل الله . قال ابن ابى مليكة : كان السلـــف يلقبونهم بذلك .

وعنه صلى الله عليه وسلم انه لما استعمل عتاب بن اسيد على مكة ، قـــال اتدرى على ما استعملتك ؟ استعملتك على اهل الله ، فاستوصى بهم خـــيرا يقولها ثلاثا .

١٠ — تخصيصها بالمشاعر العظام كمنى . وفيها الايات العظيمة .

١١ — لو نذر النحر وحده بمكة لزمه النحر بها ، ويفرق اللحم على مساكين الحرم ولو نذر ذلك فى بلد آخر لم يتعين ، بل يذبح حيث شاء . هذا هو اصـــح الوجهين .

١٢ — وذهب الحسن البصرى الى انه : لا يحل لاحد ان يحمل السلاح بمكـــة لان القتل فيه منهى عنه ، فلا يحل مايسببه . ولقوله عليه الصلاة والسلام : لا يحل

لاحد ان يحمل السلاح بمكة . رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل لاحدكم ان يحمل بمكة السلاح .

قال القاضي عياض : وهو محمول عند اهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة . فان كانت حاجة جاز . قال : وهذا مذهب مالك والشافعي وعطاء . وحجتهم دخول النبي صلى الله عليه وسلم عام عمرة القضاء بما اشترط من السلاح في القراب . ودخوله عام الفتح متأهبا للقتال[1] .

١٣ — ذهب جماعة من العلماء الى ان السيآت تضاعف بمكة، كما تضاعف الحسنات . ممن قال ذلك : مجاهد، وابن عباس، واحمد بن حنبل وابن مسعود رضى الله عنهم وغيرهم لتعظيم البلد . وسئل ابن عباس عن مقامه بغير مكة فقال : مالى ولبلد تضاعف فيه السيآت كما تضاعف الحسنات . فحمل ذلك منه على مضاعفة السيآت بالحرم .

١٤ — قال ابن القيم : ومن خصوصية مكة انها لا تملك، وانها دار النسك ومتعبد الخلق وحرم الرب سبحانه وتعالى اوجب على الناس اتيانها من قريب ومن بعيد دون سائر البلاد .

١٥ — ومن خصوصيتها ان المقيم والوافد فيه سواء، فهى وقف من الله على العالمين وهم فيه سواء لقوله تعالى : "والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد" . الاية[2] .

قال الحافظ ابن كثير : قوله تعالى" سواء العاكف فيه والباد" قال ومن ذلك استواء الناس في رباع مكة وسكناها كما قال على بن ابى طلحة عن ابن عباس في قوله : سواء العاكف فيه والباد . قال : ينزل اهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام . وقال مجاهد فيها : اهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل . وكذا قال ابو صالح وعبد الرحمن بن سابط وعبد الرحمن بن زيد ابن اسلم .

---

(١) مسلم (٩ : ١٣٠) .
(٢) زاد المعاد (٢ : ٤١٣) .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : سواء فيه اهله وغير اهله .[1]

(٦ ١) لا دم على المتمتع والقارن اذا كان من اهل مكة لقوله تعالى : ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام ،وهل المراد من هو دون مرحلتين من مكة او من الحرم ،وجهان : اصحهما عند الرافعى ـ الاول . وعند النووى الثانى ويتأيد بما قاله الماوردى وغيره : ان المراد بالمسجد الحرام فى هذه الاية الحرم كله .

(٧ ١) لا يجوز احرام المقيم به بالحج الا فيه . ولو احرم خارجه كان مسيئا .

(٨ ١) كره مالك القران لاهل مكة . وقال ابو حنيفة : لا يجوز ذلك للمكى فان فعل فعليه هدى . وقال : ان تمتع فلا شىء عليه . ففرق بين دم القران والتمتع .

وقال ابن مسدى : تقرر على اصول ابى حنيفة ومالك والشافعى ان المكى لا يجوز له ان يحرم الا بحج مفرد وهو مذهب جمهور العلماء . الا ان مالكا والشافعى واحمد قالوا : ان تمتع او قرن لزمه ،ولا يلزمه لهما دم بالنص .

(٩ ١) كره مالك لاهل مكة والمجاورين بها الاعتمار ،وقال : يا اهل مكة ليس عليكم عمرة . انما عمرتكم الطواف بالبيت . وهو قول عطاء وطاؤس . بخلاف غيرهم من اهل الافاق ،فانها واجبة عليهم . وحكى ذلك عن احمد ايضا الا ان ابا يعلى ابن الفراء من اصحابه تأول قول احمد : لا عمرة على اهل مكة ،فقال : يريد بذلك لا عمرة عليهم مع حجهم . لانهم قد تقدم منهم فعلها فى اثناء السنة فى غير وقت الحج . قال ابن مسدى : وقول احمد هو قول لاهل الاثر .

والاكثار من العمرة مستحب عند الجمهور ،منهم الشافعى وابو حنيفة واحمد بن حنبل واهل الظاهر . ونقله ابن حزم عن على وابن عمر وابن عباس ،وانس وعائشة ،ومن التابعين عكرمة وعطاء وطاؤس رضوان الله تعالى عليهم اجمعين .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٢١٤) .

(٢٠) انها دار سلام ابدا ، لا يتصور فيها خلافة . وهذا احد التأويليـــن في قوله صلى الله عليه وسلم : لا هجرة بعد الفتح ،اى من مكة ،لا نهـــا دار اسلام ،واما تكون الهجرة من دار الحرب . وهذا يقتضى معجزة لرســول الله صلى الله عليه وسلم بانها تبقى دار للسلام ،لا يتصور منها الهجرة . ذكره النووى ايضا[١] .

---

(١) مسلم (٩ : ١٢٣) ،وانظر اعلام الساجد (ص ٨٤ - ٩١٢) موزعة فيها .

الفصل الرابع عشر

في بيان فضل مكة على سائر البلاد

يقول الزركشي : انعقد الاجماع -كما قال القاضي عياض وغيره - على ان افضل موقع في الارض على الاطلاق المكان الذي ضم جسده صلى الله عليه وسلم . وعلى ان مكة والمدينة افضل بقاع الارض بعده .

وهنا ينتقد شيخ الاسلام ابن تيمية القاضي عياض على قوله : انعقد الاجماع على ان افضل بقع الارض المكان الذي ضم جسده صلى الله عليه وسلم يقول : واما التربة التي دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعلم احدا من الناس قال انها افضل من المسجد الحرام او المسجد النبوي او المسجد الاقصى . الا القاضي عياض . فذكر ذلك اجماعا ، وهو قول لم يسبقه اليه احد فيما علمناه . ولا حجة عليه ، بل بدن النبي صلى الله عليه وسلم افضل من المساجد .

قال : واما مافيه خلق او مافيه دفن فلا يلزم اذا كان هو افضل ان يكون مامنه خلق افضل . فان احدا لا يقول ان بدن عبدالله ابيه افضل من ابدان الانبياء . فان الله يخرج الحي من الميت ، والميت من الحي . ونوح نبي كريم وابنه المغرق كافر . وابراهيم خليل الرحمن ، وابوه آزر كافر .

وقال : -لما سئل عن افضلية تربة محمد صلى الله عليه وسلم من الكعبة - اما نفس محمد صلى الله عليه وسلم فما خلق خلقا اكرم عليه منه . واما نفس التراب فليس هو افضل من الكعبة البيت الحرام ، بل الكعبة افضل منه ، ولا يعرف احد من العلماء فضل تراب القبر على الكعبة الا القاضي عياض . ولم يسبقه اليه احد ولا وافقه احد عليه . والله اعلم .(١)

قال الزركشي : ثم اختلفوا في ايهما افضل ؟ فذهب عمر وغيره من الصحابة الى تفضيل المدينة وهو قول مالك واكثر المدنيين . وكذا قال

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (٢٧ : ٣٧ - ٣٨) .

الشوكانى فى نيل الاوطار .

واحتج من ذهب الى تفضيل المدينة بامور منها :

ان الله تعالى بدأ بها فى قوله : " وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق " والمخرج الصدق : مكة . والمدخل الصدق : المدينة والسلطان النصير : الانصار . وكان القياس ان يبدأ بمكة، لانه خرج منها قبل ان يدخل المدينة . ويأبى الله ان ينقل نبيه الا الى ماهو خير منه .

والجواب : ان البدأة بها فى الذكر لا يعين افضليتها، وانما التقديم غايتها الاهتمام، واهتمامه بامر المدخل اعظم من المخرج، فانه حاصل فيه فلهذا بدأ به .

ومنها : مافى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام، وتأولوه على ان الصلاة فى مسجد المدينة افضل من الصلاة بمسجد مكة بدون الالف قلت : وعندنا ان المراد الا المسجد الحرام، فانه افضل من مسجدى، ويحتمل الا المسجد الحرام، فان الصلاة فيهما سواء . فهذه ثلاثة احتمالات . فلا يصار الى شىء منها الا بدليل خارجى، وهو معنا فيتعين المصير اليه وهو حديث عبدالله بن الزبير : صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فى غيره من المساجد الا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام افضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة . رواه احمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه واسناده على شرط الصحيح . قال الشوكانى : قد روى من طريق خمسة عشر من الصحابة . ووجه الاستدلال بهذا الحديث ان افضلية المسجد لافضلية المحل الذى هو فيه .

ومنها : مارواه الطبرى فى معجمه الكبير والبخارى فى تاريخه باسنادهما عن رافع بن خديج قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المدينة خير من مكة . وفى اسناده محمد بن عبدالرحمن بن رواد وقد تكلم فيه . قال ابو حاتم : ليس بقوى، وقال ابن عدى : عامة روايته ليست محفوظة .

وقال ابن عبد البر : هو حديث ضعيف لا يحتج به . وقيل انه : موضوع .
وقال الذهبي في ميزانه ليس هو، وقد صح في مكة خلافه .

ومنها : ما رواه الحاكم في المستدرك من قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي، فاسكني في احب البقاع اليك، وعنه جوابان : انه حديث لا يصح . قال ابن عبد البر في الاستذكار : لا يختلف اهل العلم في نكارته ووضعه . وقال ابن حزم في كتاب الاحكام : وهو حديث لا يسند، وانما هو مرسل . ورواه ابن وهب في موطئه من طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن محمد بن اسماعيل عن سليمان بن بريدة او غيره : ان النبي صلى الله عليه وسلم حين امره الله بالخروج قال : اللهم انك اخرجتني من احب بلادك الي فاسكني احب البلاد اليك . قال : فهذا مرسل . ومحمد بن الحسن بن زبالة ضعيف هالك .

الثاني : على تقدير صحته - انه اراد احب البقاع اليك بعد مكة، بدليل حديث النسائي السابق ان مكة خير بلاد الله، وهذا التأويل متعين، لتجتمع به الاحاديث، ولا تتضاد . ويدل له قوله في الحديث : فاسكني في احب البقاع اليك . وهذا المساق يدل في العرف على ان المراد به بعد مكة . فان الانسان لا يسأل ما اخرج منه . فانه قال : اخرجتني فاسكني، فدل على ارادة غير المخرج منه (١) . وتكون مكة مسكوتا عنها في الحديث .

قال الشيخ عز الدين في قواعده : هذا الحديث لا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم، وان صح فهو من المجاز من باب وصف المكان بصفة ما يقع فيه ولا يقوم به قيام العرض بالجوهر، كقوله : بلدة طيبة وصفها بالطيب الذي هو صفة لهوائها . وكذلك الارض المقدسة، فكذلك وصفه بكونه محبوبا هو وصف لما حصل فيه مما يحبه الله ورسوله . وهو اقامة رسول الله به وارشاده اهله الى ما بعث به . قال : واحسن من هذا ان يكون المعنى اخرجتني من احب البقاع الي في معاشي، فاسكني في احب البقاع اليك في امر معادي . قال

---

(١) المحلى لابن حزم (٧ : ٢٨٥) .

وهذا متجه ظاهر . انتهى

قال الشوكانى فيه بعد مانقله : بان النزاع فى الافضل ،لا فيما هو احب . والمحبة لا تستلزم الافضلية . والاستنباط لا يقاوم النص .

ومنها ان عمر قال لعبدالله بن عياش بن ابى ربيعة انت القائل مكة خير من المدينة ؟ فقال له عبدالله : هى حرم الله وامنه وفيها بيته . فقال له عمر : لا اقول فى حرم الله ولا فى بيته شيئا ،قال ابن حزم : هذا حجة عليهم لا لهم . لان عمر لا ينكر على عبدالله ما استدل به بل اقره على ذلك ،ونحن نوجدهم عن عمر تصريحا بافضلية مكة . وهو مارواه ابن وضاح عن حامد بن يحيى البلخى : ثنا ابن عيينة عن زياد بن سعد : انا سليمان بن عتيق سمعت عبدالله بن الزبير سمعت عمر بن الخطاب يقول : صلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة صلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم . قال ابن حزم : فهذا سند كالشمس فى الصحة . وروى مثل ذلك عن ابن الزبير . قال ابن مهدى : فهذان صاحبان ،لا يعرف له مخالف من الصحابة .

وقال الشوكانى فيه : وقد استدل القائلون بافضلية المدينة بادلة منها :

حديث " مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة" كما فى البخارى وغيره مع قوله صلى الله عليه وسلم " موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها " وهذا ايضا مع كونه لا ينتهض لمعارضة ذلك الحديث المصرح بالافضلية هو اخص من الدعوى ،لان غاية ما فيه ان ذلك الموضع بخصوصه من المدينة فاضل وانه غير محل النزاع .

وقد اجاب ابن حزم عن هذا الحديث بان قوله " انها من الجنة" مجاز ، اذ لو كانت حقيقة لكانت كما وصف الله الجنة - ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى - وانما المراد ان الصلاة فيها تؤدى الى الجنة كما يقال فى اليوم الطيب: هذا من ايام الجنة. وكما قال صلى الله عليه وسلم " الجنة تحت ظلال السيوف" قال ثم لو ثبت انه على الحقيقة لما كان الفضل الا لتلك البقعة خاصة .

قال : (يعنى الزركشى) وذهب الشافعى واحمد وابو حنيفة واكثر العلماء الى تفضيل مكة . وبه قال ابن وهب وابن حبيب واصبغ من المالكية . قال

العبدرى : وهو مذهب اكثر الفقهاء .

قال ابن حزم : روى القطع بتفضيل مكة على المدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جابر، وابو هريرة وابن عمر، وابن الزبير وعبد الله بن عدى ، منهم ثلاثة مدنيون باسانيد فى غاية الصحة . وهو قول جميع الصحابة او جمهورهم وقال الشوكانى : واليه مال الجمهور .

وقال ابن عبد البر : انه روى عن عمر، وعلى وابن مسعود وابى الدرداء وجابر قال : وحسبك بفضل مكة، ان فيها بيت الله الذى رضى الله بحط اوزار العباد بقصده فى العمر مرة، ولم يقبل من احد صلاة الا باستقبال جهته اذا قدر على التوجه اليها، وهى قبلة المسلمين احياء وامواتا . انتهى

والحجة فيه احاديث، الاول : ماروواه النسائى والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهرى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بمكة يقول : والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله . ولولا انى اخرجت منك ما خرجت . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح (١) . وقال ابن حزم : سنده فى غاية الصحة، واخرجه ابن حبان فى الصحيح ورواه احمد فى سنده ولفظه : والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله .

الثانى : ماروواه النسائى من حديث ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق الحزورة : يامكة، والله انك لخير ارض الله واحب البلاد الى الله ولولا انى اخرجت منك ما خرجت . قال الدارقطنى اصحاب الحديث يقولون : الحزورة بالتشديد .

وقال اللغويون : هى الحزورة مخففا . وقال ابن الاثير فى النهاية الحزورة موضع بمكة عند باب الحناطين، وهى بوزن قشورة . قال الشافعى الناس يشددون الحزورة والحديبية وهما مخففان .

---

(١) الترمذى مع تحفة الاحوذى (٤ : ٣٧٥) .

الثالث : مارواه الترمذى وصححه عن ابن عباس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمكة : ماطيبك واحبك الى ، ولولا ان قومى اخرجونى منك ماسكنت غيرك (١) . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض . . الحديث

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع اى بلد تعلمونه اعظم حرمة ؟ قالوا : لا قال : بلدنا الى آخره . ومن طريق ابى صالح عن جابر وابن عمر انهما يشهدان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الناس : اى بلد اعظم حرمة ؟ فاجابوه بانه مكة . وهذا اجماع من الصحابة بتقريره صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم تضعيف الحسنات فيها وغير ذلك .

قال : ونحن لا ننكر فضل المدينة ، كيف وقد ورد ماورد ، ففى الصحيحين عن انس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ماجعلت بمكة من البركة . دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجابة بلا شك . وفى الصحيح ان الملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال وانه صلى الله عليه وسلم حرم مابين لابتيها ، وانه لا يصبر احد على لأوائها الا كنت له شفيعا يوم القيامة . وهذه الاحاديث تدل على اثبات الفضيلة لا الافضلية .

وقال الشوكانى بعد مانقل هذه الاحاديث : قوله عليه السلام : انك لخير ارض الله . فيه دليل على ان مكة خير ارض الله على الاطلاق ، واحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبذلك استدل من قال : انها افضل من المدينة .

قال ابن عبدالبر : هذا نص فى محل الخلاف فلا ينبغى العدول عنه وقد ادعى القاضى عياض الاتفاق على استثناء البقعة التى قبر فيها صلى الله عليه وسلم وعلى انها افضل البقاع قيل لانه قد روى ان المرء يدفن فى البقعة

---

(١) الترمذى مع تحفة الاحوذى (٤ : ٣٧٦) .

التى اخذ منها ترابه عند ما يخلق ،كما روى ذلك ابن عبد البر فى تمهيــــده من طريق عطاء الخراسانى موقوفا .

ويجاب عن هذا بان افضلية البقعة التى خلق منها صلى الله عليــــه وسلم انما كان بطريق الاستنباط ونصيه فى مقابلة النص الصريح غير لائق علـى انه معارض بما رواه الزبير بن بكار : ان جبريل اخذ التراب الذى منه خلـــق صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة ،فالبقعة التى خلق منها من بقاع مكـــة وهذا لا يقصر عن الصلاحية لمعارضة ذلك الموقوف لا سيما وفى اسناده عطـــاء الخراسانـــى .

وقال شيخ الاسلام بعد ماروى حديثى الترمذى فى هذا الموضوع ،قــال فقد ثبت انها خير ارض الله واحب الارض الى الله والى رسوله . وهذا صريـــح فى فضلها .

واما الحديث الذى يروى : اخرجتنى من احب البقاع الى فاسكنى فــى احب البقاع اليك . فهذا حديث موضوع كذب . لم يروه احد من اهل العلم .(١)

اقول : قد سبق ان رواه الحاكم . وقد تكلموا فيه .

ونقل المحب الطبرى حديثى الترمذى فى تفضيل مكة على المدينـــــة وزاد عليهما فقال :

عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بالحجون وقـــال انك لخير ارض الله ،واحب ارض الله الى الله عز وجل ،ولو تركت فيك ما خرجـــت منك . . اخرجه سعيد بن منصور .

وعنه قال : لما قدمنا مكة اتت الانصار النبى صلى الله عليه وسلم فجلسوا حوله ،فجعل يقلب بصره فى نواحى مكة وينظر اليها ويقول : والله ،لقد عرفـــت انك احب البلاد الى الله ،واكرمها على الله ،ولولا ان قومى اخرجونى منـــــك ماخرجـــت .

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (٢٧ : ٣٦) .

(٢) القرى لقاصد ام القرى (ص ٥٩٩) .

قال الزركشى : وقال الشيخ عز الدين : فضلت مكة على المدينة من وجوه :
احدها : وجوب قصدها للحج والعمرة، وهما واجبان لا يقع مثلهما بالمدينة .

الثانى : ان فضلت المدينة باقامته صلى الله عليه وسلم فيها بعد النبوة وكانت مكة افضل منها لانه اقام بها بعد النبوة ثلاث عشرة او خمس عشرة سنة واقام بالمدينة عشرا .

الثالث : ان فضلت المدينة بكثرة الطارقين من عباد الله الصالحين، فمكة اكثر طارقا منها سيما من الانبياء والمرسلين . آدم فمن دونه الذين حجوها .

الرابع : التقبيل والاستلام ضرب من الاحترام، وهما مختصان بالركنين ولم يوجد مثل ذلك فى المدينة .

الخامس : ان الله تعالى اوجب علينا استقبالها فى الصلاة حيثما كنا .

السادس : ان الله تعالى حرم استقبالها واستدبارها عند الحاجة .

السابع : ان الله تعالى حرمها يوم خلق السموات والارض .

الثامن : ان الله تعالى بوأها لابراهيم وابنه اسماعيل ومولدا لسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

التاسع : ان الله جعلها حرما آمنا فى الجاهلية والاسلام .

العاشر : لا يدخلها احد الا بحج اوعمرة وجوبا او ندبا .

الحادى عشر : قال فيها عز وجل : "انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام" .

الثانى عشر : انه عليه الصلاة والسلام اغتسل لدخولها فهو مسنون . وقد مر التفصيل على بعضها .

قال : قال ابن حزم : والمراد بمكة فى قولها : هى افضل الحرم كله وما وقع عليه اسم عرفات فقط . ويليها فى الفضل المدينة يعنى حرمها وحده ثم بيت المقدس يعنى المسجد الاقصى وحده.بوجوب قصد البيت للحج والعمرة بهذا احتج عز الدين لفضل مكة على المدينة وقال : إذا كان للملك داران واوجب على رعيته اتيان احداهما دون الاخرى .دل ذلك على ان اهتمامه بتلك اقوى

وانه ارجح عنده من الاخرى .

وان الشوكانى بعد ما خاصم ودافع ورجح الادلة التى تبين بأن مكة افضل من المدينة . ثم ينتقد هذا البحث برمته فيقول :

واعلم ان الاشتغال ببيان الفاضل من هذين الموضعين الشريفين كالاشتغال ببيان الافضل من القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم ، والكل من فضول الكلام التى لا تتعلق به فائدة ، غير الجدال والخصام . وقد افضى النزاع فى ذلك واشباهه الى فتن وتلفيق حجج واهية ، كاستدلال المهلب على افضلية المدينة بانها هى التى ادخلت مكة وغيرها من القرى فى الاسلام فصار الجميع فى صحائف اهلها ، وبانها تنفى الخبث كما ثبت فى الحديث الصحيح .

واجيب عن الاول ، بان اهل المدينة الذين فتحوا مكة معظمهم من اهل مكة فالفضل ثابت للفريقين . ولا يلزم من ذلك تفضيل احدى البقعتين (١) .

---

(١) نيل الاوطار (٥ : ٣٢ - ٣٤) واعلام الساجد (ص ١٨٦ - ١٩٣) .

الفصل الخامس عشر

في بيان فضل المجاورة بمكة

قال تقي الفاسي : اختلف العلماء في استحباب المجاورة بمكة فذهب الى استحبابها الشافعي واحمد وابو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا ابي حنيفة، وابن القاسم صاحب مالك ـ فيما نقل عنه ابن الحاج .

وذهب ابو حنيفة الى عدم استحبابها . وفهم ذلك ابن رشيد من كلام وقع لمالك وذلك لخوف الملل، وقلة الاحترام لمداومة الانس بالمكان، وخوف ارتكاب ذنب هنالك .

قال : وذكر النووي في الايضاح : ان المختار استحباب المجاورة بمكة[1] .

وقال في حاشية ابن عابدين : والمجاورة بمكة مكروهة اي عنده، خلافا لهما وبقوله قال الخائفون المحتاطون من العلماء كما في الاحياء . قال ولا يظن ان كراهية القيام تناقض فضل البقعة، لان هذه الكراهية علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع .

قال في الفتح : وعلى هذا فيجب كون الجوار في المدينة المشرفة كذلك يعني مكروها عنده ـ فان تضاعف السيآت او تعاظمها ان فقد فيها فمخافة السآمة وقلة الادب المفضي الى الاخلال بوجوب التوقير والاجلال قائم[2] .

وقال المحب الطبري : عن جابر : انه اقام بمكة في اخواله بني سهم سبعة اشهر . اخرجه سعيد بن منصور . وعن ابراهيم قال : كان اختلاف الى مكة احب اليهم من مجاورة البيت .

وعن الشعبي قال : لم يكن احد من المهاجرين والانصار يقيم بمكة ذكرهما سعيد .

وعن سعيد بن المسيب : انه قال لرجل من اهل المدينة ـ جاء

---

(١) العقد الثمين (١ : ٤٥) .
(٢) حاشية ابن عابدين (٢ : ٥٢٤) .

يطلب العلم - ارجع الى المدينة . فانا كنا نسمع : ان ساكن مكة لا يموت حتى يكون الحرم عنده بمنزلة الحل ، لما يستحل من حرماتها - ذكره ابن الصلاح في منسكه .

وكره ابو حنيفة الجوار بمكة ووجه الكراهية خوف الملل ، وقلة الاحترام لمداومة الانس بالمكان ، وخوف ارتكاب ذنب هنالك ، فان المعصية ليست كغيرها ، وتهييجا للشوق بسبب الفراق .

قال ابو عمرو الزجاجي : من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشيء سوى الله تعالى فقد ظهر خسرانه . ولم يكره المجاورة احمد بن حنبل في خلق كثير، وقد نزل بها من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة وخمسون رجلا وقد جاور بها جابر بن عبد الله . وكان ابن عمر يقيم بها[1] .

وقال ابن قدامة : قال احمد : كيف لنا بالجوار بمكة ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : انك لا حب البقاع الى الله عز وجل ، ولولا اني اخرجت منك ما خرجت . وانما كره الجوار بمكة لمن هاجر منها . وجابر بن عبد الله جاور بمكة . وابن عمر يقيم بمكة . والمقام بالمدينة احب الي من المقام بمكة ، لمن قوي عليه ، لانها مهاجر المسلمين[2] .

مجاورة المدينة .

وقال شيخ الاسلام :

وسكنى المدينة النبوية هو افضل في حق من تتكرر طاعته لله ورسوله فيها اكثر . كما كان الامر لما كان الناس مأمورين بالهجرة اليها . فكانت الهجرة اليها والمقام بها افضل من جميع البقاع، مكة وغيرها . بل كان ذلك واجبا من اعظم الواجبات . فلما فتحت مكة قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وكان من أتى من اهل مكة وغيرهم ليهاجر ويسكن المدينة يأمره

---

(١) القرى لقاصد ام القرى (ص ٦١٠ ، ٦١٢) .
(٢) المغني (٣ : ٤٧٧) .

ان يرجع الى مدينته ، ولا يأمره بسكناها .

كما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر الناس عقب الحج ان يذهبوا الى بلادهم لئلا يضيقوا على اهل مكة . وكان يأمر كثيرا من اصحابه وقت الهجرة ان يخرجوا الى اماكن اخر لولاية مكان وغيره . وكانت طاعة الرسول بالسفر الى غير المدينة افضل من المقام عنده بالمدينة حين كانت دار الهجرة ، فكيف بها بعد ذلك اذ كان الذى ينفع الناس طاعة الله ورسوله . واما ماسوى ذلك فانه لا ينفعهم لا قرابة ولا مجاورة . . كما قال عليه السلام : ان اوليائى المتقون حيث كانوا ومن كانوا .

ومكة نفسها لا تدفع البلاء عن اهلها ولايجلب لهم الرزق الا بطاعتهم لله ورسوله كما قال الخليل : ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة . . . (سورة ابراهيم) .

فالمساجد والمشاعر انما ينفع فضلها لمن عمل فيها بطاعة الله عز وجل والا فمجرد البقاع لا يحصل بها ثواب ولا عقاب . وانما الثواب والعقاب على الاعمال المأمور بها والمنهى عنها .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سلمان الفارسى وابى الدرداء وكان ابو الدرداء بدمشق وسلمان الفارسى بالعراق . فكتب ابو الدرداء الى سلمان : هلم الى الارض المقدسة ، فكتب اليه سلمان : ان الارض لا تقدس احدا وانما يقدس الرجل عمله .

والمقام بالثغور للجهاد افضل من سكنى الحرمين باتفاق العلماء . ولهذا كان سكنى الصحابة بالمدينة افضل للهجرة والجهاد[1] .

وفى السنن عن عثمان بن عفان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : رباط يوم فى سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل . وعن ابى هريرة انه قال لان ارابط ليلة فى سبيل الله احب الى من ان اقوم ليلة القدر عند الحجر الاسود .

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (٢٧ : ٤٣٩) .

وذلك لان الرباط من جنس الجهاد والمجاورة من جنس النسك . وجنس الجهاد في سبيل الله افضل من جنس النسك بكتاب الله وسنة رسوله واجماع المسلمين كما قال تعالى : "اجعلتم ...... كمن آمن بالله ... وجاهد في سبيل الله لا يستوون ..." .

فلذلك كان صالحوا المؤمنين يرابطون في الثغور، مثل ماكان الاوزاعي وابو اسحاق الفزاري، ومخلد بن الحسين، وابراهيم بن ادهم، وعبد الله بن المبارك، وحذيفة المرعشي، ويوسف بن اسباط وغيرهم [1] .

ولاجل ذلك خرج من المدينة بعد النبي صلى الله عليه وسلم معاذ، وابو عبيدة وابن مسعود وطائفة ثم علي، وطلحة والزبير وعمار وآخرون . وهم من اطيب الخلق . ذكره الشوكاني [2] .

وكان ابن عباس يقيم بالطائف . فلو كانت السكنى بالمدينة ومكة شيئا يعتبر لما خرج احد من هؤلاء من هذين الحرمين .

ويستنتج من نصوص هؤلاء العلماء بان الذين احبوا المجاورة بمكة او المدينة مثلا اشترطوا كثرة الطاعة والعبادة . والا لم تنفعهم مجاورتهم شيئا ، كالمريض لو سكن المستشفى طول السنة ولم يستعمل الدواء لم ينفعه مكثه في دار الطبيب بين الادوية النافعة لصحته .

وهذا الذى خشي منه ابو حنيفة بان طول المكث في الحرم يقلل الاحترام ويتجرأ على المعاصي في ارضها عاقب على الهم بالسيآت فيها . وقد نرى من اهل الحرم عدم مبالاتهم بالمعاصي فيه واشتغالهم باللهو واللعب والاغاني ليل نهار وكثير منهم لا يصلون بل هم اجرأ الخلق على المعاصي وهتك الاعراض . وصدق الله عز وجل حيث يقول : "فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ..." .

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام (٢٧ : ٥٣) .
(٢) نيل الاوطار (٥ : ٣٤) .

ملحــق

باب جديد للبيت العتيق من الذهب الخالص

اثناء طبع هذه الرسالة ـ فقد ازاح الستار فى احتفال عظيم يوم ٢٢ ذى القعدة ١٣٩٩هـ خادم الحرمين الشريفين الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود ـ حفظه الله ـ عن الباب الجديد من ذهب خالص للكعبة المعظمة وقد كان امر بصنع هذا الباب عام ١٣٩٧هـ اثناء زيارته للبيت وصلاته فى جوف الكعبة المشرفة من ذلك العام بدل الباب الذى صنع اخيرا فى عهد الملك عبد العزيز رحمه الله سنة ١٣٦٣ هـ .

وقد اقيمت ورشة خاصة لصنع الباب وبدأ العمل فى ذى الحجة ١٣٩٨هـ وقام بهذا العمل شيخ الصاغة بمكة المكرمة احمد ابراهيم بدر والمهندس المعمارى منير الجندى حسب الاتفاق معهما بتكلفة اجمالية بلغت ١٣ مليونا و٤٢٠ الف ريال عدا كمية الذهب التى جرى تأمينها بواسطة مؤسسة النقد العربى السعودى حيث استهلك الباب وباب التوبة قدرا من الذهب بلغ ٢٨٠ كيلوغراما من عيار ٩٩٩٫٩٠٪ واستغرق العمل مدة اثنى عشر شهرا .

وعن صنع الباب فقد عنى عناية فائقة من المسئولين حتى زار الورشة الخاصة ولى العهد الفهد بن عبد العزيز حتى برز الباب بطراز فنى اصيل وبزخرفة رائعة .

وكتب على الزاويتين العلويتين بشكل قوس يحيط بلفظ الجلالة ـ الله جل جلاله ـ و محمد صلى الله عليه وسلم والايات القرآنية الكريمة وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم . ادخلوها بسلام آمنين . جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام . رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا . كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال ربكم ادعونى استجب لكم .

ويلى ذلك حشوتان على شكل شمسين مشرقتين وفى وسطهما كتابة لا اله الا الله محمد رسول الله على شكل بروز دائرى . وقد ثبتت على ارضية الحشوتين العلويتين حلقتا الباب اللتان تشكلان مع القفل وحدة متجانسة شكلا ونسبة، وبين الحلقتين والقفل مساحة بارتفاع مناسب بغرض الفصل بين انواع الزخارف المتجانسة شكلا والمتباينة نسبة ليكون الشكل العام مريحا للنظر .

وكتب تحت الحشوتين العلويتين الاية الكريمة : قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . اما الحشوتان تحت القفل ففى وسطيهما كتبت سورة الفاتحة على شكل قرصين بارزين . وتحت هاتين الحشوتين عبارات تاريخية بخط صغير - صنع الباب السابق فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود سنة ١٣٦٣هـ .

وتحتها : صنع هذا الباب فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٩٩هـ . وضمن زخرفة خفيفة كتب فى الدرفة اليمنى عبارة : تشرف بافتتاحه بعون الله تعالى الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود فى الثانى والعشرين من شهر ذى القعدة ١٣٩٩هـ .

وفى الدرفة اليسرى عبارة : صنعه احمد ابراهيم بدر بمكة المكرمة صممه منير الجندى ، واضع الخط : عبدالرحيم امين .

كما وضعت زخرفة دقيقة خاصة لانف الباب المثبت على الدرفة اليسرى اما الجوانب فقد صممت بطريقة فنية ومثبتة حسب التصميم الزخرفى بعد مراعاة اللوحات الدائرية البارزة التى تحمل اسماء الله الحسنى ، وعددها خمسة عشر فوق الباب : ياواسع - يامانع - يانافع .

الجانب الايمن : ياعالم - ياعليم - ياحليم - ياعظيم - ياحكيم - يارحيم .

والجانب الايسر : ياغنى - يامغنى - ياحميد - يامجيد - ياسبحان يامستعان .

وعلى القاعدة الخشبية ثبتت لوحات الذهب الخالص المزخرفة بطريقـــة النقش والحفر . وهذه القاعدة الخشبية مؤلفة من ثلاثة مستويات - فى الـــبروز عملت الزخرفة الاطارية المستمرة والثانية تحمل الايات الكريمة .

ويزيد ارتفاع باب الكعبة المشرفة على ثلاثة امتار ويقارب عرضه مــــتران بعمق يقرب من نصف متر وهو مكون من درفتين . ويتألف الهيكل الانشائى مـــن قاعدة خشبية بسماكة عشرة سنتيمترات من خشب التيك واسمه الخاص (ماكامونـــغ) ووزنه النوعى (٨ر٤٠ / سم٣) وقد جرى تفصيل الهيكل الانشائى وتجهـــــيزه بواسطة فنيين اخصائيين فى ضوء مطابقة التصميم الزخرفى من جهة ومراعــــاة عوامل الطقس والموقع فى تحمل الحرارة الشديدة والامطار من جهة اخـــرى واتخذت احدث الاحتياطات الفنية لمعالجة كافة النقاط التفصيلية والارتباطـات بين الباب والحلق من جهة والجوانب من جهة اخرى . وزودت نهاية البــــاب بعارضة من الاسفل لمنع دخول المطر داخل الكعبة المشرفة وتحتوى علـــى قضيب خاص يضغط حرف الباب على العتبة عند الاغلاق .

ولكى يتم تركيب الباب بسهولة اعد اطار من الصلب صنع خصيصا وثبتـــت عليه المفصلات بحيث تتحمل كل درفة مايزيد على ٥٠٠ كيلو غرام ، وجهـــزت المفصلات على عجلات دائرية لسهولة الحركة .

وبالنسبة لتثبيت صفائح الذهب على القاعدة الخشبية ، فقد تم تركيب مادة لاصقة خاصة تضمن استمرار التصاق الذهب بالخشب الى فترة غير محددة .

اما بالنسبة لقفل باب الكعبة المشرفة الجديد فقد صرف النظر عـــن استخدام القفل الخاص للباب القديم والذى يعود الى عهد السلطان عبـــد الحميد ، وتمت صناعة قفل جديد بنفس مواصفات القفل القديم بما يناسب التصميم الخاص بالباب الجديد ومع زيادة ضمانة الاغلاق دون حاجة الى صيانة .

باب التوبة .

هو الباب الداخلى للكعبة المشرفة والذى يقع خلف باب الكعبة وقد جرى تصميمه على اساس ان يأتى مطابقا للباب الرئيسى من حيث الزخرفة وطريقة الكتابة بحيث يظهر التجانس بين البابين . ويبلغ عرضه ٧٠ سم وارتفاعه ٢٣٠ سم . وصنع من نفس نوع الخشب المصنوع منه باب الكعبة (ماكامونغ) ولكن بسماكة اقل (سبعة سنتيمترات)[1] .

(١) الندوة ـ الجريدة اليومية ـ العدد ٦٢٦٩ بتاريخ ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣٩٩ هـ (بتصرف بسيط) .

ثبت المراجـــع

(١) القرآن الكريم

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، الحافظ شهاب الدين ابو الفضل احمد ابن على المعروف بابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ١٣٧٨هـ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى
الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ دار الفكر - بيروت - لبنان .

(٤) سنن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى وحاشية الامام السندى ، ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب النسائى المتوفى سنة ٣٠٣هـ
طبع بمطابع الشركة العامة ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

(٥) سنن ابى داود ، سليمان بن الاشعث الجستانى المتوفى سنة ٢٧٥هـ
تعليق محمد محيى الدين عبدالحميد - دار احياء السنة النبوية .

(٦) جامع الترمذى مع شرح تحفة الاحوذى لعبدالرحمن المباركفورى
الناشر : دار الكتاب العربى ، بيروت .

(٧) نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار من احاديث سيد الابرار
للشيخ القاضى محمد بن على الشوكانى
الطبعة الاخيرة - الناشر شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .

(٨) تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ
المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٩) الجامع لاحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبى ، ابو عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٣٧٨هـ .

(١٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل
جار الله محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٢٨هـ
الناشر دار الكاتب العربى ، بيروت .

(١١) السيرة النبوية لابن هشام ،تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيـــاري وعبدالحفيظ شلبي ـ الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ ـ شركة ومطبعة مصطفـــى البابي واولاده بمصر .

(١٢) زاد المعاد في هدى خير العباد . ابو عبدالله محمد بن ابو بكرالشهير بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥٢هـ .
تحقيق محمد حامد الفقي ،مطبعة السنة المحمدية . على نفقة سمـــو ولي العهد الامير فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله .

(١٣) الاحكام السلطانية والولايات الدينية ـ تأليف ابي الحسن علي بن محمـد البصري البغدادي الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ .
دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ ـ بيروت .

(١٤) اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار،ابو الوليد محمد بن عبدالله الازرقي
تحقيق رشدي الصالح ملحس
الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ ـ دار الاندلس للطباعة والنشر ـ بيروت .

(١٥) مختار الصحاح ـ القاموس،لمحمد بن ابي بكر الرازي
دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(١٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير ابن جرير
تأليف إبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ .
الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ شركةومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
ونسخة اخرى للمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ،مصر المحمية ١٣٢٩هـ
الطبعة الاولى ـ مكتبة محمد علي زنيل ٢٦٣ .

(١٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ بدر الدين محمود العيني المتوفـى سنة ٨٥٥هـ
ادارة الطباعة السنيرية ـ الناشر محمد امين دمج ـ بيروت ـ مكتبة محمـد علي زينل ١٠٣٤

(١٨) العقد الثمين في تاريخ البلد الامين للتقي الفاسي
مطبعة السنة المحمدية القاهرة ـ مكتبة محمد علي زينل ٩٥٣/٨١ ن .ف.

(١٩) مكةوالمدينة ـ لاحمد ابراهيم الشريف
الناشر دار الفكر العربى بمصر ـ الطبعة الثانية مكتبة محمد على زينل ٩٥٣/٨٥٠

(٢٠) مجامع المناسك ـ مكتبة محمد على زينل ١٢٢٩

(٢١) اخبار العالم الاسلامى ،الاسبوعية،تصدر عن ادارة الصحافة والنشر برابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

(٢٢) السيرة النبوية ـ لابن كثير
تحقيق مصطفى عبدالواحد ـ مطبعة عيسى البابى ـ القاهرة ١٣٨٤هـ
مكتبة محمد على زينل ٩٥٦/٢١

(٢٣) المستدرك مع التلخيص ـ ابو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابورى المتوفى سنة٤٠٥هـ ـ مكتبة النصر الحديثة بالرياض.

(٢٤) تفسير روح المعانى ـ السيد محمود الالوسى البغدادى
ادارة الطباعة المنيرية ـ مصر .

(٢٥) الروض الانف فى تفسير سيرة ابن هشام ـ لابى القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن احمد بن ابى الحسن الخثعمى السهيلى المتوفى ٥٨١هـ
مطبعة الجمالية بمصر ١٩١٤م ـ مكتبة محمد على زينل ٩٠٣/١ ع٠س .

(٢٦) القرى لقاصد ام القرى ،احمد بن عبدالله محب الدين الطبرى المكى الشافعى المتوفى ٦٩٤هـ
تحقيق مصطفى السقا ،مطبعة مصطفى البابى بمصر ـ الطبعة الاولى ١٣٦٧هـ .

(٢٧) مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية
ترتيب عبدالرحمن الحنبلى ـ الطبعة الاولى ١٣٨١هـ ـ مطابع الرياض
مكتبة محمد على زينل ٢٤٧/٥٣ أ. ت .

(٢٨) المجموع شرح المهذب للامام الحافظ ابى زكريا محيى الدين بن شرف النووى ـ الناشر زكريا على يوسف ـ مطبعة الامام بمصر ـ مكتبة محمد على زينل ٢٥٣/٣ أ . ح .

(٢٩) شرح الايضاح بهامشه الايضاح ـ شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي
الطبعة الاولى ١٣٢٩ مطبعة الجمالية بمصر ـ مكتبة محمد علي زينل
٢٥٦/٢ أ ٠ ح ٠

(٣٠) المغني ـ لابي محمد عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة المتوفي
٦٢٠هـ
تحقيق د ٠ طه محمد زيني ـ الناشر مكتبة القاهرة ـ مطبعة الفجالة
الجديدة ١٣٨٨هـ ـ مكتبة محمد علي زينل رقم ٢٥٤ ع ٠ ق ٠

(٣١) السنن الكبرى ـ لابي بكر احمد بن الحسين البيهقي المتوفي ٤٥٨هـ
الطبعة الاولى ١٣٥٢هـ ـ مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد
الدكن ـ الهند ٠

(٣٢) دلائل النبوة ـ المؤلف نفسه ٠ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ـ الطبعة
الاولى ـ المكتبة السلفية بالمدينة ـ الناشر عبد المحسن ١٣٨٩هـ ، مكتبة
محمد علي زينل ٩٥٦/٢١ ٠

(٣٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر
الهيثمي المتوفي سنة ٨٠٧هـ
الناشر دار الكتاب ـ بيروت ـ مكتبة محمد علي زينل ١١٢٤ ٠

(٣٤) معجم البلدان ـ شهاب الدين ابوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي
الرومي البغدادي ـ دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٨م ـ مكتبة
محمد علي زينل ٩١٠/٣٢ ى ٠ح ٠

(٣٥) مشارق الانوار مع صحاح الاثار ـ القاضي ابو الفضل عياض بن موسى

(٣٦) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، لابي العباس شهاب الدين
احمد بن محمد القسطلاني المتوفي سنة ٩٢٣
دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ مكتبة محمد علي زينل ٢٣١٦ ٠

(٣٧) البداية والنهاية ـ الحافظ عماد الدين بن كثير
الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة محافظة مصر ١٣٥١هـ ـ نسخة مكتبة
محمد علي زينل ٩٥٦/١ مكتبة المعارف ـ بيروت ١٩٦٦م ٠

(٣٨) تاريخ الخميس فى احوال انفس نفيس
للشيخ حسنين بن محمد بن الحسن الديار بكرى - مؤسسة شعبان
بيروت - مكتبة محمد على زينل .

(٣٩) شفاء الغرام باخبار البلد الحرام - ابو الطيب تقى الدين محمد بن
احمد الفاسى ، المتوفى سنة ٨٣٢هـ
تحقيق لجنة من كبار العلماء - مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ، عيسى
البابى الحلبى ١٩٥٦ - مكتبة محمد على زينل ٩٥٣/٨١ .

(٤٠) التفسير الكبير " مفاتيح الغيب" للامام محمد الرازى فخر الدين ابن
العلامة ضياء الدين عمر المشتهر خطيب الرى - شركة صحافية عثمانية
دار الطباعة العامرة .

(٤١) حاشية ابن العابدين ، حاشية رد المختار - للشيخ محمد امين الشهير
بابن عابدين
الطبعة الثانية ١٩٦٦م - شركة مصطفى البابى الحلبى بمصر - مكتبة
محمد على زينل ٢٥١ .

(٤٢) النهاية فى غريب الحديث .

(٤٣) اعلام الساجد باحكام المساجد - لمحمد بن عبد الله الزركشى
المتوفى سنة ٧٩٤هـ
تحقيق مصطفى المراغى - لجنة احياء التراث الاسلامى - القاهرة ١٣٨٤
مكتبة محمد على زينل ٢٥٦/٢ .

(٤٤) شذرات الذهب فى اخبار من ذهب - عبد الحى بن العماد الحنبلى
المتوفى سنة ١٠٨٩هـ . مكتبة محمد على زينل ٩٢٩/٨ .

(٤٥) مسند الامام الشافعى بدائع المنن - ترتيب عبد الرحمن الساعاتى
الطبعة الاولى ١٩٥٠م دار الانوار للطباعة والنشر بمصر - مكتبة محمد على
زينل ٠٤/ ٢٣١ .

(٤٦) التبصرة - لابى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ
تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد .

(٤٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى
للقاضي ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة٥٤٤ هـ .
منشورات المكتبة التجارية الكبرى - بيروت - مكتبة محمد علي زينل
٩٥٩/٢ ع.ى.

(٤٨) تاريخ ابن الوردى " المختصر فى اخبار البشر " زين الدين عمر بن الوردى . تحقيق احمد رفعت البدراوى - الناشر دار المعرفة - بيروت
الطبعة الاولى ١٩٧٠م .

(٤٩) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام، للذهبي الحافظ المؤرخ محمد ابن احمد بن عثمان المتوفى سنة ٧٤٨هـ
تحقيق حسام الدين من جامعة دمشق ١٩٢٧م -مكتبة المركز ٢٩٧٧ .

(٥٠) عكاظ - الجريدة اليومية السياسية - تطبع بدار عكاظ للطباعة والنشر .

(٥١) مرآة الحرمين - ابراهيم رفعت باشا - الطبعة الاولى - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥م - مكتبة محمد على زينل ١٢٠٩ .

(٥٢) مجلة جامعة الملك عبد العزيز - السنة الاولى - العدد الاول - جمادى الثانية ١٣٩٥هـ .

(٥٣) المسند - للامام احمد بن حنبل - دار صادر - بيروت - مكتبةمحمد على زينل ٢٣١ أ.ج.

(٥٤) المحلى - لابى محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسى المتوفى سنة ٤٥٦هـ
منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت - مكتبة محمد على زينل ٢٥٥ ع.ج.

(٥٥) تاريخ الكعبة المعظمة - للشيخ حسين عبد الله باسلامة المتوفى ١٣٦٤هـ
تحقيق الاستاذ عمر عبد الجبار - الطبعة الثانية ١٩٦٤م - دار مصر للطباعة - مكتبة محمد على زينل ٩٥٣/٨٩ ع.س.

(٥٦) تاريخ عمارة المسجد الحرام ـ المصنف نفسه
الوصف كسابقه .
(٥٧) تاريخ التعليم فى مكة المكرمة
ترجمة عبد الرحمن صالح عبد الله ـ دار الفكر ١٣٩٢هـ .
(٥٨) تاريخ التمدن الاسلامى ـ جورجى زيدان ـ منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت ـ مكتبة محمد على زينل ٩٥٦/١ ج ز .
(٥٩) الندوة ـ الجريدة اليومية ـ تصدر بمكة المكرمة .

فهـــرس الموضوعـــات

الموضوع	الصفحـــة
شكر وتقدير	أ
مقدمة البحث	ب
الفصل الاول نشأة البيت الحرام	١
الفصل الثانى اختلاف الآراء فيمن بناه اولا	٢
بنته الملائكة أولا	٨
بناه آدم عليه السلام اولا	٩
بناه شيث بن آدم عليهما السلام أولا	١١
بناه ابراهيم الخليل عليه السلام اولا	١٢
عدد مرات بناه	١٣
بناء الخليل ابراهيم عليه السلام	١٥
ميزة بناء الخليـــل	١٨
بناء قصى بن كلاب	٢٠
ميزة بناء قصي	٢١
بناء قريش	٢١
ميزة بناء قريش	٢٧
بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما	٢٨
بناء الحجاج بن يوسف	٣٦

الموضـــــوع	الصفحـــة
بناء السلطان مراد آل عثمان	٣٩
عمارة الكعبة المعظمة في العهد السعودي	٤١
الفصل الرابع : ان البيت كان موضعا قبل الخليل عليه السلام	٤٣
الفصل الخامس : تحديد مساحة الكعبة	٥٦
الفصل السادس : بيان الحجر	٦١
مقام ابراهيم	٦٧
الحطيـــم	٨٦
وجه تسميتـــه	٨٨
الفصل السابع : الحجر الاسود وفضله	٩١
السبب في اسوداد الحجر الاسود	٩٦
الحوادث التي وقعت به	١٠١
تحلية الحجر الاسود	١٠٨
الفصل الثامن : باب الكعبة	١١٠
الفصل التاسع : ميزاب الكعبة	١١٢
تغيير وتبديل في الميزاب	١١٣
الفصل العاشر : الشاذروات	١١٦
الفصل الحادي عشر : كسوة الكعبة	١٢٢
ذكر من كسى الكعبة في الجاهلية	١٢٢
ذكر كسوة الكعبة في الاسلام	١٢٣
بدء كسوة الكعبة	١٢٤
الزركشة الذهبية في كسوة الكعبة	١٢٩
هل يجوز التصرف في كسوة الكعبة	١٣٠
مصادر ايراد كسوة الكعبة	١٣٧
كسوة الكعبة في عهد الحسين بن علي والملك عبد العزيز	١٤٠
انشاء معمل كسوة الكعبة بمكة	١٤٣

الموضوع	الصفحة
نموذج مما تنفقه الحكومة السعودية على كسوة الكعبة	١٤٤
حزام الكعبة	١٤٥
ستارة باب الكعبة المعظمة	١٤٩
الفصل الثاني عشر :	
تحلية الكعبة بالذهب وتفريشها بالرخام	١٥٢
اول من حلاها في الاسلام عبد الله بن الزبير	١٥٢
أول من فرشها بالرخام عبد الله بن الزبير	١٥٤
تحلية الكعبة بعد الوليد بن عبد الملك	١٥٤
الفصل الثالث عشر : سدانة البيت	١٥٨
سدانة الكعبة قبل الاسلام	١٥٨
سدانة البيت في ظل الاسلام	١٥٩
سدنة البيت الذين تولوا هذا المنصب العظيم	١٧٠
نسب آل الشيبي سدنة الكعبة	١٧٢
الفصل الرابع عشر :	
موقف تبع من البيت وتفسير سورة الفيل	١٧٧
تفسير سورة الفيل	١٨٢
الفصل الخامس عشر :	
مصير الكعبة في اخر الزمان	١٩٢
الفصل السادس عشر :	
بقاء الدين والدنيا ببقاء البيت	١٩٦
الفصل السابع عشر :	
فضيلة دخول البيت واداب دخوله	٢٠٥
الفصل الثامن عشر :	
الصلاة في البيت	٢١١

الموضـــوع	الصفحة

الفصل التاسع عشـــر :

ذكر البيت في كتاب الله تعالـــــى ٢١٦

الفصل العشرون :

خصائص البيت واحكامه ٢٣٨

* الباب الثاني : المسجد الحرام :

بناء المسجد الحرام وعدد مرات بنائه ٢٥٠

اول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٢٥٠

صفة المسجد الحرام قبل الاسلام وفي صدر الاسلام ٢٥٤

الزيادة الثانية : بناء عثمان رضي الله عنه ٢٥٩

الزيادة الثالثة : زيادة عبد الله بن الزبير ٢٦٠

عمارة عبد الملك بن مروان ٢٦١

الزيادة الرابعة : زيادة الوليد بن عبد الملك ٢٦٢

الزيادة الخامسة: زيادة ابي جعفر المنصور ٢٦٣

الزيادة السادسة : زيادة محمد المهـــدى ٢٦٤

عمارة المعتمد العباســـى ٢٦٨

الزيادة السابعة : زيادة دار الندوة ٢٦٨

الزيادة الثامنة : زيادة باب ابراهيم ٢٦٩

عمارة ملوك الجراكسة في المسجد الحرام ٢٧٢

عمارة السلطان قايتباى ٢٧٥

عمارة السلـــطان سليم للمسجد الحرام جميعه ٢٧٦

عمارة السلطان مراد ٢٨١

الزيادة التاسعة : عمارة المسجد الحرام وتوسعته في العصر السعودى ٢٨٣

توسعة المطاف في العهد السعودى ٢٩٠

الموضـــوع	الصفحة
توسعة المسجد الحـــرام	٢٩٢
مساحة المسجد الحرام في العهد السعودي	٢٩٧
الفصل الثاني : ابواب المسجد الحرام ..	٢٩٩
أسماء ابواب المسجد الحرام بعد توسعته السعودية	٣٠٤
الفصل الثالث : منبر المسجد الحرام	٣٠٥
الفصل الرابع : في بيان المسعـــى	٣٠٨
ذرع شارع المسعى	٣١٢
الفصل الخامس : زمزم ونشأتها	٣١٦
حال مكة في عهد الخليل عليه السلام	٣١٦
نزول هاجر بمكة	٣١٦
جبريل عليه السلام يخرج ماء زمزم	٣١٧
اندراس زمزم عدة قـــرون	٣١٨
عبد المطلب يعثر على موضع زمزم ويحفرها	٣١٩
موقف قريش من عبد المطلب حين يحفر زمزم	٣١٩
عبد المطلب يوفي بنذره	٣٢٢
بعض الاصلاحات في بئر زمزم	٣٢٤
صفة بئر زمـــزم	٣٢٥
موضع زمزم من البيت	٣٢٦
اعتناء اولي الامر بزمزم	٣٢٧
فضل ماء زمـــزم	٣٢٨
وجه تسميتـــه	٣٣٠
سقاية العباس رضي الله عنه	٣٣١
السقاية وتاريخها	٣٣١

الموضوع	الصفحة
اهم العناصر فى ماء زمزم	٣٣٢
خصائص واحكام تختص بالمسجد الحرام	٣٣٤
استحباب شد الرحال اليه	٣٤١
فضل الصلاة فيه	٣٤٧
ذكر المسجد الحرام فى كتاب الله تعالى	٣٥٢
الباب الثالث : فضل الحرم المكي :	
ـ الفصل الاول : فضل الحرم المكى	٣٦٨
تعريف الحرم	٣٦٨
ـ الفصل الثانى : حدود الحرم وانصابه	٣٧١
قدر مساحة الحرم	٣٧٣
اول من نصب انصاب الحرم	٣٧٣
ـ الفصل الثالث : بدء تامين الحرم	٣٧٧
ـ الفصل الرابع : احكام الحرم وخصائصه	٣٧٩
الفصل الخامس :	
حكم استيفاء الحدود والقصاص فى الحرم	٣٩٧
ـ الفصل السادس : فضل الصلاة فى الحرم	٤١٢
ذكر الحرم فى كتاب الله تعالى	٤١٩
ـ الفصل الثامن : مكة وموقعها الجغرافى	٤٢٣
مكة ومركزها السياسى والاجتماعى	٤٢٥
مكانتها الدينية	٤٢٧
اسماء مكـــة	٤٢٨
مكة اول من عمرها هو الخليل حيث ترك ابنه فيها	٤٢٩